تفسير القرآن الكريم

للشيخ الأكبر العارف بالله

العلامة محي الدين بن عربي

المتوفى سنة ٦٣٨ هجرية

تحقيق وتقديم

الدكتور مصطفى غالب

المجلد الثاني

* مشخصات کتاب *

* اسم کتاب : تفسیر القرآن الکریم (تفسیر ابن عربی)
* مؤلف : العلامه محی الدین بن عربی
* تعداد صفحات : ۱۶۸۰ صفحه
* قطع : وزیری
* تعداد : ۱۰۰۰ دوره در دو جلد
* چاپخانه : چاپ امیر ــ قم
* نوبت چاپ : چاپ اول
* ناشر : انتشارات ناصر خسرو ــ
تهران ــ خیابان ناصر خسرو ــ کوچه حاج نایــــب
تلفن ۳۹۷۱۸۱

تفسير القرآن الكريم

للشيخ الأكبر العارف بالله

العلامة محي الدين بن عربي

المتوفى سنة ٦٣٨ هجرية

تحقيق وتقديم

الدكتور مصطفى غالب

المجلد الثاني

سورة مريم

بسم الله الرحمن الرحيم

« كهيعص . ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا . إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيّاً » .

« كهيعص » قد تقدّم فيما سلف أن كل طالب ينادي ربه ويدعوه ، إنما يستحق الإجابة إذا دعـاه بلسان الحال ، وناداه بإسمه ، الذي هو مصدر مطلوبه ، بحسب اقتضاء استعداده في ذلك الحال ، علم أو لم يعلم ، إذ العطاء والفيض لا يكون إلا بحسب الإستعداد ، والإستعداد لا يطلب إلا مقتضى ذلك الإسم ، فيجيبه بتجلي ذلك الإسم الذي يجبر نقصه ، ويقضي حاجته ، بإفادة مطلوبة ، كما أن المريض إذا قال : يا رب ، فمراده يا شافي . إذ الحق يبريه بذلك الإسم عنـد إجابته ، وكذا الفقير إذا ناداه أجابه بإسمه المغني ، إذ هو ربه .

« قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّي وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ
شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا . وَإِنِّي خِفْتُ ٱلْمَوَالِيَ
مِنْ وَرَآءِى وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِنْ لَّدُنْكَ
وَلِيًّا . يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَٱجْعَلْهُ رَبِّ
رَضِيًّا . يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ ٱسْمُهُ يَحْيَى لَمْ نَجْعَلْ
لَّهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا . قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ
وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ ٱلْكِبَرِ عِتِيًّا .
قَالَ كَذَٰلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِنْ
قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا . قَالَ رَبِّ ٱجْعَلْ لِّي آيَةً قَالَ
آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا . فَخَرَجَ
عَلَى قَوْمِهِ مِنَ ٱلْمِحْرَابِ فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً
وَعَشِيًّا . يَا يَحْيَى خُذِ ٱلْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ ٱلْحُكْمَ
صَبِيًّا . وَحَنَانًا مِّنْ لَّدُنَّا وَزَكَوٰةً وَكَانَ تَقِيًّا . وَبَرًّا
بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُنْ جَبَّارًا عَصِيًّا . وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ
وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا » .

فنادى زكريا عليه السلام ربه ، ليهب له ولياً يقوم مقامه في أمر الدين ،
وتوسل اليه بأمرين ، واعتذر اليه معتلا بأمرين ، توسل بالضعف ، والشيخوخة ،

والوهن، والعجز عن القيام بأمر الدين، في قوله : « وهن العظم مني واشتعل الرأس شيباً » فأجابه باسمه الكافي ، فكفاه ضعفه ، وأعطاه القوة ، وأيده بالولد ، ثم بعنايته بـه قديماً بقوله : « ولم أكن بدعائك رب شقياً » فأجابه باسمه الهادي ، وهداه الى مطلوبه بالبشارة والوعد ، لأن العناية [1] المقتضية للسعادة ، المستلزمة لسلب الشقاوة ، كما أشار إليها بلازمها ، عبارة عن علمه تعالى في الأزل بعين في العدم ، وتقتضي باستعدادها سعادة تناسبها ، وهو عين إرادته تعالى ذلك الكمال لها عند وجودها ، فلا بدّ من هداية لها إليه .

والهداية إنما تتم بالتوفيق ، وهو ترتيب الأسباب الموافقة لذلك المطلوب ، المؤدية إليه ، ولم يجدها موافقة ، ووجد خلافها ، فخاف واعتذر إليه بالخوف من الموالي لعدم صلاحيتهم ، لذلك ، فأجابه باسمه الواقي ، فوقاه شرّهم ، وبامتناع وجود الولي من نسله لعدم الأسباب بقوله: « وكانت امرأتي عاقراً » فأجابه باسمه العليم ، لأنه علم عدم الأسباب الذي تعلل بها ، محتجاً بها عن المسبب ، وعلم وجوده مع عدمها ، وما علمه لا بدّ من كونه كما قالت الملائكة لامرأة ابراهيم عليه السلام : « كذلك قال ربك إنه هو الحكيم العليم » .

ولما بشره بالولد ، وهداه الى مقتضى العلم ، تعجب منه اضراوته في عالم الأسباب بالحكمة ، وكرّر التعلل بعدم الأسباب ، بقوله : « أنى يكون لي غلام » الخ .. لأنه كان يطلب ولداً حقيقياً يلي أمره ، ويحذو حذوه ، ويسلك طريقه في القيام بأمر الدين ، وإن لم يكن من نسله لعدم أهلية مواليه لذلك ، فكرّر البشارة وهداه الى سهولة ذلك في قدرته ، فالتمس علامة تدل عليه

---

(١) قوله لأن العناية الى آخره كذا في الاصل ، ولعل الناقل أخله ، وليحرر اه.

فهداه إليها ، وأنجز وعـده باسمه الصادق ، فرجه بهبة يحيى له ، فاقتضت الأحوال الأربعـــة مع حال الوعد والبشارة ، أجابته بالرحمة عليه بالأسماء الخمسة ، فعلى هذا يكون « ك » إشارة الى الكافي الذي اقتضاه حال ضعفه ، وشيخوخته ، وعجزه . و « هـ » إشارة الى الهادي الذي اقتضاه عنايته به ، وإرادة مطلوبه له . و « ي » إشارة الى الواقي ، الذي اقتضاه حـال خوفه من الموالي . و « ع » إشارة الى العالم ، الذي اقتضاه إظهاره لعدم الأسباب. و « ص » إشارة الى الصادق ، الذي اقتضاه الوعد . ومجموع الأسماء الخمسة هو الرحيم بهبة الولد ، وإفاضة مطلوبه في هذه الأحوال، فذكر هذه الحروف وتعدادها ، إشارة الى أن ظهور هذه الصفات التي حصل بها هـذه الأسماء ، هو ظهور رحمة عبده زكريا وقت ندائه ، وذكرها ذكر تلك الرحمة التي هي وجود يحيى عليه السلام ، ولهذا قال ابن عباس رضي الله عنهما : «ك» عبارة عن الكافي. و « هـ » عن الهادي. و «ي» عن الواقي. و « ع » عن العالم. و«ص» عن الصادق . والله أعلم .

والتطبيق أن يقال : نادى زكريا الروح، في مقام استعداد العقل الهيولاني نداءً خفياً ، واشتكى ضعفه ، وتوسل بعنـــايته ، واشتكى خوف موالي القوى النفسانية ، وعقر امرأة النفس بولد القلب ، « فهب لي من لدنك ولياً يرثني ويرث من آل يعقوب » العقل الفعـــال « واجعله رب رضياً » موصوفاً بالكمالات المرضية « نبشرك بغلام » القلب « إسمه يحيى » لحياته أبداً « رب اجعل لي آية » أتوصل بها إليه « آيتك ألا تكلم » ناس الحواس، بالشواغل الحسية ، والمخالطة بالأمور الطبيعية «فأوحى اليهم أن سبحوا» أي ، كونوا على عبادتكم المخصوصة بكل واحـــد منكم بالرياضة ، وترك الفضول دائماً « يا يحيى » القلب « خذ » كتاب العلم ، المسمّى بالعقل الفرقاني « وآتينـــاه

الحكم » أي ، الحكمة « صبياً » قريب العهد بالولادة المعنوية « وحناناً من لدنا » أي ، رحمة بكمال تجليات الصفات « وزكاة » أي ، تقدّساً ، وطهارة، بالتجرّد « وكان تقياً » مجتنباً صفات النفس « وبرّاً بوالديه » الروح، والنفس « وسلام عليه » أي ، تنزّه ، وتقدّس ، عن ملابسة المواد « يوم وُلد ويوم يموت » بالفناء في الوحدة « ويوم يبعث » بالبقاء بعد الفناء « حياً » بالله .

« وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَاناً شَرْقِيًّا . فَٱتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَاباً فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَراً سَوِيّاً . قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَٰنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا . قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَاماً زَكِيًّا . قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا . قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَقْضِيًّا » .

« واذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها مكاناً شرقياً » المكان الشرقي ، هو مكان العالم القدسي لاتصالها بروح القدس عند تجرّدها ، وانتباذها عن مكن الطبيعة ، ومقرّ النفس ، وأهلها القوى النفسانية ، والطبيعية .

والحجاب الذي اتخذته من دونهم ، وهو حظيرة القدس ، الممنوع من أهل

عالم النفس ، بحجاب الصدر ، الذي هو غاية مبلغ علم القوى المادّية ، ومدى سيرها ، وما لم تترق الى العالم القدسيّ بالتجرّد ، لم يمكن إرسال روح القدس اليها ، كما أخبر عنه تعالى في قوله : « فأرسلنا اليها روحنا » وإنما تمثل لها بشراً سويّ الخلق ، حسن الصورة ، لتتأثر نفسها به ، وتستأنس ، فتتحرّك على مقتضى الجبلة ، ويسري الأثر من الخيال في الطبيعة ، فتتحرّك شهوتها فتنزل كما يقع في المنام من الإحتلام ، وتنقذف نطفتها في الرحم ، فيتخلّق منه الولد .

وقـــد مرّ أن الوحي قريب من المنامات الصّادقة ، لهدء القوّة البدنية وتعطلها عن أفعالها عنده ، كما في النوّم ، فكلّ مـــا يُرى في الخيال من الأحوال الواردة على النفس الناطقة المسماة في اصطلاحنا قلباً ، والإتصالات التي لهـا بالارواح القدسيّة ، يسري في النفس الحيوانية والطّبيعية ، وينفعل منه البدن .

وإنما أمكن توّلد الولد من نطفة واحدة ، لأنه ثبت في العلوم الطبيعية ، أنّ منى الذكر في تكوّن الولد بمنزلة الانفحة في الجبن ، ومنـّى الأنثى بمنزلة اللـّبن ، أي العقد من منـّى الذكر ، والإنعقاد من منـّى الأنثى ، لا على معنى ، أنـّ منـّى الذّكر ينفرد بالقوّة العاقدة ، ومنـّى الأنثى بالقوّة المنعقدة ، بل على معنى ، أنّ القوة العاقدة في منـّى الذّكر أقوى ، والمنعقدة في منـّى الأنثى أقوى ، وإلا لم يمكن أن يتـّحد شيئاً واحـداً ، ولم ينعقد منـّى الذكر حتى يصير جزء من الولد .

فعلى هذا ، اذا كان مزاج الأنثى قوّياً ذكورّياً كما تكون أمزجة النساء الشريفة النفس القوية القوى ، وكان مزاج كبدها حاراً ، كان المنـّى المنفصل

عن كليتها اليمنى أحرّ كثيراً من الذي ينفصل عن كليتها اليسرى ، فإذا اجتمعا في الرّحم ، وكان مزاج الرحم قوياً في الإمساك والجذب ، قام المنفصل من الكلّية اليمنى مقام الذكر في شدّة قوة العقد ، والمنفصل من الكلّية اليسرى مقام منيّ الأنثى في قوّة الإنعقاد ، فيتخلّق الولد هذا ؛ وخصوصاً اذا كانت النفس متأيدة بروح القدس، متقوية، يسري أثر اتصالها به الى الطّبيعة ، والبدن ، ويغير المزاج ، ويمدّ جميع القوى في أفعالها بالمدد الروحاني ، فيصير أقدر على أفعالها بما لا ينضبط بالقياس ، والله أعلم .

« ولنجعله آية للناس » دالة على البعث والنشور « ورحمة منا » عليهم بتكميلهم به بالشرائع ، والحكم ، والمعارف ، وهدايتهم بسبب فعلنا ذلك ، فهو صورة الرحمة الإلهية المعنوية « وكان أمراً مقضياً » في اللوّح ، مقدّراً في الأزل. وعن ابن عباس فاطمأنت اليه، بقوله: « إنما أنا رسول ربك لاهب لك غلاماً زكياً » فدنا منها فنفخ في جيب الدّرع ، أي البدن ، وهو سبب انزالها على ما ذكرنا، كالغلمة مثلاً ، والمعانقة التي كثيراً ما تصير سبباً للإنزال.

وقيل أن الروح المتمثل لها ، هو روح عيسى عليه السلام عند نزوله ، وأتصاله بها وتعلّقه بنطفتها ، والحق أنه روح القدس ، لأنه كان السبب الفاعلي لوجوده ، كما قال : لاهب لك غلاماً زكياً .

« فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَذَتْ بِهِ مَكَاناً قَصِيًّا . فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسْياً مَنْسِيًّا . فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ

جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيّاً . وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَباً جَنِيًّا . فَكُلِي وَٱشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلْبَشَرِ أَحَداً فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْماً فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا » .

واتصال روح عيسى بالنطفة إنما يكون بعد حصول النطفة في الرحم ، واستقرارها فيه ، ريثما تمتزج وتتحد ، وتقبل مزاجاً صالحاً لقبول الروح « فانتبذت به » أي معه « مكاناً قصياً » أي ، بعيداً من المكان الاول الشرقي ، لأنها وقعت به في المكان الغربي ؛ الذي هو عالم الطبيعة ، والأفق الجسماني ، ولهذا قال : « فأجاءها المخاض الى جذع النخلة » نخلة النفس « فناداها من تحتها » أي ناداها جبريل من الجهة السفلية بالنسبة الى مقامها من القلب ، أي ، من عالم الطبيعة ، الذي كان حزنها من جهته ، وهو الحمل الذي هو سبب تشوّرها ، وافتضاحها « ألّا تحزني قد جعل ربّك تحتك سرياً » أي ، جدولاً ، من غرائب العلم الطبيعي ، وعلم توحيد الافعال ، الذي خصّك الله بها واصطفاك ، كما رأيت من تولد الجنين من نطفتك ، وحدها .

« وهزّي إليك بجذع » نخلة نفسك ، التي بسقت في سماء الروح ، باتصالك بروح القدس ، واخضرّت بالحياة الحقيقية ، بعد يبسها بالرياضة ، وجفافها بالحرمان عن ماء الهوى وحياته ، وأثمرت المعارف ، والمعاني ، أي ، حرّكيها بالفكر « تساقط عليك » من ثمرات المعارف ، والحقائق « رطباً جنياً فكلي » أي ، من فوقك رطب الحقائق ، والمعارف الإلهية ، وعلم تجليات الصفات ، والمواهب ، والأحوال « واشربي » من تحتك ماء العلم الطبيعي ، وبدائع

الصنع، وغرائب الأفعال الإلهية، وعلم التوكل، وتجليات الأفعال، والأخلاق، والمكاسب، كما قال تعالى: «لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم».

«وقرّي عيناً» بالكمال، والولد المبارك، الموجود بالقدرة، الموهوب بالعناية «فامّا ترين من البشر أحداً» أي، من أهل الظاهر، المحجوبين عن الحقائق بظواهر الأسباب، وبالصنع، والحكمة، عن الإبداع والقدرة، الذين لا يفهمون قولك، ولا يصدّقون بك، وبحالك، لوقوفهم مع العادة، واحتجابهم بالعقول المشوبة بالوهم، المحجوبة عن نور الحق «فقولي إني نذرت للرحمن صوماً» أي، لا تكلميهم في أمرك شيئاً، ولا تماديهم فيما لا يمكنهم قبوله، حتى ينطق هو بحاله.

«فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئاً فَرِيّاً. يَا أُخْتَ هٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا. فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا. قَالَ إِنِّي عَبْدُ ٱللهِ آتَانِيَ ٱلْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا. وَجَعَلَنِي مُبَارَكاً أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا. وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّاراً شَقِيًّا. وَٱلسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيّاً. ذٰلِكَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ ٱلْحَقِّ ٱلَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ. مَا كَانَ لِلّٰهِ

أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَى أَمْراً فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ . وَإِنَّ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ هٰذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ . فَٱخْتَلَفَ ٱلْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ . أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا لٰكِنِ ٱلظَّالِمُونَ ٱلْيَوْمَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ . وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ ٱلْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ . إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ ٱلْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ » .

« والسلام عليّ » في المواطن الثلاثة كما على يحيى ، لكون ذاتي مجرّدة مقدسة ، لا تحتجب بالمواد ، حتى في الطفولة ، إذ معنى السلام ، التنزه عن العيوب اللاحقة بواسطة تعلق المادة « ذلك عيسى ابن مريم قول الحق » أي ، كلمته التي هي عبارة عن ذات مجردة أزلية ، كما مرّ غير مرة .

« ما كان لله أن يتخذ من ولد » لإمتناع وجود شيء آخر معه «سبحانه» عن أن يوجد معه شيء « فإنما يقول له كن فيكون » أي ، يبدعه بمجرد تعلق إرادته به من غير زمان .

« إنا نحن نرث الأرض ومن عليها » في القيامة الكبرى ، بالفناء المطلق ، والشهود الذاتي ، الصدق أصل كل فضيلة ، وملاك كل كمال ، وخيرة كل مقام ، واستمداد كل موهبة .

« وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقاً نَبِيًّا . إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئاً . يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطاً سَوِيّاً . يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمٰنِ عَصِيًّا . يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا . قَالَ أَرَاغِبٌ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا . قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا . وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللّٰهِ وَأَدْعُوا رَبِّي عَسَى أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا . فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللّٰهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحٰقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا . وَوَهَبْنَا لَهُمْ مِنْ رَحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا . وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَى إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصاً وَكَانَ رَسُولاً نَبِيًّا . وَنَادَيْنَاهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا . وَوَهَبْنَا لَهُ مِنْ رَحْمَتِنَا أَخَاهُ هٰرُونَ نَبِيًّا . وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمٰعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولاً نَبِيًّا . وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلٰوةِ وَالزَّكٰوةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا » .

« لِمَ تعبد ما لا يسمع ولا يبصر » مما سوى الله من الأكوان التي تطلبها ، وتنسب التأثير اليها « ولا يغني عنك شيئاً » في الحقيقة ، لعدم تأثيره « قد جاءني من العلم » أي ، التوحيد الذاتي « سلام عليك » أي ، جرّد الله ذاتك عن المواد التي احتجبت بها « سأستغفر لك ربي » سأطلب منه ستر ذاتك بنوره ، ومحو غشاوات صفاتك بصفاته ، ودناءة هيئات نفسك بأفعاله ، إن أمكن .

« إنه كان مخلصاً » بالكسر ، أي ، مجرّد ذاته ، وعلمه في السلوك لوجه الله ، لم يلتفت الى ما سواه من وجهة حق صفاته تعالى، بل نفاها عن ذاته ، وهو ما زاغ البصر، وما طغى، بقوله: « أرني أنظر إليك » ومخلصاً بالفتح ، أي ، أخلصه الله عن أنانيته ، وأفنى البقية منه ، فخلص من الطغيان المذكور بالتجلي الذاتي التام ، واستقام بتمكين الله إياه ، كما قال : « فلما تجلى ربه للجبل جعله دكاً وخرّ موسى صعقاً » فلما أفاق ، قال : « سبحانك تبت إليك » من ذنب ظهور الإنانية « وكان رسولاً نبياً » مقام الرسالة ، دون مقام النبوّة ، لكونها مبينة للأحكام ، كالحلال والحرام، منبهة على الأوضاع، كالصلاة ، والصيام ، فهي متعلقة ببنيان أحكام المكلفين .

وأما النبوّة فهي عبارة عن الأنباء عن المعاني الغيبية ، كأحوال المعاد ، والبعث ، والنشور ، والمعارف الإلهية ، كتعريف الصفات والأسماء ، وما يليق بالله من التحميدات والتمجيدات .

والولاية فوقها جميعاً ، لكونها عبارة عن الفناء في ذات الله ، من غير اعتبار الخلق، فهي أشرف المقامات، لكونها تتقدم عليهما ، لأنها ما لم تحصل أولاً لم تمكن النبوّة ولا الرسالة ، لكونها مقوّمة إياهما ، ولهذا قدّم كونه مخلصاً في القرآن بالفتح ، وأخرت النبوة عن الرسالة لكونها أشرف وأدلّ

على المدح ، والتعظيم منها ، ولم يؤخر الولاية عنها ، باعتبار الشرف ، لأنها وإن كانت أشرف ، لكنها باطنة ، لا يعرف شرفها وفضلها إلا الأفراد من العرفاء المحققين، المخصوصين بدقة النظر دون غيرهم، فلا يفيد المدح والتعظيم، ولا الإقتصار عليها ، بقوله : « مخلصاً » وإن كانت أشرف ، لأنها قد توجد بدونها ، بخلاف العكس ، فلا يحسن وصفه إلا على هذا الترتيب .

« وناديناه من جانب الطور الأيمن » أي ، طور وجوده ، الذي هو نهاية طور القلب في مقام السرّ الذي هو محل المناجات ولهذا قال « وقربناه نجيا » وسمى كليم الله ، وإنما وصفه بالأيمن ، الذي هو الأشرف ، والأقوى ، والأكثر بركة ، احترازاً عن جانبه الأيسر الذي هو الصدر ، لأن الوحي إنما يأتي من عالم الروح ، الذي هو الوادي المقدس .

« وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا . وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا . أُولَٰئِكَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّينَ مِن ذُرِّيَّةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَٱجْتَبَيْنَا إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُ ٱلرَّحْمَٰنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا . فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُوا ٱلشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا . إِلَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْئًا » .

« ورفعناه مكاناً علياً » ان كان بمعنى المكانة فهو قربه من الله ، ورتبته في مقام الولاية من عين الجمع ، وان كان بمعنى المكان ، فهو الفلك الرابع ، الذي هو مقر عيسىَ عليه السلام ، لما ذكر من كونه مركز روحه في الأصل ، والمبدأ الأول لفيضانه إذا فاض عن محرك فلك الشمس ، ومعشوقه .

« إذا تتلىَ عليهم آيات الرّحمَن » سمعوا بالنفس من كلّ آية ظاهرها ، وبالقلب باطنها ، وفهموا بالسرّ حدّها ، وصعدوا بالروح مطلعها ، فشاهدوا المتكلم موصوفاً بالصفة التي تجلى بها في الآية فـ « خروا سجدا » فنوافي ذلك الإسم الذي تجلى بـه عند ظهوره بتلك الصفة ، الكاشفة عنها تلك الآية ، وبكوا اشتياقاً إلىَ مشاهدته بسائر الصفات ، المشتمل عليه الرحمَن ، أو الله ، وهو بكاء القلب ، إن لم يكن مستلزماً لبقاء النفس من خوف البعد ، كما قال الشاعر :

ويبكي إن نأوا شوقاً إليهم ويبكي إن دنوا خوف الفراق

أضاعوا صلاة الحضور لكونهم في مقام النفس ، والحضور إنما يكون بالقلب ، ولا صلاة الآية ، ولذلك الإحتجاب بصفات النفس عن مقام القلب لزم اتباع الشهوات « فسوف يلقون غياً » شرّاً ، وضلالاً ، إذ كلما امعنوا في اتباعها ازداد حجابهم ، فازداد ضلالهم ، وارتكبت الذنوب على الذنوب ، فازداد تورطهم فيها ، كما قال عليه الصلاة والسّلام : « الذنب بعد الذنب عقوبة المذّنب الأول » إلا من تاب عن الذنب الأول فرجع الى مقام القلب وآمن باليقين وعمل صالحاً باكتساب الفضيلة » . « فأولئك يدخلون الجنة » المطلقة ، بحسب استحقاقهم ، ودرجتهم في الإيمان ، والعمل « ولا يظلمون » أي ، لا ينقصون ، مما اقتضاه حالهم ومقامهم شيئاً .

« جَنَّاتِ عَدْنٍ ٱلَّتِي وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ عِبَادَهُ بِٱلْغَيْبِ إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًّا . لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْواً إِلَّا سَلَاماً وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا . تِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيًّا . وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلاَّ بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا . رَّبُّ ٱلسَّمٰوَاتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا » .

« جنات عدن » مرتبة بحسب درجاتهم في مقام النفس ، والقلب ، والروح ، « التي وعد الرحمن » المفيض بجلائل النعم ، وأصولها وعمومها ، « عباده بالغيب » في حالة كونهم غائبين عنها « إلا سلاما » أي ما يسلمهم من النقائص ، ويجردهم عن المواد من المعارف والحكم « ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا » أي ، دائما أو بكرة في جنة القلب ، وقت ظهور نور شمس الروح ، وعشياً في جنة النفس وقت غروبه .

« تلك الجنة » المطلقة التي تقع على واحدة منها « التي نورث من عبادنا من كان تقيا » مطلقاً ، بحسب تقواه ، فإن اتقى الرذائل والمعاصي ، نورثه جنة النفس ؛ أي ، جنة الآثار ، وإن اتقى أفعاله بالتوكل ، فله جنة القلب ، وحضور تجليات الأفعال ، وإن اتقى صفاته في مقام القلب ، فله جنة الصفات ، وإن اتقى ذاته ووجوده بالفناء في الله فله جنة الذات .

« وما نتنزل إلا بأمر ربك » تنزل الملائكة ؛ و اتصال النفس بالملأ الأعلى إنما يكون بأمرين : استعداد أصلي ، وصفاء فطري ، يناسب بـــه جوهر الروح العالم الأعلى . واستعداد حـالي بالتصفية والتزكية ، ولا يكفي مجرد حصولها فيه ، بل المعتبر هو الملائكة . ألا ترى الى قوله ؟ ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ، كيف رتب التنزل على الإستقامة التي هي التمكين ، الدّال على الملكة ، وإلى قوله في تنزل الشياطين : « تنزل على كلّ أفاك أثيم » كيف أورد في حصول استعداد تنزلهم بنـــاء المبالغة ، الدال على الملكة والدوام ، فكذا لا تتنزل الملائكة إلا على الصدّيق الخير ، وهذا الإستعداد الثاني إذا اجتمع مع الأول ، كان علامة اذن الحق وأمره ، اذ الفيض عامّ تامّ ، غير منقطع ، فحيث تأخر انما تأخر لعدم الإستعداد ، فلذا لما استبطأ الوحي ، وقل صبره ، نزلت . أي ، ومـا نتنزل باختيارنا ، بـل باختياره ، وأمره ليس إلا « له ما بين أيدينا » من أطوار الجبروت ، التي فوقنا ، وتتقدم أطوارنا ، التي وجوهنا اليها ، ولا يحيط علمنا بهـــا ، « وما خلفنا » من أطوار الملكوت الأرضية ، التي دون أطوارنا « ومـا بين ذلك » من الأطوار الملكوتية التي نحن فيهـا ، كلهم في ملكة قهرة ، وتحت سلطنة أمره ، وأحاطة علمه ، « ومـا كان ربك نسياً » ينسى شيئاً يستعد لكمال ، فلا يفيض عليه ، او تاركا لمستحق بدون حقـه ، بل يحيط بكل الإستعدادات علماً ، ويفيض الكمال عليهـا ، وينزل مقتضاها ، مع الحصول دفعة ، فإن تأخر الوحي ، فإنما كان من جهتك لا من جهته هو « رب السموات والأرض وما بينهما » يرب كلا منهما باسم يخصته ، ويدبره ويفيض ما يقتضيه حاله عليه ، فيرب الكل ، بجميع أسمائه « فاعبده » بعبادتك التي يقتضيها حالك ، حتى تستعد لقبول الفيض ، ونزول الوحي ، ولا يكفي وجود العبادة

بتهيئة الإستعداد بالتصفية مرة ، أو مرتين ، بل الدوام على ذلك معتبر ، فدم على ذلك الصفاء الموجب للقبول « واصطبر لعبادته » بالتوجه اليه على الدوام ، « هل تعلم له سمياً » مثلاً ، فتلتفت اليه ، وتقبل بوجهك نحوه ، فيفيض عليك مطلوبك .

« وَيَقُولُ ٱلْإِنْسَانُ ءَإِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا . أَوَلَا يَذْكُرُ ٱلْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئاً . فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَٱلشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا . ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى ٱلرَّحْمٰنِ عِتِيًّا . ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِٱلَّذِينَ هُمْ أَوْلَى بِهَا صِلِيًّا . وَإِنْ مِّنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْماً مَّقْضِيًّا . ثُمَّ نُنَجِّي ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا وَّنَذَرُ ٱلظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا . وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَيُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَاماً وَأَحْسَنُ نَدِيّاً . وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِّنْ قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثَاثاً وَرِءْياً . قُلْ مَنْ كَانَ فِي ٱلضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ ٱلرَّحْمٰنُ مَدًّا . حَتَّى إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ إِمَّا ٱلْعَذَابَ وَإِمَّا ٱلسَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَّكَاناً وَأَضْعَفُ جُنْداً » .

« ولم يك شيئاً » في عالم الشهادة محسوساً او شيئاً يعتدّ بـه ، كما قال : «لم يكن شيئاً مذكوراً» لأن الوجود العيني في الازل قبل الخلق كلا وجود ؛ لانطماسه في عين الجمع « لنحشرنهم والشياطين » أي ، لنحشرنّ المحجوبين ، المنكرين للبعث ، مـع الشياطين الذين أغووهم ، وأضلوهم عن الحق ، لأن نفوس المحجوبين تناسب في الكدورة ، والبعد عن النور ، نفوس الشياطين ، فبالضرورة يحشرون معهم ، خصوصاً إذا اتبعوهم في الإعتقاد « ثم لنحضرنهم حول جهنم » الطبيعة ، في العـالم السفلي ، لاحتجابهم بالغواشي الهيولانية ، والفواسق الظلمانية ، في الهياكل السجنية ، مقرنـين في الأصفاد ، سرابيلهم من قطران « جثيا » لاعوجاج هياكلهم ، بسبب عوج نفوسهم ، فـلا يستطيعون قياماً .

« ثم لننزعنّ من كل شيعة » أي ، لنخصن من كل فرقة من هو أشد عتياً على الرحمن بعذاب أشدّ على ما علمنا من حاله ، فنحن أعلم به منه ، فنصليه بعذاب هو أولى به . « وإن منكم إلا واردها » أي ، لا بدّ لكل أحد عند البعث ، والنشور ، أن يرد عالم الطبيعة لكونها مجاز عالم القدس .

« كان على ربك حتماً مقضياً » أي ، حكماً جزماً مقطوعاً بـه ، ومن بعث يردّ روحـه الى الجسد لا يمكنه الجواز على الصراط ، إلا بالجواز على جهنم ، لأن المؤمن لما جاء أطفأ نوره لهبها فلم يشعر بها كما روي ، أنها تقول: (جز يا مؤمن ، فإن نورك أطفأ لهبي) .

ولو سألته بعد دخول الجنة ، كيف كان حالك في النار ؟ يقال : مـا أحسست بهـا . كما سئل الصادق عليه السلام : أتردونها أنتم أيضاً ؟ فقال : جزناها ، وهي خامدة .

وعن ابن عباس : (يردونها كأنها أهالة) . وعن جابر بن عبد الله ، أنه

سأل رسول الله ﷺ عن ذلك ، فقال : (اذا دخل أهل الجنة قال بعضهم لبعض : أليس وعدنا ربنا أن نرد النار ؟ فيقال لهم : وردتموها وهي خامدة).

وعنه رحمه الله ، إنه سئل عن هذه الآية ، فقال : (سمعت رسول الله ﷺ يقول : الورود الدخول ، لا يبقى برّ ولا فاجر إلا دخلهـــا ، فتكون على المؤمنين برداً وسلامـاً ، كما كانت على ابراهيم عليه السلام) حتى إن للنار ضجيجاً من بردها .

وأما قوله: « أولئك عنها مبعدون » فالمراد عن عذابها « ثم ننجّي الذين اتقوا» لتجرّدهم بالجواز على الصراط الذي هو سلوك طريق العدالة الى التوحيد كالبرق « ونذرّ الظالمين » الذين نقصوا نور استعدادهم في الظلمات، او وضعوه غير موضعه « فيهـا جثياً » لا حراك بهم ، لتورّدهم في المواد الظلمانية ، كما قال عليه السلام : (الظلم ظلمات يوم القيامة) .

« وَيَزِيدُ ٱللهُ ٱلَّذِينَ ٱهْتَـــدَوْا هُدًى وَٱلْبَاقِيَاتُ ٱلصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَاباً وَخَيْرٌ مَرَدًّا . أَفَرَأَيْتَ ٱلَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَـا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالاً وَوَلَداً . أَطَّلَعَ ٱلْغَيْبَ أَمِ ٱتَّخَذَ عِنْدَ ٱلرَّحْمٰنِ عَهْداً . كَلاَّ سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُ مِنَ ٱلْعَذَابِ مَدًّا . وَنَرِثُهُ مَـا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْداً . وَٱتَّخَذُوا مِنْ دُونِ ٱللهِ آلِهَةً لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا . كَلاَّ سَيَكْفُرُونَ بِعِبَـادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا » .

« ويزيد الله الذين اهتدوا هدى » أي ، كما يمد أهل الضلالة في ضلالتهم بالخذلان مـــدّاً ، يزداد فيه ضلالهم ، واحتجابهم ، كلما أمعنوا في جهلهم ورذائلهم ، كذلك يزيد الله المهتدين بالتوفيق كلما عملوا بمـا علموا استعدوا لقبول علم آخر فورثوه ، كما قال عليه السلام : (مَن عمل بما علم أورثه الله علم ما لم يعلم) فيزيدهم عند العمل ، بمقتضى العلم اليقيني ، عين اليقين ، وعند العمل بمقتضاه حق اليقين .

« والباقيات الصالحات » من العلوم والفضائل « خير عند ربك ثوابـاً » لأدائها الى التجليّات الوصفية ، والجنات القلبية « وخير مردّاً » بالرجوع الى الذات الأحدية .

« أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا ٱلشَّيَاطِينَ عَلَى ٱلْكَافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا . فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا . يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمٰنِ وَفْداً . وَنَسُوقُ ٱلْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وِرْدًا . لَّا يَمْلِكُونَ ٱلشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمٰنِ عَهْداً . وَقَالُوا ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمٰنُ وَلَدًا . لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْئاً إِدًّا . تَكَادُ ٱلسَّمٰوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا . أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمٰنِ وَلَدًا . وَمَـا يَنبَغِي لِلرَّحْمٰنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا . إِنْ كُلُّ مَنْ فِي ٱلسَّمٰوَاتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّا آتِي ٱلرَّحْمٰنِ عَبْدًا . لَّقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا . وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيٰمَةِ فَرْدًا » .

« ألم ترَ أنّا أرسلنا الشياطين على الكافرين تؤزهم أزاً » قد مرّ في باب تنزل الملائكة ، أن النفوس الخيّرة تستمد من الملكوت، والملائكة السماوية ، لاتصالها بهم في الصفاء ، والتجرّد ، والنورية ؛ والنفوس الشريرة تستمد من النفوس المظلمة الارضية ، لمناسبتها إيام، ومجانستها لهم، في الظلمة والكدورة والخبث ، فتعجّب رسول الله ﷺ من شدة ظلمتهم ، وتماديهم في الغواية والإحتجاب ، حيث تنزل عليهم الشياطين دائماً فتؤزهم ، أي ، تحرّضهم وتخذلهم بإلقاء الوساوس ، والهواجس من انواع الشرّ ، على التوالي .

« إنما نعدُّ لهم عدّاً » أي ، أنفاسهم المقرّبة لهم الى المصير الى وبال كفرهم ، وأعمالهم ، وعذاب هيئاتهم ، وعقائدهم ، فإن لكل أجلا معيناً سيصير اليه عن قريب .

« يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفداً » إنما ذكر اسم الرحمن لعموم رحمته، بحسب مراتب تقواهم ، كما ذكر في قوله : « من كان تقياً » ، ولهذا ، لما سمعها بعض العارفين ، قال : (ومن كان مع الرحمن فإلى مَن يحشر ؟) فأجابه بعضهم بقوله: (من اسم الرحمن ، الى اسم الرحمن ، ومن اسم القهار ، الى اسم اللطيف) ، فإن المتقي عن المعاصي ، والرذائل، وصفات النفس الذي هو في أول درجة التقوى ، قد يحشر الى الرحمن في جنة الأفعال ، ثم الصفات ، ثم بعد الوصول الى الله في جنة الصفات له سير في الله بحسب تجليات الصفات ، واذا انتهى السير الى الذات ، يكون السير سير الله « وفداً » مكرمين « ونسوق المجرمين » لأعمالهم الخبيثة « الى جهنم » الطبيعة « ورداً » كأنهم إبل عطاش ، فيوردهم النار ، « لا يملكون الشفاعة إلا من اتخذ عند الرحمن عهداً » هذا العهد ، هو ما عاهد الله اهل الإيمان من الوفاء بالعهد السابق ، بالتوبة ، والإنابة اليه ، في الصفاء الثاني، بعد الصفاء الأول ، وذلك الإنسلاخ

عن حجب صفات النفس، والإتصاف بصفات الرحمن، والإتصال بعالم القدس، الذي هو حضرة الصفات ، ولهـذا ذكر اسم الرحمن المعطي لأصول النعم وجلائلها ، المشتمل على سائر الصفات اللطيفة ، أي ، لا يملك أحد أن يشفع له بالإمدادات الملكوتية ، والأنوار القدسية ، إلا من استعد لقبول الرحمة الرحمانية ، واتصل بالجناب الإلهي ، بالعهد الحقيقي .

وعن ابن مسعود، ان النبي ﷺ قال لأصحابه ذات يوم: (أيعجز أحدكم أن يتخذ عند كل صباح ومساء ، اللهم فاطر السماوات والأرض ، عالم الغيب والشهادة ، اني أعهد اليك ، اني أشهد أن لا إله إلا أنت ، وحدك لا شريك لك ، وأن محمداً عبدك ورسولك ، وإنك إن تكلني الى نفسي تقرّبني من الشر ، وتباعدني من الخير ، وإني لا أثق إلا برحمتك ، فاجعل لي عهداً توّجنيه يوم القيامة ، إنك لا تخلف الميعاد) .

« إن كل من في السموات والأرض إلا آتي الرحمن عبداً » ، لكونهم في حيز الإمكان ومكمن العدم لا وجود لهم، ولا كمال إلا به ، أفاض باسم الرحمن وجوداتهم وكمالاتهم ، فهم أنفسهم ليسوا شيئاً ، فلو لم يعبدوه حق عبادته باستعدادات أعيانهم في العدم، لما وجدوا ، ولو لم يعبدوه بعد الوجود بالقيام بحقوق نعمه التي أنعمها عليهم لما كملوا ، فهم مربوبون مجبورون ، وفي طيّ قهره ، وملكته ، مقهورون .

« لقد أحصاهم » في الأزل بإفادة أعيانهم ، واستعداداتهم الأزلية من فيضه الأقدس ، وتعيينها بعلمه « وعدّهم عدّاً » فما هياتهم وحقائقهم ، إنما هي صور معلومات ظهرت في العدم بمحض عالميته، وبرزت الى الوجود بفيض رحمانيته ، فكيف تماثله وتناسبه .

« وكلهم آتيـــه يوم القيمة » الصغرى ، منفرداً مجرّداً عن الأسباب والأعوان ، كما كان في النشأة الأولى ، ويوم القيـامة الوسطى « فرداً » من العلائق البدنية ، مجرّداً عن الصفات النفسانية ، والقوى الطبيعية . وأما في القيامة الكبرى ، فكل من عليهـــا فان ، ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام .

« إِنَّ ٱلَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا . فَإِنَّمَـــا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ ٱلْمُتَّقِينَ وَتُنْذِرَ بِهِ قَوْماً لُدًّا . وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِّنْ قَرْنٍ هَلْ تُحِسُّ مِنْهُمْ مِّنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا » .

« إن الذين آمنوا » الإيمان الحقيقي العلمي ، او العيني « وعملوا الصالحات » من الأعمال المزكية ، المصفية ، المعدّة لقبول تجليات الصفات ، بالتجرّد عن ملابس صفاتهم « سيجعل لهم الرحمن ودّاً » ، كما قال: (لا يزال العبد يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه ، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع بـه ، وبصره الذي يبصر به ، ويده التي يبطش بها) .

وفي الحقيقة هـــذا الودّ اثر ونتيجة العناية الأولى المستفادة من قوله : « يحبهم ويحبو نه » فإذا أحبه قبل الظهور في مكمن الغيب بمحبة الإجتباء ، ألزمه حبه لله عند البروز ، وحرّكه الى الوفـــاء بالعهد السابق ، فتجدّد ذلك العهد بالعقد اللاحق ، الذي هو العهد مع الله بالوفاء بذلك ، في متابعة الحبيب المطلق ، كما قال: (إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله) وإن صحت المتابعة في الأعمال والأحوال ، أحبه الله بمحبة الإصطفاء ، فوق المحبة

التي هي ثمرة المحبة الأولى، لكون الأولى عينية كامنة ، ولكونها كمالية بارزة، وقعت محبته في قلوب الخلق ، وظهر له القبول عند أهل الإيمان الفطري .

وعن رسول الله ﷺ وعلى آله : (اذا أحب الله عبداً يقول الله تعالى : يا جبرائيل ! قد أحببت فلاناً فأحبه ، فيحبه جبريل ، ثم ينادي في أهل السماء : أن الله تعالى قد أحب فلاناً فأحبوه ، فيحبه أهل السماء ، ثم يضع له المحبة في الأرض) .

وعن قتادة : (ما أقبل عبد الى الله إلا أقبل الله بقلوب العباد إليه) وهذا معنى قوله : « سيجعل لهم الرحمن وداً » ، والله أعلم .

سورة طه

بسم الله الرحمن الرحيم

« طٰهٰ . مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْآنَ لِتَشْقَىٰ . إِلَّا تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ . تَنزِيلاً مِّمَّنْ خَلَقَ ٱلْأَرْضَ وَٱلسَّمٰوَاتِ ٱلْعُلَى . ٱلرَّحْمٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ » .

« طه » الطاء إشارة الى الطاهر ، والهاء الى الهادي . وذلك أن النبي ﷺ من شدة حنوه ، وتعطفه على قومه ، لكونه صورة الرحمة ، ومظهر المحبة ، تأسف من عدم تأثير التنزيل في إيمانهم ، واستشعر البقية ، كما ذكر في قوله : (لعلك باخع نفسك على آثارهم) وزاد في الرياضة ، فكان يحيي الليالي بالتهجد ، وبالغ في القيام حتى تورّمت قدماه ، فأخبر أن عدم إيمانهم ليس من جهتك ، بل من جهتهم ، وغلاظ حجابهم أعدم استعدادهم ، لا لبقاء صفات نفسك ، أو بقية أنانيتك ، أو وجود نقصك ، وقصورك في الهداية ، كما استشعرت ، فلا تتعب نفسك . ونودي بإسمين من أسماء الله تعالى ، دالّين على نزاهته عن الأمرين المذكورين وجود البقية ، أو القصور عن الهداية ، فقيل : (يا طاهر عن لوث البقية ، يا هادي) .

« ما أنزلنــا عليك القرآن لتشقى » وتتعب بالرياضة ، لكن لتذكير من يلين قلبه ، ويستعد لقبوله بعد صفائك وطهارتك ، وقد حصل الأمران بحمد الله ، وكنت كاملا مكملا ، ومــا المقصود بالرياضة إلا هذان الأمران ، اللذان ظهرا فيك ، تجلينا عليك بالإسمين المذكورين ، فــلم تتعب نفسك ، وإنما لم يحصل الإهتداء بهدايتك لقسوة القلوب ، التي هي ضد الخشية ، واللين الذي هو شرط في حصوله لا لقصورك ، ويجوز أن يكون قسماً لا نداء ، أي ، أقسم بالإسمين اللذين يرى ربه بهما ، ويتجلى بهما له ، لإفــادة التزكية والتخلية ، إذ المقصود بالإنزال ، حصول أثرهما فيك ، لا التعب والمشقّة ، وقد حصل، فلا تفرط في الرياضة ، ولهذا المعنى سمي آل محمّد ، وآل طه ، أي بحصول المعنيين لهم ، وظهور مسمى الإسمين فيهم .

« تنزيلا ممّن خلق الأرض » الى قوله : « له الأسماء الحسنى » معنــاه ، أنزلناه تنزيلا ممّن اتصف بجميع الصفات الجمالية والجلالية ، فكان لذاتك نصيب من جميعها ، وإلا لما أمكنك قبوله وحمله ، إذ الأثر الوارد ، لا بد وأن يناسب المورد ، كما ناسب المصدر ، فلمــا كان مصدره الذات الموصوفة بجميع الأسماء الحسنى ، وجب أن يكون مورده الذي هو ذاتك كذلـك موصوفة بها ، فكما خلق السموات للعلا والأرض ، أي عالم الأرواح ، وعالم الأجسام ، الذي هو الجسم المطلق ، وجعلها حجب جلاله ، الساترة لجماله ، كذلك حجبك بسموات طبقات غيوبك من الحجب السبعة المذكورة ، التي هي روحانيتك ، ومراتب كمالك ، وأرض شهادتك ، التي هي بدنك .

« الرحمن »أي، ربك الجليل، المحتجب بحجب المخلوقات لجلاله، هو الجميل المتجلي بجمال رحمته على الكل ، إذ لا يخلو شيء من الرحمة الرحمانية، وإلا لم يوجد، ولهذا اختص الرحمن به دون الرحيم ، لامتناع عموم الفيض للكل إلاّ

منه ، فكما استوى على عرش وجود الكل بظهور الصفة الرحمانية فيه وظهور أثرها ، أي ، الفيض العـــام منه الى جميع الموجودات ، فكذا استوى على عرش قلبك ، بظهور جميع صفاته فيـــه ، ووصول أثرها منه الى جميع الخلائق ، فصرت رحمة للعالمين ، وصارت نبوّتك عامة خاتمة ، فمعنى الاستواء ، ظهوره فيه سوياً تاماً ، اذ لا يطابق كلها مظهر غيره ، فـــلا يستوي ، ولا يستقيم ، إلاّ عليه ، ولذلك لم يكن له عليه السلام ظل ، اذ لم يبق من ذاته مع صفاته بقية ، لم تتحقق بالحق بالبقاء بعد الفناء التام .

« لَهُ مَا فِي ٱلسَّمٰوَاتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ ٱلثَّرَى . وَإِنْ تَجْهَرْ بِٱلْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى . ٱللهُ لَا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ ٱلْأَسْمَاءُ ٱلْحُسْنَى . وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى . إِذْ رَءَا نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدًى . فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَا مُوسَى . إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَٱخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى . وَأَنَا ٱخْتَرْتُكَ فَٱسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى » .

« له ما في السموات » الى قوله : « وما تحت الثرى » بيان لشمول قهره وملكته للكل ، أي كلهـــا تحت ملكته ، وقهره ، وسلطنته ، وتأثيره ، لا توجـــد ولا تتحرك ، ولا تسكن ، ولا تتغير ، ولا تثبت ، إلا بأمره ؛

وكذلك ، فنيت بالكلية مقهورة بوحدانيته ، وفناء قهاريته ، لا تسمع ولا تبصر ، ولا تبطش ، ولا تمشي إلا به وبأمره .

« وان تجهر بالقول فإنه يعلم السر وأخفى » بيان لكمال لطفه ، أي ، علمه نافذ في الكل ، يعلم ظواهرها وبواطنها والسر وسر السر ، فكذلك ان تجهر ، وان تخفت فيعلمه ، يجهر ويخفت .

ولما كانت الصفات المذكورة هي الأمّهات التي لا صفة إلا تحت شمولها ، ولا إسم إلا كان مندرجاً في هذه الأسماء المذكورة ، ولم تتكاثر الذات بها ، قال : « الله » أي ، ذلك المنزل الموصوف بهذه الصفات ، هو « الله ، لا إله إلاّ هو » لم تتكاثر ذاته الأحدية ، وحقيقة هويته بها ، ولم يتعدّد ، فهو هو في الأبد ، كما كان في الأزل ، لا هو إلاّ هو ، ولا موجود سواه ؛ باعتبار واحديته ومصدريته ، لما ذكر ، له الأسماء الحسنى التي هي ذاته ، مع اعتبار تعيينات الصفات « اذ رأى ناراً » هي روح القدس ، التي ينقدح منها النور في النفوس الإنسانية ، رآها باكتحال عين بصيرته بنور الهداية « فقال لأهله » القوى النفسانية « امكثوا » اسكنوا ، ولا تتحركوا اذ السير انما يصير الى العالم القدسي ، ويتصل به عند هذه القوى البشرية ، من الحواس الظاهرة والباطنة ، الشاغلة لها « أنني آنست ناراً » أي ، رأيت ناراً « لعلي آتيكم منها بقبس » أي ، هيئة نورية اتصالية، ينفع بها كلكم ، فيتنوّر وتصير ذاته فضيلة « أو أجد على النار » من يهديني بالعلم والمعرفة ، الموجب للهداية ، الى الحق ، أي الكتب، بالإتصال بها الهيئة النورية ، أو الصور العلمية .

« فلما أتاها » أي ، اتصل بها « نودي » من وراء الحجب النارية التي هي

سرادقات العزة والجلال، المحتجبة بها الحضرة الإلهية «يا موسى اني أنا ربك» محتجباً بالصورة النارية ، التي هي أحد أستار جلالي متجلياً فيها «فاخلع نعليك» أي ، نفسك ، وبدنك ، أو الكونين ، لأنه اذا تجرّد عنهما فقد تجرّد عن الكونين ؛ أي ، كما تجرّدت بروحك وسرّك عن صفاتهما وهيأتهما ، حتى اتصلت بروح القدس وتجرّد بقلبك ، وصدرك عنهما ، بقطع العلاقة الكلية ، ومحو الآثار والفناء عن الصفات والأفعال ، وإنما سماهما نعلين ، ولم يسمهما ثوبين ، لأنه لو لم يتجرّد عن ملابسهما لم يتصل بعالم القدس ؛ والحال حال الإتصال ، وإنما أمره بالإنقطاع إليه بالكلية ، كما قال : « وتبتل إليه تبتيلا » فكأنه بقيت علاقته معهما ، والتعلق بهما يسوّخ قدمه ، التي هي الجهة السفلية من القلب ، المسماة بالصدر ، فهما بعد التوجه الروحي والسري نحو القدس ، فأمره بالقطع عنهما في مقام الروح ، ولهذا علل وجوب الخلع بقوله : « انك بالواد المقدّس طوى » أي ، عالم الروح ، المنزه عن آثار التعلق ، وهيئات اللواحق ، والعلائق المادّية المسمى طوى ، لطيّ أطوار الملكوت ، واجرام السموات والأرضين تحته .

ولقد صدق من قال : (أمر بخلعهما لكونهما من جلد حمار ميت ، غير مدبوغ) وقيل : (لما نودي ، وسوس إليه الشيطان انك تنادي من شيطان) فقال : أفرق به ، اني أسمع من جميع الجهات الست بجميع أعضائي ؟ ولا يكون ذلك إلاّ بنداء الرحمن .

« وأنا اخترتك فاستمع لما يوحى» هذا وعد بالاصطفاء الذي كان بعد التجلي التام الذاتي ، الذي جعل جبل وجوده دكا بالفناء فيه بالإندكاك ، وخروره صعقاً عند افاقته بالوجود الحقاني ، كما قال تعالى ، فلما أفاق قال : « سبحانك تبت اليك وأنا أوّل المؤمنين » قال : يا موسى اني اصطفيتك

على النـــاس برسالاتي ، وبكلامي ، وهذا التجلي ، هو تجلي الصفات ، قبل تجلي الذات .

ولهذا أرسله ولم يستنبئه بالوحي هنـــا ، وأمره بالرياضة والحضور ، والمراقبة ، ووعده وقوع القيامة الكبرى عن قريب ، فهذا الإختيار قريب من الإجتباء الأصلي المشار اليه بقوله : « ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى » متوسط بينه وبين الاصطفاء .

« إِنَّنِي أَنَا ٱللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَٱعْبُدْنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِي . إِنَّ ٱلسَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَىٰ . فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَنْ لَّا يُؤْمِنُ بِهَا وَٱتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَىٰ » .

وكرر : « انني أنا الله » بالتأكيد ، وتبديل الرب بالله ، لئلا يقف مع الصفات في الحضرة الاسمائية ، فيحتجب عن الذات ، اذ الرب ، هو الاسم الذي تجلى به له ، اذ لا ير به عند طلب الهداية والقبس ، الا بذلك الاسم العليم الهادي ، الذي هو جبريل ؛ أي ، انني الواحد الموصوف بجميع الصفات ، « لا إله الا أنا » لم أتكثر ، ولم يتعدد أنائيتي وأحديتي ، بكثرة المظاهر ، وتعدد الصفات « فاعبدني » خصص عبادتك بذاتي دون أسمائي وصفاتي ، بالعبادة الذاتية وتهيئة استعداد فناء الآنية في حقيقتي والتسبيح المطلق الذاتي « وأقم الصلوة » أي ، صلاة الشهود الروحي لذكر ذاتي فوق صلاة الحضور القلبي لذكر صفاتي .

« ان الساعة » القيامة الكبرى بالفنـــاء المحض في عين الأحدية « آتية أكاد أخفيهـــا » باحتجابي بالصفات ، لتنفصل المراتب ، وتظهر النفوس والأعمال « لتجزى كلّ نفس » بحسب سعيها من الخير والشر ، ويتميز الكمال ، والنقصان ، والسعادة ، والشقاوة ؛ فلا أظهرها إلا لافراد خواصي ، واحداً بعد واحد ، لأني ان أظهرتها ظهر فناء الكل ، فلا نفس ، ولا عمل ، ولا جزاء ، ولا غير ذلك « فلا يصدنك عنها » فتبقى في حجاب الصفات « من لا يؤمن بها » لقصور استعداده فيقف في بعض المراتب محجوباً ، إمّا بالصفات ، أو الأفعال ، والآثار ؛ أو الانداد . أي ، الشرك الخفي ، والجلي « واتبع هواه » في مقام النفس ، أو القلب ؛ فإنّ الهوى باق ببقاء الإنائية ، فتهلك أنت ، كما هلك من صدك .

« وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى . قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُا عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخرَى . قَالَ أَلْقِهَا يَا مُوسَى . فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى . قَـــالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا ٱلاولَى » .

« وما تلك بيمينك يا موسى » إشارة الى نفسه ، أي التي هي في يـــد عقله ، اذ العقل يمين يأخذ به الإنسان العطاء من الله ، ويضبط به نفسه « قال هي عصاي أتوكأ عليها » أي ، أعتمد في عالم الشهادة ، وكسب الكمال ، والسير الى الله ، والتخلق بأخلاقه عليها ، أي ، لا يمكن هذه الأمور إلا بها « وأهش بها على غنمي » أي ، أخبط أوراق العلوم النافعة ، والحكم العملية ،

من شجرة الروح ، بحركة الفكر ، بها على غنم القوى الحيوانية ، ولي فيها مآرب أخرى ، من كسب المقامات ، وطلب الأحوال ، والمواهب ، والتجليات ، وإنما سأله تعالى لإزالة الهيبة ، الحاصلة له بتجلي العظمة عنه ، وتبديلها بالأمن، وإنما زاد الجواب على السؤال لشدة شغفه بالمكالمة، واستدامة ذوق الإستئناس .

« قال ألقها يا موسى » أي ، خلها عن ضبط العقل « فألقاها » أي ، خلاها وشأنها ، مرسلة بعد احتظائها من أنوار تجليات صفات القهر الإلهي . « فإذا هي حية تسعى » أي ، ثعبان يتحرك من شدة الغضب ، وكانت نفسه عليه السلام قوية الغضب، شديدة الحدة، فلما بلغ مقام تجليات الصفات، كان من ضرورة الاستعداد ، حظه من التجلي القهري ، أوفر ، كما ذكر في الكهف ، فبدل غضبه ، عند فنائه في الصفات ، بالغضب الإلهي ، والقهر الرباني ؛ فصور ثعباناً يتلقف ما يجد « قال خذها » أي ، اضبطها بعقلك كما كانت ، « ولا تخف » من استيلائها عليك وظهورها ، فيكون ذنب حالك بالتلوين ، فإن غضبك قد فني ، فيكون متحركاً بأمري، وليس هو مستوراً بنور القلب ، في مقام النفس ، حتى يظهر بعد خفائه « سنعيدها سيرتها الاولى » أي ، ميتة فانية ، صائرة الى رتبة القوة النباتية ، التي لا شعور لها ولا داعية ، ولإماتته عليه السلام إياها في تربية شعيب صلوات الله عليه ، وجعله إياها كالقوى النباتية ، سميت عصا ، ولهذا قيل : وهبها له شعيب عليه السلام .

« وَٱضْمُمْ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ آيَةً أُخْرَى . لِنُرِيَكَ مِنْ آيَاتِنَا ٱلْكُبْرَى . إِذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى » .

« واضمم يدك الى جناحك » أي اضمم عقلك الى جانب روحك ، الذي هو جناحك الأيمن ، لتتنوّر بنور الهداية الحقانية ، فإن العقل بموافقة النفس وانضمامه اليها ، والى جانبها الذي هو الجناح الأيسر لتدبير المعاش ، يتكدر ويختلط بالوهم ، فيصير كدراً جاسياً لا يتنوّر ، ولا يقبل المواهب الربانية ، والحقائق الإلهية ، فأمر بضمه الى جانب الروح ليتصفى ، ويقبل نور القدس.

« تخرج بيضاء » منوّرة بنور الهداية الحقانية ، وشعاع النور القدسي « من غير سوء » أي ، آفة ، ونقص ، ومرض ، من شوب الوهم ، والخيال « آية اخرى » صفة منضمة الى الصفة الاولى « لنريك » من آيات تجليات صفاتنا الآية « الكبرى » التي هي الفناء في الوحدة ، أي لتكون ببصرك في مقام تجليات الصفات ، فنريك من طريقها وجهتها ذاتنا عند التجلي الذاتي ، فتبصرنا بنا ، في القيامة الكبرى .

« إذهب الى فرعون انه طغى » بظهور الأنائية ، فاحتجب بها فتعدّى عن حدّ العبودية ، وذلك يدل على أن النبوّة والرسالة غير موقوفة على الفناء الذاتي، لأن الدخول في الاربعينية التي تجلى فيها له ، بالذات، كان بعد هلاك فرعون وهذه الرسالة ، والدعوة ، إنما كانت في مقام تجلي الصفات ، ويقوي هذا ما قلنا مراراً أن اكثر سير النبي ﷺ ، كان بعد النبوّة ، والوحي ، والاهتداء بالتنزيل .

« قَالَ رَبِّ ٱشْرَحْ لِي صَدْرِي . وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي . وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّنْ لِّسَانِي . يَفْقَهُوا قَوْلِي . وَٱجْعَل لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي . هَٰرُونَ أَخِي . ٱشْدُدْ بِهِ أَزْرِي .

وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي . كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا . وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا . إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيرًا » .

« ربّ اشرح لي صدري » بنور اليقين، والتمكين في مقام تجلي الصفات، لئلا يضيق بإيذائهم ، ولا تتأذى وتتألم نفسي بطعنهم ، وسفاهتهم ؛ فكما أتكلم بكلامك معهم ، أسمع بسمعك كلامهم ، وأجده كلامك ، وأرى ببصرك إيذائهم ، وأجده فعلك ، فلا أرى ، ولا أسمع ما يقابلوني به ، إلا منك ، فاصبر على بلائك بك ، ولا تظهر نفسي برؤيتها منهم ، فتحتجب بصفاتها وصفاتهم عن صفاتك « ويسر لي أمري » أي أمر الدعوة بتوفيقهم لقبول دينك، وامدادي على المعاندين من نصرك، وتأييد قدسك ، « وأحلل عقدة » من عقد العقل والفكر ، المانعين عن اطلاق لساني بكلامك ، والجرأة والشجاعة على تصريح الكلام في تبليغ رسالتك ، وإعلاء كلمتك ، وإظهار دينك على دينهم بالحجة ، والبينة ، في مقابلة جبروتهم وفرعنتهم ، رعاية لمصلحة خوف السطوة « يفقهوا قولي » لتليينك قلوبهم ، والخشوع والخشية فيها ، وتأييدك إياي من عالم القدس والأيد .

وباقي القصة لا يقبل التأويل ، فإن أردت التطبيق ، فاعلم أن موسى القلب ، يسأل الله تعالى بلسان الحال، أن يجعل هارون العقل الذي هو اخوه الأكبر ، من ابيه روح القدس ، له وزيراً يتقوّى به ، ويستوزره في أموره، ويعتضد برأيه، مشاركاً ومعاوناً له ، في اكتساب كمالاته ، معللاً طلبه بقوله: « كي نسبحك » أي ، بالتجريد عن صفات النفس وهيئاتها كثيراً «ونذكرك» باكتساب المعارف ، والحقائق ، والحضور في المكاشفات ، ومقام تجليات

الصفات « كثيراً انك كنت بنا » أي باستمدادنا لقبول الكمال ، وأهليتنا له « بصيراً » فأعنا ، واجعلنا متعاونين على ما ترى منا وتريد .

« قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى . وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَى . إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّكَ مَا يُوحَى . أَنِ ٱقْذِفِيهِ فِي ٱلتَّابُوتِ فَٱقْذِفِيهِ فِي ٱلْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ ٱلْيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّي وَعَدُوٌّ لَّهُ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي . إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى مَن يَكْفُلُهُ فَرَجَعْنَاكَ إِلَى أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنْ وَقَتَلْتَ نَفْساً فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ ٱلْغَمِّ وَفَتَنَّاكَ فُتُوناً فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَى قَدَرٍ يَا مُوسَى » .

« قد أوتيت » أعطيت « سؤلك » ووفقت لتحصيل مطلوبك « ولقد مننا عليك مرة اخرى » قبل إرادتك وطلبك ، بمحض عنايتنا « إذ أوحينا الى أمك » النفس الحيوانية « ما يوحى » أي ، أشرنا اليها « ان اقذفيه » في تابوت البدن ، او الطبيعة الجسمانية ، « فاقذفيه » في يم الطبيعة الهيولانية « فليلقه أليم » عند ظهور نور التمييز والرشد ، بساحل النجاة « يأخذه عدو » النفس الأمّارة ، الجبارة الفرعونية « وألقيت عليك محبة مني » أي ، أحببتك ، وجعلتك محبوباً الى القلوب ، والى كل شيء ، حتى النفس الأمّارة

والقوى ، ومـــن أحببته يحبه كل شيء « ولتصنع » وتربى ، على كلأتي ، وحفظي ، فعلت ذلك .

« اذ تمشي اختك » العاقلة العملية ، عند ظهورها وحركتها ، « فتقول » للنفس الأمّارة ، والقوى المنعطفة عليه « هـــل أدلكم » بالآداب الحسنة ، والأخلاق الجميلة ، على أهـــل بيت من النفس اللـوّامة ، وقواها الجزئية ، بفوات قرّة عينها « على من يكفله » لكم بالتربية بالفكر ، والارضاع بلبان الحكمة العملية ، والعلوم النافعـة ، وهم له ناصحون ، معاونون ، على كسب الكمال ، مرشدون الى الاعمال الصالحة ، معدّون للترقي الى المرتبة الرفيعة .

« فرجعناك الى أمّك » المشفقة عليك ، التي هي النفس اللوّامة ، اللائمة لنفسها ، بتضييع قرّة عينهـــا ، ليحصل اطمئنانها بنور اليقين ، وتتهذب بالحكمة العملية وترضع منها اللبن المذكور ، وتتربى في حجر تربيتها بالمدركات الجزئية ، والآلات البدنية ، والأعمال الزكية ، « كي تقر عينهـــا » أي ، تتنوّر بنورك « ولا تحزن » على فوات قرّة عينها، ونقصها « وقتلت نفساً » أي ، الصورة الغضبية المسوّلة لك بالرياضة ، والأمانة « فنجيناك » من غم استيلاء النفس الأمّارة ، وإهلاكها إياك « وفتناك » ضروبـــاً من الفتن ، بظهور النفس وصفاتها ، والرياضة ، والمجاهدة في دفعها ، وقمعها ، وإماتتها ، وتزكيتها « فلبثت سنين في أهل مدين » العلم ، من القوى الروحانية ، عند شعيب العقل الفعال .

« ثم جئت على قدر » على حد من الكمال المقدر بحسب استعدادك ، أو على شيء مما قدرته لك ، أي ، بعض ما قدر لك من الكمال التام ، الذي هو التجلي الذاتي ، الذي سيوهب لك بعد كمال الصفات .

« وَٱصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي . إِذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي . إِذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى . فَقُولَا لَهُ قَوْلاً لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى . قَالَا رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَن يَطْغَى . قَالَ لَا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى . فَأْتِيَاهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكَ وَٱلسَّلَامُ عَلَى مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلْهُدَى » .

« واصطنعتك لنفسي » أي ، استخلصتك لنفسي ، وجعلتك من جملة خواصي ، من بين أهل مدينة البدن ، ولما فيك من الخصال الشريفة والأهلية الخلافتي « اذهب أنت وأخوك » الى آخر القصة ، ان أريد تطبيقها. قيل : اذهب يا موسى القلب ، أنت وأخوك العقل « بآياتي » حججي ، وبيّناتي ، ولا تفترا « في ذكري الى فرعون » النفس الأمّارة الطاغية ، المجاوزة حدّها بالاستعلاء والاستيلاء على جميع القوى الروحانية « فقولا له قولاً ليناً » بالرفق والمداراة ، في دعوتها الى الاستسلام لأمر الحق، والإنقياد لحكم الشرع ، لعلها تلين ، فتتعظ ، وتنقاد .

ولما خافا طغيانها وتفرعنها ، لتعوّدها بالإستعلاء ، شجعهما الله بالتأييد ، والإعانة ، والمحافظة ، والكلأة ، والإحاطة بما يقاسيانه ، ويكابدانه منها ، وأمرهما بتبليغ الرسالة في تطويعها ، وتسخيرها ، وإلزامها الإمتناع عن

استعباد القوى الحيوانيـة ، والكفّ عن تسخيرها ، وأن يرسلها معها في التوجه الى الحضرة الإلهية، واستفاضة الأنوار الروحية ، القدسية ، والمعارف الحقيقية ، ولا يعذبها في تحصيل اللذات الحسية والزخارف الدنيوية « قــد جئناك بــآية » ببرهــان دالّ على وجوب متابعتك إيانا « والسلام » أي السلامة من النقائص ، والنجاة من العلائق ، والفيض النوري من العــالم الروحي « على من اتبع » البرهان ، وتمسك بالنور الإلهي .

« إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ ٱلْعَذَابَ عَلَى مَنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى . قَالَ فَمَنْ رَّبُّكُمَا يَا مُوسَى . قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى . قَالَ فَمَا بَالُ ٱلْقُرُونِ ٱلْأُولَى . قَالَ عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى. أَلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْداً وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلاً وَأَنْزَلَ مِنَ ٱلسَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجاً مِّنْ نَّبَاتٍ شَتَّى. كُلُوا وَٱرْعَوْا أَنْعَامَكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي ٱلنُّهَى . مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى » .

« إنا قد أُوحي إلينــا أنّ العذاب » في جحيم الطبيعة ، وهاوية الهيولى على من خالفه ، وأعرض عنه « فمن ربكما » إشارة الى احتجاب النفس من جناب الرب ، وقوله : « ربنــــا الذي أعطى هداية لها بالدليل وتبصيراً

بالحجة ، أي ، أعطاه خلقاً على وفق مصالح ذاته وآلات تناسب خواصه ، ومنافعه ، ومقاصده ، وهداه الى تحصيلها « فما بال القرون الأولى » إشارة الى احتجابها عن المعاد ، والاحوال الأخروية ، من السعادة والشقاوة ، وعن إحاطة علم الله تعالى بها .

ولما كان الواجب الأول معرفة الله تعالى بصفاته ، وكانت معرفة المعاد موقوفة عليها ، أجاب بإحاطة علمه بها وبأحوالها ، مع كثرتها ، وكون ذلك العلم مثبتاً في اللوح المحفوظ باقياً أزلاً ، وأبداً ، لا يجوز عليه الخطأ والنسيان .

« الذي جعل لكم » أيها القوى البدنية ، أرض البدن « مهداً وسلك لكم فيها سبلاً » من الاعضاء والجوارح ، كالعين ، والأذن ، والأنف ، وغيرها . « وأنزل » من سماء الروح ماء الإدراك ، والمدد الروحاني ، « فأخرجنا به » أصنافاً من الإدراكات ، والأفاعيل ، والخواص ، والهيئات ، والملكات المخصوصة بكل قوة منكم « كلوا » اغتذوا ، وتقووا ، بما يختص بكم من الاحوال ، والاخلاق ، والامداد ، والمواهب ؛ كالرضا ، والصبر ، وعلم الاسماء ، والخواص ، والاعداد ، وسائر الإدراكات ، والإرادات ، والمقامات « وارعوا أنعامكم » القوى الحيوانية ، بما يختص بها من الاخلاق والآداب .

« منها خلقناكم » أنشأناكم على حسب اختلاف أمزجة الأعضاء التي هي مظاهرها « وفيها نعيدكم » بإماتة عند الرياضة حتى يلازم كل محله ، ويندس فيه لا حراك به ، ولا يتطلب التجاوز عن حدّه ، والاستيلاء على غيره ، بمحو صفات النفس ، حتى الفناء . « ومنها نخرجكم تارةً اخرى » عند البقاء بالحياة الموهوبة الحقيقية ، فتعتدل حركاتها ، وتفضل ملكاتها .

« وَلَقَدْ أَرَيْنَاهُ آيَاتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَى . قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَا مُوسَى . فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِّثْلِهِ فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَّا نُخْلِفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنتَ مَكَانًا سُوًى . قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ الزِّينَةِ وَأَن يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحًى . فَتَوَلَّى فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُ ثُمَّ أَتَى . قَالَ لَهُم مُّوسَى وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُم بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنِ افْتَرَى . فَتَنَازَعُوا أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ وَأَسَرُّوا النَّجْوَى . قَالُوا إِنْ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ يُرِيدَانِ أَن يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلَى » .

« أريناه آياتنـــا » من الحجج والبينات الدالة على التجرّد عن المواد ، ووجود الانوار « فكذب » لكونها مادة « وأبى » القبول ، لامتناع إدراكها للمجرّدات ، وأنكر إزعاجها عن وكرها البدني ، بقوله : « أجئتنا لتخرجنا من أرضنا » ، ونسب البرهـان الى السحر ، لقصورها عن إدراكه ، وعجزها عن قبوله ، وأغرى القوى التخيلية والوهمية ، على المعارضة والمجادلة ، وقلما أذعنت النفس للبرهان النير ، والحق البين ، بدون الرياضة والإماتة ، وكلما أورد عليها ، حرّضت الوهم والتخيل على التشكيك ، والقدح ، والموعد هو وقت تركيب الحجة وترتيب المقامات ، وذلـــك وقت زينة النفس الناطقة

بالمدركات ، وحشر القوى العقلية والروحانية لاستحضار المعلومات ، والمخزونات . وضحى إشراق نور شمس العقل الفعال، إذ هناك تعرض النفس عن قبولها ، ويجمع كيدها من أنواع المغالطات والوهميات ، ويقممها القلب باليقينيات ، وإظهار أكاذيبها المفتريات .

والتنازع الواقع بين القوى النفسانية هو عدم مسالمتها في طاعة القلب ، وانجذاب كل منها الى لذته ، متمانعة متخالفة ، وأسرارها النجوى استبطان الكل، الدواعي المخالفة للقلب، مع تخالفها في أنفسها ، ونسبتها الى السحر ، إشارة الى عجزها عن إدراك معانيها، وخفاء براهينها عليها، والطريق المثلى، أي الفضلى عندها ، هي تحصيل اللذات الحسية ، والانهماك في الشهوات البدنية ، وإلقاؤها اولاً ، إشارة الى تقدم الوهميات والخياليات في الوجود الانساني على العقليات ، واليقينيات عند السلوك ، وإلا ما احتيج الى البرهان القاطع ، والدليل الواضح ، والى أن الواجب على الداعي الى الحق ، اولاً نقض الباطل ، ودفع الشبهة ، بالحجة ، ليزول الاعتقاد الفاسد ، ويتمكن استقرار الحق، والجبال . والعصيّ : هي المغالطات ، والسفسطات ، من الشبهة الجدلية ، التي تكاد تتمشى ، وتغلب على القلب ، لولا تأييد الحق ، بنور الروح ، والعقل ، وهو معنى قوله : لا تخف إنك أنت الأعلى ، وألق ما في يمينك العاقلة النظرية ، من البرهان المعتمد عليه ، يفن مصنوعاتهم المزخرفة ، وأباطيلهم المموّهة ، فتضمحل وتتلاشى .

إنما صنعوا كيد تزوير ، ومكر ، لا حقيقة له ، لا ما صنعت كما زعموا ، فألقى السحرة سجداً ، فانقادت حينئذ القوى الوهمية، والخيالية، والتخيلية والحسّية ، عند ظهور عجزها ، والنفس الأمّارة ثابتة في تفرعنها وعتوّها ،

لعدم ارتياضها ، واعتيادها بمألوفاتها ، وترأسها على القوى ، وتجبرها باقيـة على عنادها ، وشدة شكيمتها .

«ولأقطعن» إشارة الى ابعادها، وتخويفها للقوى عند اذعانها بمنع تصرفاتها في المعايش ، وترك سعيها في تحصيل الملاذ ، والمشتهيات الجسمانية من جهة مخالفتها إياها ، بموافقة القلب ، وصلبها في جذوع النخل ، إيقافها بالإماتة عند الرياضة في حدّ القوى النباتية ، وإثباتها في مقارّها ، ومبادىء نشأتها ، من أعالي مراتب القوى النباتية، دون التصرف في سائر المراتب، والاستعلاء على المناصب ، والاستيلاء في المكاسب ، او من الاعضاء التي هي معادنهـا ومظاهرها ، وهـذا التخويف على هـــذا التأويل من قبيل أحاديث النفس وهواجسها ، بسبب اللـمّاتِ الشيطانية المثبطة عن المجاهدة ، لقوله تعالى : « إنمـا ذلكم الشيطان يخوف أولياءه » ليفيد أعراضها عن مطاوعة القلب ، وقيامها بخدمتها ، وتسخرها لها .

ولو حمل على المباحثة الظاهرة المستفادة من قوله تعالى : « وجادلهم بالتي هي أحسن » بعد التصديق بالظاهر ، والإيمـــان بالإعجاز الباهر ، لأجرى قوله : « إذهب أنت وأخوك » على ظاهره . الى قوله : « فتنازعوا أمرهم بينهم » أي تباحثوا فيا بينهم في السر ، متنازعين فيا يعارضونه بــه من ضروب الجدل . وقيل في قوله : « إن هذان لساحران » مفلقان في البيان، والفصاحة ، والاحتجاج ، لا يكاد يعارضهما احد فيحججهما .

« فَأَجْمِعُوا كَيْدَكُمْ ثُمَّ ٱئْتُوا صَفًّا وَقَدْ أَفْلَحَ ٱلْيَوْمَ مَنِ ٱسْتَعْلَى . قَالُوا يَا مُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ

نَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَى . قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى . فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى . قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى . وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى . فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى . قَالَ آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى » .

« فاجمعوا كيدكم » أي اتفقوا فيما تبارزونهما به، فتكونوا متفقي الكلمة، متعاضدين « فاذا حبالهم وعصيهم » أي ، تخيلاتهم ، ووهمياتهم « يخيل اليه من سحرهم » في التركيب ، والبلاغة ، وحسن التقرير ، وتمشية المغالطة والسفسطة ، وهيئة ترتيب القياس الجدلي ، كأنها تسعى ، أي ، تمشي «خيفة» عن غلبة الجهال ، ودولة الضلال ، كما قال أمير المؤمنين علي عليه السلام : (لم يوجس موسى خيفة على نفسه انما خاف من غلبة الجهال ودولة الضلال).

« قلنا لا تخف » شجعناه ، وأيدناه بروح القدس « وألق ما في يمينك » أي ، ما في ضبط عقلك من النفس المؤتلفة بشعاع القدس ، المضيئة بنور الحق « تلقف ما صنعوا » ما زخرفوا ، وزوّروا ، من الشبهات ، والتمويهات

الباطلة ، والأباطيل المزخرفة ، بالحجج النيرة ، والبراهين الواضحة، « انما صنعوا » وتلقفوا « كيد ساحر » أي ، تمويـــه ، وتزوير « فألقى السحرة سجداً » منصفين مذعنين مقرين بكونه على الحق، لما عرفوا من صدق البينة، وظهور المعجزة ، وقيسام الحجة ، وجلية البرهان « قالوا آمنا » الإيمان اليقيني لأنهم كوشفوا بالحق ، فعرفوا ربوبيته للكل .

وإنما أضافوا الرب اليهما مع تعميم الإضافة الى العالمين ، لزيادة اختصاصهما به ، وفضل ربوبيته اياهمـــا ، فإنه يربّ كل شيء باسم يناسبه ، ويقتضيه استعداده ، ويربهما بأكبر أسمائه الحسنى ، على حسب كمال استعدادهمـا ، ولظهوره فيهما ، بكمالات صفاته ، وتجليـه عليهم فيهما بآياته ، فعلموا أنهم من شكوتهما عرفوا ما عرفوا ، وبوسيلتهما وصلوا الى ما وصلوا ، وبتبعيتهما وجدوا ما وجدوا ، وإلا على سبيل الاستقلال .

واعلم أن الساحر أقرب الناس استعداداً من النبيّ ، لأن مبادىء خوارق العادات ، أمور ثلاثة : أما خواص التركيب ، وتمزيجات الموادّ العنصرية ، والصور ، وجمـــع الأخلاط المختلفة المزاج ، والجوهر ، وهو من باب النيرنجات .

وأما جمع القوى السماوية والأرضية ، باعداد الصور السفليـة ، والمواد العنصرية ، لاستجلاب فيض النفوس السماوية ، واتصالهـــا بقوى الأجرام الأرضية ، وهو من باب الطلسمات .

وأما تأثير النفوس وهيئاتها المستفادة من العالم العلوي ، وهو من الكامل المبعوث للنبوة ، القائم بالدعوة ، اعجاز ، ومن الواصل الحق ، المترقي الى ذروة الولاية ، غير المبعوث للنبوة كرامة . والفرق بينهما أن الأعجاز مقارن

للتحدّي ، والمعارضة دون الكرامة . ومن المقبل على الدنيا ، المعرض عن العالم الأعلى سحر .

فكانت نفس الساحر في بدء فطرتها قوية مخصوصة ، بهيئات مؤثرة في هذا العالم وأجرامه ، إلا أنها أعرضت عن مبدئها بالركون الى العالم السفلي ، وانقطعت عن أصل القوى والقدر ، ومنبع التأثير والقهر ، بالميل الى عالم الطبع ، فلا يزال يضعف ما فيها من الهيئة النورية ، والشعاع القدسي ، كما لا يزال يزداد في نفس النبيّ والوليّ بالإقبال على الحق ، والإئتلاف بنور القدس ، والتأييد بالقوة الملكوتية ، والتوجه الى الحضرة الإلهية .

ولا جرم ينكسر من النبيّ حين عارضه ، وينقمع بنفسه اذا قابله . فهو أعرف الناس بالنبي عند عجزه وانكساره ، وأقبل الخلق لدعوته وأنواره ، وأسبقهم الى الإقرار به ، لكونه اقربهم في الاستعداد اليه ، ما لم يبطل استعداده الأول بالكلية ، ولم يغلب عليه دين الطبيعة السفلية .

« قَالُوا لَنْ نُؤْثِرَكَ عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَاتِ وَٱلَّذِي فَطَرَنَا فَٱقْضِ مَا أَنتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَـٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا . إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ ٱلسِّحْرِ وَٱللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى » .

« لن نؤثرك » كلام صادر من عظم الهمة الحاصلة للنفس بقوة اليقين في القلب تورث النفس عظم الهمة وهو عدم مبالاتها بالسعادة الدنيوية ، والشقاوة البدنية ، واللذات العاجلة الفانية ، والآلام الحسية ، في جنب السعادة

الآخروية ، واللذة الباقية العقلية ، ولهذا استخفوا بها واستحقروها، بقولهم: « انما تقضي هذه الحياة الدنيا » « ليغفر لنـــا خطايانا » أي ، يستر بنوره الهيئات المظلمة ، والصفات الرديئة ، التي عرضت لنفوسنا ، بسبب الميل الى اللذات الطبيعية ، ومحبة الزخارف الدنيوية « وما أكرهتنا عليه من السحر » أي ، معارضة موسى ، لأنهم لما عرفوه بنور استعدادهم ، وعلموا كونه على الحق ، فاستعفوا عن معارضته ، فأكرههم اللعين .

« إِنَّهُ مَنْ يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِماً فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى . وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ ٱلصَّالِحَاتِ فَأُولَـٰئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَاتِ ٱلْعُلَى . جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَٰلِكَ جَزَاوُ مَنْ تَزَكَّى . وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي ٱلْبَحْرِ يَبَساً لَّا تَخَـــافُ دَرَكاً وَلَا تَخْشَى . فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ فَغَشِيَهُمْ مِّنَ ٱلْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ. وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ وَمَا هَدَى » .

« من يأت ربه » في القيامة الصغرى مجرماً مثقـــلا بالهيئات البدنية ، المميلة الى الاجرام الطبيعية « لا يموت فيها » بالموت الطبيعي ، فـــلا يشعر بالآلام « ولا يحيى » بالحياة الحقيقية ، فينجو من تبعات الآثام « ومن يأتـه مؤمناً » بالإيمان اليقيني « قـد عمل الصالحات » من الفضائل النفسانية المزكية

للنفوس « فأولئك لهم الدرجات العُلى » من جنات الصفات ، بحسب درجات ترقيهم في الكمالات « أن أسر بعبادي » في ظلمة صفات النفوس ، وليل الجسمانية « فاجعل لهم طريقاً » من التجريد ، في بحر عالم الهيولى « يبسا » لا تصل اليه نداوة الهيئات الهيولانية ، ورطوبة المواد الجسمانية « لا تخاف دركا » لحوقاً من البدنيين، المنغمسين في غواشي الطبيعة الظلمانية « ولا تخشى » غلبتهم عليكم ، واستيلاءهم ، فإنهم مقيدون ، محبوسون فيها ، قاصرون ، عن شأنكم « فأتبعهم » لاهلاكهم دينهم ، بالانغماس في الطبيعيات ، فغشيهم من يم القطران، ما غشيهم من الهلاك السرمدي، والعذاب الأبدي، والتطبيق قد مرّ غير مرة .

« يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ قَدْ أَنْجَيْنَاكُمْ مِّنْ عَدُوِّكُمْ وَوَاعَدْنَاكُمْ جَانِبَ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَى. كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي وَمَنْ يَحْلُلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَى . وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً ثُمَّ ٱهْتَدَى » .

« وواعدناكم جانب » طور القلب « الأيمن » الذي يلي روح القدس، وهو محل الوحي، الذي يسمونه الروع، والفؤاد ، « ونزلنا عليكم » منّ الأحوال ، والمذاهب ، من الذوقيات ، وسلوى العلوم ، والمعارف ، من اليقينيات « كلوا من طيبات ما رزقناكم » أي ، تغذوا تلك المعارف الطيبة، وتقبلوها بقلوبكم،

فإنها سبب حياتها « ولا تطغوا فيه » بظهور النفس واعجابها بنفسها عند استشراقها ، ورؤيتها بهجتها ، وكالها ، وزينتها « فيحل عليكم » غضب الحرمان ، وآفة الخذلان « فقد هوى » سقط عن مقام القرب ، في جحيم النفس ، واحتجب عن نور تجلي صفات الجمال ، في ظلمات الإستتار ، وأستار الجلال .

« واني لغفار » لستار صفات النفس الطاغية الظاهرة بتزيناتها ، واستغنائها بأنوار صفاتي « لمن تاب » عن تظاهرها واستيلائها ، واستغفر بانكسارها ، وانقماعها ، ولزومها ذل فاقتها ، وافتقارها . « وآمن » بأنوار الصفات القلبية ، وتجليات الأنوار الإلهية « وعمل صالحاً » في اكتساب المقامات ، كالتوكل ، والرضا ، والملكات المانعة من التلوينات ، بالحضور ، والصفاء . « ثم اهتدى » الى نور الذات ، وحال الفناء .

« وَمَا أَعْجَلَكَ عَنْ قَوْمِكَ يَا مُوسَى. قَالَ هُمْ أُولَاءِ عَلَى أَثَرِي وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى. قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ . فَرَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ يَا قَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْداً حَسَناً أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ أَمْ أَرَدْتُمْ أَنْ يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّنْ رَّبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُمْ مَّوْعِدِي. قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا وَلَـٰكِنَّا حُمِّلْنَا أَوْزَاراً مِّنْ زِينَةِ الْقَوْمِ فَقَذَفْنَاهَا فَكَذَٰلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ .

فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلاً جَسَداً لَّهُ خُوَارٌ فَقَالُوا هٰذَا إِلٰهُكُمْ وَإِلٰهُ مُوسَى فَنَسِيَ . أَفَلَا يَرَوْنَ أَلاَّ يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلاً وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا . وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هٰرُونُ مِنْ قَبْلُ يَا قَوْمِ إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحْمٰنُ فَٱتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي. قَالُوا لَنْ نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَى . قَالَ يَا هٰرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا . أَلاَّ تَتَّبِعَنِ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي. قَالَ يَا ٱبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي . قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَا سَامِرِيُّ . قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ ٱلرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذٰلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي » .

« وما أعجلك عن قومك » الى قوله : « في اليمّ نسفاً » معناه على التحقيق ، أن موسى عليه السلام ، لما شرّف بمقام المكالمة ، وأوتي كشف الصفات ، وبعث لإنقاذ بني إسرائيل ، وإرشادهم الى الحق ، وعد شريعة يسوس بها قومه ، فاستخلف هارون على قومه ، وتخلى للمراقبة قبل تثبتهم على الإيمان ، وتقريرهم على الحق ، بالايقان ؛ فعوقب على تلك المعجلة ، وان كانت

من غاية الشوق الى المشاهدة ، واقتضاء المقام عدم التفرّغ الى تكميل الغير ، لأن في تكميلهم بالمعرفة اليقينية ، والكمال العلمي ثبات قدمه في الطـاعة ، وامتثال الأمر المستلزم للترقي في الحـال ، فاعتذر بكونهم على متابعته في الدين ، وان لم تبن معاملتهم على أساس اليقين .

والتعجيل ، إنما بدر منه لطلب مقـام الرضا ، الذي هو كمال الفناء في الصفات ، وهو استحكام مقام التجلي الصفاتي الذي منه المكالمة ، وإنما ابتلاهم الله بالسامري ليتميز المستعدّ القابل للكمال بالتجريد من القاصر الاستعداد ، المنغمس في المواد ، الذي لا يدرك إلا المحسوس ، ولا يتنبه للمجرد المعقول ؛ ولهذا قالوا « ما أخلفنا موعدك بملكنا » أي ، بأن ملكنا أمرنا ، وخلينـا ورأينا ، فإنهم عبيد بالطبع ، لا رأي لهم ، ولا ملكة ، وليسوا مختارين ؛ بـل مطبوعون ، مسوسون ، مقودون ، بدنيون ؛ لا طريق لهم إلا التقليد والعمل ، لا التحقيق والعلم ؛ وانما استعبدهم بالطلسم المفرغ من الحلي ، لرسوخ محبة الذهب في طباعهم ، لكون نفوسهم سفلية منجذبة الى الطبيعة الذهبية ، وتجلي تلك الصورة النوعية فيها للتناسب الطبيعي ، وكان ذلك من باب مزج القوى السماوية بالقوى الأرضية ، ولذلك ، قال : « بصرت بما لم يبصروا به » من العلم الطبيعي والرياضي ، الذين يبتني عليهما علم الطلسمات ، والسيميات .

« فقبضتُ قبضة من أثر الرسول » وهي على ما قيل تراب موطىء حافر الحيزوم ، الذي هو فرس الحياة مركب جبرائيل ؛ أي ، مما اتصل به أثر النفس الحيوانية ، الكلية ، السماوية ، المسخرة للعقل الفعـال ، المتأثرة منه ، الحاملة لصفاته التي هي بمثابة مركبة ، لاستعلائه عليها ، ووصول تأثيره الى الطبائع العنصرية ، والأجرام السفلية بواسطتها ؛ من الأوضاع الـتي تفيض بسببها الآثار على المواد ، فتنفعل منها ، بحسب الإستعداد ، وتقبل الأحوال

الغريبة ، التي هي بمثـــابة تراب موطىء مركبه . «فنبذتها » فطرحتها على الجرم المذاب ، عنـــد الإفراغ في صورة العجل ؛ وذلك من تسويل النفس الشيطانية الشريرة .

« قَالَ فَٱذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي ٱلْحَيَوٰةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَّن تُخْلَفَهُ وَٱنظُرْ إِلَىٰٓ إِلَٰهِكَ ٱلَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَّنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُ فِي ٱلْيَمِّ نَسْفًا » .

وقوله : « فاذهب » صادر عن غضبه عليه السلام وطرده اياه ، وانمـــا يجب حلول العـذاب من غضب الأنبياء والأولياء ، لأنهم مظاهر صفات الله تعالى، فكل من غضبوا عليه وقع في قهره تعالى ، وشقي في الدنيا والآخرة، وعذب بعذاب الأبد ، وذاق وبال العمل ، وكانت صورة عذابه في التحرّز عن المماسة ، نتيجة بعـده عن الحق في الدعوة الى الباطل ، وأثر لعن موسى عليه السلام اياه عند ابطال كيده ، وازالة مكره .

وعلى التطبيق : إن القلب ، إذا سبق له كشف ، وجذبه الإجتهـــاد والسلوك ، وحصل عنـــده الكمال العلمي الكشفي ، دون العلمي الكسبي ، يكون في معرض عتاب الحق ، عند التعجل الى الشهود والحضور ، ذاهلاً عن أمر الشريعة والمجاهدة ، ويجب أن يردّ الى العمل والرياضة لسياسة القوى ، واكتساب مقام الإستقامة ، اذ لا يقوى هارون العقل، الذي هو خليفته على قومه القوى الروحـانية والجسمانية ، على تدبيرهم وتقويمهم ، وتسديدهم بدون الرياضة ، والمجاهدة ، والمواظبة على الطـاعة ، والمعاملة ؛ فينبعث سامريّ

القوى النفسانية من الحواس ، ويوقد عليها نار حب الشهوات ، ويطرح عليها شيئاً من امداد الطـالع ، بحسب الأوضاع المخصوصة . أيَ ، التي تأثرت من تأثير النفس الحيوانية ، التي هي فرس الحياة، فيمثل الطبيعة بصورة العجل ، المفرغ في قالب الموادّ ، الذي همه الأكل، والشرب ، ودأبه اللذة ، والشهوة، دون العمل ، والسعي ، بالإثارة والتعب ، كما أشير اليه ، وينتفخ فيـه روح الهوى فيحيا ، ويتقوّى ، ويصبـــح ذا خوار ، فيعبده جميع القوى ، ويتخذه إلهاً .

وكلما نبهها العقل المؤيد بنور القلب على ضلالها وفتنتها، ودعاها الى الحق، ومتابعة الرأي العقلي وطاعته ، خـالفته حتى يرجع اليها القلب المنور بنور الحق ، المؤيد بتأييد القدس ، غضب الله تعالى أسفاً على ضلالها ، وتفرّقها في الدين ، فيعيرها ويعنفها بلسان النفس اللّوامة ، ويأخذها بالوعد والوعيد ، ويذكرها طول العهد من قرب الرب بمقتضى الخلقـة والنشأة ، والسقوط عن الفطرة ، ويخوّفها باستحقاق الغضب والسخطة ، عن نسيان العهد ، وإخلاف الوعد ، حـين الإقرار بالربوبية ، عند ميثاق الفطرة ، فلا ينجع فيها القول إذا صارت مأسورة في أسر الهوى ، منقادة لسلطان التخيـــل ، مستسلمة للردى ، ولا طريق إلا خرق الطبيعة الجسدانية ببرد المجـاهدة ، وإحراقها بنار الرياضة ، ونسفها برياح نفحات الرحمة الإلهية ، التي إذا هبت بها لاشت في يمّ الهيولى الجرمية ، لا حياة بها ، ولا حراك بعد تغير القوّة العاقلة ، بعد متابعتها للقلب ، ومشايعتها للسر ، في التوجه .

وبوجود موافقتها للقوى في الميـــل الى الطبيعة ، والأخذ برأسها الى جهتها العادية، التي تلي الروح، بتأثير النور فيه ، حتى تنفعل وتتأثر بشعاع القدس، ونور الهداية الحقانية ولحيتها ، التي هي الهيئة الذكورية ، وصورة التأثير فيما

تحت ؛ أي ، جهتها السفلية التي تلي القوى النفسانية ، وجرها اليه ، أي ، الجهة العلوية ، وجناب الحق ، وعالم القدس ، الذي هو فيه ؛ فيتقوى بالايد الإلهي ، والقدرة الربانية ، وجولانها ؛ فتؤثر فيها ، وتطوعها بأمر الحق لها ، وللقلب ، ويستخلصها من قهر التخيل والوهم .

واعتذار هارون ، إشارة الى أن العقل غير المتنوّر بنور الهداية ، المتأيد بأمر الشريعة ، لا يقدر أن يحافظ القوى ويعاند التخيل والهوى ، ولا يزيدها إلا التفرقة الموقعة في الردى ، وعند استيلاء نور القلب والعقل ، وقهر الطبيعة بالكلية ، وحصول الاستقامة في الطريقة ، ينخزل التخيل ويتعزل ، ولا يقدر أن يماس شيأ من القوى بتخييله ، ولا يقاربه قوّة منها بقبول تسويله ، فيصير ملعوناً مطروداً ، فيقول : (لا مساس ، وله موعد) أي ، حدّ ورتبة ، لا يجد خلفاً فيه ، ولا يتجاوز فيترأس ويستولي ، ويروج أكاذيبه ، وغلطه ، بالمعقولات ، وينفقه في المرادات .

« إِنَّمَا إِلٰهُكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا . كَذٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ وَقَدْ آتَيْنَاكَ مِنْ لَدُنَّا ذِكْراً . مَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ ٱلْقِيٰمَةِ وِزْرًا . خَالِدِينَ فِيهِ وَسَاءَ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيٰمَةِ حِمْلاً . يَوْمَ يُنْفَخُ فِي ٱلصُّورِ وَنَحْشُرُ ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقاً . يَتَخَافَتُونَ بَيْنَهُمْ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا عَشْراً . نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا يَوْماً » .

وذلك مقام الاستقامة الى الله ، والقيام بحقائق العبودية لله ، ولا تنجلي ناصية التوحيد ، ولا يحصل مقام التجرد ، والتفريد إلا به ، ولذلك عقبه بقوله: « إنما إلهكم الله الذي لا إله إلا هو » اذ يكون السالك قبل ذلك مصلياً الى قبلتين ، متردداً في العبادة بين جهتين متخذ الإلهين « وسع كل شيء علماً » أي ، يتحقق هناك التوحيد بالفعل ، وتظهر احاطة علمه بكل شيء ، وحدوده ، وغاياته ، فتقف كل قوّة بنور الحق وقدرته على حدّها ، في عبادته وطاعته ، عائذة به عن حولها وقوتها ، عابدة له بحسب وسعها وطاقتها ، شاهدة إياه ، مقرّة بربوبيته بقدر ما أعطاها من معرفته ، مثل ذلك القصص « نقصّ عليك من أنباء ما قد سبق » من أحوال السالكين ، الذين سبقوا ومقاماتهم ، لتثبيت فؤادك ،وتمكينك في مقام الاستقامة ، كما أمرت .

« وقد آتيناك من لدنا ذكرا » أي ، ذكرا ما أعظمه ، وهو ذكر الذات الذي يشمل مراتب التوحيد « من أعرض عنه » بالتوجه الى جانب الرجس ، وحيز الطبع ، والنفس « فإن يحمل يوم القيامة » الصغرى وزر الهيآت المثقلة الجرمانية ، وآثام تعلقات المواد الهيولانية .

« يوم ينفخ » الحياة « في الصور » الجسمانية ، بردّ الأرواح الى الأجساد « ونحشر المجرمين » الملازمين الأجرام « زرقا » عمياً بيض سواد العيون ، أو شوها في غاية قبح المناظر ، يحسن عندها القردة ، والخنازير ، يسرّون الكلام لشدّة الخوف ، أو عدم القدرة على النطق . يستقصرون مدة اللبث في الحياة الدنيوية ، لسرعة انقضائها ، وكل من كان أرجح عقلاً منهم ، كان أشدّ استقصاراً إياها .

« وَيَسْئَلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا.
فَيَذَرُهَا قَاعاً صَفْصَفًا . لَّا تَرَى فِيهَا عِوَجاً وَلَا أَمْتًا .
يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ ٱلدَّاعِيَ لَاعِوَجَ لَهُ وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ
لِلرَّحْمٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلاَّ هَمْساً . يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَاعَةُ
إِلاَّ مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمٰنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلاً . يَعْلَمُ مَا بَيْنَ
أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْماً » .

« ويسئلونك عن الجبـــال » أي ، وجودات الأبدان ، « فقل ينسفها ربي » برياح الحوادث رميا ورفاتاً ، ثم هباء منثورا ، فيسويها بالأرض ، لا بقية منها ، ولا أثر ، أو حوادث الأشياء ، فقل : ينسفها ربي ، برياح النفحات الإلهية ، الناشئة عن معدن الأحدية ، « فيذرها » في القيامة الكبرى « قاعاً صفصفاً » وجوداً أحدياً صرفاً ، « لا ترى فيهـــا » اثنينية ، ولا غيرية ، فتقدح في استوائها « يومئذ » يوم اذ قامت القيامة الكبرى « يتبعون الداعي » الذي هو الحق ، لا حراك بهم ، ولا حياة لهم ، إلا به « لا عوج له » أي ، لا انحراف عنه ، ولا زيغ عن سمته ، اذ هو آخـــذ بناصيتهم ، وهو على صراط مستقيم ، فهم يسيرون بسيرة الحق على مقتضى ارادته .

« وخشعت الأصوات » انخفضت كلهـا ، لأن الصوت صوته فحسب ، « فلا تسمع إلا همساً » خفياً ، باعتبار الاضافة الى المظاهر ، أو يوم اذ قامت القيامة الصغرى ، يتبعون الداعي ، الذي هو اسرافيل مدبر الفلك الرابع ، المفيض للحياة ، لا ينحرف عنه ، مدعوّ الى خلاف ما اقتضته الحكمة الإلهية

من التعلق به ، وخشعت الأصوات في الدعاء الى غير مـا دعا اليه الرحمن ، فلا تسمع إلا همس الهواجس والتمنيات الفاسدة و « لا تنفع الشفاعة » أي ، شفاعة من تولاه وأحبه في الحياة الدنيا ، ممن اقتدى به ، وتمسك بهدايته ، « إلا من أذن له الرحمن » باستعداد قبولها ، فإن فيض النفوس الكاملة التي تتوجه اليها النفوس الناقصة ، بالارادة ، والرغبة ، موقوفة على استعدادها لقبوله بالصفاء ، وذلـك هو الاذن « ورضي له قولا » أي ، رضي له تأثيراً يناسب المشفوع له ، فتتوقف الشفاعة على أمرين: قدرة الشفيـع على التأثير . وقوة المشفوع له للقبول والتأثر . وهو يعلم الجهتين « مـــا بين أيديهم » من قوة القبول بالاستعداد الأصلي ، وتأثير الشفيـع بالتنوير « وما خلفهم » من الموانع العارضة من جهة البدن وقواه ، والهيئـات الفاسقة ، المزيلة للقبول الأصلي ، أو المعدات الحاصلة من جهتها بالتزكية على وفق العقل العملي .

« وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ لِلْحَيِّ ٱلْقَيُّومِ وَقَـدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْماً . وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْماً وَلَا هَضْماً . وَكَذٰلِكَ أَنْزَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ ٱلْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْراً . فَتَعَالَى ٱللهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْماً . وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْماً . وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلٰئِكَةِ ٱسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى .

فَقُلْنَـــا يَا آدَمُ إِنَّ هٰـذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَى . إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى . وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُا فِيهَا وَلَا تَضْحَى . فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَى . فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى . ثُمَّ ٱجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَـابَ عَلَيْهِ وَهَدَى . قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعاً بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّـا يَأْتِيَنَّـكُمْ مِّنِّي هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى . وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً » .

« وعنت الوجوه « أي » الذوات الموجودات بأسرها « للحيّ القيوم » وكلها في أسر مملكته ، وذل قهره ، وقدرته ؛ لا تحيا ، ولا تقوم إلا بـه ، لا بأنفسها ، ولا بشيء غيره « وقد خاب » عن نور رحمته ، وشفاعة الشافعين من ظلم نفسه ، بنقص استعداده ، وتكدير صفاء فطرته ، فزال قبوله للتنوّر باسوداد وجهه ، وظلمته . « ومن يعمل من الصالحات » بالتزكية ، والتحلية « وهو مؤمن » بالإيمان التحقيقي « فلا يخـاف » أن ينقص شيء من كمالاته الحاصلة ولا أن يكسر من حقـــه الذي يقتضيه استعداده لأصلي في المرتبة « لعلهم يتقون » بالتزكية « أو يحدث لهم ذكراً » بالتحلية .

« فتعالى الله » تناهى في العلوّ والعظمة ، بحيث لا يقدر قدره، ولا يغدر أمره ، في ملكه الذي يعلو كل شيء ، ويصرفه بمقتضى ارادته ، وقدرته ، وفي عدله الذي يوفي كل أحد حقه، بوجب حكمته « ولا تعجل » عند هيجان الشوق لغاية الذوق ، بتلقي العلم اللدني عن مكمن الجمع « من قبل » أن يحكم بوروده عليك ، ووصوله اليك ، فإن نزول العلم والحكمة ، مترتب بحسب ترتب مراتب ترقيك في القبول ، ولا تفتر عن الطلب ، والاستفاضة ، فإنه غير متناه ، واطلب الزيادة فيه بزيادة التصفية ، والترقي ، والتحلية .

اذ الاستزادة ، انما تكون بدعاء الحال ، ولسان الاستعداد ، لا بتعجيل الطلب والسؤال ، قبل امكان القبول ؛ وكلما علمت شيئاً زاد قبولك لما هو أعلى منه وأخفى ، وقصة آدم وتأويلها ، مرت غير مرة. « أن لا تجوع فيها ولا تعرى » اذ في التجرّد عن ملابسة الموادّ في العالم الروحاني ، لا يمكن تزاحم الاضداد ، ولا يكون التحليل المؤدّي الى الفساد ، بل تلتذ النفس بحصول المراد ، آمنة من الفناء ، والنفاد .

« ومن أعرض عن ذكري » بالتوجه الى العالم السفلي، بالميل النفسي ، ضاقت معيشته لغلبة شحه ، وشدّة بخله ، فإن المعرض عن جناب الحق ركدت نفسه ، وانجذبت الى الزخارف الدنيوية ، والمقتنيات المادّية ، لمناسبتها اياها ، واشتدّ حرصه وكلبه عليها ، ونهمه ، وشغفه بها ، لقوّة محبته اياها للجنسية ، والاشتراك في الظلمة ، والميل الى الجهة السفلية ، فيشح بها عن نفسه وغيره ، وكلما استكثر منها ازداد حرصه عليها ، وشحه بها ، وذلك هو الضنك في المعيشة .

ولهذا قال بعض الصوفية : (لا يعرض أحد عن ذكر ربه إلا أظلم عليه ،

وتشوّش عليه رزقه، بخلاف الذاكر المتوجه اليه، فإنه ذو يقين منه، وتوكل عليه، في سعة من عيشه، ورغد ينفق ما يجد، ويستغني بربه عما يفقد).

«وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ ٱلْقِيٰمَةِ أَعْمَىٰ. قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيراً. قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ. وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِآيَاتِ رَبِّهِ وَلَعَذَابُ ٱلْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰ. أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِّنَ ٱلْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي ٱلنُّهَىٰ. وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَكَانَ لِزَاماً وَأَجَلٌ مُّسَمًّى. فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ آنَاءِ ٱللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ ٱلنَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ».

«ونحشره يوم القيامة» الصغرى، على عماه من نور الحق، كقوله: «ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى» وانكاره لعماه، انما يكون بلسان الاستعداد الأصلي، والنور الفطري المنافي لعماه، من رسوخ هيئة الحب السفلي، والعشق النفسي، بالفسق الجرمي، ونسيان الآيات البينات، والأنوار المشرقات، الموجب لاعراضه تعالى عنه، وتركه فيما هو فيه.

« ولعذاب الآخرة أشد وأبقى » من ضنك العيش في الدنيا ، لكونه روحانياً دائماً « ولولا كلمة سبقت » أي ، قضاء سابق ، أن لا يستأصل هذه الأمة بالدمار والعذاب في الدنيا ، لكن نبيهم نبي الرحمة ، وقوله : وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم لكان الاهلاك لازماً لهم .

« فاصبر بالله على ما يقولون » فانك تراهم جارين على ما قضى الله عليهم ، مأسورين في أسر قهره، ومكره بهم « وسبح » أي ، نزه ذاتك ، بتجريدها عن صفاتها ، متلبساً بصفات ربك ، فان ظهورها عليك هو الحمد الحقيقي « قبل طلوع » شمس الذات ، حال الفناء « وقبل غروبها » باستتارها عند ظهور صفات النفس . أي ، في مقام القلب ، حال تجلي الصفات ، فإن تسبيح الله هناك، محو صفات القلب « ومن آناء الليل » أي ، أوقات غلبات صفات النفس المظلمة ، والتلوينات الحاجبة « فسبح » بالتزكية « وأطراف » نهار اشراق الروح على القلب بالتصفية « لعلك » تصل الى مقام الرضا ، الذي هو كمال مقام تجلي الصفات ، وغايته .

« وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجاً مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيٰوةِ ٱلدُّنْيَا . لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى . وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقاً نَّحْنُ نَرْزُقُكَ وَٱلْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى . وَقَالُوا لَوْلَا يَأْتِينَا بِآيَةٍ مِّنْ رَّبِّهِ أَوَلَمْ تَأْتِهِمْ بَيِّنَةُ مَا فِي ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَى . وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِّنْ قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا

لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولاً فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَذِلَّ وَنَخْزَى. قُلْ كُلٌّ مُتَرَبِّصٌ فَتَرَبَّصُوا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَابُ الصِّرَاطِ السَّوِيِّ وَمَنِ اهْتَدَى » .

« ولا تمدنّ عينيك » في التلوينات النفسية ، وظهور النفس بالميـــل الى الزخارف الدنيوية ، فإنها صور إبتلاء أهل الدنيا « ورزق ربك » من الحقائق والمعارف الأخروية ، والأنوار الروحانية « خـير وأبقى » أفضل ، وأدوم « وأمر أهلك » القوى الروحانية والنفسانية ، بصلاة الحضور ، والمراقبة ، والانقياد ، والمطاوعة ، « واصطبر » على تلك الحالة بالمجاهدة ، والمكاشفة ، « لا نسألك » لا نطلب منك « رزقاً » من الجهة السفلية ، كالكمالات الحسية والمدركات النفسية « نحن نرزقك » من الجهـــة العلوية المعارف الروحانية ، والحقائق القدسية « والعاقبة » التي تعتبر وتستأهل أن تسمى عاقبة للتجرّد عن الملابس البدنية ، والهيئات النفسانية « أو لم تأتهم بينة مـا في الصحف الأولى » من الحقائق ، والحكم ، والمعارف اليقينية ، الثابتة في الألواح السماوية والأرواح العلوية ، والله تعالى أعلم .

سورة الأنبياء

بسم الله الرحمن الرحيم

« اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُعْرِضُونَ . مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُحْدَثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ . لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ وَأَسَرُّوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا هَلْ هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ أَفَتَأْتُونَ السِّحْرَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ . قَالَ رَبِّي يَعْلَمُ الْقَوْلَ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ . بَلْ قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ بَلِ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الْأَوَّلُونَ . مَا آمَنَتْ قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ . وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ فَسْئَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ . وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَدًا لَا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ . ثُمَّ صَدَقْنَاهُمُ الْوَعْدَ فَأَنْجَيْنَاهُمْ وَمَنْ نَشَاءُ وَأَهْلَكْنَا

ٱلْمُسْرِفِينَ . لَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَاباً فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ . وَكَمْ قَصَمْنَا مِنْ قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْماً آخَرِينَ . فَلَمَّا أَحَسُّوا بَأْسَنَا إِذَا هُمْ مِّنْهَا يَرْكُضُونَ . لَا تَرْكُضُوا وَٱرْجِعُوا إِلَى مَا أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسَاكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْئَلُونَ . قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ . فَمَا زَالَت تِّلْكَ دَعْوَاهُمْ حَتَّى جَعَلْنَاهُمْ حَصِيداً خَامِدِينَ . وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَاءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ . لَوْ أَرَدْنَا أَن نَّتَّخِذَ لَهْواً لَّاتَّخَذْنَاهُ مِن لَّدُنَّا إِن كُنَّا فَاعِلِينَ . بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ ٱلْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ » .

« اقترب للناس حسابهم » في القيامة الصغرى ، بل لو عرفوا القيامة لعاينوا حسابهم الآن ، أي ، لو أردنا أن نتخذ موجودات تحدث ، وتعني كما قيل نموت ونحيى ، وما يهلكنا إلا الدهر ، لأملكننا من جهة القدرة لكنه ينافي الحكمة والحقيقة ، فلا نتخذها « بل نقذف » باليقين البرهاني والكشفي . على الاعتقاد الباطل « فيدمغه » فيقمعه « فإذا هو » زائل « ولكم » الهلاك « مما تصفون » من عدم الحشر ، أو نقذف بالتجلي الذاتي في القيامة الكبرى ، الذي هو الحق الثابت الغير المتغير ، على باطل هذه الموجودات الفانية ، فيقهره ، ويجعله لا شيئاً محضاً ، فإذا هو فانٍ صرف ، فيظهر أن الكل حق ، وأمره جد ، لا باطل ولا لهو ، ولكم الهلاك ، والفناء الصرف ، مما تصفون من إثبات وجود الغير ، واتصافه بصفة ، وفعل ،

وتأثير « لفسدتا » لأن الوحدة موجبة لبقاء الاشياء ، والكثرة موجبة لفسادها ، ألا ترى أن كل شيء له خاصية واحدة ، يمتاز بها عن غيره ، هو بها هو ، ولو لم تكن لم يوجد ذلك الشيء ، وهي الشاهدة بوحدانيته تعالى ، كما قيل :

ففي كل شيء له آية   تدل على أنه الواحد

« وَلَهُ مَنْ فِي ٱلسَّمٰوَاتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ . يُسَبِّحُونَ ٱللَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ . أَمِ ٱتَّخَذُوا آلِهَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ هُمْ يُنْشِرُونَ . لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا ٱللهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ ٱللهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ . لَا يُسْئَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْئَلُونَ . أَمِ ٱتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ هٰذَا ذِكْرُ مَنْ مَعِيَ وَذِكْرُ مَنْ قَبْلِي بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْحَقَّ فَهُمْ مُعْرِضُونَ . وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلٰهَ إِلَّا أَنَا فَٱعْبُدُونِ . وَقَالُوا ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمٰنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ . لَا يَسْبِقُونَهُ بِٱلْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ . يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ

وَلَا يَشفَعُونَ إلا لِمَنِ ارْتَضَى وَهُمْ مِّنْ خَشيَتِهِ مُشفِقُونَ. وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إنِّي إِلٰهٌ مِّنْ دُونِهِ فَذَاكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلظَّالِمِينَ . أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ ٱلسَّمٰوَاتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ . وَجَعَلْنَا فِي ٱلْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجاً سُبُلاً لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ . وَجَعَلْنَا ٱلسَّمَاءَ سَقْفاً مَّحْفُوظاً وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ » .

والعدل الذي قامت بـه السموات والارض ، هو ظل الوحدة في عالم الكثرة ، ولو لم يوجد هيئة وحدانية ، في المركبات ، كاعتدال المزاج ، لما وجدت ، ولو زالت تلك الهيئة لفسدت في الحال .

« فسبحان الله » أي ، نزه للفيض على الكل بربوبيته للعرش ، الذي ينزل منه الفيض على جميع الموجودات ، عما تصفونه من إمكان التعدد « يعلم ما بين أيديهم » أي ، مـا تقدمهم من العلم الكلي الثابت في أم الكتاب ، المشتمل على جميع علوم الذوات ، المجردة من أهل الجبروت ، والملكوت ، « ومـا خلفهم » من علوم الكائنات ، والحوادث الجزئية ، الثابتة في السماء الدنيا ، فكيف يخرج علمهم عن إحاطة علمه ، ويسبق فعلهم أمره ، وقولهم قوله ؟ « ولا يشفعون إلا لمن » علمه أهـلا للشفاعة بقبوله لصفاء إستعداده ،

ومناسبة نفسه للنور الملكوتي « وهم » في الخشية من سبحات وجهـــه ، والخشوع والإشفاق ، والإنقهار تحت أنوار عظمته .

« أو لم ير » المحجوبون عن الحق ، « أن السموات والارض كانتا » مرتوقتين من هيولى واحدة ، ومادة جسمانية « ففتقناهما » بتباين الصور او ان سموات الأرواح ، وأرض الجسد ، كانتا مرتوقتين في صورة نطفة واحدة ففتقناهما بتباين الأعضاء ، والأرواح « وجعلنا » أي ، خلقنا من النطفة كل حيوان « وجعلنا » في أرض الجسد « رواسي » العظام، كراهة ان تضطرب وتجيء ، وتذهب ، وتختلف بهم ، فـلا تقوم بهم ، وتستقل « وجعلنا فيها فجاجاً » مجاري طرقـــاً للحواس ، وجميع القوى « لعلهم يهتدون » بتلك الحواس والطرق ، الى آيات الله فيعرفوه « وجعلنا » سماء العقل ، « سقفاً » مرتفعاً فوقهم « محفوظاً » من التغير، والسهو، والخطأ « وهم » عن حججها، وبراهينها « معرضون » .

« وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱللَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ . وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّنْ قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ أَفَإِنْ مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَالِدُونَ . كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ ٱلْمَوْتِ وَنَبْلُوكُمْ بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ . وَإِذَا رَآكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَـٰذَا ٱلَّذِي يَذْكُرُ آلِهَتَكُمْ وَهُمْ بِذِكْرِ ٱلرَّحْمَـٰنِ هُمْ كَافِرُونَ . خُلِقَ ٱلْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ سَأُورِيكُمْ آيَاتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ .

وَيَقُولُونَ مَتَى هٰذَا ٱلْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ . لَوْ يَعْلَمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا حِينَ لَا يَكُفُّونَ عَنْ وُجُوهِهِمُ ٱلنَّارَ وَلَا عَنْ ظُهُورِهِمْ وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ . بَلْ تَأْتِيهِمْ بَغْتَةً فَتَبْهَتُهُمْ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ . وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ . قُلْ مَنْ يَكْلَؤُكُمْ بِٱللَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ مِنَ ٱلرَّحْمٰنِ بَلْ هُمْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِمْ مُعْرِضُونَ . أَمْ لَهُمْ آلِهَةٌ تَمْنَعُهُمْ مِنْ دُونِنَا لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنْفُسِهِمْ وَلَا هُمْ مِنَّا يُصْحَبُونَ . بَلْ مَتَّعْنَا هٰؤُلَاءِ وَآبَاءَهُمْ حَتَّى طَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْعُمُرُ أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي ٱلْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا أَفَهُمُ ٱلْغَالِبُونَ . قُلْ إِنَّمَا أُنْذِرُكُمْ بِٱلْوَحْيِ وَلَا يَسْمَعُ ٱلصُّمُّ ٱلدُّعَاءَ إِذَا مَا يُنْذَرُونَ . وَلَئِنْ مَسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ مِنْ عَذَابِ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ » .

« وهو الذي خلق » ليل النفس ، ونهار العقل ، الذي هو نور شمس الروح ، وقمر القلب « كل في فلك » أي ، مقر علوي ، وحد ، ومرتبة ، من سموات الروحانيات ، يسيرون الى الله « خلق الانسان من عجل » إذ

النفس التي هي اصل الخلقة دائمة الطيش ، والاضطراب ، لا تثبت على حال ، فهو مجبول على العجل ، ولو لم يكن كذلك ، لم يكن له السير ، والترقي من حال الى حال . إذ الروح دائم الثبات ، وبتعلقه بالنفس يحصل وجود القلب ويعتدل بهما في السير ، فما دام الإنسان في مقام النفس ، ولم يغلب عليه نور الروح ، والقلب المقيد للسكينة والطمأنينة ، يلزمه العجلة بمقتضى الجبلة .

« لو يعلم » المحجوبون عن الرحمن العام الفيض ، وعن المعاد الشامل للكل وقت احاطة العذاب بهم من جميع الجهات ، بأمر الرحمن المحيط العلم الوحداني الأمر ، فلا يقدرون أن يدعوه ، عما قدامهم من الجهة التي تلي الروح ، المعذبة بنار القهر الإلهي ، والحرمان الكلي من الأنوار الروحانية ، والكمالات الانسانية ، ولا عما خلفهم من الجهة التي تلي الجسد ، المعذبة بنار الهيئات الجسمانية ، والعقارب ، والحيات ، السود النفسانية ، والأقذار الهيولانية ، والآلام الجسدانية « ولا هم ينصرون » من الامدادات الرحمانية ، لكثافة حجابهم ، وشدة ارتيابهم ، لما استعجلوا .

« أفلا يرون » أتمادت غفلتهم فلا يرون «أنا نأتي» أرض البدن بالشيخوخة ، « ننقصها من أطرافها » كالسمع ، والبصر ، وسائر القوى ، او أرض النفس المتيقظة ، المتوجهة الى الحق ، الذاكرة بأنوار الصفات ، ننقصها من صفاتها ، وقواها . « أفهم الغالبون » أم نحن ، « ولئن مستهم نفحة » من النفحات الربانية ، في صورة العذاب . أي ، من الالطاف الخفية ، كما قال امير المؤمنين عليه السلام ، سبحان من اشتدت نقمته على أعدائه في سعة رحمته ، واتسعت رحمته لأوليائه في شدة نقمته ، فكشف عنهم حجاب الغفلة المتراكمة من طول التمتيع ، الذي هو النقمة في صورة الرحمة ، والقهر الخفي ، ليستيقظن ، ويتنبهن ، لظلمهم في اعراضهم عن الحق ، وانهماكهم في الباطل .

« وَنَضَعُ ٱلْمَوَازِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ . وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ وَهٰرُونَ ٱلْفُرْقَانَ وَضِيَاءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ . ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِٱلْغَيْبِ وَهُمْ مِّنَ ٱلسَّاعَةِ مُشْفِقُونَ . وَهٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنْزَلْنَاهُ أَفَأَنْتُمْ لَهُ مُنْكِرُونَ » .

« ونضع الموازين القسط » ميزان الله تعالى ، هو عدله الذي هو ظل وحدته ، وصفته اللازمة لها ، به قامت سموات الأرواح ، وأرض الاجساد ، واستقامت ، ولولاه لما استقرّ أمر الوجود ، على النسق المحدود ، ولما شمل الكل ، أصاب كل موجود قسطه منه ، بحسب حاله ، وقدر احتماله ، فصار بالنسبة الى كل احد ، بل كل شيء ميزاناً خاصاً ، وتعدّدت الموازين على حسب تعدّد الاشياء ، وهي جزئيات الميزان المطلق ، ولذلك أبدل القسط المطلق منها ، او وصفها به ، فإنها كلها هي العدل المطلق الواحد ، ولا تتعدّد الحقيقة بتعدّد المظاهر ، ووضعها عبارة عن ظهور مقتضاها ، وذلك إنما يكون يوم القيامة الصغرى بالنسبة الى المحجوب ، ويوم القيامة الكبرى بالنسبة الى أهلها .

« فلا تظلم نفس شيئاً » لأن كل ما عملت من خير ، وجد حالة عمله في كفة الحسنات ، التي هي جهة الروح من القلب ، وكل ما عملت من سوء وضع في كفة السيئات ، التي هي جهة النفس منه ، والقلب هو لسان الميزان ،

ولهذا قيل : (يجعل في كفة الحسنات جواهر بيض مشرقة ، وفي كفة السيئات جواهر سود مظلمة) إلا أن الثقل هناك يوجب الصعود ، والميل الى العلوم ، والخفة توجب النزول والميل الى السفل ، بخلاف الميزان الجسماني ، إذ الثقيل ثمة هو الراجح المعتبر الباقي عند الله ، والخفيف هو المرجوح الفاني ، الذي لا وزن له عند الله ولا اعتبار ، فلا ينقص مما عملت « نفس شيئاً وإن كان مثقال حبة من خردل » ومن هذا يعلم ما قيل : (إن الله تعالى يحاسب الخلائق في أسرع من فواق شاة) .

« آتينا موسى » القلب . « وهارون » العقل ، أو على ظاهرهما « الفرقان » أي ، العلم التفصيلي ، الكشفي ، المسمى بالعقل الفرقاني . « وضياء » أي ، نوراً تاماً من المشاهدات الروحانية « وذكراً » أي ، تذكيراً ، وموعظة « للمتقين الذين » تركت نفوسهم من الرذائل ، والصفات الحاجبة ، فأشرقت أنوار طيبات العظمة ، من قلوبهم على نفوسهم ، لصفائها وزكائها ، فأورثت الخشية في حال الغيبة ، قبل الوصول الى مقام الحضور القلبي .

« وهم من الساعة » أي ، القيامة الكبرى ، على اشفاق وتوقع ، لوقوعها ، لقوّة يقينهم . اذ الاشفاق انما يكون عند التوقع لشيء مترقب الوقوع ، أي ، آتيناهما في مقام القلب ، العلم الذي به يفرق بين الحق ، والباطل من الحقائق ، والمعارف الكلية ، وفي مقام الروح ، ومرتبته النور المشاهد ، الباهر على كل نور ؛ وفي مقام النفس ؛ ورتبة الصدر ، التذكير بالمواعظ ، والنصائح ، والشرائع من العلوم الجزئية ، النافعة للمستعدّين ، القابلين ، السالكين .

« وهذا ذكر » غزير الخير والبركة ، شامل للأمور الثلاثة ، زائد عليها

بالكشف الذاتي ، والشهود الحقي في مقام الهوية ، وعين جمع الأحدية جامع لجوامع الكلم ، خاف بجميع المشاهدات والحكم ؛ اذ في البركة معنى النماء ، والزيادة .

« وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ . إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ . قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ . قَالَ لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ . قَالُوا أَجِئْتَنَا بِٱلْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ ٱللَّاعِبِينَ . قَالَ بَلْ رَبُّكُمْ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَاتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ مِنَ ٱلشَّاهِدِينَ . وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ » .

« ولقد آتينا ابراهيم » الروح « رشده » المخصوص به الذي يليق بمثله ، وهو الاهتداء الى التوحيد الذاتي ، ومقام المشاهدة ، والخلة « من قبل » أي ، قبل مرتبة القلب ، والعقل متقدّماً عليها في الشرف ، والعز « وكنّا به عالمين » أي ، لا يعلم كماله وفضيلته غيرنا ، لعلوّ شأنه « اذ قال لأبيه » النفس الكلية « وقومه » من النفوس الناطقة السماوية ، وغيرها « ما هذه التماثيل » أي ، الصور المعقولة من حقائق العقول ، والأشياء ، وماهيات الموجودات ، المنتقشة فيها « التي أنتم لها عاكفون » مقيمون على تمثلها وتصوّرها ، وذلك عند عروجه من مقام الروح المقدسة ، وبروزه عن الحجب النورية ، الى فضاء

التوحيد الذاتي ؛ كما قال عليه السلام : (اني بريء مما تشركون، اني وجهت وجهي للّذي فطر السموات والأرض ، حنيفاً) ومن هذا المقام قوله لجبريل عليه السّلام : (أمّا اليك فلا .)

« وجدنا آباءنا » عللنا من العوالم السابقة على النفوس كلها ، من أهل الجبروت « لها عابدين » باستحضارهم اياها في ذواتهم ، لا يذهلون عنها ، « في ضلال مبين » في حجاب عن الحق نوري ، غير واصلين الى عين الذات ، عاكفين في برازخ الصفات ، لا تهتدون الى حقيقة الأحدية ، والغرق في بحر الهوية « أجئتنا بالحق » أي ، أحدث مجيئك إيانا من هذا الوجه بالحق ، فيكون القائل هو الحق عز سلطانه .

أم استمرّ بنفسك كما كان ، فتكون أنت القائل ، فيكون قولك لعباً لا حقيقة له ، وتفوّقت علينا ، وتخلفنا عنك . وإن كنت بنفسك ، فبالعكس « بل ربكم » الجائي ، والقائل ربكم الذي يربكم بالإيجاد ، والتقويم ، والاحياء، والتجريد ، والانباء ، والتعليم ؛ رب الكل ، الذي أوجده « وأنا على ذلكم » الحكم ، بأن القائل هو الحق ، الموصوف بربوبية الكل « من الشاهدين » .

وهذا الشهود،هو شهود الربوبية والايجاد؛وإلا لم يقل أنا، وعليّ؛ اذ الشهود الذاتي هو الفناء المحض ، الذي لا أنائية فيه ولا اثنينية ، وتلك الاثنينية بعد الإفصاح بأن الجائي والقائل ، هو الحق الذي أوجد الكل ، مشعرة بمقام الكل ، المتخلف عن مقام « لأكيدنّ أصنامكم » لأمحونّ صور الأشياء ، وأعيان الموجودات ، التي عكفتم على ايجادها ، وحفظها ، وتدبيرها ؛ وأقبلتم على اثباتها بعد أن تعرضوا عن عين الأحدية الذاتية ، بالإقبال الى الكثرة الصفاتية ، بنور التوحيد .

« فَجَعَلَهُمْ جُذَاذاً إِلاَّ كَبِيراً لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ . قَالُوا مَنْ فَعَلَ هٰذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ . قَالُوا سَمِعْنَا فَتىً يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ . قَالُوا فَأْتُوا بِهِ عَلَى أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ . قَالُوا ءَأَنْتَ فَعَلْتَ هٰذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ . قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هٰذَا فَسْئَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ . فَرَجَعُوا إِلَى أَنْفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ . ثُمَّ نُكِسُوا عَلَى رُؤُسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هٰؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ . قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئاً وَلَا يَضُرُّكُمْ . أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ » .

« فجعلهم » بفأس القهر الذاتي ، والشهود العيني ، « جذاذاً » قطعاً متلاشية فانية « الا كبيراً لهم » هو عينه الباقي على اليقين الأول ، الذي به سمي الخليل خليلا « لعلهم اليه يرجعون » يقبلون منه الفيض ، ويستفيضون منه النور والعلم ، كما استفاض هو منه أولاً « قالوا » أي ، قالت النفوس العاشقة بالعقول : « من فعل هـذا » الاستخفاف ، والتحقير « بآلهتنا » التي هي معشوقاتنا ومعبوداتنا ؟ بنسبتها الى الإحتجاب ، والنظر اليها بعين الفناء ، وجعلها بقوة الظهر كالهباء ، متعجبين منه ، معظمين لأمره .

« انـه لمن الظالمين » الناقصين حقوق المعبودات المجردة ، وجميع

الموجودات من الوجودات والكمالات ، بنفيها عنهم ، وإثباتها للحق ، أو الناقصين حق نفسهم بإفنائها ، وقهرها « قالوا سمعنا فتى » كاملاً في الفتوة والشجاعة ، على قهر ما سوى الله من الأغيار ، والسخاوة ببذل النفس والمال « يذكرهم » بنفي القدرة والكمال عنهم ، ونسبة العدم والفناء اليهم .

« فأتوا به » أي ، استحضروه وأحضروه ، معاينـاً لجميع النفوس « لعلهم يشهدون » كماله وفضيلته ، فيستفيدون منه « أأنت فعلت هذا » صورة إنكار لما لم يعرفوا من كماله ، اذ كل ما يمكن للنفوس معرفته فهو دون كمال العقول التي هي معشوقاتها ، وهي محجوبة عن كماله الإلهي ، الذي هو به أشرف منها « قال بل فعله كبيرهم » أي ، ما فعلته بأنانيتي التي أنا بها ، أحسن منها ، بل بحقيقتي ، وهويتي التي هي أشرف ، وأكبر منها « فاسألوهم إن كانوا ينطقون » بالاستقلال ، أي لا نطق لهم ، ولا علم ، ولا وجود بأنفسهم ، بل بالله الذي لا إله إلا هو .

« فرجعوا الى أنفسهم » بالإقرار والإذعان ، متعرفين بأن الممكن لا وجود له بنفسه ، فكيف كماله .

« فقالوا إنكم أنتم الظالمون » بنسبة الوجود والكمال ، الى الغير ، لا هو « ثم نكسوا على رؤوسهم » حياءً من كماله ونقصهم ، وخضوعاً ، وانفعالاً منه « لقد علمت » بالعلم اللدني الحقاني فناءهم ، فنفيت النطق عنهم . وأمـا نحن فلا نعلم إلا ما علمنا الله ، فاعترفوا بنقصهم ، كما اعترفوا به عند معرفتهم لآدم بعد الإنكار ، فقالوا لا علم لنا إلا ما علّمتنا « فتعبدون من دون الله » وتعظمون غيره مما لا ينفع ولا يضر ، اذ هو النافع الضارّ لا غيره « أفٍّ لكم » أتضجر بوجودكم ، ووجود معبوداتكم ، ووجود كل مـا سواه تعالى « أفلا تعقلون » أن لا مؤثر ولا معبود إلا الله .

« قَالُوا حَرِّقُوهُ وَٱنْصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ . قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَاماً عَلَى إِبْرَاهِيمَ . وَأَرَادُوا بِهِ كَيْداً فَجَعَلْنَاهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ . وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطاً إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ . وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحٰقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكُلاًّ جَعَلْنَا صَالِحِينَ . وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ ٱلْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلٰوةِ وَإِيتَاءَ ٱلزَّكٰوةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ » .

« أحرقوه » أي ، اتركوه يحترق بنار العشق ، التي أنتم أوقدتموها أولاً بإلقاء الحقائق والمعارف اليه ، التي هي حطب تلك النــار ، عند رؤيته ملكوت السموات والأرض بإراءة الله إياه ، كما قال : « وكذلك نري ابراهيم ملكوت السموات والأرض » وإشراق الأنوار الصفاتية والأسمائية ، عند تجليات الجمال والجلال عليه ، من وراء أستار أعيانكم ، التي هي منشأ اتقاد تلك النار « وانصروا آلهتكم » أي ، معشوقاتكم ومعبوداتكم ، في الإمداد بتلك الأنوار ، وإيقاد تلك النــار « إن كنتم فاعلين » بأمر الحق « يا نار كوني برداً وسلاماً » بالوصول حــال الفناء ، فإن لذة الوصول تفيد الروح الكامل ، والسلامة عن نقص الحدثان ، وآفــة النقصان ، والإمكان في عين نار العشق .

« وأرادوا به كيداً » بإفنائه، وإحراقه « فجعلناهم الأخسرين » الأنقصين منه كمالاً ، ورتبة « ونجيناه » ولوط العقل ، بالبقاء بعد الفنــاء بالوجود

الحقاني ، الموهوب الى أرض الطبيعة البدنية « التي باركنا فيها » بالكمالات العمليـة المثمرة ، والآداب الحسنة المفيدة ، والشرائع ، والملكات الفاضلة « للعالمين » أي ، المستعدّين لقبول فيضه ، وتربيته ، وهدايته .

« ووهبنا له إسحاق » القلب ، للردّ الى مقامه بتكميل الخلق ، حـــال الرجوع عن الحق « ويعقوب » النفس المرتاضة ، الممتحنة بالبـلاء ، المطمئنة باليقين ، والصفاء « نافلة » متنوّرة بنور القلب ، متولدة منه « وكلا جعلنا صالحين » بالاستقامة والتمكين في الهداية « وجعلناهم أئمـة » لسائر القوى ، والنفوس الناقصة المستعدة « يهدون بأمرنا » .

أمّا الروح ، فبالأحوال والمشاهدات ، والأنوار. وأما القلب، فبالمعارف والمكاشفات ، والاسرار . وأمّـــا النفس ، فبالأخلاق ، والمعاملات ، والآداب . وهي المرادة بقوله : « وأوحينا اليهم فعل الخيرات ، وأقـام الصلاة وإيتـاء الزكاة وكانوا لنا عابدين » بالتوحيد ، والعبودية الحقة ، في مقام التجريد والتفريد ، وهذا هو تطبيق ظاهر ابراهيم على باطنه ، وقـد يمكن أن يؤوّل بضرب آخر من التأويل مناسب، لما قال النبي عليه السلام : (كنت أنا وعليّ نورين نسبح الله تعـــالى ، ونحمده ، ونهلله ، وسبحته الملائكة بتسبيحنا ، وحمدته بتحميدنا ، وهللته بتهليلنا ، فلما خلق آدم عليه السلام انتقلنا الى جبهته ، ومن جبهته الى صلبه ، ثم الى شيث الى آخر الحديث) .

وهو أن الروح الابراهيمي قدسه الله تعالى ، كان كامـلا في اول مراتب صفوف الأرواح ، مفيضاً على أطوار الملكوت كمالاتهم، جابراً لنقصهم، كاسراً لأصنام أعيان الموجودات ، وآلهة الذوات الممكنات من المادية ، والمجرّدات

بنور التوحيد ، طاوياً لمراتب الكمالات ، ذاوياً للواقفين مع الصفات ، والمحجوبين بالغير عن الذات ، فوضعه نمرود النفس الطاغية العاصية ، وقواها التي هي قومه في منجنيق الذكر والقوة ، في نار حرارة طبيعة الرحم ، فجعلها الله عليه برداً وسلاماً . أي روحاً ، وبراءة من الآفات . أي ، وضعوا درّة وجوده التي هي مظهر روحه ، ونجيناه الى أرض البدن ، التي باركنا فيها للعاملين ، بهدايته إياهم ، وتكميله وتربيته لهم فيها ، بالعلوم والاعمال التي هي أرزاقهم الحقيقية ، وأوصافهم الكمالية .

« وَلُوطاً آتَيْنَاهُ حُكْماً وَعِلْماً وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِي كَانَتْ تَعْمَلُ ٱلْخَبَائِثَ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَاسِقِينَ . وَأَدْخَلْنَاهُ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُ مِنَ ٱلصَّالِحِينَ . وَنُوحاً إِذْ نَادَى مِنْ قَبْلُ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ . وَنَصَرْنَاهُ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ . وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي ٱلْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ ٱلْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ » .

واذكر لوط القلب « آتيناه » حكمة « وعلماً ونجيناه من » اهل «القرية» البدن « التي كانت تعمل » خبائث الشهوات الفاسدة « فاسقين » بأتيانهم الأمور ، لا من جهتنا المأمور بها ، ومباشرتهم الاعمال لا على ما ينبغي من

وجه الشرع، والعقل « وأدخلناه في رحمتنا » الرحيمية، ومقام تجلي الصفات « انه من الصالحين » العاملين بالعلم ، الثابتين على الاستقامة .

ونوح العقل « إذ نادى » من جهة قـــدم القلب ، واستدعى الله الكمال اللاحق « فاستجبنا له » بإفاضة كماله على مقتضى استعداده، وإبرازه الى الفعل « فنجيناه » فنجينا القوى القدسية ، والفكرية ، والحمدية ، وسائر القوى العقلية « من الكرب » الذي هو كون كمالاتها بالقوة ، إذ كل ما هو كامن في الشيء بالقوة كرب له ، يطلب التنفيس بالظهور والبروز الى الفعل ، وكلما كان الاستعداد أقوى ، والكمال الممكن له ، الكامن فيـه أتم ، كان الكرب أعظم « ونصرناه من القوم » أي ، القوى النفسانية والبدنيـــة ، المكذبين بـــآيات المعقولات والمحرّمات . « انهم كانوا قوم سوء » يمنعونه من الكمال والتجريد ، ويحجبونه عـن الانوار بالتكذيب « فأغرقناهم » في يمّ القطران الهيولاني ، والبحر العميق الجسماني « أجمعين » .

« وداود » العقل النظري ، الذي هو في مقـام السر « وسليمان » العقل العلمي، الذي هو في مقام الصدر « إذ يحكمان في الحرث » أي ، فيما في أرض الاستعداد من الكمالات المودعة فيـــه ، المخزونة في الأزل ، والمغروزة في الفطرة الناشئة عند التوجه الى الظهور والبروز « يحكمان » فيـــه ، بالعلم ، والعمل ، والفكر ، والرياضة في تثميرها ، وإيناعها ، وإدراكها « إذ نفشت فيه » انتشرت فيه ، بالافساد في ظلمة ليل غلبة الطبيعة البدنية ، والصفات النفسانية « غنم القوم » . أي ، القوى البهيمية ، الشهوانية « وكنا لحكمهم » على مقتضى أحوالهم حاضرين ، إذ كان الحكم بأمرنا ، وعلى أعيننا ، ومقتضى إرادتنا .

فحكم داود السر على مقتضى الذوق بتسليم غنم القوى الحيوانية البهيمية ،

الى اصحاب الحرث مـــن القوى الروحانية بالملكية ، ليذبحوها ويميتوها ، بالاستيلاء والقهر والغلبة ، ويغتذوا بها ، وحكم سليمان العقل العلمي على مقتضى العلم ، بتسليط القوى الروحانية عليها ، لينتفعوا بألبانها ، من العلوم النافعة ، والإدراكات الجزئية ، والأخلاق ، والملكات الفاضلة ، ويروّضوها بالتهذيب ، والتأديب ، وإقامــة اصحاب الغنم من النفس وقواها الحيوانية ، كالغضبية ، والمتحركة ، والمتخيلة ، والوهمية ، وأمثالها ، بعمارة الحرث ، وإصلاح مـا في أرض الاستعداد ، بالطاعات ، والعبادات ، والرياضات ، من باب الشرائع والاخـلاق ، والآداب ، وسائر الأعمال الصالحات ، حتى يعود الحرث ناضراً بالغـاً الى حدّ الكمال ، لتردّ الغنم الى اصحابها عند حصول الكمال ، فتصير محفوظة ، مزعية ، مسوسة ، مهذبـة ، في الاعمال البهيمية ، بفضيلة العفة ، ويردّ الحرث الى أربابه من الروح وقواه يانعاً ، مثمراً ، بالعلوم ، والحكم ، متزيناً بأزهار المعارف ، والحقائق ، وأنوار التجليات ، والمشاهدات .

« فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلاًّ آتَيْنَـــا حُكْماً وَعِلْماً وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُودَ ٱلْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَٱلطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ. وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُمْ مِّنْ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ . وَلِسُلَيْمَانَ ٱلرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَالِمِينَ. وَمِنَ ٱلشَّيَاطِينِ مَنْ يَغُوصُونَ لَهُ وَيَعْمَلُونَ عَمَلاً دُونَ ذَٰلِكَ وَكُنَّا لَهُمْ حَافِظِينَ » .

ولهذا قال : « ففهمناها سليمان » فإن العمل بالتقوى والرياضة على وفق الشرع ، والحكمة العملية ، أبلغ في تحصيل الكمال ، وابرازه الى الفعل ، من العلم الكلي ، والفكر ، والنظر ، والذوق ، والكشف « وكلا آتينا حكماً وعلماً » اذ كل منهما على الصواب في رأيه ، والحكم النظرية والعملية ، والمكاشفة ، والمعاملة ، كلتاهما متعاضدتان في طلب الكمال ، متوافقتان في تحصيل كرم الخصال بهما .

« وسخرنا مع داود » الفؤاد جبال الأعضاء « يسبحن » بألسنة خواصها ، التي أمرن بها ، ويسرن معه بسيرتها المخصوصة بها ، فلا تعصى ، ولا تمتنع عليه ، فتكل ، وتثقل ، وتأبى أمره ؛ بل تسير معه ، مامورة بأمره ، منقادة مطواعة لتأدبها ، وارتياضها ، وتعوّدها بأمره ، وتمرّنها في الطاعات والعبادات ؛ وطير القوى الروحانية يسبحن بالإذكار ، والأفكار ، والطيران ، في فضاء أرواح الأنوار « وكنا » قادرين على ذلك التسخير « وعلمناه صنعة لبوس لكم » من الورع ، والتقوى ، ونعم الدرع الحصين ، الورع « لتحصنكم من » بأس القوى الغضبية السَّبُعيّة ، واستيلاء الحرص ، والدواعي الطبيعية ، والقوى الوهمية ، الشيطانية « فهل أنتم شاكرون » حق هذه النعمة ، بالتوجه الى الحضرة الربانية بالكلية .

« ولسليمان » أي ، سخرنا لسليمان العقل العملي المتمكن على عرش النفس ، في الصدر ، ريح الهوى « عاصفة » في هبوبها « تجري بأمره » مطيعة له ، الى أرض البدن ، المتدرب بالطاعة ، والأدب « التي باركنا فيها » بتثمير الأخلاق ، والملكات الفاضلة ، والأعمال الصالحة « وكنا بكل شيء » من أسباب الكمال « عالمين ومن » شياطين الوهم والتخيل ، من يغوصون له في بحر الهيولى الجسمانية ؛ يستخرجون درر المعاني الجزئية « ويعملون عملاً دون

ذلك ، من التركيب، والتفصيل، والمصنوعات، وبهيج الدواعي المكسوبات، وأمثالها « وكنا لهم حافظين » عن الزيغ والخطأ ، والتسويل الباطل ، والكذب .

« وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّاحِمِينَ . فَٱسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِن ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَى لِلْعَابِدِينَ . وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا ٱلْكِفْلِ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّابِرِينَ . وَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُم مِّنَ ٱلصَّالِحِينَ . وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَاضِباً فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَاتِ أَن لَّا إِلَٰهَ إِلَّا أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّالِمِينَ . فَٱسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ ٱلْغَمِّ وَكَذَٰلِكَ نُنجِي ٱلْمُؤْمِنِينَ » .

« وأيوب » النفس المطمئنة ، الممتحنة بأنواع البلاء ، في الرياضة البالغة كمال الزكاء، في المجاهدة « اذ نادى ربه » عند شدة الكرب في الكد وبلوغ الطاقة ، والوسع في الجد ، والجهد « أني مسني الضر » من الضعف ، والإنكسار ، والعجز « وأنت أرحم الراحمين » بالتوسعة ، والروح « فاستجبنا له » بروح الأحوال ، عن كد الأعمال ، عند كمال الطمأنينة ، ونزول السكينة « وكشفنا ما به من ضر » الرياضة ، بنور الهداية ، ونفسنا عنه ظلمة الكرب ، بإشراق نور القلب « وآتيناه أهله » القوى النفسانية ،

التي ملكناها ، وامتناها بالرياضة ، باحيائها بالحياة الحقيقية « ومثلهم معهم » من امداد القوى الروحانية ، وانوار الصفات القلبية ، ووفرنا عليهم أسباب الفضائل الخلقية ، وأحوال العلوم النافعة الجزئية « رحمة من عندنا وذكرى للعابدين » .

و « ذا النون » أي ، الروح الغير الواصل الى رتبة الكمال « اذ ذهب » بالمفارقة عن البدنية « مغاضباً » عن قومه القوى النفسانية لاحتجابها واصرارها على مخالفته ، وابائها واستكبارها ، عن طاعته « فظن أن لن نقدر عليه » أي ، لن نستعمل قدرتنا فيه بالابتلاء ، بمثل ما ابتلى به .

أولن نضيق عليه ، فالتقمه حوت الرحمة لوجوب تعلقه بالبدن في حكمتنا ، للاستعمال « فنادى » في ظلمات المراتب الثلاث : من الطبيعة الجسمانية . والنفس النباتية ، والحيوانية ، بلسان الاستعداد « أن لا إله إلا أنت » فأقر بالتوحيد الذاتي ، المركوز فيه عند العهد السابق ، وميثاق الفطرة ، والتنزيه المستفاد من التجرّد الأوّل في الازل ، بقوله : « سبحانك » واعترف بنقصانه وعدم استعمال العدالة في قومه ، فقال : (اني كنت من الظالمين فاستجبنا له) بالتوفيق بالسلوك ، والتبصير بنور الهداية الى الوصول ، « ونجيناه » من غم النقصان ، والاحتجاب بنور التجلي ، ورفع الحجاب « وكذلك ننجي المؤمنين » بالايمان التحقيقي الموقنين .

« وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ . فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا

رَغَباً وَرَهَباً وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ . وَٱلَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَٱبْنَهَا آيَةً لِّلْعَالَمِينَ » .

« وزكريا » الروح ، الساذج ، عن العلوم « اذ نادى ربه » في استدعاء الكمال ، بلسان الاستعداد ، واستوهب يحيى القلب ، لتنتعش فيه العلوم ، وشكا انفراده عن معاضدة القلب في قبول العلم ، وحيازة ميراثه ، مع علمه بأن الفناء في الله ، خير من الكمال العملي ، حيث قال : « وأنت خير الوارثين » من القلب ، وغيره « ووهبنا له يحيى » القلب ، بإصلاح زوجه النفس العاقر لسوء الخلق ، وغلبة ظلمة الطبع عليها ، بتحسين أخلاقها ، وإزالة الظلمة ، الموجبة للعقر عنها « انهم » ان أولئك الكمل من الأنبياء « كانوا يسارعون في الخيرات » أي يسابقون الى المشاهدات ، التي هي الخيرات المحضة ، بالأرواح « ويدعوننا » لطلب المكاشفات بالقلوب « رغباً » الى الكمال « ورهباً » من النقصان ، أو رغباً الى اللطف ، والرحموت ، في مقام تجليات الصفات ، ورهباً من القهر ، والعظموت « وكانوا لنا خاشعين » بالنفوس .

« والتي أحصنت » أي ، النفس الزكية الصافية ، المستعدة العابدة ، التي « أحصنت » فرج استعدادها ، ومحل تأثير الروح من باطنها ، بحفظه من مسافحي القوى البدنية فيها « فنفخنا فيها » من تأثير روح القدس ، بنفخ الحياة الحقيقية ، فولدت عيسى القلب « وجعلناها » مع القلب ، علامة ظاهرة ، وهداية واضحة « للعالمين » من القوى الروحانية ، والنفوس المستعدة ، المستبصرة ، يهديهم الى الحق ، والى طريق مستقيم .

« إِنَّ هٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ . وَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ كُلٌّ إِلَيْنَا رَاجِعُونَ . فَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِ وَإِنَّا لَهُ كَاتِبُونَ . وَحَرَامٌ عَلَى قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ » .

« ان هذه » الطريقة الموصلة الى الحقيقة ، وهي طريقة التوحيد المخصوصة بالأنبياء المذكورين ، طريقتكم ، أيها المحققون ، السالكون طريقة « واحدة » لا اعوجاج ولا زيغ ، ولا انحراف عن الحق الى الغير ، ولا ميـل « وأنا » وحدي « ربكم » فخصصوني بالعبادة والتوجـــه ، ولا تلتفتوا الى غيري « وتقطعوا » أي ، تفرق المحجوبون ، الغائبون عن الحق ، الغافلون في أمر الدين ، وجعلوا أمر دينهم قطعـــاً يتقسمونه « بينهم » ويختارون السبل المتفرقـة ، بالأهواء المختلفة « كل الينا راجعون » على أي مقصد ، وأية طريقة ، وأية وجهة كانوا ، فنجازيهم بحسب أعمالهم ، وطرائقهم .

« فمن » يتصف بالكمالات العملية . « وهو » عـــالم موقن ، فسعيه مشكور غير مكفور ، في القيامة الوسطى ، والوصول الى مقـام الفطرة الأولى « وانا » لصورة ذلك السعي لكاتبون في صحيفة قلبه ، فيظهر عليه عند التجرّد أنوار الصفات ، وممتنع « على قرية » حكمنا باهلاكها ، وشقاوتها في الأزل ، رجوعهم الى الفطرة من الاحتجاب بصفات النفس في النشأة .

« حَتَّى إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ . وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ

أَبْصَارُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا يَا وَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هٰذَا بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ . إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ ٱللّٰهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَارِدُونَ . لَوْ كَانَ هٰؤُلَاءِ آلِهَةً مَّا وَرَدُوهَا وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ . لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ . إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰ أُولٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ . لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِي مَا ٱشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَالِدُونَ . لَا يَحْزُنُهُمُ ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ ٱلْمَلٰئِكَةُ هٰذَا يَوْمُكُمُ ٱلَّذِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ » .

« حتى اذا فتحت يأجوج » القوى النفسانية « ومأجوج » القوى البدنية بانحراف المزاج ، وانحلال التركيب « وهم من كل حدب » من أعضاء البدن التي هي محالها ، ومقارها « ينسلون » بالذهاب ، والزوال « واقترب الوعد الحق » من وقوع القيامة الصغرى بالموت ، فحينئذ شخصت أبصار المحجوبين لشدّة الهول والفزع ، داعين بالويل والثبور ، ومعترفين بالظلم ، والقصور .

« انكم وما تعبدون » أي ، كل عابد منكم لشيء سوى الله محجوب به عن الحق مرميّ مع معبوده الذي وقف معه في طبقة من طبقات جهنم البعد والحرمان ، على حسب مرتبة معبوده « لهم فيها زفير » من ألم الاحتجاب ، وشدة العذاب ، واستيلاء نيران الأشواق ، وطول مدة الحرمان ، والفراق « وهم فيها لا يسمعون » كلام الحق والملائكة ، لتكاثف الحجاب ، وشدّة

طرق مسامع القلب لقوة الجهل ، كما لا يبصرون الأنوار ، لشدة انطباق الظلمة ، وعمى البصيرة .

« ان الذين سبقت لهم منا » السعادة « الحسنى » وحكمنا بسعادتهم في القضاء السابق « أولئك عنها مبعدون » لتجردهم عن الملابس النفسانية ، والغشاوات الطبيعية « لا يسمعون حسيسها » لبعدهم عنها في الرتبة « وهم فيما اشتهت » ذواتهم من الجنات الثلاث ، وخصوصاً المشاهدات في جنة الذات « خالدون لا يحزنهم الفزع الأكبر » بالموت ، في القيامة الصغرى ، ولا يتجلى العظمة والجلال في القيامة الكبرى « وتتلقاهم الملائكة » عند الموت بالبشارة ، أو عند البعث النفساني بالسلامة والنجاة ، أو في القيامة الوسطى ، والبعث الحقيقي بالرضوان ، أو عند الرجوع الى البقاء بعد الفناء ، حال الاستقامة بالسعادة التامة .

« يَوْمَ نَطْوِي ٱلسَّمَاءَ كَطَيِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ . وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي ٱلزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ ٱلصَّالِحُونَ . إِنَّ فِي هٰذَا لَبَلَاغًا لِقَوْمٍ عَابِدِينَ . وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ . قُلْ إِنَّمَا يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلٰهُكُمْ إِلٰهٌ وَاحِدٌ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ . فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ آذَنْتُكُمْ عَلَى سَوَاءٍ وَإِنْ أَدْرِي أَقَرِيبٌ أَمْ بَعِيدٌ مَا تُوعَدُونَ . إِنَّهُ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ مِنَ ٱلْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ .

وَإِنْ أَدْرِي لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَّكُمْ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ . قَالَ رَبِّ ٱحْكُمْ بِٱلْحَقِّ وَرَبُّنَا ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ » .

« يوم نطوي السماء » أي ، لا يحزنهم يوم نطوي سماء النفس ، بما فيها من صور الأعمال ، وهيئات الأخلاق ، في الصغرى « كطيّ الصحيفة » للمكتوبات التي فيها . أي كما تطوى ليبقى ما فيها محفوظاً ، أو سماء القلب بما فيها من العلوم ، والصفات ، والمعارف ، والمعقولات في الوسطى ؛ أو سماء الروح بما فيها من العلوم من المشاهدات ، والتجليات في الكبرى . « كما بدأنا أول خلق نعيده » بالبعث ، في النشأة الثانية على الأوّل ، أو بالرجوع الى الفطرة الأولى على الثاني ، أو بالبقاء بعد الفناء ، على الثالث .

« ولقد كتبنا في » زبور القلب « من بعد الذّكر » في اللوح ، ان أرض البدن « يرثها » القوى الصالحة المنوّرة بنور السكينة ، بعد اهلاك الفواسق بالرياضة .

أو « ولقد كتبنا في » زبور اللوح المحفوظ ، « من بعد الذكر » في أمّ الكتاب « ان الأرض يرثها عبادي الصالحون » من الروح ، والسر ، والقلب ، والعقل ، والنفس ، وسائر القوى ، بالاستقامة ، بعد اهلاك الصالحين بالفناء في الوحدة « لبلاغاً » لكفاية « لقوم » عبدوا الله ، بالسلوك فيه « رحمة » عظيمة ، مشتملة على الرحيمية ، بهدايتهم الى الكمال المطلق ، والرحمانية بأمانهم من العذاب ، المستأصل في زمانه ، لغلبة رحمته على غضبه .

سورة الحج

بسم الله الرحمن الرحيم

« يَا أَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ . يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ . وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَرِيدٍ . كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَنْ تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُ يُضِلُّهُ وَيَهْدِيهِ إِلَى عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ . يَا أَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ

ٱلْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِن بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئاً وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا
أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَاءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ
بَهِيجٍ . ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي ٱلْمَوْتَى وَأَنَّهُ عَلَى
كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ . وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ آتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ
يَبْعَثُ مَن فِي ٱلْقُبُورِ . وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ
وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ . ثَانِيَ عِطْفِهِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ
لَهُ فِي ٱلدُّنْيَا خِزْيٌ وَنُذِيقُهُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ . ذَٰلِكَ
بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ . وَمِنَ ٱلنَّاسِ
مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ ٱطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ
أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةَ ذَٰلِكَ هُوَ
ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ . يَدْعُوا مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُ وَمَا لَا
يَنفَعُهُ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَالُ ٱلْبَعِيدُ . يَدْعُوا لَمَن ضَرُّهُ أَقْرَبُ مِن
نَّفْعِهِ لَبِئْسَ ٱلْمَوْلَى وَلَبِئْسَ ٱلْعَشِيرُ . إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ
آمَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَارُ إِنَّ
ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ . مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ ٱللَّهُ فِي ٱلدُّنْيَا
وَٱلْآخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى ٱلسَّمَاءِ ثُمَّ لْيَقْطَعْ فَلْيَنظُرْ هَلْ

يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُ مَا يَغِيظُ . وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَاهُ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ يَهْدِي مَن يُرِيدُ . إِنَّ ٱلَّذِينَ آمَنُوا وَٱلَّذِينَ هَادُوا وَٱلصَّابِئِينَ وَٱلنَّصَارَىٰ وَٱلْمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ ٱللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ » .

« يا أيها الناس اتقوا ربكم » احذروا عقابه بالتجرّد عن الغواشي الهيولانية ، والصفات النفسانية « ان » اضطراب أرض البدن في القيامة الصغرى ، للمنقسمين فيها « شيء عظيم يوم ترونها تذهل كل مرضعة » أي ، غاذية ، مرضعة للأعضاء ، عن ارضاعها « وتضع كل ذات حمل » من القوى الحافظة لمدركاتها ، كالخيال ، والوهم ، كالذاكرة ، والعاقلة « حملها » من المدركات ، لسكرها ، وذهولها ، وحيرتها ، وبهتها . أو كل قوّة حاملة للاعضاء ، حملها ، وتحريكها ، واستقلالها بالضعف أو كل عضو حامل لما فيه من القوة ، حملها بالتخلي عنها . أو كل ما يمكن فيها ، من الكمالات بالقوة ، حملها بفسادها ، واسقاطها . أو كل نفس حاملة لما فيها من الهيئات والصفات ، من الفضائل ، والرذائل ، بإظهارها ، وابرازها .

« وترى الناس سكارى » من سكرات الموت ، ذاهلين ، مغشياً عليهم « وما هم بسكارى » في الحقيقة من الشراب ، ولكن من شدة العذاب « وترى » أرض النفس « هامدة » ميتة بالجهل ، لا نبات فيها ، من الفضائل والكمالات « فإذا أنزلنا عليها » ماء العلم ، من سماء الروح « اهتزت » بالحياة الحقيقية « وربت » بالترقي في المقامات ، والمراتب « وأنبتت من كلّ صنف « بهيج » من الكمالات ، والفضائل ، المزينة لها .

ذلك بسبب « ان الله هو الحق » الثابت ، الباقي ، وما سواه هو المغير الفاني « وانه يحيي » موتى الجهل بفيض العلم في القيامة الوسطى ، كما يحيي موتى الطبع ، في القيامة الصغرى « وأنّ السّاعة » بالمغنيين « آتية وان الله يبعث من في القبور » أي، قبر البدن من موتى الجهل ، في الساعة الوسطى، بالقيام في موضع القلب ، والعود الى الفطرة ، وحياة العلم كما يبعث موتى الطبع ، في النشأة الثانية ، والقيامة الصغرى « بغير علم » أي ، استدلال « ولا هدى » ولا كشف ، ووجدان « ولا كتاب » ولا وحي ، وفرقان « يدعو » ممّا سوى الله « ما لا يضرّه وما لا ينفعه » كائناً ما كان ؛ فإن الاحتجاب الغيري ؛ هو الضلال ، البعيد عن الحق ، وإنما كان ضرّه أقرب من نفعه ، لأن دعوته ، والوقوف معه ، يحجبه عن الحق .

« أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي ٱلسَّمٰوَاتِ وَمَنْ فِي ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ وَمَنْ يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُّكْرِمٍ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ » .

« يسجد له من في السموات ومن في الأرض » من الملكوت السماوية ، والأرضية ، وغيرهم . ممّا عدّ، وما لم يعد من الأشياء . بالانقياد، والطاعة، والإمتثال ، لما أراد الله منها من الأفعال والخواص ، وأجرى عليها شبه تسخيرها لأمره، وامتناع عصيانها لمراده ، وانقهارها تحت قدرته ، بالسجود الذي ، هو غاية الخضوع .

ولما لم يمكن لشيء منها إلا للإنسان التابع للشيطان في ظاهر أمره، دون باطنه، خص عموم كثير من الناس الذين حق عليهم العذاب، وحكم بشقاوتهم في الازل ، وهم الذين غلبت عليهم الشيطنة ، ولزمتهم الزلة والشقوة « ومن يهن الله » بأن يجعل أهله قهره وسخطه ، ومحل عقابة ، وغضبه « فما له من مكرم ان الله يفعل ما يشاء » .

« هٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّنْ نَّارٍ يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُؤُوسِهِمُ ٱلْحَمِيمُ . يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَٱلْجُلُودُ . وَلَهُمْ مَّقَامِعُ مِنْ حَدِيدٍ . كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ . إِنَّ ٱللّٰهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤاً وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ . وَهُدُوا إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلْقَوْلِ وَهُدُوا إِلَى صِرَاطِ ٱلْحَمِيدِ » .

« قطعت لهم ثياب من نار » جعلت لهم ملابس من نار غضب الله وقهره، وهي هيئات ، واجرام مطابقة لصفات نفوسهم المنكوسة ، معذبة لها غاية التعذيب « يصب من فوق رؤسهم » حميم الهوى ، وحب الدنيا الغالب

عليهم ، أو حميم الجهل المركب ، والاعتقاد الفاسد ، المستعلي عـلى جبهتهم العلوية ، التي تلي الروح في صورة القهر الإلهي ، مـع الحرمان عن المراد المحبوب ، المعتقد فيه « يصهر به » أي ، يذاب به ، ويضمحل « مـا في » بطون استعداداتهم من المعاني القوية ، وما في ظاهرهم من الصفات الانسانية، والهيئات البدرية ، فتتبدل معانيهم وصورهم .

وكلما نضجت جلودهم، بدلوا جلوداً غيرها « ولهم مقامع » أي ، سياط « من حديد » الاثيرات الملكوتية ، بأيدي زبانية الأجرام السماوية ، المؤثرة في النفوس المادية ، تقمعهم بها ، وتدورهم من جنـاب القدس الى مهاوي الرجس « كلما أرادوا » بدواعي الفطرة الانسانية، وتقاضي الاستعداد الأوّلي « ان يخرجوا » من تلك النيران الى فضاء مراتب الانسان « من غمّ » تلك الهيئات السود المظلمة ، وكرب تلك الدركات الموجبة ، ضربوا بتلك المقامع المؤلمة ، وأعيدوا الى أسافل الوهدات المهلكة . وقيـل لهم : ذوقوا عذاب الحريق » .

« جنات » القلوب « تجري من » تحتهم أنهار العلوم « يحلون فيهـا من أساور » الأخلاق، والفضائل المصوغة « من ذهب » العلوم العقلية، والحكمة العملية ، « ولؤلؤاً » المعارف القلبية ، والحقائق الكشفية « ولباسهم فيها حرير » شعاع أنوار الصفات الإلهية ، والتجليات اللطيفة ، وهداهم « الى الطيب من » ذكر الصفات ، في مقام القلب « وإلى صراط » ذي الصفات ، أي ، توحيد الذات، الحميدة ، باتصافها بتلك الصفات ، وتلك بعينها صراط الذات ، وسلم الوصول اليها بالفناء .

« إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ٱلَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً ٱلْعَاكِفُ فِيهِ وَٱلْبَادِ وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ . وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئاً وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَٱلْقَائِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ » .

« كفروا » حجبوا بالغواشي الطبيعية « ويصدّون عن سبيل الله والمسجد الحرام » الذي هو صدر فناء كعبة القلب « الذي جعلناه » لناس القوى الانسانية مطلقاً « سواء » المقيم فيه من القوى العقلية الروحانية ، وبادي القوى النفسانية ، لإمكان وصولها اليه ، وطوافها فيه ، عند ترقي القلب ، الى مقام السر « ومن يرد فيه » من الواصلين اليه ، مراداً « بالحاد » ميل الى الطبيعة ، والهوى « بظلم » وضع شيء من العلوم والعبادات القلبية ، مكان النفسية ، كاستعمالها الإغراض الدنيوية ، واظهارها لتحصيل اللذات البدنية ، من طلب السمعة ، والمال ، والجاه ، أو بالعكس ، كمباشرة الشهوات الحسيّة ، واللذات النفسية ، بتوهم كونها مصالح الدارين ، أو تغير عن وجهها ، كالرياء ، والنفاق ، أو ملحداً ظالماً « من عذاب أليم » في جحيم الطبيعة .

« وإذ بوّأنا » أي ، جعلنا « لابراهيم » الروح ، مكان بيت القلب ، وهو المصدر ، مباءة يرجع اليها في الأعمال والأخلاق ، وقيل : أعلم الله ابراهيم مكانه ، بعد ما رفع الى السماء أيام الطوفان ، بريح أرسلها ، فكشف ما حولها ، فبناه على اسه القديم . أي ، هداه الى مكانه ، بعد رفعه الى السماء ، وأيام طوفان الجهل ، وأمواج غلبات الطبع ، برياح نفحات الرحمة ،

فكشفت مـا حوله من الهيئات النفسانية ، والألواث الطبيعية ، والغبارات الهيولانية ، فبنـاه على اسه القديم ، من الفطرة الانسانية « أن لا تشرك » أي ، جعلناه مرجعاً في بناء البيت بأحجار الأعمال ، وطين الحكم ، وجص الأخلاق ، وقلنا : لا تشرك أي ، أمرناه بالتوحيد ؛ ثم بتطهير بيت القلب، عن الالواث المذكورة .

« للطائفين » من القوى النفسانية ، التي تطوف حوله للتنور ، واكتساب الفضائل الخلقية « والقائمين » من القوى الروحانية ، التي تقوم عليه بإلقـاء المعارف ، والمعـاني الحكمية « والركع السجود » من القوى البدنية ، التي تستفيد منه صور العبادات ، والآداب الشرعيه ، والعقلية . او لهداية الطالبين من المستبصرين ، المتعلمين ، والجاهدين السالكين ، والمتعبدين الخاضعين .

« وَأَذِّنْ فِي ٱلنَّـاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ . لِّيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا ٱسْمَ ٱللهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِّنْ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَـامِ فَكُلُوا مِنهَا وَأَطْعِمُوا ٱلْبَائِسَ ٱلْفَقِيرَ . ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ . ذَٰلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ حُرُمَـاتِ ٱللهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَأُحِلَّتْ لَكُمُ ٱلْأَنْعَامُ إِلاَّ مَـا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فَٱجْتَنِبُوا ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَانِ وَٱجْتَنِبُوا قَوْلَ ٱلزُّورِ » .

« وأذّن في الناس » بالدعوة الى مقام القلب ، وزيارته « يأتوك رجالاً » مجرّدين عن صفـــات النفس « وعلى كل » نفس ضامرة بطول الرياضة ، والمجاهدة « يأتـين من كل » طريق بعيد العمق ، في قعر الطبيعة « ليشهدوا منافع لهم » من الفوائد العلمية والعملية ، المستفادة من مقام القلب « ويذكروا اسم الله » بالإتصاف بصفاتـــه « في أيام معلومات » من أنوار التجليات ، والمكاشفات ، « على مــا رزقهم من بهيمة » أنعام النفوس ، المذبوحة تقرّبا الى الله تعـــالى ، بحراب المخالفات ، وسكاكين المجاهدات « فكلوا » استفيدوا من لحوم أخلاقها ، وملكاتها المعينة ، المقوية في السلوك «واطعموا» أي ، أفيدوا « البائس » الطالب القوي النفس ، الذي أصابه شدة من غلبة صفاتها ، واستيلاء هيئاتها ، للتهذيب ، والتأديب ، والفقير الضعيف النفس ، القديم العلم ، الذي اضعفه عدم التعليم والتربية ، المحتاج اليها .

« ثم ليقضوا » وسخ الفضول ، وفضلات الواث الهيئات ، كقص شارب الحرص ، وقـــلم اظفار الغضب ، والحقد ، وفي الجملة بقايا تلوينات النفس « وليوفوا نذورهم » بالقيام بإبراز مـــا قبلوه في العهد الاول من المعاني ، والكمالات المودعـة فيهم الى الفعل ، فقضاء التفث التزكية ، وأزلة الموانع ، والإيفاء بالنذور ، والتحلية ، وتحصيل المعارف « وليطوّفوا » بالانخراط في سلك الملكوت الأعلى ، حول عرش الله المجيد ، البيت القديم .

« ذلك » أي ، الأمر ذلك « ومن يعظم حرمات الله » وهي ما لا يحل هتكه ، وتطهيره . والقربان بالنفس ، وجميع ما ذكر من المناسك ، كالتحلي بالفضائل ، واجتناب الرذائل ، والتعرّض للأنوار في التجليات ، والإتصاف بالصفات ، والترقي في المقامات « فهو خير له » في حضرة ربه ، ومقعد قربه « وأحلت لكم » أنعـــام النفوس السليمة ، بالإنتفاع بأخلاقها ، وأعمالها في

الطريقة ، والتمتع بالحقوق دون الحظوظ « إلا ما يتلى عليكم » في صورة المائدة من الرذائل المشتبهة بالفضائل ، وهي التي صدرت من النفس ، لا على وجهها ، ولا على ما ينبغي من أمرها بالرذائل المحضة ، فإنها محرمة ، في سبيل الله على السالكين .

« فاجتنبوا الرجس من » أوثان الشهوات المتعبدة ، والأهواء المتبعة ، كقوله تعالى : « أفرأيت من اتخذ إلهه هواه » . « واجتنبوا قول الزور » من العلوم المزخرفة ، والشبهات المموهة ، من التخيلات ، والموهومات المستعملة في الجدل ، والخلاف ، والمغالطة .

« حُنَفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ وَمَنْ يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ ٱلرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ . ذَٰلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ . لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ثُمَّ مَحِلُّهَا إِلَى ٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ » .

« حنفاء لله » مائلين عن الطرق الفاسدة والعلوم الباطلة ، معرضين عن كل ما يغيره من الكمالات والاعمال ، ولو لنفس الكمال ، والتزين به ، فإنه حجاب « غير مشركين به » بالنظر الى ما سواه ، والالتفات في طريقه الى ما عداه « ومن يشرك بالله » بالوقوف مع شيء ، والميل اليه . « فكأنما خرّ من » سماء الروح « فتخطفه » طير الدواعي النفسانية ، والأهواء الشيطانية ، فتمزقه قطعاً جذاذاً « أو تهوي به » ريح هوى النفس « في مكان » بعيد من الحق ، ومهلكة عمياء متلفة .

« ومن يعظم شعائر الله » من النفوس المستعدة ، المسوقة نسائق التوفيق في سبيل الله ، ليهدى بهـا لوجه الله ، فإن تعظيمها بتحصيل كمالها من افعال ذي القلوب المتقية ، المجرّدة عن الصفات النفسانية ، والهيئات الظلمانية « لكم فيها منافع » من الأعمـال ، والأخلاق ، والكمالات العلمية ، والعملية « الى أجل مسمّى » هو الفناء في الله بالحقيقة « ثم محلـّها » حدّ سوقها ، وموضع وجوب نحرها ، بالوصول الى حرم الصدر عند كعبة القلب ، الى مقام السر ، وترقي النفس الى مقامه فانية عن حياتها ، وصفاتها .

« وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكاً لِّيَذْكُرُوا ٱسْمَ ٱللهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنْ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَامِ فَإِلٰهُكُمْ إِلٰهٌ وَاحِدٌ فَلَهُ أَسْلِمُوا وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ . ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَٱلصَّابِرِينَ عَلَىٰ مَا أَصَابَهُمْ وَٱلْمُقِيمِي ٱلصَّلَوٰةِ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ . وَٱلْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُم مِّن شَعَائِرِ ٱللهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ فَٱذْكُرُوا ٱسْمَ ٱللهِ عَلَيْهَا صَوَافَّ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا ٱلْقَانِعَ وَٱلْمُعْتَرَّ كَذٰلِكَ سَخَّرْنَاهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ . لَن يَنَالَ ٱللهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْ كَذٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا ٱللهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ وَبَشِّرِ ٱلْمُحْسِنِينَ » .

« ولكل امة » من القوى « جعلنا » عبادة مخصوصة بها « ليذكروا اسم الله » بالاتصاف بصفاته ، التي هي مظاهرها في التوجه الى التوحيد . « على ما رزقهم من » الكمال بواسطة « بهيمة » النفس ، التي هي من جملة «الانعام» أي ، النفوس السليمة « فإلهكم إله واحد » فوحدوه بالتوجه نحوه ، من غير التفات الى غيره ، وخصّصوه بالانقياد والطاعة ، ولاتنقادوا الإله « وبشر » المنكسرين ، المتذللين ، القابلين لفيضه .

« الذين اذا ذكر الله » بالحضور « وجلت قلوبهم » انفعلت، لقبول فيضه « والصابرين » الثابتين « على مـــا اصابهم » من المخالفات ، والمجاهدات « والمقيمي » صلاة المشاهدة « وممـــا رزقناهم » من الفضائل ، والكمالات « ينفقون » بالفنـــاء في الله ، والإفاضة على المستعدين « والبدن » . أي ، النفوس الشريفة ، العظيمة القدر « جعلناها » من الهدايا المعلمة لله « لكم فيها خـير » سعادة وكمال « فاذكروا اسم الله عليها » بالإتصاف بصفاته ، وإفناء صفاتكم فيه ، وذلك هو النحر في سبيل الله « صواف » قائمات بما فرض الله عليها ، مقيدات بقيود الشريعة ، وآداب الطريقة ، واقفات عـن حركاتها ، واضطراباتها « فإذا » سقطت عن هواها ، الذي هو حياتها وقوّتها التي بهـا تستقل وتضطرب، بقتلها في الله « فكلوا » استفيدوا من فضائلها ، وأفيدوا المستعدين ، والطالبين المتعرضين للطلب، من المريدين « كذلك سخرناها لكم » بالرياضة « لعلكم تشكرون » نعمة الاستعداد، والتوفيق باستعمالها ، في سبيل الله « لن ينال الله » لحوم فضائلها وكمالاتها ، ولا إفناؤها بإزالة أهوائها ، التي هي دماؤها « ولكن يناله » التجرّد « منكم » عنها ، وعن صفاتها . فـإن سبب الوصول هو التجرّد، والفناء في الله، لا حصول الفضائل مكان الرذائل . مثل ذلك التسخير بالرياضة « سخرها لكم لتكبروا الله » بالفناء فيـه عنها ،

وعن كل شيء ، على النحو الذي هداكم اليه بالتجريد ، والتفريد ، والسلوك في الطريقة الى الحقيقة . « وبشر المحسنين » الشاهدين في العبودية عن البقاء والفناء ، حال الاستقامة ، والتمكين .

« إِنَّ ٱللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ . أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ . ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا ٱللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ ٱللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ . ٱلَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا ٱلصَّلَوٰةَ وَآتَوُا ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ ٱلْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ ٱلْأُمُورِ » .

« إن الله يدافع » ظلمة القوى النفسانية بالتوفيق « عن الذين آمنوا » من القوى الروحانية « إن الله لا يحب كل خوّان » من القوى التي لم تؤد أمانة الله ، من كالها المودع فيها ، بالطاعة فيها ، وخانت القلب بالغدر ، وعدم الوفاء بالعهد « كفور » باستعمال نعمة الله في معصيته .

« اذن للذين يقاتلون » الوهم ، والخيال ، وغيرهما من القوى الروحانية ،

/المجاهدين مع القوى النفسانية ، بسبب أنهم « ظلموا » باستيلاء صفات النفس، واستعلائها « الذين » أي ، المظلومين ، الذين « أخرجوا » من مقارّهم ، ومناصبهم باستخدامها ، واستبعادها في طلب الشهوات ، واللذات البدنية « بغير حق » لهم ، عليهم موجب لذلك ، إلا للتوحيد ، الموجب للتعظيم ، والتمكين ، والتوجه الى الحق ، والإعراض عن الباطل .

« ولولا دفع الله » ناس القوى النفسانية « بعضهم ببعض » كدفع الشهوانية بالغضبية ، وبالعكس ، أو ناس القوى مطلقاً ، كدفع النفسانية بالروحانية ، ودفع الوهمية بالعقلية ، والنفسانية بعضها ببعض ، كما ذكر « لهدمت صوامع » رهبان السر ، وخلواتهم « وبيع » نصارى القلب ، ومحال تجلياتهم (وصلوات) يهود الصدر ، ومتعبداتهم (ومساجد) مؤمني الروح، ومقامات مشاهداتهم، وفنائهم في الله (يذكر فيها اسم الله) الأعظم، بالتخلق بأخلاقه ، والاتصاف بصفاته ، والتحقق بأسراره ، والفناء في ذاته « ولينصرن الله » يقهر بنوره من بارزه بوجوده ، وظهوره « عزيز » يغلب من مائله باستعلائه ، وجبروته .

« الذين إن مكنّاهم في الأرض » بالاستقامة بالوجود الحقاني « أقاموا » صلاة المراقبة والمشاهدة « وآتوا » زكاة العلوم الحقيقية ، والمعارف اليقينية، من نصاب المكاشفة ، مستحقيها من الطلبة « وأمروا » القوى النفسانية ، والنفوس الناقصة « بالمعروف » من الأعمال الشرعية ، والأخلاق المرضية ، في مقام المشاهدة ، ونهوهم « عن المنكر » من الشهوات البدنية ، واللذات الحسية ، والرذائل المردية ، والمعاملة « ولله عاقبة الأمور » بالرجوع اليه ..

« وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودُ. وَقَوْمُ إِبْرَاهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ. وَأَصْحَابُ مَدْيَنَ وَكُذِّبَ مُوسَى فَأَمْلَيْتُ لِلْكَافِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ. فَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَشِيدٍ. أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ. وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ. وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا وَإِلَيَّ الْمَصِيرُ. قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ. فَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ. وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ. وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ. لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ».

الفرق بين النبي والرسول ، أن النبي هو الواصل بالفناء في مقام الولاية ، الراجع بالوجود الموهوب الى مقام الاستقامة ، متحققاً بالحق ، عارفاً به ، متنبئاً عنه ، وعن ذاته ، وصفاته ، وأفعاله ، وأحكامه بأمره ؛ مبعوثاً للدعوة اليه على شريعة المرسل الذي تقدّمه ، غير مشرّع لشريعة ، ولا واضع لحكم وملة ؛ مظهراً للمعجزات ، منذراً ومبشراً للناس ؛ كأنبياء بني إسرائيل ، اذ كلهم كانوا داعين الى دين موسى عليه السلام ، غير واضعين لملة وشريعة ، ومن كان ذا كتاب كداود عليه السلام ، كان كتابه حاوياً المعارف ، والحقائق ، والمواعظ ؛ دون الأحكام والشرائع .

ولهذا قال عليه السلام : (علماء أمتي كأنبياء بني إسرائيل) وهم الأولياء العارفون ، المتمكنون . والرسول ، هو الذي يكون له مع ذلك كله وضع شريعة ، وتقنين ؛ فالنبي متوسط بين الوليّ والرسول « اذا تمنى » ظهرت نفسه بالتمني ، في مقام التلوين « ألقى الشيطان » في وعاء « أمنيته » ما يناسبها ، لأن ظهور النفس يحدث ظلمة وسواداً في القلب ، يحتجب بها الشيطان ، ويتخذها محل وسوسته ، وقالب القائه بالتناسب « فينسخ الله ما يلقي الشيطان » بإشراق نور الروح على القلب ، بالتأييد القدسي ، وازالة ظلمة ظهور النفس وقمعها ، ليظهر فساد ما يلقيه ، ويتميز منه الإلقاء الملكي ، فيضمحل ، ويستقر الملكي .

« ثم يحكم الله آياته » بالتمكين « والله عليم » يعلم الالقاءات الشيطانية ، وطريق نسخها من بين وحيه « حكيم » يحكم آياته بحكمته ، ومن مقتضيات حكمته أنه يجعل الإلقاء الشيطاني فتنة ، للشاكين المنافقين ، المحجوبين ، القاسية قلوبهم عن قبول الحق ، وابتلاءهم لازدياد شكهم وحجابهم به ، فإنهم بمناسبة نفوسهم الظلمانية ، وقلوبهم المسودّة القاسية ، لا يقبلون إلا ما يلقي الشيطان ؛

كما قال تعالى : « هل أنبئكم على من تنزل الشياطين تنزل على كلّ افاك أثيم » وانهم لفي خلاف بعيد عن الحق ، فكيف يقبلونه ؟

« وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا ٱلْعِلْمَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِنْ رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ آمَنُوا إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ . وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا فِي مِرْيَةٍ مِّنْهُ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ . ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فَٱلَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّالِحَاتِ فِي جَنَّاتِ ٱلنَّعِيمِ . وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ . وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوا أَوْ مَاتُوا لَيَرْزُقَنَّهُمُ ٱللَّهُ رِزْقاً حَسَنًا وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّازِقِينَ . لَيُدْخِلَنَّهُمْ مُّدْخَلاً يَرْضَوْنَهُ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ . ذَٰلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لَيَنْصُرَنَّهُ ٱللَّهُ إِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ » .

« وليعلم الذين أوتوا العلم » من أهل اليقين والمحققين ، أن تمكن الشيطان من الإلقاء ، هو الحكمة ، والحق من ربك على قضية العدل ، والمناسبة « فيؤمنوا به » بأن يروا الكل من الله فتطمئن له قلوبهم ، بنور السكينة ،

والإستقامة الموجبة لتمييز الإلقاء الشيطاني، من الرحماني «وإنّ الله» لهاديهم الى طريق الحق والاستقامة، فلا تزلّ أقدامهم بقبول ما يلقي الشيطان، ولا تقبل قلوبهم إلا ما يلقي الرحمن لصفائها، وشدة نوريتها، وضيائها «ولا يزال» المحجوبون، في شك منه «حتّى» تقوم عليهم القيامة الصغرى «أو يأتيهم عذاب» وقت هائل، لا يعلم كنهه، ولا يمكن وصفه، من الشدة، أو وقت لا مثل له في الشدة، أو لا خير فيه.

«الملك يومئذ» اذ وقع العذاب، وقامت القيامة «لله» لا يمنعهم منه أحد، اذ لا قوة، ولا قدرة ولا حكم، لغيره يفصل «بينهم» فالمؤمنون، العاملون بالإستقامة، والعدالة «في جنات» الصفات، يتنعمون؛ والمحجوبون عن الذات، والمكذبون بالصفات بنسبتها الى الغير، في عذاب مهين، من صفات النفوس، والهيئات، لاحتجابهم عن عزة الله وكبريائه، وصيرورتهم في ذل قهره.

«والذين هاجروا» عن مواطن النفوس، ومقارها السفلية «في سبيل الله ثمّ قتلوا» بسيف الرياضة، والشوق «أو ماتوا» بالإرادة، والذوق «ليرزقهم الله» من علوم المكاشفات، وفوائد التجليات «رزقاً حسناً» وليدخلنهم مقام الرضا «وإنّ الله لعليم» بدرجات استعداداتهم، واستحقاقاتهم، وما يجب أن يفيض عليهم من كمالاتهم «حليم» لا يعاجلهم بالعقوبة في فرطاتهم في التلوينات، وتفريطاتهم في المجاهدات، فيمنعهم ممّا تقتضيه أحوالهم، ليمكنهم قبولهم ذلك؛ من راعي طريق العدالة في المكافات بالعقوبة، ثم مال الى الإنظلام، لا الى الظلم، لوجب في حكمة الله تأييده بالامدادات الملكوتية، ونصرته بالأنوار الجبروتية؛ فإن الاحتياط في باب العدالة، هو الميل الى الإنظلام، لا الى الظلم. قال النبي عليه السلام:

(كن عبداً لله المظلوم ، ولا تكن عبداً لله الظالم) « ان الله لعفو » يأمر بالعفو ، وترك المعاقبة « غفور » يغفر لمن لا يقدر على العفو .

« ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيْلِ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ . ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَاطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ . أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَتُصْبِحُ ٱلْأَرْضُ مُخْضَرَّةً إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ . لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ . أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلْأَرْضِ وَٱلْفُلْكَ تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ . وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ إِنَّ ٱلْإِنسَانَ لَكَفُورٌ . لِّكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ فَلَا يُنَازِعُنَّكَ فِي ٱلْأَمْرِ وَٱدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدًى مُّسْتَقِيمٍ . وَإِن جَٰدَلُوكَ فَقُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ . ٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ . أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّ ذَٰلِكَ فِي كِتَٰبٍ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ . وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَمَا لَيْسَ لَهُم بِهِۦ عِلْمٌ

وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَّصِيرٍ . وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ تَعْرِفُ
فِي وُجُوهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا ٱلْمُنكَرَ يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِٱلَّذِينَ
يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا قُلْ أَفَأُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِّنْ ذَٰلِكُمُ ٱلنَّارُ وَعَدَهَا
ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ . يَا أَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ
فَٱسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ ٱللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَاباً
وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْئاً لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ
ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ . مَا قَدَرُوا ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ ٱللَّهَ
لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ . ٱللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ ٱلْمَلَٰئِكَةِ رُسُلاً وَمِنَ ٱلنَّاسِ إِنَّ
ٱللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ . يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَإِلَى ٱللَّهِ
تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ . يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا ٱرْكَعُوا وَٱسْجُدُوا
وَٱعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُوا ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ . وَجَاهِدُوا
فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ ٱجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ
مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ
وَفِي هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيداً عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ
عَلَى ٱلنَّاسِ فَأَقِيمُوا ٱلصَّلَوٰةَ وَآتُوا ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعْتَصِمُوا بِٱللَّهِ هُوَ
مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ » .

« ذلك » الغفران ، عند ظهور النفس في المعاقبة ، أو التأييد ، والنصر ، عند رعاية العدالة فيها ، مع الإنظلام في الكرّة الثانية ، بسبب « أنّ الله يولج » ليل ظلمة النفس ، في نور نهار القلب ، بحركتها واستيلائها عليه ، فينبعث الى المعاقبة « ويولج » نور نهـار القلب ، في ظلمة النفس ، فيعفو ؛ وكل بتقديره ، وتصريف قدرته « وأن الله سميع » لنياتهم « بصير » بأعمالهم ، يعاملم على حسب أحوالهم .

« ما قدروا الله حق قدره » أي ، مـا عرفوه حق معرفته ، اذ نسبوا التأثير الى غيره ، وأثبتوا وجوداً لغيره ؛ اذ كل عارف به لا يعرف منه ، إلا ما وجد في نفسه من صفاته ، ولو عرفوه حق معرفته ، لكانوا فانين فيه ، شاهدين لذاته وصفاته ، عالمين أن ما عداه ممكن ، موجود بوجوده ، قادر بقدرته لا بنفسه ، فكيف له وجود وتأثير؟ « انّ الله لقويّ » يقهر ما عداه ، بقوة قهره ، فيفنيه ، فلا وجود ، ولا قوّة له « عزيز » يغلب كل شيء فلا قدرة له .

« يا أيها الذين آمنوا » الايمان اليقيني « اركعوا » بفنـاء الصفات « واسجدوا » بفناء الذات « واعبدوا ربّكم » في مقام الاستقامة بالوجود الموهوب ، فإن من بقي منه بقية ، لم يمكنه أن يعبد الله حق عبـادته ، اذ العبادة ، انما تكون بقدر المعرفة « وافعلوا الخـير » بالتكميل ، والإرشاد « لعلّكم تفلحون » بالنجاة من وجود البقية ، والتلوين « وجـاهدوا في الله حقّ جهاده » أي ، بالغوا في العبودية حتى لا تكون بأنفسكم وأنائيتكم ، وهو المبالغة في التحذير عن وجود التلوين ، لأن من نبض منه عرق الانائية لم يجاهد في الله حق جهاده ؛ اذ حق الجهاد فيه ، هو الفناء بالكلية ؛ بحيث لا عين له ، ولا أثر . وذلك هو الإجتهاد في ذاته « هو اجتباكم » بالوجود الحقاني لا غيره ،

فلا تلتفتوا الى غيره ، بظهور أنانيتكم « وما جعل عليكم في » دينه « من حرج » من كلفة ، ومشقة في العبادة ، فإنه ما دامت النفس باقية ، أو يجد العابد من القلب والروح بقية ، ولم يستقم بنور التوحيد ، ولم يستحكم مقام التفريد، لم يكن في العبادة روح تام، وذوق عام، ولا يخلو من حرج وضيق، وكلفة ، ومشقة .

وأما إذا تمكن في الإستقامة ، وتصفى في المحبة التامة ، وجد السعة ، والروح « ملة » أي ، أعني ، وأخص ملة « ابيكم » الحقيقي « ابراهيم » التي هي التوحيد المحض ، ومعنى أبوّته كونه مقدّماً في التوحيد ، مفيضاً على كل موحد ، فكلهم من أولاده « هو » أي ، ابراهيم ، أو الله تعالى « سماكم المسلمين » الذين اسلموا ذواتهم الى الله بالفناء فيه ، وجعلكم علماء في الإسلام أوّلاً وآخراً ، وهو معنى قوله : « من قبل وفي هذا ليكون الرسول شهيداً عليكم » بالتوحيد ، رقيباً يحفظكم في مقامه بالتأييد ، حتى لا تظهر منكم بقية «وتكونوا شهداء على الناس» بتكميلهم ، مطلعين على مقاماتهم ومراتبهم، تفيضون عليهم أنوار التوحيد ، إن قبلوا .

« فأقيموا » صلاة الشهود الذاتي ، فانكم على خطر لشرف مقامكم ، وعز مرامكم « وآتوا الزكوة » بافاضة الفيض على المستعدين ، وتربية الطالبين المستبصرين ، فإنه شكر حالكم ، وعبادة مقامكم « واعتصموا » في ذلك الإرشاد « بالله » بأن لا تروه من أنفسكم ، وتكونوا به متخلقين بأخلاقه « هو مولاكم » في مقام الإستقامة بالحقيقة ، وناصركم في الإرشاد بدوام الأمداد « فنعم المولى ونعم النصير » وهو الموفق .

سورة المؤمنون

بسم الله الرحمن الرحيم

« قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ . أَلَّذِينَ هُمْ فِي صَلوٰتِهِمْ خَاشِعُونَ . وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ . وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكوٰةِ فَاعِلُونَ . وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ . إِلاَّ عَلى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ . فَمَنِ ٱبْتَغَى وَرَاءَ ذٰلِكَ فَأُولٰئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ . وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ . وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ . أُولٰئِكَ هُمُ ٱلْوَارِثُونَ . أَلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ » .

« قد أفلح » دخل في الفوز الأعظم ، الموقنون « الذين هم » في صلاة حضور القلب « خاشعون » باستيلاء الخشية والهيبة عليهم ، لتجلي نور العظمة لهم « والذين هم عن اللغو » أي ، الفضول « معرضون » لاشتغالهم

بالحق. «والذين هم للزكاة فاعلون» بالتجرّد عن صفاتهم «والذين هم لفروجهم» وأسباب لذاتهم، وشهواتهم «حافظون» بترك الحظوظ، والإقتصار على الحقوق «فمن ابتغى وراء ذلك» بالميل الى الحظوظ «فأولئك هم» المرتكبون العدوان على أنفسهم «والذين هم لاماناتهم» من أسراره، التي أودعهم الله اياها في سرهم «وعهدهم» الذي عاهدهم الله عليه،في بدء الفطرة «راعون» بالاداء اليه، والإحياء بـــه «والذين هم على» صلاة مشاهدة أرواحهم «يحافظون أولئك» الموصوفون، بهذه الصفات «هم الوارثون الذين يرثون» فردوس جنة الروح، في حظيرة القدس.

« وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِّنْ طِينٍ. ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ. ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَاماً فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَامَ لَحْماً ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَالِقِينَ. ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ. ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تُبْعَثُونَ. وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ ٱلْخَلْقِ غَافِلِينَ. وَأَنْزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي ٱلْأَرْضِ وَإِنا عَلَى ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ. فَأَنْشَأْنَا لَكُمْ بِهِ جَنَّاتٍ مِّنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ لَكُمْ فِيهَا فَوَاكِهُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ. وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِنْ طُورِ

سَيْنَاءَ تَنبُتُ بِالدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِّلْآكِلِينَ . وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ . وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ » .

« ثم أنشأناه خلقاً آخر » غير هذا المتقلب في أطوار الخلقة ، بنفخ روحنا فيه ، وتصويره بصورتنا ، فهو في الحقيقة خلق ، وليس بخلق « لميتون » بالطبيعة « ثم انكم يوم القيامة » الصغرى « تبعثون » في النشأة الثانية . او ميتون بالإرادة ، ويوم القيامة الوسطى تبعثون بالحقيقة ، او ميتون بالفناء ، ويوم القيامة الكبرى تبعثون بالبقاء ؟ « فوقكم » أي ، فوق صوركم ، وأجسامكم « سبع طرائق » عن الغيوب السبعة المذكورة « وما كنا » عن خلقها « غافلين » فإن الغيب ، لنا شهادة .

« وأنزلنا » من سماء الروح ، ماء العلم اليقيني « فأسكناه » فجعلناه سكينة في النفس « وأنا على ذهاب به لقادرون » بالإحتجاب والإستتار « فأنشأنا لكم به جنات » من نخيل الاحوال ، والمواهب ، وأعناب الاخلاق والمكاسب « لكم فيها فواكه كثيرة » من ثمرات لذات النفوس ، والقلوب ، والأرواح « ومنها » تقوتون ، وبها تتقون « وشجرة » التفكر « تخرج من طور » الدماغ ، او طور القلب الحقيقي ، بقوّة العقل « تنبت » ما تنبت من المطالب ، ملتبساً بدهن استعداد الاشتعال ، بنور نار العقل الفعال « وصبغ » لون نوريّ ، او ذوق حاليّ المستبصرين ، المتعلمين ، المستطعمين المعاني .

« وإن لكم في » انعام القوى الحيوانية « لعبرة » تعتبرون بها، من الدنيا الى الآخرة « نسقيكم مما في بطونها » من المدركات ، والعلوم النافعة « ولكم فيها منافع كثيرة » في السلوك « ومنها تأكلون » تتقوتون بالاخلاق « وعليها وعلى » فلك الشريعة الحاملة إياكم في البحر الهيولاني « تحملون » الى عالم القدس ، بقوة التوفيق .

« وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحاً إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ ٱعْبُدُوا ٱللَّهَ مَا لَكُمْ مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ . فَقَالَ ٱلْمَلَؤُا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا هَـٰذَا إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَنْ يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَاءَ ٱللَّهُ لَأَنْزَلَ مَلَـٰئِكَةً مَّا سَمِعْنَا بِهَـٰذَا فِي آبَائِنَا ٱلْأَوَّلِينَ . إِنْ هُوَ إِلاَّ رَجُلٌ بِهِ جِنَّةٌ فَتَرَبَّصُوا بِهِ حَتَّى حِينٍ . قَالَ رَبِّ ٱنْصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونِ . فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنِ ٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا فَإِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ فَٱسْلُكْ فِيهَا مِنْ كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلاَّ مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ مِنْهُمْ وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُّغْرَقُونَ . فَإِذَا ٱسْتَوَيْتَ أَنْتَ وَمَنْ مَّعَكَ عَلَى ٱلْفُلْكِ فَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي نَجَّانَا مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّالِمِينَ . وَقُلْ رَّبِّ أَنْزِلْنِي مُنْزَلاً مُّبَارَكاً وَأَنْتَ خَيْرُ ٱلْمُنْزِلِينَ . إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ وَإِنْ كُنَّا لَمُبْتَلِينَ . ثُمَّ أَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ

قَرْنًا آخَرِينَ . فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ . وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِلِقَاءِ الْآخِرَةِ وَأَتْرَفْنَاهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَا هَٰذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ . وَلَئِنْ أَطَعْتُمْ بَشَرًا مِّثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَاسِرُونَ . أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنتُمْ تُرَابًا وَعِظَامًا أَنَّكُمْ مُّخْرَجُونَ . هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ . إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ . إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا وَمَا نَحْنُ لَهُ بِمُؤْمِنِينَ . قَالَ رَبِّ انصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونِ . قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ لَّيُصْبِحُنَّ نَادِمِينَ . فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ بِالْحَقِّ فَجَعَلْنَاهُمْ غُثَاءً فَبُعْدًا لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ » .

«فأوحينا اليه أن اصنع» فلك الحكمة العملية، والشريعة النبوية «بأعيننا» على محافظتنا إياك عن الزلل في العمل « ووحينا » بالعلم ، والإلهام « فإذا جاء أمرنا » باهلاك القوى البدنية ، والنفوس المنغمسة المادية « وفار » تنور البدن ، باستيلاء المواد الفاسدة ، والأخلاط الرديئة « فاسلك فيها من كل زوجين » أي ، من كل شيء صنفين من الصور الكلية والجزئية، أعني صورتين اثنتين ، احداهما كليـة نوعية . والأخرى جزئية شخصية « وأهلك » من القوى الروحانية ، والنفوس المجرّدة الانسانية ، ممن تشرّع بشريعتك « إلا

من سبق عليه القول » باهلاكه من زوجتك ، النفس الحيوانية ، والطبيعة الجسمانية « ولا تخاطبني في الذين ظلموا » من القوى النفسانية ، والنفوس المنغمسة الهيولانية ، بالاستيلاء على القوى الروحانية ، والنفوس المجرّدة الانسانية ، وغصب مناصبهم « انهم مغرقون » في البحر الهيولاني « فإذا استويت » بالاستقامة في السير الى الله ، فاتصف بصفات الله التي هي الحمد القلبي ، على نعمة الانجاء من ظلمة الجنود الشيطانية .

« وقل ربّ أنزلني منزلاً مباركاً » هو مقام القلب ، الذي بارك الله فيه بالجمع بين العالمين ، وإدراك المعاني الكلية ، والجزئية ، وأمنه من طوفان بحر الهيولى ، وطغيان مائه « إن في ذلك لآيات » دلائل ومشاهدات ، لأولي الألباب « وإن كنا » ممتحنين إياهم ببليات صفات النفوس ، والتجريد عنها بالرياضة ، او ممتحنين العقلاء بالاعتبار بأحوالهم عند الكشف عن حالاتهم ، وحكاياتهم .

« ثُمَّ أَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قُرُوناً آخَرِينَ . مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَأْخِرُونَ . ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا كُلَّمَا جَاءَ أُمَّةً رَسُولُهَا كَذَّبُوهُ فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُمْ بَعْضاً وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ فَبُعْداً لِقَوْمٍ لا يُؤْمِنُونَ . ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَى وَأَخَاهُ هرُونَ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ . إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَائِهِ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْماً عَالِينَ . فَقَالُوا أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَابِدُونَ . فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُوا

مِنَ ٱلْمُهْلَكِينَ . وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَابَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ . وَجَعَلْنَا ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً وَآوَيْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ . يَا أَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُوا مِنَ ٱلطَّيِّبَاتِ وَٱعْمَلُوا صَالِحاً إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ . وَإِنَّ هٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ . فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُراً كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ . فَذَرْهُمْ فِي غَمْرَتِهِمْ حَتَّى حِينٍ . أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُمْ بِهِ مِنْ مَالٍ وَبَنِينَ . نُسَارِعُ لَهُمْ فِي ٱلْخَيْرَاتِ بَلْ لَا يَشْعُرُونَ . إِنَّ ٱلَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ . وَٱلَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ . وَٱلَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ . وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ . أُولٰئِكَ يُسَارِعُونَ فِي ٱلْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ » .

« ثم أنشأنا من بعدهم قروناً آخرين » في النشأة الثانية « وجعلنا ابن مريم » القلب « وأمه » النفس المطمئنة « آية » واحدة ، باتحادهما في التوجه ، والسير الى الله ، وحدوث القلب منها عند الترقي « وآويناهما الى ربوة » مكان مرتفع ، بترقي القلب الى مقام الروح ، وترقي النفس الى مقام القلب « ذات » استقرار

وثبات ، وتمكن ، يستقرّ فيها لخصبها « ومعين » وعـلم يقين ، مكشوف ظاهر .

« أيحسبون انما نمدهم بـه من مال وبنين نسارع لهم في الخيرات » أي ، ليس التمتيع باللذات الدنيوية ، والامداد بالحظوظ الفانية ، هو مسارعتنا لهم في الخيرات كما حسبوا ، إنما المسارعة فيها هو التوفيق لهذه الخيرات الباقية ، وهي الاشفاق بالانفعال ، والقبول من شدة الخشية ، عند تجـلي العظمة ، والإيقان العيني بآيات تجلي الصفات الربانية ، والتوحيد الذاتي بالفناء في الحق ، والقيام بهداية الخلق ، وأعطاء كالاتهم في مقـام البقاء ، مع الخشية من ظهور البقية ، في الرجوع الى عـالم الربوبية ، من الذات الاحدية ، وهو السبق في الخيرات ، وإليها ولها .

« وَلَا نُكَلِّفُ نَفساً إلاَّ وُسْعَهَا وَلَدَيْنَا كِتَابٌ يَنطِقُ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ . بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمْرَةٍ مِّنْ هٰذَا وَلَهُمْ أَعْمَالٌ مِّنْ دُونِ ذٰلِكَ هُمْ لَهَـا عَامِلُونَ . حَتَّى إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِمْ بِٱلْعَـذَابِ إِذَا هُمْ يَجْئَرُونَ . لَا تَجْئَرُوا ٱلْيَوْمَ إِنَّكُمْ مِّنَّـا لَا تُنْصَرُونَ . قَـدْ كَانَتْ آيَاتِي تُتْلَى عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ عَلى أَعْقَابِكُمْ تَنْكِصُونَ . مُسْتَكْبِرِينَ بِـهِ سَامِراً تَهْجُرُونَ . أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا ٱلْقَوْلَ أَمْ جَاءَهُمْ مَّا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ ٱلْأَوَّلِينَ . أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُ مُنْكِرُونَ . أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّـةٌ بَلْ جَاءَهُمْ

بِالْحَقِّ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ . وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمٰوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ بَلْ أَتَيْنَاهُمْ بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَنْ ذِكْرِهِمْ مُعْرِضُونَ . أَمْ تَسْئَلُهُمْ خَرْجاً فَخَرَاجُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ . وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ . وَإِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ عَنِ الصِّرَاطِ لَنَاكِبُونَ . وَلَوْ رَحِمْنَاهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِمْ مِنْ ضُرٍّ لَلَجُّوا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ . وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ . حَتَّى إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَاباً ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ . وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلاً مَا تَشْكُرُونَ . وَهُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ . وَهُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ وَلَهُ اخْتِلَافُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ . بَلْ قَالُوا مِثْلَ مَا قَالَ الْأَوَّلُونَ . قَالُوا ءَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَاباً وَعِظَاماً ءَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ . لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا هٰذَا مِنْ قَبْلُ إِنْ هٰذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ . قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ . سَيَقُولُونَ لِلّٰهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ . قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمٰوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ .

سَيَقُولُونَ لِلهِ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ . قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ . سَيَقُولُونَ لِلهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ . بَلْ أَتَيْنَاهُمْ بِالْحَقِّ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ . مَا اتَّخَذَ اللهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَٰهٍ إِذًا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللهِ عَمَّا يَصِفُونَ . عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ . قُلْ رَبِّ إِمَّا تُرِيَنِّي مَا يُوعَدُونَ . رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِي فِي الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ . وَإِنَّا عَلَى أَنْ نُرِيَكَ مَا نَعِدُهُمْ لَقَادِرُونَ » .

« ولا نكلف نفساً إلا وسعها » أي، لا نكلف كلّ احد بمقامات السابقين فإنها مقامات لا يبلغها إلا الافراد . كما قيل : (جلّ جناب الحق أن يكون شريعة لكل وارد ، أو يطلع عليه إلا واحد بعد واحد ، بل كل مكلف بما يقتضيه استعداده بهويته ، من كماله اللائق به ، وهو غاية وسعه) .

« ولدينا كتاب » هو اللوح المحفوظ ، او أمّ الكتاب « ينطق » بمراتب استعداد كل نفس ، وحدود كمالاتها ، وغاياتها ، وما هو حق كل منها « وهم لا يظلمون » بمنعهم عنه ، وحرمانهم ، إذا جاهدوا فيه ، وسعوا في طلبه ، بالرياضة ، بل يعطى كل ما أمكنه الوصول اليه ، وما يشتاقه في السلوك اليه ، « بل » قلوب المحجوبين « في غمرة » غشاوات الهيولى ، وغفلة غامرة « من هذا » السبق ، وطلب الحق « ولهم أعمال » على خلاف ذلك موجبة للبعد

عن هذا الباب ، وتكاثف الحجاب . أي كما إن أعمال السابقين موجبة للترقي في التنوّر ، كشف الغطاء ، والوصول الى الحق ، فأعمالهم موجبة للتسفل والتكدر ، وغلظ الحجاب ، والطرد عن باب الحق . لكونها في طلب الدنيا وشهواتها، وهوى النفس ولذاتها، « هم لها عاملون » دائبون عليها مواظبون.

وكلما سمعوا ذكر الآيات والكمالات ، ازدادوا عتوّاً ، وإنهماكاً ، في الغي ، واستكباراً وتعمقاً في الباطل ، وهو النكوص على الأعقاب الى مهاوى جحيم الطبيعة .

ولما أبطلوا استمداداتهم ، وأطفأوا أنوارها بالرين والطبع ، على مقتضى قوى النفس والطبع، واشتد احتجابهم بالغواشي الهيولانية،والهيئات الظلمانية عن نور الهدى والعقل ، لم يمكنهم تدبر القول ، ولم يفهموا حقائق التوحيد والعدل ، فنسبوه الى الجنة ، ولم يعرفوه للتقابل بين النور والظلمة ، والتضاد بين الباطل والحق، وانكروه. وكرهوا الحق الذي جاء به «ولو اتبع الحق» الذي هو التوحيد والعدل ، أي الدعوة الى الذات والصفات « أهواءهم » المتفرقة في الباطل ، الناشئة من النفوس الظالمة المظلمة ، المحتجبة بالكثرة عن الوحدة ، لصار باطلاً ، لانعدام العدل الذي قامت به السموات والارض ، والتوحيد الذي قامت به الذوات المجرّدة ، إذ بالوحدة بقاء حقائق الاشياء ، وبظلها الذي هو العدل ، ونظام الكثرات، قوام الارض والسماء ، فلزم فساد الكل .

الصراط المستقيم الذي يدعوهم اليه ، هو طريق التوحيد المستلزم لحصول العدالة في النفس ، ووجود المحبة في القلب ، وشهود الوحدة في الروح ، والذين يحتجبون عن عالم النور بالظلمات ، وعن العقل بالحس ، وعن القدس

بالرجس ، إنمـــا هم منهمكون في الظلم والبغضاء ، والعداوة والركون الى الكثرة ، فلا جرم أنهم عن الصراط ناكبون ، منحرفون الى ضدّه ، فهو في واد ، وهم في واد .

« إدْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةَ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَــا يَصِفُونَ . وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ . وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ . حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ . لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحاً فِي مَا تَرَكْتُ كَلاَّ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ . فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ . فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَـئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ . وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَـئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ . تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ النَّارُ وَهُمْ فِيهَــا كَالِحُونَ . أَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُتْلَى عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ . قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْماً ضَالِّينَ . رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ . قَالَ اخْسَؤُا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ . إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَـا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَــا

وَٱرْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّاحِمِينَ . فَٱتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيّاً حَتَّى أَنسَوْكُمْ ذِكْرِي وَكُنتُمْ مِّنْهُمْ تَضْحَكُونَ . إِنِّي جَزَيْتُهُمُ ٱلْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ ٱلْفَائِزُونَ . قَالَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِي ٱلْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ . قَالُوا لَبِثْنَا يَوْماً أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَسْئَلِ ٱلْعَادِّينَ . قَالَ إِنْ لَّبِثْتُمْ إِلاَّ قَلِيلاً لَوْ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ . أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثاً وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ . فَتَعَالَى ٱللهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ لَا إِلٰهَ إِلاَّ هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ . وَمَنْ يَدْعُ مَعَ ٱللهِ إِلٰهاً آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِندَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَافِرُونَ . وَقُلْ رَّبِّ ٱغْفِرْ وَٱرْحَمْ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّاحِمِينَ » .

« ادفع بالتي هي أحسن السيئة » أي ، إذا قابلك أحد بسيئة ، فتثبت في مقام القلب ، وانظر أي الحسنات أحسن في مقابلتها ، لتنقمع بها نفس صاحبك وتنكسر ، فترجع عن السيئة وتندم ، ولا تدع نفسك تظهر وتقابله بمثلها ، فتزداد حدة نفسه وثورتها ، وتزيد في السيئة ، فانك ان قابلته بحسن الحسنات ملكت نفسك ، وغلبت شيطانك ، وثبت قلبك ، واستقمت على ما أمرك الله به ، وحصّلت على فضيلة الحلم ، وتمكنت على مقتضى العلم ، واستقررت في طاعة الرحمن ، ومعصية الشيطان ، وأضفت الى حسنتك

إصلاح نفس صاحبك وملكتها ، إن كان فيـــه أدنى مسكة ، وقوّمتها وشددتها ؛ وتلك حسنة أخرى لك ، فكنت حائزاً للحسنيين ؛ وان عكست كنت جامعاً للسوأيين « نحن أعلم بما يصفون » أي ، كل المسيء الى علم الله ، واعلم ان الله عــالم به فيجازيه عنك ، ان كان مستحقاً للعقوبة ، وهو أقدر منك عليه ، أو يعفو عنه إن أمكن رجوعه وعلم صلاحه بالعفو عنه .

واستعذ بالله من ثورة الغضب ، وظهور النفس بنخس الشيطان . وهمزه اياها ، ومن حضوره وقربه ؛ أي ، توجـه الى ربك مستعيذاً به ، قائلا : « ربّ أعوذ بك » منخرطاً في سلك التوجه الى جنابه بالقلب ، واللسان ، والاركان ، لائذاً ببابه من تحريضات اللعـــين وذواعيه وحضوره ، فيصير مقهوراً مرجوماً مطروداً .

والموصوف بالسيئة الواصف لك بهـا ، الذاكر لك بالسوء ، إن بقي على حـــاله حتى إذا احتضر ، وشاهد امارات العذاب ، وعاين وحشة هيئات السيئات ، تمنى الرجوع ، وأظهر الندامة ، ونذر العمـــل الصالح في الايمان الذي ترك ، ولم يحصل إلا على الحسرة والندامة ، والتلفظ بألفـاظ التحسر والندم ، والدعوة دون المنفعة ، والفائدة والإجابة .

« ومن ورائهم » أي ، أمام رجوعهم، حائل من هيئات جرمانية ظلمانية مناسبة لهيئات سيئاتهم من الصور المعلقة ، مانعة من الرجوع الى الحق ، والى الدنيا ، وهو البرزخ بـــين بحري النور والظلمة ، وعالم الأرواح المجرّدة ، والأجساد المركبة ، يتعذبون فيـــه بأشد أنواع العذاب ، وأفحش أصناف العقاب، الى وقت البعث في الصورة الكثيفة ، عند النفخ في الصور ، ووقوع القيامة ، وحشر الأجساد ، وحينئذ « فلا انساب بينهم » لاحتجاب بعضهم

عن بعض ، بالهياكل المناسبة لأخلاقهم ، وأعمالهم ، وهيئاتهم الراسخة في نفوسهم المكتوبة عليهم ، فلا يتعارفون « ولا يتساءلون » لشدة ما بهم من الأهوال ، وذهولهم عما كان بينهم من الأحوال ، وتنقطع العلائق والوصل التي كانت بينهم ، لتفرقهم بأنواع العذاب ، وأسباب الحجاب ، وتتغير صورهم ، وجلودهم ، وتتبدل أشكالهم ، ووجوههم ، على حسب اقتضاء معايبهم ، وصفات نفوسهم ؛ وهو معنى قوله : « تلفح وجوههم النار وهم فيها كالحون ». وذلك غلبة الشقوة ، وسوء العاقبة الموجبة للخسء ، والطرد، والبعد، واللعن ، كخسء الكلاب .

« لبثنا يوماً أو بعض يوم » قال ابن عباس : (أنساهم ما كانوا فيه من العذاب بين النفختين ، الاحتجاب في البرزخ المذكور) فالسور المذكور ، أنساهم مدة اللبث ، وانما استقصروها لانقضائها ، وكل منقض ، فهو ليس بشيء . ولهذا صدقهم بقوله : « ان لبثتم إلا قليلا » ومعنى « لو انكم كنتم تعلمون » انكم حسبتموها كثيراً فاغتررتم بها ، وفتنتم بلذاتها وشهواتها ، ولو علمتموها قليلا لتزودتم ، وتجردتم عن تعلقاتها « ربّ أغفر » هيئات المعلقات « وارحم » بافاضة الكمالات « وأنت خير الرّاحمين » .

سُورَةُ النُّور

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

« سُورَةٌ أَنزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا وَأَنزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ . ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي فَٱجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ ٱللَّهِ إِنْ كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ . ٱلزَّانِي لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَٱلزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ . وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَٱجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَٰئِكَ هُمُ ٱلْفَاسِقُونَ . إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ . وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا أَنفُسُهُمْ

فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِٱللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ ٱلصَّادِقِينَ . وَٱلْخَامِسَةُ أَنَّ لَعْنَةَ ٱللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كَانَ مِنَ ٱلْكَاذِبِينَ . وَيَدْرَؤُا عَنْهَا ٱلْعَذَابَ أَنْ تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَادَاتٍ بِٱللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ ٱلْكَاذِبِينَ . وَٱلْخَامِسَةَ أَنَّ غَضَبَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا إِنْ كَانَ مِنَ ٱلصَّادِقِينَ . وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ . إِنَّ ٱلَّذِينَ جَاؤُا بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِنْهُمْ مَا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِ وَٱلَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ . لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هٰذَا إِفْكٌ مُبِينٌ . لَوْلَا جَاؤُا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِٱلشُّهَدَاءِ فَأُولٰئِكَ عِنْدَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْكَاذِبُونَ . وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ . إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِنْدَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ . وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهٰذَا سُبْحَانَكَ هٰذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ . يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ . وَيُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْآيَاتِ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ

حَكِيمٌ . إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ ٱلْفَاحِشَةُ فِي ٱلَّذِينَ آمَنُوا
لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ .
وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ ٱللَّهَ رَؤُفٌ رَحِيمٌ .
يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ ٱلشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ
خُطُوَاتِ ٱلشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَاءِ وَٱلْمُنْكَرِ وَلَوْلَا فَضْلُ
ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَى مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَٰكِنَّ
ٱللَّهَ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ . وَلَا يَأْتَلِ أُولُوا ٱلْفَضْلِ
مِنْكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي ٱلْقُرْبَى وَٱلْمَسَاكِينَ وَٱلْمُهَاجِرِينَ
فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ
وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ . إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَاتِ ٱلْغَافِلَاتِ
ٱلْمُؤْمِنَاتِ لُعِنُوا فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ . يَوْمَ
تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ .
يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ
ٱلْمُبِينُ . ٱلْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَٱلْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ وَٱلطَّيِّبَاتُ
لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ أُولَٰئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُمْ
مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ . يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا

غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَىٰ أَهْلِهَا ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ
لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ . فَإِنْ لَّمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّىٰ
يُؤْذَنَ لَكُمْ وَإِنْ قِيلَ لَكُمُ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْ
وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ . لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَدْخُلُوا
بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَاعٌ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ
وَمَا تَكْتُمُونَ . قُلْ لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا
فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ . وَقُلْ
لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ
زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ وَلَا
يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ
أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي
أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي
الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَىٰ عَوْرَاتِ
النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا
إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ . وَأَنْكِحُوا
الْأَيَامَىٰ مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا

فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَٱللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ . وَلْيَسْتَعْفِفِ ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحاً حَتَّى يُغْنِيَهُمُ ٱللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَٱلَّذِينَ يَبْتَغُونَ ٱلْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا وَآتُوهُمْ مِّنْ مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِي آتَاكُمْ وَلَا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى ٱلْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّناً لِّتَبْتَغُوا عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَنْ يُكْرِههُّنَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ . وَلَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَمَثَلاً مِّنَ ٱلَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ » .

« انّ الذين جاءوا بالافك » الى قوله: « لهم مغفرة ورزق كريم » انما عظم أمر الافك ، وغلظ في الوعيد عليه ، بما لم يغلظ في غيره من المعاصي ، وبالغ في العقاب عليه ، بما لم يبالغ به في باب الزنا ، وقتل النفس المحرّمة ؛ لأن عظم الرذيلة ، وكبر المعصية ، إنما يكون على حسب القوّة التي هي مصدرها ، وتتفاوت حـــال الرذائل في حجب صاحبها عن الحضرة الإلهية ، والأنوار القدسية ، وتوريطة في المهالـك الهيولانية ، والمهاوي الظلمانية ، على حسب تفاوت مباديهـا ، فكلما كانت القوّة التي هي مصدرها ، ومبدؤها أشرف ، كانت الرذيلة الصادرة منها أردأ وبالعكس ، لأن الرذيلة ما تقابل الفضيلة ، فلما كانت الفضيلة أشرف ، كان ما يقابلها من الرذيلة أخس ، والافك رذيـلة القوّة الناطقة ،التي هي أشرف القوى الانسانية ، والزنا رذيلة القوّة الشهوانية ، والقتل رذيلة القوّة الغضبية ، فبحسب شرف الأولى على الباقيتين تزداد رداءة رذيلتها .

وذلك إن الانسان إنما يكون بالأولى إنساناً ، وترقيه الى العالم العلوي ، وتوجهـــه الى الجناب الإلهي وتحصيله للمعارف ، والكمالات ، واكتسابه للخيرات ، والسعادات ، إنما يكون بها ، فإذا فسدت بغلبة الشيطنة عليها ، واحتجب عـــن النور باستيلاء الظلمة ، حصلت الشقاوة العظمى ، وحقت العقوبة بالنار ، وهو الرين والحجاب الكلي « كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون ، كلّا أنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون » ولهذا وجب خلود العقاب ، ودوام العذاب بفساد الاعتقاد دون فساد الاعمال ، إن الله لا يغفر ان يشرك به ، ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء .

وأما الباقيتان ، فرذيلة كل منها إنما تعود بظهورها على النطقية الملكية ، ثم ربما محيت بإنقارها ، وتسخرها لها عند سكون هيجانها ، وفتور سلطانها باستيلاء غلبـة النور ، وتسلطها عليها بالطبع ، كحال النفس اللوّامة عند التوبة والندامة ، وربما بقيت بالاصرار ، وترك الاستغفار ؛ وفي الحالين ، لا تبلغ رذيلتهما مقام السر ، ومحل الحضور ، ومناجاة الرب ، ولا تتجاوز حدّ الصدر ، ولا تصير الفطرة بهـا محجوبة الحقيقة ، منكوسة بخلاف تلك ، ألا ترى إن الشيطنة المغوية للآدميّ أبعد عن الحضرة الإلهية من السبُعية والبهيمية وأبعد بمـــا لا يقدر قدره ، فالإنسان برسوخ رذيلة النطقية يصير شيطاناً ، وبرسوخ الرذيلتين الآخريين يصير حيواناً كالبهيمة او السبع ، وكل حيوان أرجى صلاحاً ، وأقرب فلاحاً ، من الشيطان . ولهذا قال تعالى : « هـل أنبئكم على من تنزل الشياطين تنزل على كل أفاك أثيم » .

ونهى ههنا ، عن اتباع خطوات الشيطان ، فإن ارتكاب مثل هـــذه الفواحش لا يكون إلا بمتابعته ومطاوعته ، وصاحبه يكون من جنوده وأتباعه ، فيكون أخس منه ، وأذلّ ، محروماً من فضل الله الذي هو نور

هدايته ، محجوباً من رحمته التي هي افاضة كال وسعادة ، ملعونـاً في الدنيا والآخرة ، ممقوتـاً من الله والملائكة ، تشهد عليه جوارحه ، يتبدل صورها وتشوّه منظرها خبيث الذات والنفس ، متورّطاً في الرجس . فإن مثل هذه الخبائث ، لا تصدر إلا من الخبيثين ، كما قال تعالى : « الخبيثات للخبيثين » وأما الطيبون المتنزهون عن الرذائل ، فإنمـا تصدر عنهم الطيبات والفضائل « لهم مغفرة » بستر الأنوار الإلهيـــة صفات نفوسهم « ورزق كريم » من المعاني ، والمعارف الواردة على قلوبهم .

« ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَاتِ وَٱلْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ٱلْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ يَهْدِي ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَٰلَ لِلنَّاسِ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ » .

« الله نور السموات والارض » النور ، هو الذي يظهر بذاتــه ، وتظهر الاشياء بــه ، وهو مطلقاً اسم من اسماء الله تعالى ، باعتبار شدّة ظهوره ، وظهور الاشياء به كما قيل :

خفيّ لإفراط الظهور تعرّضت ... لإدراكه أبصارُ قومٍ أخافشِ
وحظُّ العيونِ الزُّرقِ من نور وجهه ... كشدّة حظّ للعيونِ العوامشِ

ولما وجد بوجوده ، وظهر بظهوره ، كان نور السموات والأرض ، أي ،

مظهر سموات الأرواح ، وأرض الأجساد ، وهو الوجود المطلق ، الذي وجد به ما وجد من الموجودات ، والاضاءة .

« مثل نوره » صفة وجوده ، وظهوره في العالمين بظهورها به ، كمثل « مشكاة فيها مصباح » وهي إشارة الى الجسد ، لظلمته في نفسه ، وتنوّره بنور الروح الذي أشير اليه بالمصباح ، وتشبكه بشباك الحواس ، وتلألؤ النور من خلالها كحال المشكاة مع المصباح ، والزجاجة ، إشارة الى القلب المتنوّر بالروح ، المنوّر لما عداه ، بالإشراق عليه ، تنور القنديل كله بالشعلة ، وتنويره لغيره ، وشبه الزجاجة بالكوكب الدريّ لبساطتها وفرط نوريتها ، وعلوّ مكانها ، وكثرة شعاعها ، كما هو الحال في القلب ؛ والشجرة التي توقد منها هذه الزجاجة هي النفس القدسية ، المزكاة الصافية ؛ شبهت بها لتشعب فروعها ، وتفنن قواها نابتة من أرض الجسد ، ومتعالية أغصانها في فضاء القلب ؛ الى سماء الروح ، وصفت بالبركة لكثرة فوائدها ، ومنافعها من ثمرات الأخلاق ، والأعمال ، والمدركات ؛ وشدّة نمائها بالترقي في الكمالات ، وحصول سعادة الدارين ، وكمال العالمين بها ، وتوقف ظهور الأنوار ، والأسرار ، والمعارف ، والحقائق ، والمقامات ، والمكاسب ، والأحوال ، والمواهب عليها .

وخصت بالزيتونة لكون مدركاتها جزئية ، مقارنة لنوء اللواحق المادية ، كالزيتون فإنه ليس كله لبناً ولوفور قلة استعدادها للاشتعال ، والاستضاءة بنور نار العقل الفعّال ، الواصل اليها بواسطة الروح والقلب ، كوفور الدهنية القابلة لاشتعال الزيتون .

ومعنى كونها لا شرقية ولا غربية ، انها متوسطة بين غرب عالم الأجساد الذي هو موضع غروب النور الإلهي ، وتستره بالحجاب الظلماني ، وبين

شرق عالم الأرواح، الذي هو موضع طلوع النور وبروزه عن الحجاب النوراني، لكونها ألطف وأنور من الجسد، وأكشف من الروح.

« يكاد » زيت استعدادها من النور القدسي الفطري الكامن فيها يضيء بالخروج الى الفعل، والوصول الى الكمال بنفسه، فلمشرق « ولو لم تمسسه نار » العقل الفعال، ولم يتصل به نور روح القدس لقوة استعداده، وفرط صفائه « نور على نور » أي، هذا المشرق بالإضافة من الكمال الحاصل نور زائد على نور الاستعداد الثابت، المشرق في الأصل، كأنه نور متضاعف « يهدي الله لنوره » الظاهر بذاتـه، المظهر لغيره بالتوفيق والهداية « من يشاء » من أهل العناية ليفوز بالسعادة « والله بكل شيء عليم » يعلم الأمثال وتطبيقها، ويكشف لأوليائه تحقيقها.

« فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ. رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَاءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوْماً تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَارُ. لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُمْ مِّنْ فَضْلِهِ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ».

« في بيوت » أي، يهدي الله لنوره من يشاء في مقامـات « أذن الله » أن يرفع بناؤها، وتعلى درجاتها، « ويذكر فيها اسمه » باللسان والمجاهدة، والتخلـّق بالأخلاق في مقام النفس، والحضور، والمراقبـة، والاتصاف

بالأوصاف في مقـام القلب ، والمناجاة ، والمكالمة ، والتحقيق بالأسرار في مقـام السرّ ، والمناغاة بالمشاهدة ، والتحير في الأنوار في مقام الروح ، والاستغراق ، والانطماس ، والفناء في مقام الذات « يسبح له فيها » بالتزكية ، والتنزيه ، والتوحيد ، والتجريد ، والتفريد بغدوّ التجلي وآصال الإستتار « رجال » أي ، رجـال أفراد سابقون ، مجرّدون ، مفردون ، قائمون بالحق « لا تلهيهم تجارة » باستبدال متاع العقبى بالدنيا في زهدهم ، ولا بيع أنفسهم وأموالهم ، بأن لهم الجنة في جهادهم عن ذكر الذات « وأقام » صلاة الشهود في الفناء « وإيتاء » زكاة الإرشاد والتكميل حال البقاء .

« يخافون يوماً تتقلب فيـه القلوب » الى الأسرار « والأبصار » الى البصائر ، بل تتقلب حقائقها بأن تفنى وتوجد بالحق ، كما قال: (كنت سمعه وبصره) من ظهور البقية ، وبقاء الانية « ليجزيهم الله » بالوجود الحقـاني « أحسن ما عملوا » من جنات الأفعال والنفوس والأعمال . « ويزيدهم من فضله » من جنـات القلوب والصفات « والله يرزق من يشاء » من جنات الأرواح والمشاهدات « بغير حساب » لكونه أكثر من أن يحصى ويقاس .

« وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْآنُ مَاءً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِنْدَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ . أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ

يَكَدْ يَرَاهَا وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُ نُوراً فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ . أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَنْ فِي ٱلسَّمٰوَاتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلطَّيْرُ صَافَّاتٍ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ . وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمٰوَاتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ » .

« والذين كفروا » حجبوا عن الدين « أعمالهم » التي يعملونها رجاء الثواب «كسراب بقيعة» لكونها صادرة عن هيئات خالية قائمة بساهرة نفس حيوانية « يحسبه الظمآن ماء » أي يتوهمها صاحبها المؤمل لثوابها أموراً باقية لذيذة دائمة ، مطابقة لما توهمه « حتى اذا جاءه » في القيامة الصغرى « لم يجده » شيئاً موجوداً ، بل خالها فاسداً ، وظناً كاذباً ، كما قال تعالى: « وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثوراً » .

« ووجد الله عنده » أي ، وجد ملائكة الله من زبانية القوى والنفوس السماوية والأرضية ، عند ذلك التخيل الموهوم يقودونه الى نيران الحرمان ، وخزي الخسران ، ويوفونه ما يناسب اعتقاده الفاسد ، وعمله الباطل من جميع الجهل ، وغساق الظلمة « او كظلمات » في بحر الهيولى اللجي العميق ، الغامر لجثة كل نفس جاهلة محجوبة بهيئات بدنية ، الغامس لكل ما يتعلق به من القوى النفسانية « يغشاه موج » الطبيعة الجسمانية « من فوقه » موج النفس النباتية « من فوقه » سحاب النفس الحيوانية ، وهيئاتها الظلمانية « ظلمات » متراكمة « بعضها فوق بعض اذا أخرج » المحجوب بها ، المنغمس المحبوس فيها « يده » القوة العاقلة النظرية بالفكر « لم يكد يراها » لظلمتها وعمى بصيرة

صاحبها ، وعـــدم اهتدائه الى شيء ، وكيف يرى الاعمى الشيء الأسود في الليل البهيم ؟

« ومن لم يجعل الله له نوراً » بإشراق أنوار الروح عليه من التأييد القدسي والمدد العقلي « فما له من نور . ألم ترَ أن الله يسبّح له من في » عـالم سموات الارواح بالتقديس ، وإظهار صفاته الجمالية « ومن في » عالم اراضي الأجساد بالتحميد والتعظيم ، وإظهـــار صفاته الجلالية ، وطير القوى القلبية والسرية بالأمرين « صافات » مترتبات في مراتبهـــا من فضاء السر ، مستقيمات بنور السكينة ، لا تتجاوز واحدة منها حدّها ، كما قال : « وما منـــا إلا له مقام معلوم » .

« كلٌّ قد علم صلاته » طاعته المخصوصة به من انقهاره ، وتسخره تحت قهره ، وسلطنته علمية كانت أو عملية ، ومن محافظته لتربيته وحضوره لوجهه تعالى فيما أمره به ، « وتسبيحه » إظهار خاصيته التي ينفرد بهـــا ، الشاهدة على وحدانيته « والله عليم » بأفعالهم وطاعاتهم .

« أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُزْجِي سَحَاباً ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَاماً فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَنْ مَّنْ يَشَاءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِٱلْأَبْصَارِ . يُقَلِّبُ ٱللَّهُ ٱللَّيْلَ وَٱلنَّهَـــارَ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي ٱلْأَبْصَارِ » .

« ألم ترَ أن الله يزجي » برياح النفخات والإرادات، سحاب العقل فروعاً منتزعة من الصور الجزئية ، ثم يؤلف فيه على ضروب المتألفات المنتجة « ثم يجعله ركاماً » حججاً وبراهين « فترى » ودق النتائج والعلوم اليقينية « يخرج من خلاله » وينزل من سماء الروح من جبال انوار السكينة واليقين ، الموجبة للوقار والطمأنينة والإستقرار « فيهـا » أي في تلك الجبال من برد الحقائق والمعارف الكشفية ، والمعاني الذوقية ، او من جبال في السماء ، وهي معادن العلوم والكشوف وأنواعها ، فإن لكل علم وصنعة معدناً في الروح ثابتاً فيه بحسب الفطرة ، يفيض منه ذلك العلم .

ولهـذا يتأتى لبعضهم بعض العلوم بالسهولة دون بعض ، ويتأتى لبعضهم أكثرها ولا يتأتى لبعضهم شيء منها ، وكل ميسر لمـا خلق له ؛ أي ، ينزل من سماء الروح من الجبال التي فيها برد المعارف والحقائق « فيصيب بـه من يشاء » من القوى الروحانية « ويصرفـه عمن يشاء » من القوى النفسانية ، والنفوس المحجوبة « يكاد سنا برقه » أي ، ضوء بوارق ذلك البرد وهو مـا يقدّمـه من الأنوار الملتمعة التي لا تلبث ولا تستقر ، بل تلمع وتخفى الى ان تصير متمكنة تذهب بأبصار البصائر حيرة ودهشاً، وكلما زاد ازدادت تحيراً.

ولهذا قال عليه السلام: (رب زدني تحيراً) أي، علماً ونوراً « يقلب الله » ليل ظلمة النفس ، ونهار نور الروح ، بأن يغلب تارة نور الروح فينوّر القلب والنفس ، ويعقبـه أخرى ظلمة النفس بالظهور فتتكدّر ، وتكدّر القلب في التلوينات « إن في ذلك لعبرة » يعتبر بهـا أولوا الأبصار القلبية ، أو ذوو البصائر ، فيلتجؤن الى الله في التلوينات وظلم النفس ، ويلوذون بجناب الحق ومعدن النور ، ويعبرون الى مقام السر والروح ، فينكشف عنهم الحجاب .

« وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِّنْ مَّاءٍ فَمِنْهُم مَّنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ وَمِنْهُمْ مَّنْ يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّنْ يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ يَخْلُقُ ٱللَّهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ . لَّقَدْ أَنْزَلْنَا آيَاتٍ مُّبَيِّنَاتٍ وَٱللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ . وَيَقُولُونَ آمَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِّنْهُمْ مِّنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَمَا أُولَٰئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ . وَإِذَا دُعُوا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ مُّعْرِضُونَ . وَإِنْ يَكُنْ لَّهُمُ ٱلْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ . أَفِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ أَمِ ٱرْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَنْ يَحِيفَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ بَلْ أُولَٰئِكَ هُمُ ٱلظَّالِمُونَ . إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَٰئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ . وَمَنْ يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ ٱلْفَائِزُونَ . وَأَقْسَمُوا بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ لَيَخْرُجُنَّ قُلْ لَا تُقْسِمُوا طَاعَةٌ مَّعْرُوفَةٌ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ . قُلْ أَطِيعُوا ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا ٱلرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَّا حُمِّلْتُمْ وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَاغُ ٱلْمُبِينُ . وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا ٱلصَّالِحَاتِ

لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِّنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئاً وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ ٱلْفَاسِقُونَ . وَأَقِيمُوا ٱلصَّلَوٰةَ وَآتُوا ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُوا ٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ . لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا مُعْجِزِينَ فِي ٱلْأَرْضِ وَمَأْوَاهُمُ ٱلنَّارُ وَلَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ . يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَٱلَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا ٱلْحُلُمَ مِنكُمْ ثَلَٰثَ مَرَّاتٍ مِّنْ قَبْلِ صَلَوٰةِ ٱلْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ مِّنَ ٱلظَّهِيرَةِ وَمِنْ بَعْدِ صَلَوٰةِ ٱلْعِشَاءِ ثَلَٰثُ عَوْرَاتٍ لَّكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ طَوَّافُونَ عَلَيْكُمْ بَعْضُكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْآيَاتِ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ . وَإِذَا بَلَغَ ٱلْأَطْفَالُ مِنكُمُ ٱلْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا كَمَا ٱسْتَأْذَنَ ٱلَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ . وَٱلْقَوَاعِدُ مِنَ ٱلنِّسَاءِ ٱللَّاتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحاً فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَنْ يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ وَأَنْ يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَّهُنَّ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ . لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلَا عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَنْ

تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ آبَائِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَانِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَامِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوَالِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَالَاتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكْتُمْ مَفَاتِحَهُ أَوْ صَدِيقِكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَأْكُلُوا جَمِيعاً أَوْ أَشْتَاتاً فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتاً فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِنْ عِنْدِ ٱللهِ مُبَارَكَةً طَيِّبَةً كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللهُ لَكُمُ ٱلْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ . إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ آمَنُوا بِٱللهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولَٰئِكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللهِ وَرَسُولِهِ فَإِذَا ٱسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَنْ لِمَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمُ ٱللهَ إِنَّ ٱللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ . لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضاً قَدْ يَعْلَمُ ٱللهُ ٱلَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُمْ لِوَاذاً فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ . أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمٰوَاتِ وَٱلْأَرْضِ قَدْ يَعْلَمُ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا وَٱللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ » .

« والله خلق كل دابّـــة » من أصناف دواب الدواعي ، التي تدب في أراضي النفوس ، وتبعثها الى الأفعال « من ماء » مخصوص ، أي ، عـــلم مناسب لتلك الداعية المتولدة منه ، فإن منشأ كل داعية إدراك مخصوص « فمنهم من يمشي على بطنه » ويزحف في الطبيعة ، ويحدث الأعمال البدنية الطبيعية « ومنهم من يمشي على رجلين » من الدواعي الانسانية ، فيحدث الأعمــال الإنسانية ، والكمالات العملية « ومنهم من يمشي على أربع » من الدواعي الحيوانية ، فيبعث على الأعمــال السَّبعِية والبهيمية « يخلق الله ما يشاء » من هذه الدواعي من منشأ قدرته الباهرة الكاملة في إنشاء الأعمال، ويهدي من يشاء بالآيات السابقة المذكورة من الحكم ، والمعاني ، والمعارف ، والحقائق ، من منشأ حكمته البالغة التامة في إظهــار العلوم والأحوال ، الى صراط التوحيد الموصوف بالاستقامة اليه .

« ويقولون آمنـّا بالله وبالرسول » أي ، يدّعون التوحيد جمعاً وتفصيلاً ، والعمل بمقتضاه « ثم يتولى فريق منهم » بترك العمل بمقتضى الجمع والتفصيل، بارتكاب الإباحة والتزندق « ومـــا أولئك بالمؤمنين » الإيمان الذي عرفته وادّعوه من العلم بالله جمعاً وتفصيلاً « ومن يطع الله » باطنــاً بشهود الجمع « ورسوله » ظاهراً بحكم التفصيل « ويخشى الله » بالقلب ، بمراقبة تجليات الصفات « ويتّقهِ » بالروح عن ظهور أنائيته في شهود الذات « فأولئك هم الفائزون » بالفوز العظيم .

« وعد الله الذين آمنوا منكم » باليقين « وعملوا الصالحات » باكتساب الفضائل « ليستخلفنهم » وأقسم ليجعلنهم خلفاء في أرض النفس اذ جاهدوا في الله حق جهاده « كما استخلف الذين » سبقوهم الى مقام الفناء في التوحيد

أوليائه « وليمكنن لهم » بالبقاء بعد الفنـاء « دينهم » طريق الاستقامة فيه المرضية « وليبدلنّهم من بعد خوفهم » في مقـام النفس « أمنا » بالوصول والاستقامة « يعبدونني » أى يوحدونني من غير التفات الى غيري واثباته « ومن كفر بعد ذلك » بالطغيان بظهور الأنانيـــة ، وخرج عن الاستقامة والتمكين بالتلوين « فأولئك هم الفاسقون » الخارجون عن دين التوحيد .

سورة الفرقان

بسم الله الرحمن الرحيم

« تَبَارَكَ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا . ٱلَّذِي لَهُ مُلْكُ ٱلسَّمٰوَاتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَّهُ شَرِيكٌ فِي ٱلْمُلْكِ . وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا . وَٱتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَّا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيٰوةً وَلَا نُشُورًا » .

« تبارك الذي » أي تكاثر خير الذي « نزل الفرقان » وتزايد لأن إنزال الفرقان هو اظهار العقل الفرقاني المخصوص بعبده المخصوص به بانفراده من جملة العالمين، بالاستعداد الكامل الذي لم يكن لأحد مثله، فيكون عقله الفرقاني هو العقل المحيط المسمّى عقل الكل ، الجامع لكمالات جميع العقول ، وذلك انما يكون بظهوره تعالى في مظهره المحمدي بجميع صفاته ،

المفيض بها على جميع الخلائق على اختلاف استعداداتهم ، وذلك الظهور هو تكثر الخير وتزايده الذي لم يكن أزيد ولا اكثر منه، ولذلك قال: « ليكون للعالمين نذيراً » أي على العموم فإن كل نبي غيره كانت رسالته مخصوصة بمن ناسب استعداده من الخلائق ، ورسالته عليه السلام عامة للكل ، وهو بعينه معنى ختم النبوّة ، ومن هذا تبين كون أمته خير الأمم .

« الذي له ملك السموات والارض » يقهرهما تحت ملكوته ، أوجد كل شيء موسوماً يتعين بسمة الإمكان ، ويشهد عليه بالعدم « فقدّره تقديراً » على قدر قبول بعض صفاته ، ومظهرية بعض كمالاته ، دون بعض ؛ أي ، هيأ استعداداتهم لما شاء من كمالاتهم التي هي صفاته .

« وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَـٰذَا إِلاَّ إِفْكٌ ٱفْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ فَقَدْ جَاؤُا ظُلْماً وَزُوراً . وَقَالُوا أَسَاطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ٱكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلاً . قُلْ أَنْزَلَهُ ٱلَّذِي يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ فِي ٱلسَّمٰوَاتِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُوراً رَحِيماً . وَقَالُوا مَالِ هَـٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي ٱلْأَسْوَاقِ لَوْلَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُ نَذِيرًا . أَوْ يُلْقَى إِلَيْهِ كَنْزٌ أَوْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا وَقَالَ ٱلظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلاَّ رَجُلاً مَسْحُورًا . أُنظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ ٱلْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلاً . تَبَارَكَ ٱلَّذِي إِنْ شَاءَ جَعَلَ

لَكَ خَيْرًا مِّنْ ذَٰلِكَ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَارُ وَيَجْعَل لَّكَ قُصُورًا . بَلْ كَذَّبُوا بِٱلسَّاعَةِ وَأَعْتَدْنَا لِمَنْ كَذَّبَ بِٱلسَّاعَةِ سَعِيرًا . إِذَا رَأَتْهُمْ مِّنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا . وَإِذَا أُلْقُوا مِنْهَا مَكَاناً ضَيِّقًا مُّقَرَّنِينَ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا . لَّا تَدْعُوا ٱلْيَوْمَ ثُبُورًا وَاحِدًا وَٱدْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا . قُلْ أَذَٰلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ ٱلْخُلْدِ ٱلَّتِي وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ كَانَتْ لَهُمْ جَزَاءً وَمَصِيرًا . لَّهُمْ فِيهَا مَا يَشَاؤُنَ خَالِدِينَ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ وَعْداً مَّسْؤُلاً . وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ ٱللَّهِ فَيَقُولُ ءَأَنتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِي هَٰؤُلَاءِ أَمْ هُمْ ضَلوا ٱلسَّبِيلَ . قَالُوا سُبْحَانَكَ مَا كَانَ يَنبَغِي لَنَا أَنْ نَّتَّخِذَ مِنْ دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاءَ وَلَٰكِن مَّتَّعْتَهُمْ وَآبَاءَهُمْ حَتَّىٰ نَسُوا ٱلذِّكْرَ وَكَانُوا قَوْماً بُوراً . فَقَدْ كَذَّبُوكُمْ بِمَا تَقُولُونَ فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفاً وَلَا نَصْرًا وَمَن يَظْلِمْ مِّنكُمْ نُذِقْهُ عَذَاباً كَبِيرًا . وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلاَّ إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي ٱلْأَسْوَاقِ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ وَكَانَ رَبُّكَ رَبُّكَ بَصِيرًا » .

« قل أنزله الذي يعلم » الغيب المخفي عن المحجوبين في العالمين « انه كان غفوراً » يستر صفات النفوس الحاجبة للغيوب بأنوار صفاته « رحيماً » يفيض الكمالات على القلوب عند صفائها بحسب الإستعدادات ، ومن غفرانه ورحمته هذا الإنزال الذي تشكون فيه ايها المحجوبون « بل كذبوا » بالقيامة الكبرى، وذلك التكذيب إنما يكون لفرط الإحتجاب ، أو نقصان الإستعداد ، وكلاهما يوجب التعذيب بالعذاب لاستيلاء نيران الطبيعة الجسمانية والهيئات الهيولانية ، على النفوس الظلمانية بالضرورة ، وتأثير زبانية النفوس السماوية والأرضية فيها ، التي إذا قابلتهم باستعداد قبول تأثيرها وقهرها من بعيد، لكونها تكون في الجهة السفلية ظهر لهم آثار قهرها وتسلط غضب تأثيرها .

« وإذا ألقوا » من جملة أماكن نار الطبيعة الحرمانية « مكاناً ضيقاً » يحبسها في برزخ يناسب هيئاتها مقدّر بقدر استعدادها « مقرّنين » بسلاسل محبة السفلانيات ، وهو الشهوات تمنعها عن الحركة في تحصيل المرادات ، واغلال صور هيولانية مانعة لأطرافها وآلاتها عن مباشرة الحركات في طلب الشهوات ، ومقرّنين بما يجانسهم من الشياطين المغوية اياهم عن سبيل الرشاد والداعية لهم الى الضلال « دعوا هنالك ثبوراً » بتمني الموت ، والتحسر على الفوت ، لكونهم من الشدّة فيا يتمنى فيه الموت .

« قل أذلك خير أم جنة » عالم القدس الموعودة للمجرّدين عن ملابس الأبدان وصفات النفوس « لهم فيها ما يشاؤن » من اللذات الروحانية ، أبداً سرمداً « وما يعبدون » عامّ لكل معبود سوى الله ، والقول إنما يكون بلسان الحال ، لأن كل شيء سوى الإنسان المحجوب شاهد بوجوده ووجده بالله تعالى ووحدانيته ، مسبح له بإظهار خاصيته وكماله ، مطيع له فيا أراد الله من أفعاله . وذلك معنى قوله : « سبحانك ما كان ينبغي لنا أن

نتخذ من دونك من أولياء » فحالهم ناطقة بنفي الضلال عن نفسهم في إثبات الضـــلال الواقفين معهم ، المحجوبين بهم بسبب الإنهماك في اللذات الحسية ، والإشتغال بالطيبات الدنيوية، الموجبة للغفلة ونسيان الذكر ، والبور الهلكي.

« وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا لَقَدِ ٱسْتَكْبَرُوا فِي أَنفُسِهِمْ وَعَتَوْا عُتُوًّا كَبِيرًا . يَوْمَ يَرَوْنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَّحْجُورًا . وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنثُورًا . أَصْحَابُ ٱلْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا . وَيَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَاءُ بِٱلْغَمَامِ وَنُزِّلَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ تَنزِيلًا . ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ لِلرَّحْمَٰنِ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى ٱلْكَافِرِينَ عَسِيرًا » .

« يوم يرون الملائكة لا بشرى يومئذ للمجرمين » لأن ذلك اليوم هو وقت وقوع القيامة الصغرى ، واخراب البدن ، الذي بـه تؤثر فيهم الروحانيات السماوية والأرضية بالقهر والتعذيب ، وإلزام الهيئات البرزخية المنافية لطباع أرواحهم في الأصل ، وان كانت مناسبة لهـــا في الحال « ويقولون حجراً محجوراً » يتمنون أن يدفع الله عنهم ذلك ويمنعه .

وإنما جعلت أعمالهم هباء لكونها غير مبنية على عقائد صحيحة ، والأصل في العمل الإيمان اللازم لسلامة الفطرة ، وإذا لم يكن ، كان كل حسنة سيئة

لمقارنتها النية الفاسدة ، والتوجه بها لغير وجـــه الله « ويوم تشقق » سماء الروح الحيواني بغمام الروح الإنساني بانفتاحها عنه ، ولهـذا قيل في التفاسير انه غمام أبيض دقيق ؛ وإنما شبه بالغمام لاكتسابه الهيئة الجسدانية ، والصورة اللطيفة النفسانية من البدن ، واحتجابه بها ، وكونه منشأ العلم كالغمام للماء.

وفي تلك الصورة الثواب والعقاب قبل البعث الجسداني « ونزل الملائكة » باتصالها به ، إما للثواب وإما للعقاب ، لأنها إما مظاهر اللطف ، وإما مظاهر القهر « الملك يومئذ الحق » أي ، الثابت الذي لا يتغير « للرحمن » الموصوف بجميع صفات اللطف والقهر ، المفيض على كل مـــا يستحق لزوال كل ملك باطل ، ولا قدرة حينئذ لأحد على انجاء المعذبين منه ، ولا يمكنهم الإلتجاء بغيره ، لبطلان التعلقات والإضافات ، وظهور ملك الرحمن عـلى الإطلاق ؛ أو يوم تشقق سماء القلب بغمام نور السكينة ، وتنزل ملائكة القوى الروحانية بالإمداد الإلهية ، والأنوار الصفاتية ، في القيامة الوسطى تكون تلك السلطنة على القلب للرحمن المستوي على عرشه ، المتجلى له بجميع صفاته.

وعلى كلا التقديرين « كان يوماً على الكافرين عسيراً » . أمـــا على الأول فلتعذبهم عند خراب البدن بالهيئات المظلمة ، وقهر القوى السماوية ، وأما على الثاني فلظهور تعذبهم في شهود صاحب هـذه القيامة ، واطلاعه . ولم يوجد موجوداً مستقلاً في التأثير فيناسبه ، ولم يكن قاهر غيره ، فيشاركه عـلى حالهم ، او للبناء على تأويلهم بالقوى النفسانية المقهورة هناك ، المعذبـــة بالرياضة ، والله أعلم.

« وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّـــالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلاً . يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ

فُلَانًا خَلِيلاً . لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ ٱلشَّيْطَانُ لِلْإِنسَانِ خَذُولاً . وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي ٱتَّخَذُوا هَـٰذَا ٱلْقُرْآنَ مَهْجُورًا . وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ ٱلْمُجْرِمِينَ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا . وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً » .

تثبيت فؤاده عليه السلام بالقرآن ، هو انه لما ردّ في مقام البقاء بعد الفناء الى حجاب القلب ، لهداية الخلق ، كان قد يظهر نفسه وقتاً غبّ وقت على قلبه بصفاتها ، ويحدث له التلوين بسببها كما ذكر في قوله : « وما أرسلنا من رسول ولا نبي إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في امنيته » وفي قوله : « عبس وتولى » فكان يتداركه الله تعالى بإنزال الوحي والجذبة ، ويؤدبه ويعاتبه ، فيرجع اليه في كل حال ويتوب ، كما قال عليه السلام : « أدّبني ربي فأحسن تأديبي » وقال : «انه ليغان على قلبي واني لاستغفر الله في اليوم سبعين مرة» حتى يتمكن ويستقيم ، وكان سبب ظهور ابتلاء الله تعالى إياه بالدعوة لإيذاء الناس إياه وعداوتهم ومناصبتهم له ، والحكمة في الإبتلاء أمران :

احدهما راجع اليه ، وهو أن يظهر نفسه بجميع صفاتها في مقابلة استيلاء الأعداء المختلفين في النفوس وصفاتها ، واستعداداتها ، ومراتبها ، فيؤدبه الله بحكمة وجود كل صفة ، وفضيلة كل قوّة ، فيحصل له جميع مكارم

الاخلاق ، وكمالات جميع الأنبياء ، كما قال عليه السلام : (بعثت لأتمم مكارم الأخلاق ، وأوتيت جوامع الكلم) فـإن ظهوره بكل صفة هو ظرف قبوله لفضيلتها وحكمتها ، إذ لولا الجهات المختلفة في القلب بواسطة صفات النفس، لما استعدّ لقبول الحكم المتفننة، والفضائل بتخصص توجهه لكل واحدة منها.

والثاني راجع الى الأمة ، فإنه رسول الى الكل ، واستعداداتهم متباينة، ونفوسهم في الصفات متفارقة ، فيجب أن يكون فيه جوامع الحكم، والكلم، والفضائل ، والأخلاق ، ليهدي كلا منهم بما يناسبه من الحكمة ، ويزكيه بما يليق به من الخلق ، ويعلمه مـــا ينتفع به من العلم على حسب استعداداتهم وصفاتهم ، وإلا لم يمكنه دعاء الكل ، فعلى هذا كون التنزيل مفرّقاً منجماً إنما يكون بحسب اختلاف صفات نفسه في الظهور منها على اوقاته ، موجباً لتثبت قلبه في الاستقامة في السلوك الى الله، وفي الله، عند الإتصاف بصفاته، ومن الله في هداية الخلق ، وتلك هي الاستقامة التامة المطلقة ، فليقتد بــــه السالكون ، والواصلون ، والكاملون المكملون في سلوكهم ، وكونهم مـــع الحق ، وتكميلهم ، والترتيل هو أن يتخلل بين كل نجم وآخر مدة يمكن فيها تزايله في قلبه ، ويترسخ ويصير ملكة لا حالاً .

« وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إلا جِئْنَـاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا . أَلَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَى وُجُوهِهِمْ إِلَى جَهَنَّمَ أُولَئِكَ شَرٌّ مَكَاناً وَأَضَلُّ سَبِيلاً . وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هرُونَ وَزِيراً . فَقُلْنَا اذْهَبَا إِلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَدَمَّرْنَاهُمْ تَدْمِيرًا . وَقَوْمَ نُوحٍ

لَمَّا كَذَّبُوا ٱلرُّسُلَ أَغْرَقْنَاهُمْ وَجَعَلْنَاهُمْ لِلنَّاسِ آيَةً وَأَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ عَذَاباً أَلِياً . وَعَادًا وَثَمُودَ وَأَصْحَابَ ٱلرَّسِّ وَقُرُوناً بَيْنَ ذَٰلِكَ كَثِيرًا . وَكُلاًّ ضَرَبْنَا لَهُ ٱلْأَمْثَالَ وَكُلاًّ تَبَّرْنَا تَتْبِيرًا . وَلَقَدْ أَتَوْا عَلَى ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِي أُمْطِرَتْ مَطَرَ ٱلسَّوْءِ أَفَلَمْ يَكُونُوا يَرَوْنَهَا بَلْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ نُشُورًا . وَإِذَا رَأَوْكَ إِنْ يَتَّخِذُونَكَ إِلاَّ هُزُواً أَهَـٰذَا ٱلَّذِي بَعَثَ ٱللهُ رَسُولاً . إِنْ كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنْ عَنْ آلِهَتِنَا لَوْلَا أَنْ صَبَرْنَا عَلَيْهَا وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلاً . أَرَأَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَـٰهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلاً . أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلاَّ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلاً . أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِناً ثُمَّ جَعَلْنَا ٱلشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلاً . ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضاً يَسِيرًا » .

ومن هـذا تبين معنى قوله : « ولا يأتونك بمثل » أي صفة عجيبة « إلا جئناك بالحق » الذي يقمع باطل تلك الصفة ، كما قال : « بـل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه » وهو الفضيلة المقابلة لتلك الرذيـلة « وأحسن تفسيراً »

أي كشفاً بإظهار صفة إلهية تجلى بها لك تقوم مقامها ، فتكشفها .

وبالحقيقة تلك الصفة الإلهية الكاشفة إياهـــا هي تفسير الصفة الباطلة ومعاناتها ، فإن كل صفة نفسانية ظل ظلماني لصفة إلهية نورانية ، تنزلت في مراتب التنزلات ، واحتجبت وتضاءلت ، وتكدّرت كالشهوة للمحبة ، والغضب للقهر ، وأمثالها .

« الذين يحشرون على وجوههم » لشدّة ميل نفوسهم الى الجهة السفلية ، فتنكست فطرتهم ، فبعثوا على صور وجوههـــا الى الأرض يسحبون الى نار الطبع « اولئك شرّ مكانـــاً » من ان يقبلوا الحق الدامغ لباطل صفاتهم « وأضلّ سبيلا » من أن يهتدوا الى صفات الله تعـالى ، التي هي تفسير صفاتهم وكشفها « أرأيت من اتخذ إلهه هواه » كل محجوب بشيء واقف معه فهو محب له ، مجانس لذلك الشيء ، فهو في الحقيقة عابد لهواه بعبادته لذلك المحبوب ، والباعث لهواه على محبة غير الله هو الشيطان ، فمحب كل شيء غير الله لا لله ، وبغير محبة الله عابد له والهواه ، وللشيطان متعدد المعبود متفرق الوجهة .

أبعد ذلك « تكون عليه وكيلا » بدعوته الى التوحيد ، وقـد كان في غاية البعـــد محجوباً بظل من ظلاله ؟ « ألم تر الى ربك كيف مدّ الظل » بالوجود الإضافي ؟

إعلم ان ماهيات الأشياء ، وحقائق الأعيان ، هي ظل الحق وصفة عالمية الوجود المطلق ، فمدهـــا ، اظهارها باسمه النور الذي هو الوجود الظاهر الخارجي ، الذي يظهر به كل شيء ويبرز ويتم العدم الى فضاء الوجود ، أي الاضافي « ولو شاء لجعله ساكناً » أي ثابتاً في العدم الذي هو خزانة وجوده ،

أي أم الكتاب ، واللوح المحفوظ الثابت ، وجود كل شيء فيهما في الباطن وحقيقته ، لا العدم الصرف بمعنى اللاشيء فإنه لا يقبل الوجود أصلاً ، وما ليس له وجود في الباطن وخزانة علم الحق وغيبه لم يمكن وجوده أصلاً في الظاهر ، والايجاد والاعدام ليس إلا إظهار ما هو ثابت في الغيب واخفاؤه فحسب ، وهو الظاهر والباطن ، وهو بكل شيء عليم « ثم جعلنا » شمس العقل « عليه » أي الظل « دليلا » يهدي الى أن حقيقته غير وجوده ، وإلا فلا مغايرة بينهما في الخارج فلا يوجد إلا الوجود فحسب ، اذ لو لم يمكن وجوده لما كان شيئاً فلا يدل على كونه شيئاً غير الوجود إلا العقل « ثم قبضناه الينا » بافنائه « قبضاً يسيراً » لأن كل ما يفنى من الموجودات في كل وقت فهو يسير بالقياس الى ما سبق ، وسيظهر كل مقبوض عمّا قليل في مظهر آخر ، والقبض دليل على أن الإفناء ليس إعداماً محضاً ، بل هو منع عن الانتشار في قبضته التي هي العقل الحافظ لصورته وحقيقته أزلاً وأبداً .

« وَهُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱللَّيْلَ لِبَاساً وَٱلنَّوْمَ سُبَاتاً وَجَعَلَ ٱلنَّهَارَ نُشُوراً . وَهُوَ ٱلَّذِي أَرْسَلَ ٱلرِّيَاحَ بُشْراً بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ وَأَنْزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَاءِ مَاءً طَهُوراً . لِنُحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً مَيْتاً وَنُسْقِيَهُ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَاماً وَأَنَاسِيَّ كَثِيراً » .

« وهو الذي جعل لكم » ليل ظلمة النفس « لباساً » يغشاكم بالاستيلاء عن مشاهدة الحق وصفاته ، والذات وظلالها ، فتحتجبون ونوم الغفلة في الحياة الدنيا « سباتاً » تسبتون بها عن الحياة الحقيقية السرمدية ، كما قال عليه السلام : (الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا) .

« وجعل » نهار نور الروح « نشورا » تحيا قلوبكم بـه ، فتنتشرون في فضاء القدس ، بعد نوم الحس « وهو الذي أرسل » رياح النفحات الربانيـه ناشرة محيية ، أو مبشرة بين يدي رحمة الكمال بتجلي الصفات ، « وأنزلنا » من سماء الروح ماء العلم « طهوراً » مطهراً يطهركم عن لوث الرذائل، ورجس الطبائع ، والعقائد الفاسدة ، أو الجهالات المفسدة ، « لنحيي به بلدة ميتا » أي قلباً ميتاً بالجهل «ونسقيه مما خلقنا أنعاماً » من القوى النفسانية بالعلوم النافعة العملية « وأناسيّ » من القوى الروحانية « كثيراً » بالعلوم النظرية .

« وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا فَأَبَى أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلاَّ كُفُورًا . وَلَوْ شِئْنَـا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَذِيرًا . فَلَا تُطِعِ ٱلْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَاداً كَبِيرًا . وَهُوَ ٱلَّذِي مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ هٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَـلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخاً وَحِجْرًا مَحْجُورًا . وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ مِنَ ٱلْمَاءِ بَشَراً فَجَعَلَهُ نَسَباً وَصِهْراً وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا . وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ ٱللهِ مَـا لَا يَنْفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ وَكَانَ ٱلْكَافِرُ عَلَى رَبِّهِ ظَهِيرًا . وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا . قُلْ مَا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلاَّ مَنْ شَاءَ أَنْ يَتَّخِذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلاً » .

« ولقد صرّفنا » هذا العلم المنزل على صور وأمثال مختلفة « ليذكروا » حقائقهم وأوطانهم الحقيقية وما نسوا من العهد ، والوصل ، وطيب الأصل « فأبى أكثر الناس إلا كفورا » لنعمة الهداية الحقانية ، وغمطاً للرحمة الرحيمية ، للاحتجاب بصور الرحمة في ستور الجلال من الغواشي الهيولانية « ولو شئنا لبعثنا في كل قرية نذيراً » أي فرقنا كالك المطلق ، الذي تدعو به جميع الخلق الى الحق على أشخاص ، ووزعناه بحسب أصناف الناس على اختلاف استعداداتهم على الأنبياء ، كما قال : (ولكل قوم هاد) فبعثنا في كل صنف نبياً ، يناسبهم كما كان قبل بعثه محمد من اختصاص موسى ببني اسرائيل ، واختصاص شعيب بأهل مدين وأصحاب الأيكة ، وغير ذلك . وخففنا عنك الجهاد ، إذ الجهاد إنما يكون بحسب الكمال ، وكلما كان الكمال أعظم كان الجهاد أكبر ، لأن الله تعالى يربّ كل طائفة باسم من أسمائه ، فإذا كان الكامل مظهر جميع صفاته ، متحققاً بجميع أسمائه ، وجب عليه الجهاد مع جميع طوائف الأمم ، بجميع الصفات ، ولكن ما فعلنا ذلك لعظم قدرك ، وكونك الكامل المطلق ، والقطب الأعظم ، والخاتم على ما ذكر في تأويل قوله كذلك ، لنثبت به فؤادك .

« فلا تطع » المحجوبين ، بموافقتهم في الوقوف مع بعض الحجب ، ونقصان بعض الصفات ، « وجاهدهم » لكونك مبعوثاً الى الكل « جهاداً كبيراً » هو أكبر الجهادات ، كما قال : (ما أوذي نبيّ مثل ما أوذيت) أي ، ما كمل نبي مثل كمالي « وهو الذي مرج البحرين » أي ، خلط بحر الجسم والروح في الإيجاد « هذا » الذي هو بحر الروح « عذب فرات » أي صاف لذيذ ، وهذا الذي هو بحر الجسم « ملح أجاج » أي متغير متكدّر ، غير لذيذ « وجعل بينهما برزخاً » هو النفس الحيوانية ، الحائلة بينهما من

الإمتزاج ، وتكدر الروح بالجسم وتكثفه ، وتنور الجسم بالروح وتجرّده « وحجراً محجوراً » عياذاً يتعوذ بـه كل منها من بغي الآخر ، ومانعاً يمنع ذلك .

« وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَيِّ ٱلَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ وَكَفَى بِهِ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيراً . ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمٰوَاتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَى عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱلرَّحْمٰنُ فَسْئَلْ بِهِ خَبِيرًا . وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱسْجُدُوا لِلرَّحْمٰنِ قَالُوا وَمَا ٱلرَّحْمٰنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا » .

« وتوكّل على الحيّ الذي لا يموت » أي شاهد موت الكل وعدم حراكهم بذواتهم، كما قال : (انك ميت وانهم ميتون) فإنهم لا يتحركون إلا بدواع أوجدها الله تعالى فيهم ، بفناء أفعالك ، وأفعال الكل في أفعال الحق ، ورفع حجبها عن أفعاله ، اذ مقام التوكل هو الفناء في الأفعال ؛ وبين بقوله : (على الحي الذي لا يموت) إن منشأ التوكل شهود صفة حياته التي بها يحيا كل حي ، لأن من يموت لا يكون حياً بالذات ، وبالترقي عن مقام فناء الأفعال الى الفناء في صفة الحياة يصح مقام التوكل ، كما قالت المتصوفة : (لا يمكن تصحيح كل مقام إلا بالترقي الى المقام الذي فوقه) وإذا كان كل حي يموت إنما يحيا بحي الذات الذي حياته عين ذاته، فبه يتحرك ، فلا تبال بأفعالهم ، فإنهم لو اجتمعوا بأسرهم على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بما كتب الله عليك ، على ما ورد في الحديث .

«وسبّح بحمده» ونزهه بتجردك عن صفاتك ومحوها في صفاته، عن أن تكون لغيره صفة مستقلة تكون مصدراً لفعله ملتبساً بحمده ، أي متصفاً بصفاته ، فإن الحمد الحقيقي هو الإتصاف بصفاته الكمالية التي هو بها حميد ، وذلك هو تصحيح مقام التوكل وتحقيقه ، بنفي الصفات التي هي مبادىء الأفعال من الغير ، وإذا تجردت عن صفاتك بالإتصاف بصفاته ، شاهدت إحاطة علمه بالكل ، فاكتفيت به عن سؤاله في دفع جناياتهم عنك ، وجزاء إيذائهم لك ، وشاهدت قدرته على مجازاتهم ، كما قال إبراهيم عليه السلام : (حسبي من سؤالي علمه بحالي) .

وذلك معنى قوله : « وكفى به بذنوب عباده خبيراً الذي خلق السموات والأرض » أي احتجب بسموات الأرواح وأرض الأجسام « وما بينهما » من القوى في الأيام الستة التي هي الآلاف الستة ، من إبتداء زمان آدم الى محمد عليهما السلام ، لأن الخلق ليس إلا احتجاب الحق بالأشياء ، والأيام هي أيام الآخرة لا أيام الدنيا ، اذ لم تكن الدنيا ثمة ، ولا الشمس والنهار ، وإن يوماً عند ربك كألف سنة مما تعدّون « ثم استوى على » عرش القلب المحمدي في السابع الذي هو يوم الجمعة ، أي يوم اجتماع جميع الأوصاف والأسماء فيه ، وذلك هو معنى الإستواء في الإستقامة بالظهور التام ، والفيض العام الذي هو الرحمة الرحمانية ، ولهذا جعل فاعل الإستواء إسم الرحمن دون إسم آخر ، اذ لا يكون الإستواء بمعنى الظهور التـام إلا به ، ويمكن أن تؤوّل الأيام بالشهور الستة التي يتم فيهـا خلق سموات أرواح الجنين وأرض جسده ، وما بينهما من القوى ، والإستواء بالظهور التام على عرش قلبه الذي كان على ماء النطفة قبل خلقه ما خلق في الشهر السابع ، الذي أنشأه فيه ، خلقاً آخر بحصوله إنساناً، والرحمانية بعموم فيضه المعنوي والصّوريّ من قلبه الى جميع

أجزاء وجوده « فاسئل به خبيراً » اسأل عارفاً به يخبرك بحاله ، واسأله في حالة كونه عالماً بكل شيء « وإذا قيل لهم اسجدوا » أي إذا أمرتهم بالفناء في جميع صفاته وطاعته بها ، أنكروا ولم يمتثلوا أمرك ، لقصور استعدادهم عن قبول هذا الفيض ، وعدم معرفتهم لهذا الإسم لعدم احتظائهم من جميع الصفات ، أو وجود احتجابهم عنها .

« تَبَارَكَ ٱلَّذِي جَعَلَ فِي ٱلسَّمَاءِ بُرُوجاً وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجاً وَقَمَرًا مُنِيرًا . وَهُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ ٱللَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا . وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْناً وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَاماً . وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّداً وَقِيَاماً . وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَاماً . إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَاماً » .

« تبارك الذي جعل في » سماء النفس بروج الحواس « وجعل فيها » سراج شمس الروح ، وقمر القلب « منيراً » بنور الروح « وهو الذي جعل » ليل ظلمة النفس ، ونهار نور القلب يعتقبان « لمن أراد أن يذكر » في نهار نور القلب العهد المنسي ، وينظر في المعاني والمعارف ، ويعتبر « أو أراد » في ليل ظلمة النفس « شكوراً » بأعمال الطاعات ، واكتساب الأخلاق ، والملكات .

« وعباد الرحمن » أي ، المخصوصون بقبول فيض هذا الاسم لسعة

الاستعداد ، « الذين يمشون على الارض هوناً » أي ، الذين اطمأنت نفوسهم بنور السكينة ، وامتنعت عن الطيش بمقتضى الطبيعـــة ، فهم هيّنون في الحركات البدنية ، لتمرّن اعضائهم بهيئـــة الطمأنينة « واذا خاطبهم » اهل السفاهة يسلمون مقالهم ولا يعارضونهم ، لامتلائهم بالرحمة ، وبعد حالهم عن ظهور النفس بالسفاهة ، وكبر نفوسهم بالتقوي بنور القلب ، عن ان تتـأثر بالإيذاء وتضطرب « والذين يبيتون » أي ، الذين هم في مقـام النفس ميتون بالإرادة « سجداً » فانين بالرياضة ، قائمين بصفات القلب ، أحيـاء بحياته ، لله قائلين بلسان الحال الذي لا تتخلف عن دعائه الإجابة « ربنا اصرف » .

« وَٱلَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَاماً . وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللهِ إِلَٰهاً آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَاماً . يُضَاعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيٰمَةِ وَيَخْـــلُدْ فِيهِ مُهَاناً . إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ ٱللهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ ٱللهُ غَفُوراً رَحِيماً . وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحاً فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى ٱللهِ مَتَاباً . وَٱلَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ ٱلزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِٱللَّغْوِ مَرُّوا كِرَاماً . وَٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمّاً وَعُمْيَاناً » .

ولما وصفهم بالتزكية التامة ، والفناء عن جميع صفات النفس من الرذائل المذيقة المورطة في عذاب جهنم الطبيعة ، ومستقر السوء والعاقبة الوخيمة ، عقب وصفهم بالتحلية التامة من الاتصاف بجميع اجناس الفضائل الأربع ، وذلك هو حياتهم بالقلب بعد موتهم عن النفس ، كما قيل : (مت بالإرادة تحيا بالطبيعة) فالقوام بين الإسراف ، والإقتدار في الإنفاق هو العدل ، والتوحيد المشار اليه بقوله : « لا يدعون مع الله إلهاً آخر» هو اساس فضيلة الحكمة ، الذي اذا حصل وقع ظله الذي هو العدل في النفس، فاتصفت بجميع أنواع الفضائل، والامتناع عن قتل النفس المحرمة، إشارة الى فضيلة الشجاعة، والامتناع عن الزنا فضيلة العفة .

ثم ذكر من في مقابلتهم من المحجوبين من فيض الرحمة الرحيمية التي في ضمن الرحمانية ، الذين لا يستعدون لقبول عموم فيضه ، فلا يختصون به ، وإن كانوا لا يخلون من فيضه الظاهر الشامل للكل ، فقال :

« ومن يفعل ذلك » أي، يرتكب جميع اجناس الرذائل حتى الشرك بالله « يلقَ » جزاء الإثم الكبير المطلق، وهو مضاعفة العذاب الروحاني والجسماني بالإحتجاب الكلي، وهيئات الهيكل السفلي « يوم القيامة » الصغرى، والخلود فيه على غاية الهوان « إلا من تاب » رجع الى الله وتنصل عن المعاصي ، فبدّل الشرك بالإيمان، واستبدل الرذائل بالفضائل «فأولئك يبدّل الله سيئاتهم حسنات » بمحو الهيئات عن نفوسهم، وإثبات هذه « وكان الله غفوراً » يستر صفات نفوسهم بنوره « رحيماً » يفيض عليهم الكمالات بجوده ، وهذه هي التوبة بالحقيقة .

ثم بيّن بعد ذكر التوبة الحقيقية حال اهل السلوك ، فقال : « والذين

لا يشهدون الزور » أي ، لا يحضرون أهل الزور المشتغلين بمتاع الغرور ، فإن اهل الدنيا اهل الزور، يحسبون الفاني باقياً ، والقبيح حسناً ، ويعدّون المعدوم موجوداً ، والشر خيراً ، فهم الكذابون ، المبطلون ، الخاطئون ، أي ، يعتزلونهم بملازمة الخلوات ، وإيثار الطاعات ، وإقامة الصلاة « واذا مرّوا باللغو » أي ، الفضول غير الضرورية ، تركوها وأعرضوا عنها ، « ومرّوا » بها مكرمين انفسهم عن مباشرتها ، قانعين بالحقوق عن الحظوظ، وهم الزاهدون بالحقيقة ، التاركون المجرّدون .

ثم لما بيّن الزهد الحقيقي ، والتجريد ، قرن به العبادة الحقيقة والتحقيق ، بقوله : « والذين اذا ذكّروا بآيات ربهم » أي ، كوشفوا المعارف والحقائق، وتجليات الصفات ، والمشاهدات « لم يخروا » على العلم بتلك الآيات من المعارف، والحقائق « صماً » بل تلقوها بآذان واعية ، هي آذان القلوب لا النفوس ، وعلى مشاهدتها ، وتجليها « عمياناً » بل احدقوا نحوها ببصائر حديدة ، مكحلة بنور الهداية .

« وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَاماً . أُولَٰئِكَ يُجْزَوْنَ ٱلْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَاماً . خَالِدِينَ فِيهَا حَسُنَتْ مُسْتَقَرّاً وَمُقَاماً . قُلْ مَا يَعْبَؤُا بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَاماً » .

ثم وصف طلبهم للترقي عن مقـام القلب الى مرتبة السابقين ، والإستعانة بالله عن تلوين النفس وصفاتها ، لينخرطوا في سلك المقربين بقوله : « والذين يقولون ربنا هب لنا من » أزواج نفوسنا ، وذريات قوانا ، ما تقر به أعيننا من طاعاتهم ، وانقيادهم خاضعين ، وتنورهم بنور القلب مخبتين ، غير طالبين للإستعلاء والترفـع ، والإستكبار والتجبر « واجعلنا للمتقين » أي المجردين « إماماً » بالوصول الى مقام السابقين « اولئك يجزون » غرفـــة الفردوس وجنة الروح ، بصبرهم مع الله وفي الله عن غـــيره ، « ويلقون فيها تحية » خلود حياة « سلاماً » سلامة وبراءة عن الآفــات ، أي يحييهم الله بإبقائهم سرمداً ببقائه ، ويسلمهم بإيتائهم كاله، كما قيل : (تحيتهم يوم يلقونه سلام) وقال : (تحيتهم فيها سلام) .

« ما يعبىء بـكم ربي لولا دعاؤكم » أي لو لم يكن طلبكم لله وارادتكم ، لكنتم شيئاً غير ملتفت اليه ، ولا معبوأ به ، كالحشرات ، والهوام ، فإن الانسان إنما يكون انساناً وشيئاً معتداً به ، إذا كان من اصحاب الإرادة ، والطلب ، والله تعالى أعلم .

سورة الشعراء

بسم الله الرحمن الرحيم

« طسم . تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ . لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ أَلاَّ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ » .

« ط » إشارة الى الطاهر ، و « س » الى السلام ، و « م » الى المحيط بالأشياء بالعلم . والكتاب المبين الذي هذه الاسماء والصفات آياته ، هو الموجود المحمّدي الكامل ، ذو البيان والحكمة ، كما قال امير المؤمنين عليه السلام :

(وفيك الكتاب المبين ، الذي بأحرفه يظهر المضمر) .

فيكون معناه على ما ذكر في « طه » إنه عليه السلام ، لما رأى عدم اهتدائهم بنوره وقبولهم لدعوته ، استشعر انه من جهته لا من جهتهم فزاد في الرياضة ، والمجاهدة والفناء في المشاهدة ، فأوحى اليه بأنِ هذه الصفات التي هي الطهارة من لوث البقية ، المانع من التأثير في النفوس ، وسلامة الإستعداد عن النقص في الأمثال ، والكمال الشامل لجميع المراتب بالعلم ، هي صفات كتاب ذاتك المبين لكل كمال ، ومرتبة باتصافها بجميع الصفات الإلهية ،

واشتمالها على معاني جميع أسمائه ، فلا تنجع نفسك ؛ أي لا تهلكها على آثارهم بشدّة الرياضة ، لعدم إيمانهم وامتناعه ، فإنـــه من جهتهم إما لوجود المانع بشدّة الحجاب ، وإما لعدم الإستعداد ، فمعنى لعل في لعلك باخع الإشفاق ، أي اشفق على نفسك أن تهلكها بالرياضة لعدم إيمانهم وفواته .

« إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَاءِ آيَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ . وَمَا يَأْتِيهِم مِّنْ ذِكْرٍ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ مُحْدَثٍ إِلاَّ كَانُوا عَنْهُ مُعْرِضِينَ . فَقَدْ كَذَّبُوا فَسَيَأْتِيهِمْ أَنْبَٰؤُا مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ . أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى ٱلْأَرْضِ كَمْ أَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ . إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ . وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ . وَإِذْ نَادَى رَبُّكَ مُوسَى أَنِ ٱئْتِ ٱلْقَوْمَ ٱلظَّالِمِينَ . قَوْمَ فِرْعَوْنَ أَلَا يَتَّقُونَ . قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ » .

« إن نشأ ننزل عليهم من السماء » من العالم العلوي بتأييدنا لـــك قهراً ، فتخضع أعناقهم له منقادين مسلمين مستسلمين ظاهراً ، وإن لم يدخل الإيمان في قلوبهم ، كما كان يوم الفتح ، أي امتنع إيمانهم لأنـــه أمر قلبي سيظهر اسلامهم بالقهر ، والإلجاء ، والإضطرار .

« وإذ نادى ربك موسى » القلب المهذب بالحكمة العملية ، المدرب بالعلوم

العقلية المشوّق بـذكر الأنوار القدسية ، والكمالات الانسانية ، ووصف المفارقات والمجردات الى الحضرة الإلهيـة ، الغالب على القوة الشهوانية ، بالسعي في طلب الأرزاق الروحانية، من المعارف اليقينية ، والمعاني الحقيقية بعد قتل جبار الشهوة الذي كان يجبر لفرعون النفس الإمارة ، وفراره من استيلائها الى مدين مدينة العلم من الأفق الروحاني، ووصوله الى خدمة شعيب الروح في مقام السر الذي هو محـل المكالمة ، والمناجاة بالسير العقلي بطريق الحكمة ، واكتساب الأخلاق بالتعديل قبل السلوك في الله بطريق التوحيد ، والرياضة بالترك والتجريد ، مع بقـاء النفس المتقوية بالعلم والمعرفة ، المتزينة بالفضيلة، والمتبجحة بزينتها وكمالها ، الطاغية بظهورها على أشرف أحوالها ، المنازعة ربهـا صفة العظمة والكبرياء ، والمعجبة بالبهجة والبهاء، لاحتجابها بأنانيتها ، وانتحالها كمال الحق برؤيته لهـا ، فكانت شرّ الناس ، كما قال عليه الصلاة والسلام: (شر الناس من قامت القيامة عليه وهو حي ولو ماتت).

ثم قامت القيامة عليها لكانت خير الناس « أن أئت القوم الظالمين » من القوى النفسانية الفرعونية العانية لفرعون النفس الأمّارة المتخذة لهـا رباً ، الواضعة كمال الحق موضع كمالهـا ، وهو أفحش الظلم « ألا يتقون » قهري وبأسي ، بتدميرهم وافنائهم « أخاف أن يكذبون » في دعوتي الى التوحيد، ولم يطيعوني في الرياضة والترك والتجريد .

« وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنْطَلِقُ لِسَانِي فَأَرْسِلْ إِلَى هَرُونَ . وَلَهُمْ عَلَيَّ ذَنْبٌ فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ . قَالَ كَلَّا فَاذْهَبَا بِآيَاتِنَا إِنَّا مَعَكُمْ مُسْتَمِعُونَ . فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ

فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ . أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ . قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيداً وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ . وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ ٱلَّتِي فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ ٱلْكَافِرِينَ » .

« ويضيق صدري » لعدم اقتداري على قهرهم ، وعلمي بامتناعهم عن قبول الأوامر الشرعية ، والأسرار الوحيية ، وما يكون خارجاً عن طور الفكر والعقل، لتدربهم بذلك، وتفرعنهم باستبدادهم ، « ولا ينطلق لساني » معهم في هذه المعاني ، لكونها على خلاف ما تعوّدوا به ، ونشأوا عليه من الحكم العملية، الداعية الى مراعاة التعديل في الأخلاق ، دون الفناء بالاطلاق « فأرسل الى هارون » العقل ليؤدّبهم بالمعقول ، ويسوسهم بما يسهل قبولهم له من رعاية مصلحة الدارين ، واختيار سعادة المنزلين ، فتلين عريكتهم ، وتضعف شكيمتهم بمداراته ورفقه ، وموافقته لهم بعمله وحلمه، « ولهم عليّ ذنب » بقتلي جبار الشهوة « فأخاف » ان دعوتهم الى التوحيد ، وأمرتهم بالتجريد ، وترك الحظوظ ، والاقتصار على الحقوق« أن يقتلون » بالاستيلاء والغلبة ، وهذا صورة حال من احتجبت نفسه بالحكمة ، ولم يتألف بعد بطريق الوحدة ، مع قوة استعداده ، وعدم وقوفه مع ما نال من كمال ، فقلما تقبل نفسه خلاف ما يعتقد ، وتنقاد في متابعة الشريعة ، وتقلد إلا من تداركه سبق العناية ، وساعده التوفيق بالجذبة ، « كلا » ردع له عن الخوف بالتشجيع ، والتأييد « فاذهبا » أمر باستصحاب العقل للمناسبة والجنسية ، وتقرير التوحيد بطريق البرهان ، القامع للتفرعن والطغيان ، « وانا معكم مستمعون » وعد بالكلاءة والحفظ ، وتقوية اليقين ، فان من كان الحق معه

لا يغلبه أحد « أن أرسل معنا بني اسرائيل » القوى الروحانية المستضعفة ، المستخدمة في تحصيل اللذات الجسمانية .

وتربيته إياه وليداً ، ولبثه فيهم سنين ، صورة حال الطفولية والصبوية الى أوان التجرّد وطلب الكمال ، الذي أشدّه ببلوغ الأربعين ، فإن القلب في هذا الزمان في تربية النفس ، والولاية لها لحكمة عادية الآلة .

والفعلة ، هي الحركة المذمومة عنـد النفس من الاستيلاء على الشهوة ، والكفر الذي نسبه اليه ، هو إضاعة حق التربية .

« قَالَ فَعَلْتُهَا إِذاً وَأَنَا مِنَ ٱلضَّالِّينَ . فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْماً وَجَعَلَنِي مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ . وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدْتَ بَنِي إِسْرَائِيلَ . قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ ٱلْعَالَمِينَ . قَالَ رَبُّ ٱلسَّمٰوَاتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ . قَـــالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تَسْتَمِعُونَ . قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ . قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ . قَالَ رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ . قَالَ لَئِنِ ٱتَّخَذْتَ إِلٰهاً غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ » .

« وأنا من الضالين » أي لست من الكافرين ، لكون الصلاح في ذلك ، بـل من الذين لا يهتدون الى طريق الوحدة « فوهب لي ربي حكماً » أي ،

حكمة متعالية عن طريق البرهان ، وراء طور الكسب ، والعقل « وجعلني من المرسلين » اليكم بها .

وأما تعبيد بني اسرائيل القوى التي هي قومي ، فليس بمنة تمنها عليّ ، بل عدوان وطغيان ، اذ لو لم تعبدهم ، لما ألقتني أمي الطبيعة البدنية في يمّ الهيولى ، في تابوت الجسد ، ولقام بتربيتي أهلي وقومي من القوى الروحانية.

« قال فرعون وما ربّ العالمين » قيل في القصة : إن فرعون كان منطقياً مباحثاً ، سأل بما هو عن حقيقته تعالى ، فلما أجابه موسى عليه السلام بقوله : « ربّ السموات والأرض وما بينهما » وبين أنّ حقيقته لا تعرف بالحدّ لبساطتها ، غير معلومة للعقل ، لشدّة نوريتها ولطافتها ، بأن عرّفها بالصفة الإضافية ، والخاصة اللازمة ، وعرّض به في تجهيله ، ونفى الايقان عنه ، بقوله « إن كنتم موقنين » أي لو كنتم من أهل الإيقان ، لعلمتم أن لا طريق للعقل الى معرفته ، إلا الاستدلال على وجوده بأفعاله الخاصه به ، وأما حقيقته فلا يعرفها إلا هو وحده ، وما سألتم عنه بما مما لا يصل اليه نظر العقل . استخفه ونبه قومه على خفة عقله ، وكون جوابه غير مطابق للسؤال تعجباً منه لقومه وتسفيهاً له ، فلما ثنى قوله بمثل ما قال أوّلاً من ايراد خاصة أخرى جننه ، فثلث بقوله : « ان كنتم تعقلون » أي ان جننت فأين عقلكم حتى يعرف طوره ، ولم يتجاوز حدّه ؟ وهذه المقالة إشارة الى أن النفس المحجوبة بمعقولها لا تهتدي الى معرفة الحق ، وحكمة الرسالة والشرع ، ولا تذعن للمتابعة ، ولا تنقاد للمطاوعة ، بل تظهر بالإنائية ، وطلب العلوم والربوبية ، والتغلب على الرسالة الإلهية، وهو معنى قوله : « لئن اتخذت إلهاً غيري لأجعلنّك من المسجونين » .

« قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُّبِينٍ . قَالَ فَأْتِ بِهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ ٱلصَّادِقِينَ . فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ . وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ . قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُ إِنَّ هٰذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ . يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِّنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ . قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَٱبْعَثْ فِي ٱلْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ . يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ . فَجُمِعَ ٱلسَّحَرَةُ لِمِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ . وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنْتُمْ مُّجْتَمِعُونَ . لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ ٱلسَّحَرَةَ إِنْ كَانُوا هُمُ ٱلْغَالِبِينَ » .

والشيء المبين الذي يمنعه عن الاستيلاء ، ويردعه عن الغلبة والاستعلاء ، وهو النور البارق القدسي ، والبرهان النيّر العرشيّ الذي ائتلف بـه القلب في الأفق الروحي المعجز للنفس ، والقوى الدالة على صدقه في الدعوى ، المفيد لقوّتيه العـاقلتين ، النظرية والعلمية ، للهيئة النورية ، والقوّة القهرية ، حتى صارت الأولى قوة قدسية متأيدة بالحكمة البالغة يعتمد عليها في قمع العدو عند المجادلة ، ودفع الخصم عند المغالطة ، والثانية قوة ملكية متأيدة بالقـــدرة الكاملة ، يعجز بهـا من غالبه في القوة ، وعارضه بالقدرة ، فإذا ألقى عصى القوة القدسية بالذكر القلبي صار ثعباناً ظاهر الثعبانية في الغلبة القوية ، وإذا نزع يد الملكية من جيب الصدر ، حير الناظر بالإشراق والنورية .

« فَلَمَّا جَاءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالُوا لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِنْ كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَالِبِينَ. قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذًا لَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ. قَالَ لَهُمْ مُوسَى أَلْقُوا مَا أَنْتُمْ مُلْقُونَ. فَأَلْقَوْا حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُوا بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ ٱلْغَالِبُونَ. فَأَلْقَى مُوسَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ. فَأُلْقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سَاجِدِينَ. قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَالَمِينَ. رَبِّ مُوسَى وَهٰرُونَ. قَالَ آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِي عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ. قَالُوا لَا ضَيْرَ إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ. إِنَّا نَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَايَانَا أَنْ كُنَّا أَوَّلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ. وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي إِنَّكُمْ مُتَّبَعُونَ. فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي ٱلْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ. إِنَّ هٰؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ. وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَائِظُونَ. وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَاذِرُونَ. فَأَخْرَجْنَاهُمْ مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ. وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ. كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ. فَأَتْبَعُوهُمْ مُشْرِقِينَ ».

ولما تحيرت النفس الفرعونية وقواها ، وعجزت وخافت أن يخرجها من أرض البدن ، ويدفع شرّ فسادها ورياستها فيها ، ويمنع تسلطها واستيلاءها، بعثوا الدواعي الشيطانية ، واستنهضوا البواعث النفسانية ، الى مدائن محال القوى الوهمية ، والتخيلية ، وأحضروا سحرتها لإلقاء الوساوس والهواجس بآلات المغالطات والتشكيكات ، وجمعوها لوقت الحضور ، وجمعية جميع القوى النفسانية والبدنية والروحانية، في توجه السر الى حضرة القدس،فألقوا حبال التخييلات والوهميات، وعصى الهواجس والوساوس ، لتوهم الغلبة بعزة فرعون النفس الامّارة وقوّته ، ورجاء التعظيم والمنزلة ، والتقريب في صدر الرياسة والسلطنة ، فتلقفها ثعبان القوة القدسية بقوة التوحيد ، وابتلاع مأفوكاتها بنور التحقيق، فانقادت سحرة الوهم، والخيال، والتخيل. اذ فقدت آلاتها ، وآمنت بنور اليقين في متابعة موسى القلب ، وهارون العقل بربهما ، فبقيت مقطوعة الأرجل والأيدي ، عن السعي في أرض البدن بأنواع الحيل ، والكيد والمكر وطلب المعاش ، وتحصيل اللذات والشهوات ، والتصرّف في أملاك القوى البدنية بالرياسة والسلطنة ، من جهة مخالفة النفس ، وموافقة القلب ، مصلوبة على جذوع النفس النباتية ، ممنوعة عن حركاتها بالرياضة ، والقهر والسياسة ، منقلبة الى ربهم في متابعة القلب ، ومشايعة السرّ عند التوجه الى الحق ، مغفورة خطاياهم من التزويرات والمفتريات بنور القدس ، وأوحى الى موسى القلب ، اسراء القوى الروحانية في ليل هدوّ الحواس ، وسكون القوى النفسانية الى الحضرة الوحدانية ، والعبور من بحر المادّة الهيولانية .

« فَلَمَّا تَرَاءَ ٱلْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرَكُونَ . قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ . فَأَوْحَيْنَا

إلى مُوسَى أنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ . وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ الْآخَرِينَ . وَأَنْجَيْنَا مُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَجْمَعِينَ . ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ . إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ . وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ . وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ . إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ . قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَاماً فَنَظَلُّ لَهَا عَاكِفِينَ . قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ . أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ . قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ . قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ . أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمُ الْأَقْدَمُونَ . فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ . الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ . وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ . وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ . وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ . وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ » .

فلما اتبعهم فرعون النفس في التلوينات حاشراً جنوده من مدائن طبائع الأعضاء ، حاذراً من ذهاب رياسته وملكه ، ممتلئاً من غيظ تسلط القلب واتباعه ، واستيلائه على مملكته وأعوانه ، فكادوا أن يظفروا بهم ، ضرب موسى القلب بأمر الحق عند تقابلهما وتعارضهما بعصا القوة القدسية ، البحر

الهيولاني، فانفلق الى الحقوق والحظوظ، ونجا موسى وقومه بطريق التجريد، وأخرج أعداءهم بالمنع عن الحظوظ ، والإجبار على الحقوق ، من جنــات اللذات النفسانية ، وعيون أذواقها وأهوائها ، وكنوز مدخراتها وأسبـابها ، ومقام الركون الى مشتهياتها ، الى أن خرج موسى وأهله من البحر بالمفارقة ، وغرق فرعون النفس وقومه أجمعون .

« ما تعبدون » كل من عكف على شيء يهواه ويحبه ويتولاه ، فهو عابد له ، محجوب به عن ربه ، موقوف معه عن كماله ، وذلك عدو الموحد ، اذ الغير لا يوجد عنده إلا في التوهم ، فالباعث على عبادته الشيطان ، والغالب على عابده الظلم ، والعدوان ، ولا يضر غير الحق في شهوده ، ولا ينفع ولا يبصر بنفسه ، ولا يسمع لأنه يشهد الحق قائماً على كل نفس بما تفعل ، وأيدي الأفعال كلها في حضرة أسمائه منه تصدر ، كما قـــال عليه السلام : (الذي خلقني فهو يهدين ، والذي هو يطعمني ويسقين) الى آخره . فهو الخــالق ، والهــادي ، والمطعم ، والساقي ، والممرض ، والشافي ، والمميت ، والمحيي ، ويقرّر هذا المعنى قوله : « أينما كنتم تعبدون من دون الله هل ينصرونكم أو ينتصرون » الى قوله : « فما لنا من شافعين ولا صديق حميم » .

ولما كان هذا المقام مقام الفناء ، وذنبه لا يكون إلا بوجود البقية، خاف ذنب حاله ، ورجا غفرانه منه بنور ذاته ، فقال : « والذي اطمع أن يغفر لي خطيئتي يوم الدين » أي القيامـــة الكبرى ، ولا يجازيني من ظهور البقية بالحرمان .

« رَبِّ هَبْ لِي حُكْماً وَأَلْحِقْنِي بِٱلصَّالِحِينَ . وَٱجْعَلْ لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي ٱلْآخِرِينَ . وَٱجْعَلْنِي مِنْ وَرَثَةِ جَنَّةِ ٱلنَّعِيمِ . وَٱغْفِرْ

لِأَبِي إِنَّهُ كَانَ مِنَ ٱلضَّالِّينَ . وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ . يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ . إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ . وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ . وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ . وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ . مِن دُونِ ٱللَّهِ هَلْ يَنصُرُونَكُمْ أَوْ يَنتَصِرُونَ . فَكُبْكِبُوا فِيهَا هُمْ وَٱلْغَاوُونَ . وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ . قَالُوا وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ . تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ . إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَالَمِينَ . وَمَا أَضَلَّنَا إِلَّا ٱلْمُجْرِمُونَ . فَمَا لَنَا مِن شَافِعِينَ . وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ . فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ . إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ . وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ . كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ . إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ . إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ . فَٱتَّقُوا ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ . وَمَا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ . فَٱتَّقُوا ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ . قَالُوا أَنُؤْمِنُ لَكَ وَٱتَّبَعَكَ ٱلْأَرْذَلُونَ . قَالَ وَمَا عِلْمِي بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ . إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّي لَوْ تَشْعُرُونَ . وَمَا أَنَا بِطَارِدِ ٱلْمُؤْمِنِينَ . إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ . قَالُوا لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَا نُوحُ لَتَكُونَنَّ

مِنَ ٱلْمَرْجُومِينَ . قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِي كَذَّبُونِ . فَٱفْتَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحاً وَنَجِّنِي وَمَنْ مَّعِيَ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ . فَأَنْجَيْنَاهُ وَمَنْ مَّعَهُ فِي ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ . ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ ٱلْبَاقِينَ . إِنَّ فِي ذٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُّؤْمِنِينَ . وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ . كَذَّبَتْ عَادٌ ٱلْمُرْسَلِينَ . إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ . إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ . فَٱتَّقُوا ٱللهَ وَأَطِيعُونِ . وَمَا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلى رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ . أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ . وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ . وَإِذَا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ . فَٱتَّقُوا ٱللهَ وَأَطِيعُونِ . وَٱتَّقُوا ٱلَّذِي أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ . أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ . وَجَنَّاتٍ وَعُيُونٍ . إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ . قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُنْ مِّنَ ٱلْوَاعِظِينَ . إِنْ هٰذَا إِلاَّ خُلُقُ ٱلْاوَّلِينَ . وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ . فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّ فِي ذٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُّؤْمِنِينَ . وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ . كَذَّبَتْ ثَمُودُ ٱلْمُرْسَلِينَ . إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَالِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ . إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ . فَٱتَّقُوا

ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ . وَمَا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَى رَبِّ ٱلعَالَمِينَ . أَتُتْرَكُونَ فِي مَا هٰهُنَا آمِنِينَ . فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ . وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ . وَتَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتاً فَارِهِينَ » .

ثم سأل الإستقامة في التحقق به في مقام البقاء ، بقوله : « ربّ هب لي حكماً وألحقني بالصالحين » أي حكمة وحكماً بالحق ، لأكون من الذين جعلتهم سبباً لصلاح العالم ، وكمال الخلق ، واجعلني محبوباً لك ، فيحبني بحبك خلقك أبداً ، فيحصل لي « لسان صدق في الآخرين » .

إذ لا بــــد ان يحب شيئاً من كثرة ذكره بالخير ذكر اللازم مكان الملزوم «إلا من أتى الله بقلب سليم» أي إلا حال من أتى الله وسلامة القلب بأمرين : برأته عن نقص الاستعداد في الفطرة . ونزاهته عن حجب صفات النفس في النشأة . يمكن أن يؤول كل نبيّ مذكور فيهــا بالروح او القلب ، وتكذيب قومه المرسلين بامتناع القوى النفسانية عن قبول التأدب بآداب الروحانيين ، والتخلق بأخــــلاق الكاملين ، وقول النبي : « ألا تتقون » معناه تجتنبون الرذائل « إني لكم رسول أمين » أودّي اليكم مــــا تلقفت من الحق من الحكم والمعاني اليقينية ، غير مخلوطة بالوهميات ، والتخيلات .

« فَٱتَّقُوا ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ . وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ ٱلْمُسْرِفِينَ . ٱلَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ . قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ . مَا أَنْتَ إِلاَّ بَشَرٌ مِثْلُنَا فَأْتِ بِآيَةٍ إِنْ كُنْتَ مِنَ

ٱلصَّادِقِينَ. قَالَ هٰذِهِ نَاقَةٌ لَّهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ.
وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ. فَعَقَرُوهَا
فَأَصْبَحُوا نَادِمِينَ. فَأَخَذَهُمُ ٱلْعَذَابُ إِنَّ فِي ذٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ
أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ. وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ. كَذَّبَتْ قَوْمُ
لُوطٍ ٱلْمُرْسَلِينَ. إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ. إِنِّي لَكُمْ
رَسُولٌ أَمِينٌ. فَٱتَّقُوا ٱللهَ وَأَطِيعُونِ. وَمَا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ
أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ. أَتَأْتُونَ ٱلذُّكْرَانَ مِنَ
ٱلْعَالَمِينَ. وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُم مِّنْ أَزْوَاجِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ
قَوْمٌ عَادُونَ. قَالُوا لَئِنْ لَّمْ تَنْتَهِ يَا لُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ
ٱلْمُخْرَجِينَ. قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُم مِّنَ ٱلْقَالِينَ. رَبِّ نَجِّنِي وَأَهْلِي مِمَّا
يَعْمَلُونَ. فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ. إِلَّا عَجُوزاً فِي ٱلْغَابِرِينَ. ثُمَّ
دَمَّرْنَا ٱلْآخَرِينَ. وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ ٱلْمُنْذَرِينَ.
إِنَّ فِي ذٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ. وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ
ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ. كَذَّبَ أَصْحَابُ ٱلْأَيْكَةِ ٱلْمُرْسَلِينَ. إِذْ قَالَ
لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ. إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ. فَٱتَّقُوا ٱللهَ
وَأَطِيعُونِ. وَمَا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى

رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ . أَوْفُوا ٱلْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ ٱلْمُخْسِرِينَ .
وَزِنُوا بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ . وَلَا تَبْخَسُوا ٱلنَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا
تَعْثَوْا فِي ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ . وَٱتَّقُوا ٱلَّذِي خَلَقَكُمْ وَٱلْجِبِلَّةَ
ٱلْأَوَّلِينَ . قَالُوا إِنَّمَا أَنتَ مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ . وَمَا أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ
مِّثْلُنَا وَإِن نَّظُنُّكَ لَمِنَ ٱلْكَاذِبِينَ . فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِّنَ
ٱلسَّمَاءِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّادِقِينَ . قَالَ رَبِّي أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ .
فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ ٱلظُّلَّةِ إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ
عَظِيمٍ . إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ . وَإِنَّ
رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ . وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ . نَزَلَ
بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ . عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ . بِلِسَانٍ
عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ . وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ ٱلْأَوَّلِينَ . أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ آيَةً
أَن يَعْلَمَهُ عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ . وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَىٰ بَعْضِ
ٱلْأَعْجَمِينَ . فَقَرَأَهُ عَلَيْهِم مَّا كَانُوا بِهِ مُؤْمِنِينَ . كَذَٰلِكَ
سَلَكْنَاهُ فِي قُلُوبِ ٱلْمُجْرِمِينَ . لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ حَتَّىٰ يَرَوُا
ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ . فَيَأْتِيَهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ . فَيَقُولُوا هَلْ
نَحْنُ مُنظَرُونَ . أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ . أَفَرَأَيْتَ إِن مَّتَّعْنَاهُمْ

سِنِينَ . ثُمَّ جَاءَهُمْ مَّا كَانُوا يُوعَدُونَ . مَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَّا كَانُوا يُمَتَّعُونَ . وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلاَّ لَهَا مُنْذِرُونَ . ذِكْرَى وَمَا كُنَّا ظَالِمِينَ . وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ ٱلشَّيَاطِينُ . وَمَا يَنْبَغِي لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ . إِنَّهُمْ عَنِ ٱلسَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ » .

« فاتقوا الله » في التجريد والتزكية « وأطيعون » في التنوّر والتحلية « وما أسئلكم عليه من أجر » مما عندكم من اللذات والمدركات الجزئية ، فإني غنيّ عنها « إن أجريّ إلا على رب العالمين » بإلقاء المعاني والحكم الكلية ، وإشراق الأنوار اللذيذة القدسية « وما تنزلت به الشياطين » لأن تنزلهم لا يكون إلا عند استعداد قبول النفوس لنزولها بالمناسبة في الخبث ، والكيد ، والمكر ، والغدر ، والخيانة ، وسائر الرذائل . فإن مدركات الشياطين من قبيل الوهميات والخياليات ، فمن تجرّد عن صفات النفس ، وترقى عن أفق الوهم الى جناب القدس ، وتنوّرت نفسه بالأنوار الروحية ، ومصابيح الشهب السبوحية ، وأشرق عقله بالإتصال بالعقل الفعال ، وتلقي المعارف ، والحقائق في العالم الأعلى ، ما ينبغي ولا يمكن للشياطين أن يتنزلوا عليه ، ولا أن يتلقفوا المعارف والحقائق والمعاني الكلية والشرائع ، فإنهم معزولون عن جناب سماء الروح ، واستماع كلام الملكوت الأعلى ، مرجومون بشهب الأنوار القدسية ، والبراهين العقلية ، لأن طور الوهم لا يترقى عن أفق القلب ، ومقام الصدر ، ولا يتجاوز الى السرّ ، فكيف الى حد من هو بالأفق الأعلى ، ثم دنى فتدلى ؟

« فَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللهِ إِلَٰهاً آخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْمُعَذَّبِينَ . وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ . وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ . فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ . وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ . ٱلَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ . وَتَقَلُّبَكَ فِي ٱلسَّاجِدِينَ » .

« فلا تدع مع الله إلهـاً آخر » أي ، لا تلتفت الى وجود الغير بظهور النفس ، ولا تحتجب في الدعوة بالكثرة عن الوحدة ، « تكون من المعذبين » بإلقاء الشياطين ، وإن امتنع تنزلهم بالموافقة والمراقبة ، كقوله : « ألقى الشيطان في أمنيته » فإنه لا يأمن في الإنذار والنزول الى مبالغ عقول المنذرين ، ونفوسهم إلقاءهم ، وإن أمن تنزلهم ، ومصاحبتهم وأغواءهم ، عند التلقي « وأنذر عشيرتك الأقربين » من الذين يقارب استعدادهم استعدادك ، ويناسب حالهم بحسب الفطرة حالك ، إذ القبول لا يكون إلا بجنسية ما في النفس ، وقرب في الروح « واخفض جناحك » بالنزول الى مرتبـة من اتبعك من المؤمنين ، لتخاطبه بلسانه ليفهم ، وترقيه عن مقامه فيصعد ، وإلا لم يمكنهم متابعتك «فإن عصوك» لاستحكام الرين وتكاثف الحجاب ، فتبرأ عن حولهم وقوتهم ، وحولك وقوتك ، بالتوكل والفناء في أفعاله تعالى ، فإنهم وإياك لا يقتدرون على ما لم يشأ الله ، ولا يكون إلا ما يريد ، وشاهد في توكلك وفنائك عن أفعالك مصادر أفعاله ، من العزة التي يقهر بهـا من يشاء من العصاة ، فيحجبهم ويمنعهم من الإيمان والرحمة التي يرحم بهـا ، ويفيض النور على من يشاء من أهل الهداية ، فإنه يحجب المحجوبين بقهره وجلاله ، ويهدي المهتدين

بلطفه وجماله ، وليس لــك من الأمر شيء ، إنك لا تهدي من أحببت ، ولكن الله يهدي من يشاء « الذي يراك » ويحضرك ، ويحفظك « حين تقوم » في النشأة في القيامة الصغرى ، والفطرة في الوسطى ، بالوحدة حين الإستقامة في الكبرى « وتقلبك » انقلابك ، وانتقالك في أطوار الفانين في أفعاله تعالى وصفاته وذاته ، بالنفس والقلب والروح في زمرتهم ، وقبل النشأة الاولى في أصلاب آبائك الانبياء الفانين في الله عنها .

« إِنَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ . هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَى مَنْ تَنَزَّلُ ٱلشَّيَاطِينُ . تَنَزَّلُ عَلَى كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ . يُلْقُونَ ٱلسَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَاذِبُونَ . وَٱلشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُونَ . أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ . وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ . إِلَّا ٱلَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱنْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ » .

« إنه هو السميع » لما تقوله « العليم » لما تعلمه ، فيعلم أنه ليس من كلام الشياطين ، والقائهم قل « هل أنبئكم » الى آخره ، تقرير لقوله تعالى ، وما ينبغي لهم ومـــا يستطيعون ، لأن الإفك والاثم من لوازم النفوس الكدرة الخبيثة ، المظلمـــة السفلية المستمدة من الشياطين بالمناسبة المستدعية لإلقائهم وتنزلهم بحسب الجنسية ، ومن جملتهم الشعراء الذين يركبون المخيلات والمزخرفات من القياسات الشعرية ، والأكاذيب الباطلة ، سواء كانت موزونة

أم لا ، فيتبعهم الغاوون الضالون في ذلـــك ، ويأخذون منهم التزويرات ، والمفتريات ، دون الذين ينظمون المعارف ، والحقائق ، والآداب، والمواعظ، والأخلاق ، والفضائل ، وما ينفع الناس ، ويفيد ويهيج أشواقهم في الطلب، ويزيد . والله أعلم .

سورة النمل

بسم الله الرحمن الرحيم

« طس . تِلْكَ آيَاتُ ٱلْقُرْآنِ وَكِتَابٍ مُّبِينٍ . هُدىً وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ . ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلٰوةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكٰوةَ وَهُمْ بِٱلْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ » .

« طس » أي تلـــك الصفات العظيمة المذكورة في « طسم » التي أصلها الطهارة من صفات النفس ، وسلامة الإستعداد في الأصل عـن النقص ، هي « آيات القرآن » أي العقل القرآني ، وهو الإستعداد الحمدي ، الجامع لجميع الكمالات باطناً ، فـإذا ظهرت وبرزت الى الفعل في القيامة الكبرى ، كانت فرقاناً .

وقوله : « هدى وبشرى » قائم مقام (م) في (طسم) لأن الهداية الى الحق ، والبشارة بالوصول ، لا يكونان إلا بعد الكمال العلمي ، إذ الهداية للغير التي هي التكميل ملزومة العلم الذي هو الكمال ، فيحصل الإكتفاء بهـا عنه ، وهما حالان معمولان لتلك المشار بها الى الصفات المذكورة في (طسم) ، كما

ذكر أي هادياً ومبشراً للمؤمنين، أي الموقنين بعلم التوحيد « الذين يقيمون » صلاة الحضور والمراقبة « ويؤتون الزكوة » عن صفات النفوس » أي يزكون بالتجريد والمجاهدة « وهم بالآخرة » أي مقـام المشاهدة « يوقنون » يعني في حال المكاشفة يوقنون بالمعاينة ، والرسول يهديهم إليها، ويبشرهم بجنة الذات، والفوز الأعظم .

« إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَالَهُمْ فَهُمْ يَعْمَهُونَ . أُولَٰئِكَ ٱلَّذِينَ لَهُمْ سُوءُ ٱلْعَذَابِ وَهُمْ فِي ٱلْآخِرَةِ هُمُ ٱلْأَخْسَرُونَ . وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلْقُرْآنَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ . إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِ إِنِّي آنَسْتُ نَاراً سَآتِيكُمْ مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ آتِيكُمْ بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَّعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ . فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ أَن بُورِكَ مَن فِي ٱلنَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَانَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ » .

« إن الذين لا يؤمنون بالآخرة » من المحجوبين بتزين نفوسهم بكمالاتها ، وهيآت أعمـالها « فهم يعمهون » يعمون بصائرهم عن إدراك صفات الحق ، وتجليات أنوارها، وإلا لم يحتجبوا بصفاتهم وأفعالهم ، بل فنوا عنها « أولئك الذين لهم سوء العذاب » بنيران الحجاب والحرمان عن لذات تجليات الصفات « وهم في الآخرة » ومقام كشف الذات في القيامة الكبرى « هم الأخسرون » لتكاثف حجابهم بصفاتهم وذواتهم، فلا أخلاق لهم من الجنتين ولذاتها «وانك لتلقى القرآن » أي العقل القرآني « من لدن » أي من عين جمـع الوحدة في

الصفات الأول ، الذي لا حجاب بينه وبين الحضرة الأحدية ، بل هو نفسه الحجاب الأقدس المفيض لكل الإستعدادات من العقول الفرقانية على أربابهـا من الأعيـــان الثابتة الإنسانية « حكيم » ذي حكمة بالغة تامة ، وعلم محيط شامل .

أذكر من جملة عـلوم الحق وحكمه وقت قول موسى القلب « لأهله » من النفس ، والحواس الظاهرة، والباطنة « امكثوا » واثبتوا ولا تشوّشوا وقتي بالحركات « اني آنست » بعين البصيرة « ناراً » أي نار وما أعظمها ، هي نار العقل الفعال « سآتيكم منها بخبر » أي علم بالطريقة الى الله ، وكان حاله أنه ضلّ الطريقة الى الله برعاية أغنام القوى البهيمية ، وزوجه النفس الحيوانية ، « أو آتيكم بشهاب قبس » أي بشعلة نورية تشرق عليكم حين اتصالي بالنار ، وتنوّري بها « لعلكم تصطلون » عن برد الركون الى البدن، والسكون إليه، وهوى لذاته ، فتشتاقوا بحركة تلك النار الى جناتي ، وتسيرون بحبق الى مقام الصدر .

« فلمّا جاءها نودي أن بورك » أي كثر خـــير « من في النار » أي هو موسى القلب الواصل الى النار بتجليات الصفات الإلهية ، ووجدان الكمالات الحقيقية ، ومقام المكالمة عن النبوة « ومن حولهـا » من القوى الروحانية ، والملائكة السماوية ، بأنوار المكاشفة وأسرار العـــلوم ، والحكم والتائيدات القدسية ، والأحوال السرية ، والذوقية « وسبحان الله رب العـالمين » ونزه ذات الله بتجردك عن الصفـات النفسانية ، والغواشي الجسدانية ، والنقائص والمعائب .

« يَا مُوسَى إِنَّهُ أَنَا ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ . وَأَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَا مُوسَى لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ ٱلْمُرْسَلُونَ . إِلَّا مَنْ ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًا بَعْدَ سُوءٍ فَإِنِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ . وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ فِي تِسْعِ آيَاتٍ إِلَى فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ . فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ آيَاتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ . وَجَحَدُوا بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَٱنْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ » .

« أنا الله » القوي الذي قهر نفسك ، وكل شيء بالفناء فيه « الحكيم » الذي علمك الحكمة ، وهداك بها الى مقام المكالمة «وألق» عصا نفسك القدسية المؤتلفة بشعاع القدس ، أي خلفاً عن الضبط بالرياضة ، وأرسلها ولا تمنعها عن الحركة ، فإنها تنورت « فلمّا رآها » تضطرب وتتحرك « كأنها » حية غالبة بالظهور « ولى » الى جناب الحق « مدبراً » خوف ظهور النفس « ولم يعقب » أي لم يرجع ، وبقي مشتغلا بتدارك البقية « لا تخف » من استيلاء النفس وظهور الحجاب ، فإن النفس إذا حييت بعد موتها بالإرادة ، وفنائها بالرياضة ، ان استقلت بنفسها ، واستبدت بأمر كانت حجاباً وابتلاءً ، وإذا تحركت بأمري حية بنور الروح والمحبة الحقانية لا بهواها ، لم تكن حجاباً .

«اني لا يخاف لديّ المرسلون» الذين أرسلتهم بالبقاء بعد الفناء ، وأحييت نفوسهم بحياتي « إلا من ظلم » بظهور النفس قبل وقت الإستقامة،واستحكام مقام البقاء ، فإنه ذنب حاله تجب عنه التوبة بالاستغفار ، والخوف بالابتلاء « ثم بدل حسناً » بالخوف والتدارك بقمعها ، والالتجاء الى جنـاب الحق من شرها «بعد سوء» أية صفة ظهرت بها من صفاتها « فإني غفور » أستر بنوري ظلمتها « رحيم » أرحم بعد الغفران بصفتي القائمة صفتها الظاهرة هي بها .

« وأدخل يدك » العاقلة العلمية « في جيبك » تحت لبـاس النفس متصلة بالقلب ، في ابطك الأيسر موضع الصدر « تخرج بيضاء » نورانية ذات قدرة، « من غير سوء » أي التلوين ، والظهور بصفة من صفاتها، بل بالتنوّر بالنور.

« في تسع آيات » أي ، اذهب بهاتين الآيتين بين النفس القدسية والعاقلة العلمية الحية ، احداهما بحياة القلب ، والمتنوّرة . ثانيتها بنوره في جملة تسع آيات هما اثنتان منها ، والباقية هي السبع المشار اليهـــا في قول المتكلمين بالقدماء السبعة ، وهي الصفات الإلهية التي تجلى بها الحق تعـالى على القلب ، فقامت مقام صفاته ، وهي: الحياة ، والقدرة ، والعلم ، والإرادة ، والسمع، والبصر . والتكلم الى فرعون ، النفس الأمـــارة بالسوء ، المحجوبة بالانانية « وقومه» من قواها كلما ظهرت بتفرعنها على أية صفة، في أي مظهر ظهرت وأينما وجدت ، اذهب بهذه الصفات « إنهم كانوا قوماً فاسقين » خارجين عن دين الحق وطاعته ، بدين الهوى، منكرين للتوحيد « بظهورهم » فلما جاءتهم آياتنا مبصرة منه نورانية تحيروا فيها « وجحدوا بهـــا » بظهورهم بصفاتها ومخالفتها « ظلماً وعلوّاً » وإن استيقنتها انفسهم من طريق العـــلم والعقل لتفرعنها ، وتعوّدها بالاستعلاء وعدم ملكية العدل « فانظر كيف كان » عاقبتهم من الغرق في يم القطران ، لإفسادهم في ارض البدن بالطغيان .

بقوله : « رب أوزعني ان اشكر نعمتك التي انعمت عليّ وعلى والديّ وأن أعمل صالحاً ترضاه » بالاستقامة في القيام بحقوق تجليات صفاتك ، والعبادات القلبية لوجهك ونور ذاتك « وأدخلني » برحمتك « في عبادك الصالحين » أي، بكمال ذاتك في زمرة الكُمل الذين هم سبب صلاح العالم ، وكمال الخلق.

« وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى ٱلْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ ٱلْغَائِبِينَ . لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَاباً شَدِيداً أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ . فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ . إِنِّي وَجَدتُ ٱمْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ . وَجَدتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ ٱللهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ » .

« وتفقّد » حال طير القوى الروحانية ، ففقد هدد القوة المفكرة ، لأن القوة المفكرة إذا كانت في طاعة الوهم كانت متخيلة ، والمفكرة غائبة بل معدومة ، ولا تكون مفكرة إلا إذا كانت مطيعة للعقل « لأعذبنه عذاباً شديداً » بالرياضة القوية ، ومنعها عن طاعة الوهمية ، وتطويعها للعاقلة « أو لأذبحنّه » بالإماتة « أو ليأتيني بسلطان مبين» أو تصير مطواعة للعقل لصفاء جوهرها ، ونورية ذاتها ، فتأتي بالحجة البيّنة في حركتها .

« فمكث غير بعيد » أي، لم يطل زمان رياضتها لقدسيتها، وما احتاجت الى الإماتة لطهارتها ، حتى رجعت بسلطان مبين ، وتمرّنت في تركيب الحجج على أصح المناهج ، فقال : « أحطت بما لم تحط به » من أحوال مدينة البدن وإدراك الجزئيات وتركيبها مع الكليات ، فإن القلب لا يدرك بذاته إلا الكليات ، ولا يضمها الى الجزئيات في تركيب القياس، واستنتاج، واستنباط الرأي ، إلا الفكر ، وبواسطته يحيط بأحوال العالمين ، ويجمع بين خيرات الدارين «وجئتك من سبأ» مدينة الجسد « بنبأ يقين » عيانيّ مشاهد بالحسّ .

« وإني وجدت امرأة تملكهم » هي الروح الحيوانية المسماة باصطلاح القوم النفس « وأوتيت من كل شيء » من الأسباب التي يدبرها البدن ، ويتم بها تملكه « ولها عرش عظيم » هو الطبيعة البدنية التي هي متكؤها ، بهيئة ارتفاعها من طبائع البسائط العنصرية التي هي المزاج المعتدل، أو تؤوّل مدينة سبأ بالعالم الجسماني ، والعرش بالبدن « ووجدتها وقومها يسجدون » لشمس عقل المعاش المحجوب عن الحق بانقيادها له ، وإذعانها لحكمه ، دون الإنقياد لحكم الروح ، والإنخراط في سلك التوحيد ، والإذعان لأمر الحق وطاعته « وزين لهم » شيطان الوهم « أعمالهم » من تحصيل الشهوات واللذات البدنية، والكمالات الجسمانية « فصدّهم عن » سبيل الحق ، وسلوك طريق الفضيلة بالعدل « فهم لا يهتدون » الى التوحيد ، والصراط المستقيم .

« أَلاَّ يَسْجُدُوا لِلَّهِ ٱلَّذِي يُخْرِجُ ٱلْخَبْءَ فِي ٱلسَّمٰوَاتِ وَٱلأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ . ٱللَّهُ لَا إِلٰهَ إِلاَّ هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ . قَالَ سَنَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ ٱلْكَاذِبِينَ » .

« ألا يسجدوا لله » أي ، فصدّهم عن السبيل لئلا ينقادوا ويذعنوا في إخراج كمالاتهم الى العقل «الذي يخرج الخبأ» أي، المخبوء من الكمالات الممكنة، في سماوات الأرواح ، وأرض الجسم « ويعلم ما تخفون » مما فيهم بالقوة ، من الكمالات بالأعمال الحاجبة ، والممانعة لخروج ما في الإستعداد الى العقل « وما تعلنون » من الهيئات المظلمة ، والأخلاق المردية «الله لا إله إلا هو » فلا يجوز التعبد والإنقياد إلا له « رب العرش العظيم » المحيط بكل شيء .

فما أصغر عرش بلقيس النفس في جنب عظمته، فكيف لا تطيعه وتحتجب بمحبة عرشها عن طاعته ؟ « سننظر أصدقت » في تضليلهم ، والإحاطة بأحوالهم ، بالطريق العقلي « أم كنت من الكاذبين » بموافقة الوهم، وتركيب التخيلات الفاسدة .

« إذْهَبْ بِكِتَابِي هٰذَا فَأَلْقِهِ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَٱنْظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ . قَالَتْ يَا أَيُّهَا ٱلْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ . إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ ٱللهِ ٱلرَّحْمٰنِ ٱلرَّحِيمِ . أَلاَّ تَعْلُوا عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ . قَالَتْ يَا أَيُّهَا ٱلْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْراً حَتَّى تَشْهَدُونَ . قَالُوا نَحْنُ أُولُوا قُوَّةٍ وَأُولُوا بَأْسٍ شَدِيدٍ وَٱلْأَمْرُ إِلَيْكِ فَٱنْظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ . قَالَتْ إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً

وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ . وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ ٱلْمُرْسَلُونَ . فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَا آتَانِيَ ٱللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّا آتَاكُمْ بَلْ أَنتُمْ بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ » .

« اذهب بكتابي هذا » أي ، الحكمة العملية ، والشريعة الإلهية « فألقه اليهم ثم تولّ عنهم فانظر ماذا يرجعون » أيقبلون الطاعــة والإنقياد ، أم يأبون ؟ « إنــه من سليمان » لصدوره من القلب بواسطة الفكر الى النفس «وأنه بسم الله الرحمن الرحيم» أي، باسم الذات الموصوفة بإفاضة الإستعداد ، وما يخرج بــه ما فيه الى العقل من الآلات ، وإفاضة الكمال المناسب له من الأخلاق والصفات « ألا تعلوا عليّ » ألا تغلبوا ، ولا تستعلوا « وأتوني » منقادين مستسلمين .

وقولها: « يا أيها الملأ أفتوني » الى آخره . إشارة الى قابلية النفس ونجابة جوهرها، ومخالفتها لأمر قواها في الإستعلاء والغرور، بهيئة الشوكة والإستيلاء، وإن لم يمكنها القبول إلا بمظاهرتهم ومشاورتهم . وإفساد القرية ، وإذلال أعزتها ، إشارة الى منعها عن الحظوظ واللذات ، وقمع ما يغلب ويستولي على القوى بالرياضات « وإني مرسلة اليهم بهدية » من أموال المدركات الحسية ، والشهوات النفسية ، واللذات الوهمية والخياليــة ، وإمداد الموادّ الهيولانية بتزيينها عليهم ، وتسويلها لهم، على أيدي الهواجس ، والدواعي ، والبواعث « فناظرة » هل يقبلها فيلين ويميل الى النفس ؟ أو يردّها فيتصلب في الميل الى الحق « فما آتاني الله » من المعارف اليقينية ، والحقائق القدسية ، واللذات العقلية ، والمشاهدات النورية « خير ممــا آتاكم » من المزخرفات الحسية ،

والخيالية ، والوهمية « بل أنتم بهديتكم تفرحون » لا نحن ، وإنما فرحنا بما هو من عند الله ، لا بما ذكر .

« إرْجِعْ إلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لا قِبَلَ لَهُمْ بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ . قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ . قَالَ عِفْرِيتٌ مِنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ . قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرّاً عِنْدَهُ قَالَ هٰذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ » .

« ارجع إليهم » خطاب للمتخيل المرسول ، العارض للهدايا عليهم بالتسويل « فلنأتينهم بجنود » من القوى الروحانية ، وامداد الأنوار الإلهية « لا » طاقة « لهم بها ولنخرجنهم منها » بالقهر ، والاستيلاء ، والقمع « أذلة وهم » أذلاء بالطبع والرتبة ، لدنوّ مرتبتهم في الأصل والطينة ، وتنويرها بالآداب « قبل أن يأتوني مسلمين » أي قبل قرب النفس وقواها ، بالأخلاق والطاعة ، فإن تسخير القوى الطبيعية بالأعمال والآداب ، أسهل وأقرب من تسخير النفس الحيوانية وقواها بالأخلاق ، والملكات .

والعفريت: هو الوهم، لأنه يسخرها بالخوف والرجاء، ويبعثها على الأعمال بالدواعي الوهمية ، والأماني الموافقة « قبل أن تقوم من مقامك » أي ما دمت في مقام الصدر قبل الترقي الى مقام السرّ ، فإن الوهم حينئذ ينعزل عن فعله بالهداية والمشايعة ، والذي عنده علم من الكتاب هو العقل العملي الذي عنده بعض العلم ، وهو الحكمة العملية ، والشريعة من كتاب اللوح المحفوظ يسخرها ويقرّبها ، ويبعثها على الطاعات بتحبيب الكمال ، وحصول الشرف والذكر الجميل ، والكرامة اليها « قبل أن يرتدّ إليك طرفك » أي نظرك الى ذاتك ، وما ينبغي لها من الترقي الى عالمك في عالم القدس ، لإدراك الحقائق ، والمعارف الكلية ، والمشاهدات الحقة العينية ، فإن الكمال العملي مقدم على الكمال الذوقي والكشفي .

« فلما رآه مستقرّاً عنده » ثابتاً على حالة إتصاله به ، متمرّناً في الطاعة غير متغير بالدواعي الشهوانية ، والنوازغ الشيطانية « قل هذا من فضل ربي ليبلوني أأشكر » بالطاعة ، والعمل بالشريعة « أم أكفر » بالمعصية ومخالفة الشريعة ، او أشكر عند التوفيق للطاعة بالسلوك في الطريقة ، والإقبال على الحضرة ، وتبديل الصفات ، ومراقبة التجليات ، « أم أكفر » بالإحتجاب برؤية الأعمال ، والإدبار عن الحق بالغرور والعجب ، والوقوف مع المعقول والعقل .

« قَالَ نَكِّرُوا لَهَا عَرْشَهَا نَنظُرْ أَتَهْتَدِي أَمْ تَكُونُ مِنَ ٱلَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ . فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهَٰكَذَا عَرْشُكِ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ وَأُوتِينَا ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا وَكُنَّا

مُسْلِمِينَ . وَصَدَّهَا مَا كَانَتْ تَعْبُدُ مِنْ دُونِ ٱللَّهِ إِنَّهَا كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ كَافِرِينَ . قِيلَ لَهَا ٱدْخُلِي ٱلصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقَيْهَا قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُمَرَّدٌ مِنْ قَوَارِيرَ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ » .

« نكروا لها عرشها » بتغيير العادات ، وترك المذمومات ، ونهك القوى الطبيعية بالرياضات ، وتنكيسه بجعل مـا كان أعلى رتبة منه عندها ، وهي الهيئات البدنية ، وراحات البدن ولذاته ، ومـا كان في جهة الإفراط من الأكل ، والشرب ، والنوم وأمثالها ، والقوى الطبيعية المستعلية أسفل ، وما كان أسفل من أنواع التعب ، والرياضة ، والتقليل ، والسهر ، وكل ما مال الى التفريط من الأمور البدنية ، والقوى الروحانية المستضعفة ، أعلى « ننظر أتهتدي » الى الفضائل ، وطرق الكمالات، بالرياضة لنجاة جوهرها ، وشرف أصلها وحسن استعدادها ، وقبولها « أم تكون من الذين لا يهتدون » إليها، لعكس ما ذكر « فلما جاءت » مترقية الى مقام القلب ، متنوّرة بأنواره ، متخلقة بأخلاقه ، منقادة مستسلمة بجنودها .

« قيل أهكذا عرشك » أي على هـذه الصورة المغيرة عرشك ؟ أم على الصورة الأولى ؟ أي أهـذا صورته المستوية التي ينبغي أن يكون عليها أم تلك ، وتلك منكوسة ؟ أم هذه ؟ « قالت كأنه هو » أي كان هذا بالنسبة الى حالي هو بالنسبة الى الحالة الأولى ، أي اذا كنت متوجهة الى جهة السفل كان عرشي على تلك الصورة مطابقاً لحالي ، وإذا توجهت الى جهة العلو كان

على هذه الصورة مستوياً وموافقاً لحالي « وأوتينا العلم » من قبل هذه الحالة، أي أوتيناه في الأزل عند ميثاق الفطرة « وكنا » منقادين قبل هذه النشأة ، إلا أننا نسينا ، فتذكرنا الساعة « وصدّها مـا كانت تعبد » من شمس عقل المعاش ، بصرفها الى التوحيد انها كانت من قوم محجوبين عن الحق .

« قيل لها أدخلي الصرح » أي، مقام الصدر الذي هو صرح، ممرّد، مملس عن تقابل الاضداد، وتخالف الطباع ، مستوٍ بالتجرّد عن المواد من قوارير أنوار القلب الصافي ، المشبه بالزجاجة في الصفاء ، والتنوّر « فلما رأتـــه » حسبته لجة » بحر الوحدة ، لكونه غـــاية رتبتها في التجرد والترقي ، ونهاية كمالها في التداني والتلقي ، ولا يتجاوز نظرها الى أعلى منه ، وكل ما لا يمكن فوقه من الكمال لشيء فيه نهايته في التوحيد ، ومعظم ما يستغرق فيه من جمال المعبود ، والمطلوب « وكشفت عن ساقيها » يعني جرّدت جهتهـا السفلية التي تلي البدن وتسعى بها فيه ، المنقسمة الى القوة الغضبية والشهوية ، عن الغواشي البدنية ، والملابس الهيولانية ، بقطع التعلقات ، لكن كان عليها شعر الهيئات الباقية من أعمالها ، والآثار المسودة من كدوراتها .

ومن هذا قيل : (يدخل سليمان الجنة بعد الأنبياء بخمسمائة خريف ويحبو حبواً) . « ظلمت نفسي » بالإحتجاب ، واتخـــاذ العقل المشوب بالوهم ، المشرب بالهوى إلهاً ومعبوداً، « وأسلمت » بالإنقياد لأمر الحق ، والإنخراط في سلك التوحيد « مع سليمان لله رب العالمين » .

وعلى تأويل العرش بالبدن يستقيم هـذا أيضاً ، ويتجه وجه آخر ، هو أن يراد أنها كانت محجوبة بمعقولها ما بقي عرشها ، وما انقادت لسليمان القلب ، إلا في النشأة الثانية ، فعلى هـذا يكون الذي عنده علم من الكتاب

هو العقل الفعال ، وإتيانه به قبل ارتداد الطرف إيجاد البدن الثاني في آن واحد ، ومعنى قبل أن يأتوني مسلمين ، تقدم مادة البدن على تعلق النفس به. وقال ابن الإعرابي رحمه الله : (إن الاتيان كان بأفنائه ثمة وإيجـاده بحضرة سليمان ، والتنكير تغيير الصورة) .

ومعنى كأنه هو أنـــه يشابه صورته ، والصرح هو مادة البدن الثاني ، فيكون دخول الصرح على هذا مقدّماً على تنكير الصورة ، وكشف الساقين قطع تعلق البدن الأول دون زوال الهيئات البدنية ، التي هي بمثابة الشعر ، وهذا بناء على انّ النفوس المحجوبة الناقصة لا بد لها من التعلق ، والله أعلم .

« وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحاً أَنِ ٱعْبُدُوا ٱللهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَـــانِ يَخْتَصِمُونَ . قَـالَ يَا قَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِٱلسَّيِّئَـةِ قَبْلَ ٱلْحَسَنَةِ لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ ٱللهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ . قَـالُوا ٱطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَنْ مَّعَكَ قَـالَ طَائِرُكُمْ عِنْـدَ ٱللهِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ . وَكَانَ فِي ٱلْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ . قَالُوا تَقَاسَمُوا بِٱللهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ . وَمَكَرُوا مَكْراً وَمَكَرْنَا مَكْراً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ . فَٱنْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَـةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ . فَتِلْكَ

بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ. وَأَنْجَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ».

« ولقد أرسلنا الى ثمود » أي أهل الماء القليل ، الذي هو المعاش ، صالح القلب ، بالدعوة الى التوحيد « فإذا هم فريقان » : فريق القوى الروحانية ، وفريق القوى النفسانية « يختصمون » تقول الأولى : ما جاء به صالح حق ، وتقول الثانية : بل باطل ، وما نحن عليه حق .

« لم تستعجلون بالسيئة » أي الإستيلاء على القلب بالرذيلة « قبل » الإتيان بالفضيلة « لولا تستغفرون الله » بالتنوّر بنور التوحيد ، والتنصل عن الهيئات البدنية المظلمة « لعلّكم ترحمون » بإفاضة الكمال « طيرنا بك » لمنعك أيانا من الحظوظ ، والترفه « طائركم عند الله » سبب خيركم وشرّكم من الله .

والرهط المفسدون : الحواس ، والغضب ، والشهوة ، والوهم ، والتخيل. « وتبييته » اهلاكه في ظلمة ليل النفس ، والوليّ الروح . ومكر الله بهم ، اهلاكهم بجدّ جبال الأعضاء عليهم ، وتدميرهم في غار محلهم ، وتدمير قومهم بالصيحة التي هي النفخة الأولى .

« وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ . أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ . فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ

أُناسٌ يَتَطَهَّرُونَ . فَأَنجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلاَّ آمْرَأَتَهُ قَدَّرْنَاهَا مِنَ ٱلْغَـابِرِينَ . وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَّطَراً فَسَاءَ مَطَرُ ٱلْمُنْذَرِينَ . قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلى عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَى ٱللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ » .

وفاحشة قوم لوط في هذا التطبيق ، وهي إتيان الذكور ، إتيان القوي النفسانية ، أدبار القوى الروحانية ، واستنزالهم عن رتبة التأثير بتأثرهم عن تأثير هذه من الجهة السفلية، واستيلاؤها عليهم في تحصيل اللذات، والشهوات البدنية بهم .

« قل الحمد لله » بظهور كمالاته ، وتجليات صفاته ، على مظاهر مخلوقاته « وسلام على عباده الذين اصطفى » بصفاء استعداداتهم ، وبراءتهم من النقص والآفة ، فالحمد مطلقاً مخصوص به ، لكون جميع الكمالات الظـاهرة على مظاهر الأكوان صفاته الجمالية والجلالية ، ليس لغيره فيهـا نصيب ، وصفاء ذوات المصطفين من عباده ونزاهة أعيانهم عن نقص الاستعداد، وآفة الحجاب سلامه عليهم ، وحصول الأمرين للمظهر التام النبوي بالفعل ، هو قوله ذلك مأموراً به من عين الجمع في مقـام التفصيل ، منتقلاً من مقام التفصيل لعين الجمع ، مبتدئاً منه ، وراجعاً إليه « الله » الذي له الحمـد المطلق ، والسلام المطلق ، خـير مطلق ، محض في ذاته « أمّا يشركون » من الأكوان التي أثبتوا لهـا وجود ، أو تأثيراً اذ لا يبقى بعد الكمال المطلق ، والقبول المطلق ، الذى هو اسم السلام المطلق ، باعتبـار الفيض الأقدس إلا العدم البحت ، والشر الصرف المطلق ، الذي يقابل الخـير المحض المطلق، فكيف يكون خيراً ؟

أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمٰوَاتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِّنَ ٱلسَّمَاءِ مَاءً فَأَنبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا ءَإِلٰهٌ مَّعَ ٱللّٰهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ . أَمَّنْ جَعَلَ ٱلْأَرْضَ قَرَاراً وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَاراً وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ ٱلْبَحْرَيْنِ حَاجِزاً ءَإِلٰهٌ مَّعَ ٱللّٰهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ . أَمَّنْ يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ ٱلْأَرْضِ ءَإِلٰهٌ مَّعَ ٱللّٰهِ قَلِيلاً مَّا تَذَكَّرُونَ . أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَمَنْ يُرْسِلُ ٱلرِّيَاحَ بُشْراً بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ ءَإِلٰهٌ مَّعَ ٱللّٰهِ تَعَالَى ٱللّٰهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ . أَمَّنْ يَبْدَؤُا ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِّنَ ٱلسَّمَاءِ وَٱلْأَرْضِ ءَإِلٰهٌ مَّعَ ٱللّٰهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ . قُلْ لَّا يَعْلَمُ مَنْ فِي ٱلسَّمٰوَاتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللّٰهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ . بَلِ ٱدَّارَكَ عِلْمُهُمْ فِي ٱلْآخِرَةِ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِّنْهَا بَلْ هُمْ مِّنْهَا عَمُونَ . وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا ءَإِذَا كُنَّا تُرَاباً وَآبَاؤُنَا أَئِنَّا لَمُخْرَجُونَ . لَقَدْ وُعِدْنَا هٰذَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ إِنْ هٰذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ . قُلْ سِيرُوا فِي ٱلْأَرْضِ فَٱنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ . وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُنْ فِي ضَيْقٍ

مِمَّا يَمْكُرُونَ . وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ .
قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ رَدِفَ لَكُمْ بَعْضُ الَّذِي تَسْتَعْجِلُونَ . وَإِنَّ
رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ .
وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ . وَمَا مِنْ
غَائِبَةٍ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ . إِنَّ هَذَا
الْقُرْآنَ يَقُصُّ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ .
وَإِنَّهُ لَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ . إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ بِحُكْمِهِ
وَهُوَ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ . فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ .
إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَى وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا
مُدْبِرِينَ . وَمَا أَنْتَ بِهَادِي الْعُمْيِ عَنْ ضَلَالَتِهِمْ إِنْ تُسْمِعُ إِلَّا
مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ مُسْلِمُونَ . وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ
أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا
لَا يُوقِنُونَ . وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِمَّنْ يُكَذِّبُ
بِآيَاتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ . حَتَّى إِذَا جَاءُوا قَالَ أَكَذَّبْتُمْ بِآيَاتِي وَلَمْ
تُحِيطُوا بِهَا عِلْمًا أَمَّاذَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ . وَوَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ بِمَا
ظَلَمُوا فَهُمْ لَا يَنْطِقُونَ . أَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا اللَّيْلَ لِيَسْكُنُوا
فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ » .

« أمّن خلق السموات والأرض » أي المؤثر المطلق الموجد للكل من الأعيان الممكنة ، وصفاتها خير في التأثير والإيجاد ، أم مـا لا وجود له فكيف بالتأثير والإيجاد ؟ « أإله مع الله » في التأثير والإيجاد « بل هم قوم يعدلون » عن الحق ، فيثبتون الباطل بالتوهم « أمّن يهديكم » الى نور ذاته « في ظلمات البر » أي حجب الأكوان ، والأفعال « والبحر » أي حجب الصفات « ومن يرسل » رياح النفحات، محيية للقلوب من يدي رحمة التجليات « أمّن يبـدأ الخلق » باختفائه بأعيانهم ، واحتجابه بذواتهم « ثم يعيده » بإفنائهم في عين الجمع ، وإهلاكهم في ذاته بالطمس ، او بإظهارهم في النشأة ، وإعادتهم الى الفطرة «ومن يرزقكم من السماء» الغذاء الروحاني ومن «الارض» الجسماني ، إذ من السماء المعارف والحقائق ، ومن الارض الحكم والأخلاق .

« وإذا وقع القول عليهم » أي وإذا تحقق وقوع مـا سبق في القضاء ، حكمنا به من الشقاوة الأبدية عليهم « أخرجنا لهم دابة » من صورة نفس كل شقي مختلفة الهيئات، والأشكال، هائلة بعيدة النسبة بين أطرافها وجوارحها، على مـا ذكر من قصتها بحسب تفاوت أخلاقها وملكاتها ، من أرض البدن ، قـدام القيامة الصغرى ، التي هي من اشراطها « تكلمهم » بلسان حياتها وصفاتها ، « ان الناس كانوا بآياتنا » قدرتنا على البعث « لا يوقنون » .

« وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَنْ فِي ٱلسَّمٰوَاتِ وَمَنْ فِي ٱلْأَرْضِ إِلاَّ مَنْ شَاءَ ٱللهُ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَاخِرِينَ . وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ صُنْعَ ٱللهِ ٱلَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ .

مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَهُمْ مِنْ فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ . وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ . إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَـٰذِهِ الْبَلْدَةِ الَّذِي حَرَّمَهَا وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ . وَأَنْ أَتْلُوَا الْقُرْآنَ فَمَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنْذِرِينَ . وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ » .

« ويوم ينفخ في الصور » النفخة الأولى، نفخة الإماتة في القيامة الصغرى « ففزع من في السموات ، ومن في والارض » من العقلاء المجرّدين ، والجهال البدنيين ، او مـن القوى الروحانية ، والجسمانية « إلا من شاء الله » من الموحدين الفانين في الله ، والشهداء القائمين بالله « وكل أتوه » الى المحشر للبعث صاغرين ، أذلاء لا قدرة لهم ، ولا اختيار ، او أتوه منقادين ، قابلين لحكمه بالموت .

« وترى » جبال الأبدان « تحسبها جامدة » ثابتة في مكانها « وهي تمرّ » وتذهب ، وتتلاشى بالتحليل كالسحاب ، لتجتمع أجزاؤها عنـد البعث في اليوم الطويل « صنع الله » أي صنع هـذا النفخ والإماتة ، والإحياء لمجازاة العباد بالأعمال، صنعاً متقناً يليق به، « انه خبير بما يفعلون من جاء بالحسنة » أي بمحو صفة من صفات نفسه بالتوبـة الى الله عنها ، من قيام صفة إلهية مقامها .

« ومن جـــاء بالسيئة » باحتجابه بصفة من صفات نفسه . « فكُبَّت وجوههم » بتنكيس بنائهم لشدة ميلهم الى الجهـــة السفلية في نار الطبيعة « هل تجزون » إلا بصور اعمالكم، وجعل هيئاتها صوركم، « إنما أمرت أن » لا ألتفت الى غير الحق و « أعبد ربّ هـــذه البلدة » أي القلب « الذي حرّمها » حماها عن استيلاء صفات النفس ، ومنعها من دخول أهل الرجس، وآمنها ، وآمن من فيها لئلا ينكب وجهي في نار الطبيعة « وله كل شيء » أي تحت ملكوته وربوبيته يعطي عابده ما شاء أن يعطيه ، ويمنعه مـــا شاء أن يمنعه ، ويدفع من غالبه « وأمرت أن اكون من المسلمين » الذين أسلموا وجوههم بالفناء فيـــه « وأن أتلوا القرآن » أفضل الكمالات المجموعة في ابرازها ، واخراجها الى الفعل ، في مقام البقاء .

« وقـل الحمد لله » بالإتصاف بصفاته الحميدة « سيريكم » صفاته في مقام القلب « فتعرفونها » او آيات بأفعاله ، وآثارها بالقهر في مقـــام النفس ، فتعرفونها عند التعذب بهـــا ، أو يوم ينفخ في الصور بتجلى الذات في القيامة الكبرى ، ففزع من في السموات ، ومن في الأرض ، بصعقة الفنـــاء والقهر الكلّي ، إلا من شاء الله من أهل البقاء ، الذين أحيوا لحياته ، وأفاقوا بعد صعقة الفناء بـــه ، وكل أتوه داخرين ساقطين عن درجة الحياة والوجود ، مقهورين ، وترى جبال الوجودات تحسبها جامدة ثابتة على حالهـــا ظاهراً ، وهي تمرّ مرّ السحاب في الحقيقة زائلة .

سُورَةُ القَصَص

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

« طسم . تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ . نَتْلُوا عَلَيْكَ مِنْ نَبَإِ مُوسَى وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ . إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ . وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ . وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ » .

« ان فرعون » النفس الأمّـارة ، استعلى ، وطغى في أرض البدن « وجعل أهلها » فرقاً مختلفة ، متخالفة متعادية ، لاتباعهم السبل المتفرقة ،

وتجافيهم عن طريق العدل والتوحيد ، والصراط المستقيم « يستضعف طائفة منهم » هم أهل القوى الروحانية « يذبح » من ناسب الروح في التأثير ، والتعلي من نتائجها بإماتته ، وعدم امتثال داعيته ، وقهره « ويستحيي » ما ناسب النفس في التأثر ، والتسفل بتقويته ، واطلاقه في فعله .

« ونريد أن نمنّ على الذين استضعفوا » بالإذلال ، والإهانة ، والإستعمال في الأعمال الطبيعية ، والاستخدام في تحصيل اللذات البهيمية ، والسَّبعِيَّة ، وذبح الأبناء ، واستحياء النساء ، فننجيهم من العذاب « ونجعلهم » رؤساء مقدّمين « ونجعلهم » ورّاث الأرض وملوكها ، بإفناء فرعون وقومه « ونمكّن لهم في الأرض » بالتأييد . « ونري فرعون » النفس الأمّارة و « هامان » العقل المشوب بالوهم ، المسمى عقل المعاش « وجنودهما » من القوى النفسانية « ما كانوا يحذرون » من ظهور موسى القلب ، وزوال ملكهم ، ورياستهم على يده .

« وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ . فَٱلْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوّاً وَحَزَناً إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ . وَقَالَتِ ٱمْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ . وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِغاً إِنْ كَادَتْ

لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَنْ رَبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ » .

« وأوحينا الى أمّ موسى » أي ، النفس الساذجة ، السليمة الباقية على فطرتها ، وهي اللوّامة « أن أرضعيه » بلبان الإدراكات الجزئية ، والعلوم النافعة الأولية « فإذا خفتِ عليه » من استيلاء النفس الأمّارة وأعوانها « فألقيه » في يمّ العقل الهيولانيّ ، والاستعداد الأصليّ ، أو في يمّ الطبيعة البدنية بالاخفاء « ولا تخافي » من هلاكه « ولا تحزني » من فراقه « إنا رادّوه اليك » بعد ظهور التمييز ، ونور الرشد « وجاعلوه من المرسلين » الى بني اسرائيل .

« فالتقطه آل فرعون » من القوى النفسانية الظاهرة عليه ، الغالبة على أمره ، فإنه لا يصل الى التمييز والرشد ، ولا يتوقى إلا بمعاونة التخيل والوهم ، وسائر المدركات الظاهرة والباطنة وامدادها « ليكون لهم عدوّاً وحزناً » في العاقبة . ويعلم أن أعدى عدوّه النفس التي بين جنبيه ، فيقهرها وأعوانها بالرياضة ، ويفنيها بالقمع ، والكسر والأماتة .

« وقالت امرأة فرعون » أي ، النفس المطمئنة العارفة بنور اليقين ، والسكينة ، حالة المحبة اصفائها له ، التي تستولي عليها الامارة ، وتؤثر فيها بالتلوين « قرّة عين لي » بالطبع للتناسب « ولك » بالتوسط ورابطة الزوجية والتواصل ، وقيل : قال فرعون لك لا لي ، وعالجوا التابوت ، فلم ينفتح ، ففتحته أسية ، بعد ما رأت نوراً في جوفه فأحبته « عسى أن ينفعنا » في تحصيل أسباب المعاش ، وغاية المصالح ، وتدبير الأمور ، بالرأي « أو

نتخذه ولداً » بأن يناسب النفس دون الروح ويتبع الهوى ، ويخدم البدن بالإصلاح ، فيوقينا « وهم لا يشعرون » على أنّ الأمر على خلاف ذلك .

« وأصبح فؤاد أمّ موسى » أي ، النفس الساذجة اللوّامة « فارغاً » عن العقل من استيلاء فرعون عليها، وخوفها منه لمقهوريتها له « ان كادت لتبدي به » أي ، كادت تطيع النفس الأمّارة باطناً وظاهراً ، فلا تخالفها بسرها ، وما أضمرته من نور الاستعداد ، وحـال موسى الخفي ، لكونه بالقوة بعد « لولا أن ربطنا على قلبها » أي ، صبرناها ، وقوّيناهـا بالتأييد الروحي ، والإلهام الملكي « لتكون من المؤمنين » بالغيب ، لصفاء الاستعداد .

« وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ فَبَصُرَتْ بِهِ عَنْ جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ . وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ . فَرَدَدْنَاهُ إِلَى أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ ٱللهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ . وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَٱسْتَوَى آتَيْنَاهُ حُكْماً وَعِلْماً وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلْمُحْسِنِينَ » .

« وقالت لأخته » القوة المفكرة « قصيه » أي ، اتبعيه ، وتفقدي حاله بالحركة ، في تصفح معانيه المعقولة ، وكمالاته العلمية والعملية « فبصرت بـه عن جنب » أدركت حاله عن بعد ، لأنها لا ترتقي الى حده ، ولا تطلع عن

مكاشفته وأسراره ، وما يحصل من أنوار صفاته « وهم لا يشعرون » أي لا يطلعون على اطـــلاع أخته عليه لقصور جميع القوى النفسانية عن حد المفكرة وبلوغ شأوه .

« وحرّمنا عليه المراضع » أي منعناه من التقوى،والتغذي بلذات القوى النفسانية وشهواتها، وقبول أهوائها، واعدادها « من قبل » أي قبل استعمال الفكر بنور الإستعداد ، وصفاء الفطرة « فقالت هل أدلّكم على أهل بيت يكفلونه لكم » بالقيام بتربيته بالأخلاق والآداب ، ويرضعونه بلبان المبادىء من المشاهدات ، والوجدانيات ، والتجريبيات، وما طريقه الحس، والحدس، من العلوم « وهم له ناصحون » يشدونه بالحكم العملية ، والأعمـــال الصالحة ، ويهذبونه ، ولا يغوونه بالوهميات والمغالطات ، ويفسدونه بالرذائل والقبائح.
« فرددناه الى امه » النفس اللوّامة بالميل نحوها ، والإقبال « كي تقرّ عينها » بالتنوّر بنوره «ولا تحزن» بفوات قرّة عينها وبهائها ، وتقويتها به « ولتعلم » بحصول اليقين بنوره « أن وعد الله » بإيصال كل مستعد الى كماله المودع فيه، وإعادة كل حقيقة الى أصلهـــا « حق ولكنّ أكثر الناس لا يعلمون » ذلك ، فلا يطلبون الكمال المودع فيهم لوجود الحجاب ، وطريان الشك والإرتياب .

« ولما بلغ أشده » أي مقام الفتوة ، وكمال الفطرة « واستوى » استقام بحصول كماله ، ثم بتجرّده عن النفس وصفـــاته « آتيناه حكماً وعلماً » أي حكمة نظرية وعملية ، « وكذلك نجزي المحسنين » المتصفين بالفضـــائل ، السائرين في طريق العدالة .

« وَدَخَلَ ٱلْمَدِينَةَ عَلَى حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِن شِيعَتِهِ وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِ

فَٱسْتَغَاثَهُ ٱلَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى ٱلَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَزَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ . قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَٱغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ . قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ . فَأَصْبَحَ فِي ٱلْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا ٱلَّذِي ٱسْتَنْصَرَهُ بِٱلْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ قَالَ لَهُ مُوسَى إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُّبِينٌ . فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَنْ يَبْطِشَ بِٱلَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَّهُمَا قَالَ يَا مُوسَى أَتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِٱلْأَمْسِ إِنْ تُرِيدُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَّارًا فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِينَ » .

« ودخل » مدينة البدن « على حين غفلة من أهلها » أي في حال هدوّ القوى النفسانية وسكونها ، حذراً من استيلائها عليه وعلوّها « فوجد فيها رجلين يقتتلان » أي العقل ، والهوى «هذا» أي ، العقل «من شيعته وهذا» أي ، الهوى « من عدوّه » من جملة أتباع شيطان الوهم ، وفرعون النفس الأمّارة « فاستغاثه » العقل واستنصره على الهوى « فوكزه » ضربه بهيئة من هيئات الحكمة العملية ، بقوة من التأييدات الملكية ، بيد العاقلة العملية ، فقتله « قال هذا » الإستيلاء ، والإقتتال « من عمل الشيطان » الباعث للهوى على التعدّي والعدوان «انه عدوّ مضل مبين» أو هذا القتل من عمل الشيطان،

لأن علاج الإستيلاء بالإفراط لا يكون بالفضيلة التي هي العـــدالة الفائضة من الرحمن ، بل إنما يكون بالرذيلة التي يقابلها من جانب التفريط ، كعلاج الشره بالخمود ، وعلاج البخل بالتبذير ، والإسراف بالتقتير ، وكلاهما من الشيطان .

« اني ظلمت نفسي » بالإفراط ، والتفريط « فاغفر لي » استر لي رذيلة ظلمي « بنور عدلك « فغفر له » صفات نفسه المائلة الى الإفراط والتفريط بنوره ، فحصلت له العدالة « انـه هو الغفور » الساتر هيئات النفس بنوره « الرحيم » بإفاضة الكمال ، عند زكاء النفس عن الرذائل .

« قال رب بما أنعمت عليّ » أي أعصمني بما أنعمت عليّ من العلم، والعمل « فلن أكون ظهيراً » معاوناً « للمجرمين » المرتكبين الرذائـــل من القوى النفسانية ، فأصبح في مدينة البدن « خـائفاً » من استيلاء القوى النفسانية بإشارة الدواعي ، والهواجس ، والقاء أحاديث النفس ، والوساوس في مقام المراقبة « يستصرخه » أي يستنصره العقل على أخرى من قوي النفس، وهي الوهم والتخيل، لأنهما يفسدان في مقام الترقب، ويثيران الوساوس والهواجس، ويبعثان النوازع والدواعي ، ولا ينكسران ، ولا يفتران في حـــال ما من أحوال وجود القلب ، إلا عند الفناء في الله .

ألا ترى الى معارضته، ومما رأته له في قوله: «أن تريد إلا أن تكون جبار في الأرض وما تريد أن تكون من المصلحين » وإنمـا نسب صاحبه الذي هو العقل ، بقوله : انك لغويّ لافتتانه بالوهم ، وعجزه عن دفعه، واحتياجه في معارضته الى القلب ، وإنمـا أراد أن يبطش ، ولم يتيسر له البطش ، ومانعه وأنكر فعله ، بقوله : (أتريد أن تقتلني كما قتلت نفساً بالأمس) لأن القلب مـا لم يصل الى مقام الروح ، ولم يفن في مقام الولاية ، ولم يتصف بالصفات

الإلهية ، لم يذعن له شيطان الوهم ، لأنه من المنظرين الى يوم القيامة الكبرى فما دام القلب في مقام الفتوّة ، متصفاً بكمالاته في القيامة الوسطى ، يطمع هو في اغوائه ، ولا ينقهر ، ولا يمتنع بمجرّد الكمال العلمي والعملي ، عن استعلائه :

« وَجَاءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ يَسْعَى قَالَ يَا مُوسَى إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَٱخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ ٱلنَّاصِحِينَ. فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّالِمِينَ . وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ ٱلسَّبِيلِ . وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ ٱلرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ . فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى ٱلظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ. فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى ٱسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ ٱلْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّالِمِينَ » .

« وجـــاء رجل من أقصى المدينة » هو الحب الباعث على السلوك في الله الذي يسمونه الإرادة ، وأتيانه من اقصى المدينة، انبعاثه من مكمن الإستعداد عند قتل هوى النفس « يسعى » إذ لا حركة أسرع من حركته ، يحذره عن استيلائهم عليـه ، وينبهه على تشاورهم ، وتظاهرهم عند ظهور سلطان الوهم عليه ، ومقابلته ، ومماراته ، ومجادلته له على هـلاكه بالاضلال « فاخرج » عن مدينتهم حدود سلطنتهم، الى مقام الروح «اني لك من الناصحين فخرج» بالأخذ في المجاهدة في الله ، ودوام الحضور والمراقبة « خائفاً » من غلبتهم ، ملتجئاً الى الله في طلب النجاة من ظلمهم .

« ولما توجه تلقاء مدين » مقام الروح ، غلب رجاؤه على الخوف ، لقوّة الإرادة ، وطلب الهـداية الحقانية بالأنوار الروحية ، والتجليات الصفاتية الى سواء سبيل التوحيد، وطريقة السير في الله « ولما ورد ماء مدين » أي مورد علم المكاشفة ، ومنهل علم السرّ ، والمكالمة « وجد عليه أمة من الناس » من الأوليـــاء والسالكين في الله ، والمتوسطين الذين مشربهم من منهل المكاشفة « يسقون » قواهم ومريديهم منه ، او العقول المقدّسة ، والأرواح المجرّدة من أهل الجبروت ، فإنها في الحقيقة أهل ذلك المنهل ، يسقون منه أغنام النفوس السماوية ، والأنسية ، وملكوت السموات ، والأرض « ووجد من دونهم » من مرتبة أسفل مرتبتهم « امرأتين » هما العاقلتان : النظرية ، والعملية . « تذودان » أغنام القوى عنـه ، لكون مشربها من العلوم العقلية ، والحكمة العملية ، قبل وصول موسى القلب الى المناهل الكشفية ، والموارد الذوقية ، ولا نصيب لها من علوم المكاشفة .

« لا نسقي حتى يصدر الرعاء » أي ، شربنا من فضلة رعاء الأرواح ، والعقول المقدّسة ، عند صدورها عـــن المنهل متوجهة الينا ، مفيضة علينا

فضلة الماء « وأبونا » الروح « شيخ كبير » اكبر من أن يقوم بالسقي « فسقى لهما » من مشرب ذوقه، ومنهل كشفه، بالإفاضة على جميع القوى من فيضة، لأن القلب إذا ورد منهلاً ارتوى من فيضه ، في تلك الحالة جميع القوى ، وتنوّرت بنوره « ثم تولى » من مقامه « إلى الظل » أي ظل النفس في مقام الصدر ، مستحقراً لعلمه المعقول بالنسبة الى العلوم الكشفية ، مستمداً من فضل الحق ومقامه القدسي ، والعلم اللدني الكشفي ، فقال : « ربّ اني لما أنزلت اليّ من خير فقير » أي، محتاج ، سائل لما أنزلت اليّ من الخير العظيم الذي هو العلم الكشفي ، وهو مقام الوجد والشوق ، أي ، الحال السريع الزوال ، وطلبه حتى يصير ملكاً .

« فجاءته احداهما » هي النظرية المتنوّرة بنور القدس ، التي تسمى حينئذ القوة القدسية « تمشي على استحياء » لتأثرها منه ، وانفعالها بنوره « ان أبي يدعوك » أشار به الى الجذبة الروحية بنور القوة القدسية ، واللمة الملكية « ليجزيك أجر ما سقيت لنا » أي ، ثواب ارتواء القوى الشاغلة ، الحاجبة من استفاضتك، وتنوّرها بنورك، فإنها إذا انفعلت بالبارق القدسي، وارتوت بالفيض السرّي ، سهل الترقي الى جانب القدس ، وقوي استعداد القلب الإتصال بالروح ، لزوال الحجب ، او زوال ظلمتها وكثافتها « فلما جاءه » واتصل بـه ، وترقى الى مقامه ، وأطلع الروح على حاله « قال لا تخف نجوت من القوم الظالمين » وهو صورة حاله .

« قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ ٱسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَأْجَرْتَ ٱلْقَوِيُّ ٱلْأَمِينُ . قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ٱبْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَ حِجَجٍ فَإِنْ

أَتْمَمْتَ عَشْراً فَمِنْ عِنْدِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّالِحِينَ . قَالَ ذَٰلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيَّمَا ٱلْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ وَٱللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ » .

« قالت احداهما يا أبت استأجره » أي ، استعمله بالمجاهدة في الله ، والمراقبة لحاله في رعاية أغنام القوى ، حتى لا تنتشر فتفسد جمعيتنا ، وتشوّش فرقتنا ، وبالذكر القلبي في مقام تجليات الصفات ، والسير فيها بأجرة ثواب التجليات ، وعلوم المكاشفات « ان خير من استأجرت » لهذا العمل « القويّ » على كسب الكمال « الأمين » الذي لا يخون عهد الله بالوفاء، بابرازها في الاستعداد من وديعته ، أو لا يخون الروح بالميل الى بناته ، فيحتجب بالمعقول . وقد قيل : (ان الرعاة كانوا يضعون على رأس البئر حجراً لا يقله إلا سبعة رجال ، وقيل عشرة ، فأقله وحده ، وذلك قوته ، وفيها إشارة الى أن العلم اللدني لا يحصل إلا بالاتصاف بالصفات السبع الإلهية أو العشر .

« قال اني أريد أن أنكحك إحدى ابنتيّ هاتين » أي ، أجعلها تحتك ، تحظى عندك بنور القدس ، وعلوم الكشف ، وتكون بحكمك وأمرك ، لا تحتجب عنك بقولها « على أن تأجرني ثماني حجج » أي ، تعمل لأجلي بالمجاهدة ، حتى تأتي عليك ثمانية أطوار: هي أطوار الصفات السبعة الإلهية ، بالفناء عن صفاته في صفات الله، التي آخرها مقام المكالمة مع طور المشاهدة ، التي يتم بها الوصول ، المطلوبة بقوله : « ربّ أرني أنظر اليك » فإن أتممت

عشراً بالترقي في طورين آخرين ، هما الفناء في الذات، والبقاء بعده، بالتحقق فمن عندك ، فمن كال استعدادك ، وقوتـــه وخصوصية عينك ، واقتضاء هويتك ، وهي الكمالات العشر التي ابتلى بها ابراهيم ربـه فأتمهن ، فجعله إماماً للناس ، في مقام التوحيد ، والله أعلم .

« وما أريد أن أشق عليك » أحمل عليك فوق طاقتك ، وما لا يفي به وسع استعدادك « ستجدني إن شاء الله من الصالحين» المربين بما يصلح للوصول من الإفاضات والعلوم ، الهادين الى مـا في أصل الاستعداد من الكمال المودع في عين الذات ، بالأنوار ، غير مكلفين ، مـا لم يكن في وسعك « ذلك بيني وبينك » ذلك الأمر الذي عاهدتني عليه قائم بيني وبينك ، يتعلق بقوتنـا واستعدادنا ، وسعينا لا مدخل لغيرنا فيه « وأيما الأجلين قضيت فلا عدوان علي » أيما النهايتين بلغت ، فلا إثم علي ، اذ لا علي إلا السعي ، وأمـــا البلوغ فهو بحسب ما أوتيت من الاستعداد في الأزل ، وإنمـا تتقدر قوتي في السعي بحسب ذلك ، والله هو الذي وكل اليه أمرنا ، وفي ذلك شاهد عليه ، أي ، ما أوتينا من الكمال المقدر لنـا ، أمر تولاه الله بنفسه ، وعينه من فيضه الأقدس ، لا يمكن لأحد تغييره ، ولا يطلع عليه أحد غيره ، ولا يعلم قبل الوصول قدر الكمال المودع في الاستعداد ، وهو من غيب الغيوب، الذي استأثر به الله لذاته .

« فَلَمَّا قَضَى مُوسَى ٱلْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِنْ جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَّعَلِّي آتِيكُمْ مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ » .

فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ ٱلْوَادِي ٱلْأَيْمَنِ فِي ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَارَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ أَنْ يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَالَمِينَ. وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَا مُوسَى أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ ٱلْآمِنِينَ. أَسْلُكْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ وَٱضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ ٱلرَّهْبِ فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِنْ رَبِّكَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَائِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْماً فَاسِقِينَ ».

« فلما قضى موسى الأجل » أي ، بلغ حدّ الكمال الذي هو أقصر الأجلين « وسار بأهله » من القوى بأسرها الى جانب القدس ، مستصحباً للجميع ، بحيث لم يمانعه ، ولم يتخلف عنه واحدة منها ، وحصل له ملكة الاتصال للتدرب في المجاهدة ، والمراقبة بلا كلفة « آنس من جانب الطور » طور السرّ الذي هو كمال القلب في الارتقاء ، نار روح القدس ، وهو الأفق المبين ، الذي أوحى منه الى من أوحى اليه من الأنبياء « في البقعة المباركة » أي ، مقام كمال القلب ، المسمى سراً ، من شجرة نفسه القدسية « ان يا موسى إني أنا الله » وهو مقام المكالمة ، والفناء في الصفات ، فيكون القائل والسامع هو الله ، كما قال : (كنت سمعه الذي به يسمع ، ولسانه الذي به يتكلم) وإلقاء العصا ، والادبار ، وإظهار اليد البيضاء من تأويله في النمل « وأضمم اليك جناحك من الرهب » أي ، لا تخف من الاحتجاب والتلوين عند الرجوع من الله ، واربط جأشك بتاييدي ، آمناً متحققاً بالله .

وقد سمعت شيخنا المولى نور الدين عبد الصمد ، قدّس الله روحه العزيز، في شهود الوحدة ، ومقام الفناء ، عن أبيه ، أنه كان بعض الفقراء في خدمة الشيخ الكبير شهاب الدين السهروردي ، في شهود الوحدة ، ومقام الفناء ، ذا ذوق عظيم ، فإذا هو في بعض الأيام يبكي ويتأسف ، فسأله الشيخ عن حاله ؟ فقال : اني حجبت عن الوحدة بالكثرة ، ورددت ، فلا أجد حالي . فنبّهه الشيخ على أنه بداية مقام البقاء ، وان حاله أعلى وأرفع من الحال الأولى ، وأمنه « فذانك برهانان من ربّك » من التمتع المذكور .

« قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْساً فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ . وَأَخِي هٰرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَاناً فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءاً يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ . قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَاناً فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِآيَاتِنَا أَنْتُمَا وَمَنِ ٱتَّبَعَكُمَا ٱلْغَالِبُونَ . فَلَمَّا جَاءَهُمْ مُوسَى بِآيَاتِنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُفْتَرًى وَمَا سَمِعْنَا بِهٰذَا فِي آبَائِنَا ٱلْأَوَّلِينَ . وَقَالَ مُوسَى رَبِّي أَعْلَمُ بِمَنْ جَاءَ بِٱلْهُدَى مِنْ عِنْدِهِ وَمَنْ تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ ٱلدَّارِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّالِمُونَ . وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلٰهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى ٱلطِّينِ فَٱجْعَلْ لِي صَرْحاً لَعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى إِلٰهِ مُوسَى

وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ ٱلْكَاذِبِينَ . وَٱسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ . فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي ٱلْيَمِّ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ ٱلظَّالِمِينَ . وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا يُنصَرُونَ . وَأَتْبَعْنَاهُمْ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ هُم مِّنَ ٱلْمَقْبُوحِينَ . وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَابَ مِن بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ ٱلْأُولَى بَصَائِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ » .

« وأخي هارون » العقل « هو أفصح منّي لساناً » لأن العقل بمثابة لسان القلب ، ولولاه لم يفهم أحوال القلب ، اذ الذوقيات ما لم تدرج في صورة المعقول ، وتتنزل في هيئة العلم والمعلوم ، وتقرب بالتمثيل والتأويل الى مبالغ فهوم العقول والنفوس ، لم يمكن فهمها « ردءاً يصدّقني » عوناً يقرّر معناي في صورة العلم ، بمصداق البرهان « اني أخاف أن يكذبون » لبعد حالي عن أفهامهم ، وبعدهم عن مقامي وحالي ، فلا بدّ من متوسط .

« سنشدّ عضدك بأخيك » نقويك بمعاضدته « ونجعل لكما » غلبة ، بتأثيرك فيهم بالقدرة الملكوتية ، وتأييدك العقل بالقوة القدسية ، وإظهار العقل كمالك في الصورة العملية ، والحجة القياسية « فأوقد لي يا هامان » نار الهوى ، على طين الحكمة ، الممتزجة من ماء العلم ، وتراب الهيئات المادية ،

فاجعل لي مرتبة عالية من الكمال ، من صعد اليها كان عارفاً ، وهو إشارة الى احتجابه بنفسه ، وعدم تجرّد عقله من الهيئات المادية لشوب الوهم ، أي ، حاولت النفس المحجوبة بأنانيته من عقـل المعاش المحجوب بمعقوله ، ان يبني بنياناً من العلم والعمل المشوبين بالوهميات ، ومقاماً عالياً من الكمال الحاصل بالدراسة والتعلم ، لا بالوراثة والتلقي . من استعلى عليه توهم ، كونه عارفاً ، بالغاً حدّ الكمال ، كما ذكر في الشعراء ، انهم كانوا قوماً محجوبين بالمعقول عن الشريعـة والنبوّة ، متدربين بالمنطق والحكمة ، معتنين بهما ، معتقدين الفلسفة غاية الكمال ، منكرين للعرفان ، والسلوك ، والوصال « لعلي أطلع الى إله موسى » بطريق التفلسف ، وانمـا ظنه من الكاذبين ، لقصوره عن درجة العرفان ، والتوحيد ، واحتجابه بصفة الأنانية ، والطغيان ، والتفرعن بغير الحق ، من غير ان يتصفوا بصفة الكبرياء عند الفناء ، فيكون تكبرهم بالحق لا بالباطل ، عن صفات نفوسهم .

« وَمَـا كُنْتَ بِجَانِبِ ٱلْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَـا إِلَى مُوسَى ٱلْأَمْرَ وَمَا كُنْتَ مِنَ ٱلشَّاهِدِينَ . وَلَـٰكِنَّا أَنْشَأْنَا قُرُوناً فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ ٱلْعُمُرُ وَمَـا كُنْتَ ثَاوِياً فِي أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَلَـٰكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ . وَمَـا كُنْتَ بِجَانِبِ ٱلطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَـٰكِنْ رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ لِتُنْذِرَ قَوْماً مَا أَتَاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ . وَلَوْلَا أَنْ تُصِيبَهُمْ مُصِيبَةٌ بِمَـا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُوا

رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولاً فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ . فَلَمَّا جَاءَهُمُ ٱلْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا لَوْلَا أُوتِيَ مِثْلَ مَا أُوتِيَ مُوسَى أَوَلَمْ يَكْفُرُوا بِمَا أُوتِيَ مُوسَى مِنْ قَبْلُ قَالُوا سِحْرَانِ تَظَاهَرَا وَقَالُوا إِنَّا بِكُلٍّ كَافِرُونَ . قُلْ فَأْتُوا بِكِتَابٍ مِّنْ عِنْدِ ٱللهِ هُوَ أَهْدَى مِنْهُمَا أَتَّبِعْهُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ . فَإِنْ لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدىً مِّنَ ٱللهِ إِنَّ ٱللهَ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلظَّالِمِينَ . وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ ٱلْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ . ٱلَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ ٱلْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ . وَإِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ قَالُوا آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِنْ رَّبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ . أُولَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا وَيَدْرَؤُنَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ » .

« وما كنت بجانب الغربيّ » أي ، جانب غروب شمس الذات الأحدية في عين موسى ، واحتجابها بعينه ، في مقـام المكالمة ، لأنه سمع النداء من شجرة نفسه . ولهذا كانت قبلته جهة المغرب ، ودعوته الى الظواهر التي هي مغارب شمس الحقيقة ، بخلاف عيسى عليه السلام .

« اذ قضينا الى موسى الأمر » أوحينا اليه بطريق المكالمة « وما كنت من الشاهدين » مقامه في مرتبة نقبائه، وأولياء زمانه ، الذين شهدوا مقامه، ولكن بعد قرنك بن قرنه بإنشاء قرون كثيرة بينهما ، فنسوا ، فأطلعناك على مقامه وحاله في معراجك ، وطريق صراطك ، ليتذكروا « وما كنت ثاويا » مقيماً « في أهل مدين » مقام الروح « تتلوا عليهم » علوم صفاتنا ومشاهداتنا ، بل كانت في طريقك إذ ترقيت من الأفق الأعلى ، فدنوت من الحضرة الأحدية الى مقام قاب قوسين او أدنى ، فأخبرتهم بذلك عند ارسالنا إياك بالرجوع الى مقام القلب ، بعد الفناء في الحق .

« وما كنت بجانب الطور » مقام السرّ واقفاً « ولكن رحمة » تامّة ، واسعة ، شاملة « من ربك » تداركتك ، ورقتك الى مقام الفناء في الوحدة، الذي تتدرج فيه ، مقامات جميع الأنبياء ، وصارت وصفك ، وصورة ذاتك عند التحقق به في مقام البقاء والإرسال ، لتعمّ نبوّتك بختم النبوّات ، « ولتنذر قوماً » بلغت استعداداتهم في القبول حدّاً من الكمال ما بلغ استعدادات آبائهم الذين كانوا في زمن الأنبياء المتقدمين ، وتدعوهم الى كمال مقام المحبوبين ، الذي لم يدع اليه أحد منهم أمته فـ « ما آتاهم من نذير من قبلك » يدعوهم الى ما دعوت اليه «لعلهم يتذكرون» بالوصول الى كمال المحبة.

« الذين آتيناهم » العقل القرآني والفرقاني « من قبله هم به يؤمنون » لكمال استعدادهم دون غيرهم « إنا كنا من قبله مسلمين» وجوهنا لله بالتوحيد، منقادين لأمره « أولئك يؤتون أجرهم مرتين » أولاً : في القيامة الوسطى ، من جانب الأفعال والصفات قبل الفناء في الذات،وثانياً: في القيامة الكبرى، عند البقاء بعد الفناء من الجنات الثلاث «ويدرؤن بالحسنة» المطلقة، من شهود

افعال الحق ، والصفات ، والذات السيئة المطلقة من أفعـالهم ، وصفاتهم ، وذواتهم « ومما رزقناهم ينفقون » بالتكميل ، وإفاضة الكمالات على المستعدين، القابلين .

« وَإِذَا سَمِعُوا ٱللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي ٱلْجَاهِلِينَ . إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ . وَقَالُوا إِنْ نَتَّبِعِ ٱلْهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَا أَوَلَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَماً آمِناً يُجْبَىٰ إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِزْقاً مِنْ لَدُنَّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ . وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا فَتِلْكَ مَسَاكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَنْ مِنْ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلاً وَكُنَّا نَحْنُ ٱلْوَارِثِينَ . وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِي أُمِّهَا رَسُولاً يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي ٱلْقُرَىٰ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ . وَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَاعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتُهَا وَمَا عِنْدَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ أَفَلَا تَعْقِلُونَ . أَفَمَنْ وَعَدْنَاهُ وَعْداً حَسَناً فَهُوَ لَاقِيهِ كَمَنْ مَتَّعْنَاهُ مَتَاعَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ . وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ ٱلَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ . قَالَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ

رَبَّنَا هؤُلَاءِ ٱلَّذِينَ أَغْوَيْنَا أَغْوَيْنَاهُمْ كَمَا غَوَيْنَا تَبَرَّأْنَا إِلَيْكَ مَا كَانُوا إِيَّانَا يَعْبُدُونَ . وَقِيلَ ٱدْعُوا شُرَكَاءَكُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَرَأَوُا ٱلْعَذَابَ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَهْتَدُونَ . وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ ٱلْمُرْسَلِينَ . فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَنْبَاءُ يَوْمَئِذٍ فَهُمْ لَا يَتَسَاءَلُونَ . فَأَمَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً فَعَسَى أَنْ يَكُونَ مِنَ ٱلْمُفْلِحِينَ . وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ سُبْحَانَ ٱللهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ . وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ . وَهُوَ ٱللهُ لَا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ ٱلْحَمْدُ فِي ٱلْأُولَى وَٱلْآخِرَةِ وَلَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ».

« وإذا سمعوا » لغواً لفضول المانع من القبول ، لم يلحوا ، وأعرضوا لكونهم أولياء موحدين ، لا أنبياء « سلام عليكم » سلمكم الله من الآفات المانعة عن قبول الحق « لا نبتغي » صحبة « الجاهلين » المفقودين بالسفاهة والجهل المركب ، فإنهم لا ينتفعون بصحبتنا ، ولا يقبلون هدايتنا « إنك لا تهدي من أحببت » هدايته ، لاهتمامك بحاله غير مطلع على استعداده بمجرد الجنسية النفسية ، او للقرابة البدنية دون الأصلية ، او الصحبة العارضية دون الحقيقة الروحية « ولكن الله يهدي من يشاء » من اهل عنايته « وهو أعلم بالمهتدين » القابلين للهداية، لاطلاعه على استعدادهم، وكونهم غير مطبوع على قلوبهم « فعميت عليهم الأنباء يومئذ » أي ، خفيت عليهم الحقائق

والتبست في القيامة الصغرى، لكونهم محجوبين ، واقفين مع الأغيار كالعمي، وقد رسخ جهلهم الشامل اوقات النشأتين ، كقوله : (ومن كان في هـذه الحيـاة أعمى فهو في الآخرة أعمى) . « فهم لا يتساءلون » لعجزهم عن النطق ، وكونهم مختوماً على أفواههم .

« فأما من تاب » تنصل عما غطى بصيرته ، وغشى قلبه، واستعداده من صفات النفس ، وآمن بالغيب بطريق العلم ، « وعمل » في التحلية واكتساب الخيرات ، والفضائل « عملاً صالحاً فعسى أن يكون من المفلحين » الفـائزين بالتجرد عن مقام النفس بمقام القلب، والرجوع الى الفطرة من حجاب النشأة.

« وربك يخلق ما يشاء » من المحجوبين، والمكاشفين ، « ويختار » بمقتضى مشيئته وعنايته لهم ما يريد « ما كان لهم الخيرة » في ذلك « سبحان الله » نزهه عن أن يكون لغيره اختيـار مع اختياره فيكون شريكه « لا إله إلا هو » لا شريك له في الوجود « لـه الحمد » المطلق ، لثبوت جميع الكمالات الظاهرة على مظاهر الأكوان ، والباطنة فيهـا وعنها له ، فيكون كل جميل غنيّ ، قوي ، عزيز في الدنيا بجماله ، وغنـاه ، وقوّته ، وعزّته ، جميلاً ، غنياً ، قوياً ، عزيزاً ، وكل كامل عالم عارف به في الآخرة بكماله ، وعلمه ، ومعرفته ، كاملاً ، عالماً ، عارفاً .

« وله الحكم » يقهر كل شيء على مقتضى مشيئته ، ويحكم عليـه بموجب إرادته ، فيكون كل قبيح فقير، ذليل، ضعيف في الدنيا بحكمه وتحت قهره، كذلك ، وكل محجوب مخذول ، أسير ، مردود « وإليه ترجعون » بالفناء في وجوده ، او أفعاله ، وصفاته ، او ذاته .

« قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱللَّيْلَ سَرْمَداً إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيٰمَةِ مَنْ إِلٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِضِيَاءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ . قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلنَّهَارَ سَرْمَداً إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيٰمَةِ مَنْ إِلٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ . وَمِنْ رَّحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ ٱللَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ . وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ ٱلَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ . وَنَزَعْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيداً فَقُلْنَا هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ فَعَلِمُوا أَنَّ ٱلْحَقَّ لِلَّهِ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ » .

« إن جعل الله عليكم » ليل ظلمة النفس « سرمداً الى يوم القيامة » الصغرى « مَن إله غير الله يأتيكم بضياء » من نور الروح « أفلا تسمعون » حال كونكم في الحجاب فتفهمون المعاني والحِكَم ، فتؤمنون بالغيب « إن جعل الله عليكم » نهار نور الروح « سرمداً » بالتجلي الدائم ، دون الإستتار « الى يوم القيامة » الصغرى « مَن إله غير الله يأتيكم بليل » من أوقات الغفلات ، وغلبات صفات النفس ، وغشاوات الطبع « تسكنون فيه » الى حقوق نفوسكم، وراحات أبدانكم « أفلا تبصرون » بنور روح تجليات الحق.

« ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار » بالغفلة ، والحضور في مقام القلب، والإستتار ، والتجلي في مقام الروح « لتسكنوا » في ظلمة النفس الى نور

البدن ، وترتيب المعاش « ولتبتغوا » من فضل مكاشفاته ، وتجليات صفاته ، ومشاهداته « لعلكم تشكرون » نعمــه الظاهرة ، والباطنة ، والجسمانية ، والروحانية ، في أولاكم وأخراكم ، باستعمالها لوجــه الله فيما وجب عليكم من طاعته في كل مقام به ، وفيه ، وله .

« ونزعنا من كل أمة شهيداً » أي ، نخرج يوم القيامة عند خروج المهدي من كل أمة نبيهم ، وهو أعرفهم بالحق « فقلنا » على لسان الشهيد الذي يشهد الحق بشهود الكل ، ولا يحتجب بهم عنه « هاتوا برهانكم » على ما أنتم عليه ، أحق هو أم لا ؟ فعجزوا عن آخرهم ، وظهر برهــان النبي « فعلموا أن الحق لله » أظهره مظهر الشهيد ، « وضلّ عنهم » مفترياتهم من المذاهب المختلفة ، والطرق المتشعبة المتفرقة ، أو قلنا للشهداء هاتوا برهانكم بإظهار التوحيد ، فأظهروا ، فعلموا أن الحق لله .

« إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ وَآتَيْنَاهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِٱلْعُصْبَةِ أُولِي ٱلْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ . وَٱبْتَغِ فِي مَا آتَاكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِي ٱلْأَرْضِ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ . قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ قَبْلَهُ مِنَ ٱلْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ

جَمْعاً وَلَا يُسْئَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ . فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلْحَيٰوةَ ٱلدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ . وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا ٱلْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللهِ خَيْرٌ لِّمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً وَلَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ ٱلصَّابِرُونَ . فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ ٱللهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنْتَصِرِينَ . وَأَصْبَحَ ٱلَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِٱلْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ ٱللهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْلَا أَنْ مَّنَّ ٱللهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيْكَأَنَّهُ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَافِرُونَ . تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوّاً فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَٱلْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ . مَنْ جَاءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِّنْهَا وَمَنْ جَاءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى ٱلَّذِينَ عَمِلُوا ٱلسَّيِّئَاتِ إِلاَّ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ . إِنَّ ٱلَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ قُلْ رَّبِّي أَعْلَمُ مَنْ جَاءَ بِٱلْهُدَى وَمَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ . وَمَا كُنْتَ تَرْجُوا أَنْ يُلْقَى إِلَيْكَ ٱلْكِتَابُ إِلاَّ رَحْمَةً مِّنْ رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيراً لِّلْكَافِرِينَ . وَلَا يَصُدُّنَّكَ عَنْ آيَاتِ ٱللهِ بَعْدَ إِذْ أُنْزِلَتْ إِلَيْكَ وَٱدْعُ إِلَى رَبِّكَ

وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ . وَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهاً آخَرَ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ » .

« إن قارون كان من قوم موسى» عالماً كبلعم بن باعوراء « فبغى عليهم » لاحتجابه بنفسه ، وعلمه بالتكبر ، والإستطالة عليهم ، فغلب عليه الحرص ومحبة الدنيا ، ابتلاء من الله لغروره واحتجابه برؤيته زينة نفسه بكمالها ، فمال هواه الى الجهة السفلية ، فخسف به فيها ، محجوباً ممقوتاً « تلك الدار الآخرة » من العالم القدسي الباقي « نجعلها للذين » لا يحتجبون بنفوسهم وصفاتها ، فتصير فيهم الإرادة الفطرية الطالبة للترقي والعلوّ في سماء الروح هوى نفسانية تطلب الأستعلاء ، والإستطالة ، والتكبر على الناس في الأرض، ويصير صلاحهم بطلب المعارف ، واكتساب الفضائل والمعالي ، فساداً يوجب جمع الأسباب، والأموال، وأخذ حقوق الخلق بالباطل « والعاقبة » للمجرّدين الذين تركت نفوسهم عن الرذائل المردية ، والأهواء المغوية .

« إن الذي فرض عليك القرآن » أوجب لك في الأزل عند البداية ، والاستعداد الكامل الذي هو العقل ، القرآن الجامع لجميع الكمالات، وجوامع الكلم ، والحِكَم « لرادّك الى معاد » ما اعظمه لا يبلغ كنهه ، ولا يقدر قدره ، هو الفناء في الله ، في أحدية الذات ، والبقاء بالتحقق به بجميع الصفات « قل ربي أعلم من جاء بالهدى » أي ، لا يعلم حالي وكنه هدايتي ، وما أوتيت من العلم اللدني المخصوص به، إلا ربي، لا أنا ، ولا غيري ، لفنائي فيه عن نفسي ، واحتجاب غيري عن حالي « ومن هو في ضلال مبين » من هو محجوب عن الحق لعدم الاستعداد وكثافة الحجاب، لكون غيري محجوباً

عن حال استعدادي ، فما علمته ، بل هو العالِم به ، لا أنا لفنائي فيه ، وتحققي به .

« ومـا كنت ترجوا أن يلقى اليك الكتاب » كتاب العقل الفرقاني ، بتفصيل ما جمع فيك ، لكونك في حجب النشأة مغموراً ، وعما أودع فيك محجوباً « إلا » أي ، لكن ألقي اليك ، لتجلي صفة الرحمة الرحيمية « من ربك » وظهور فيضها فيك ، شيئاً فشيئاً حتى صارت وصفك « فلا تكونن ظهيراً للكافرين» المحجوبين باحتجابك بها عن الفناء في الذات، فتظهر أنائيتك برؤية كمالها « ولا يصدّنك عن آيات الله » وتجليات صفته ، فتقف مع أنائيتك كوقوفهم مع الغير ، فتكون من المشركين بالنظر الى نفسك ، وإشراكها بالله في الوجود .

« وادع الى ربك » به ، لا الى نفسك بها ، فإنك الحبيب ، والحبيب لا يدعو الى نفسه ، ولا يكون بنفسه، بل الى حبيبه، بحبيبه « لا إله إلا هو» فلا تدع معه غيراً ، لا نفسك ، ولا غيرها ، فمن امتثال قوله : « وادع الى ربك » حصل له وصف ما طغى ، ومن قوله : « لا تدع مع الله » ما زاغ البصر « كل شيء هالك إلا وجهه » أي ، ذاته ، إذ لا موجود سواه « وله الحكم » بقهره كل ما سوّاه تحت صفاته « وإليه ترجعون » بالفناء في ذاته .

سورة العنكبوت

بسم الله الرحمن الرحيم

« الم . أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ » .

« آلم » أي ، الذات الإلهية ، والصفات الحقيقية ، التي أصلها وأولها باعتبار النسبة الى الغير العلم ، والإضافية التي أولها ومنشؤها المبدئية ، اقتضت أن لا يترك الناس على نقصانهم ، وغفلتهم ، واحتجابهم بمجرد اقوالهم المطابقة للحق ، وظواهر أعمالهم ، بل يفتنوا بأنواع البليات ، ويمتحنوا بالشدائد والرياضات، حتى يظهر ما كمن في استعداداتهم ، وأودع في غرائزهم؛ فإن الذات الإلهية أحبت أن تظهر كمالاتها المخزونة في عين الجمع ، فأودعها معادن أعيان الناس ، وأوجدها في عالم الشهادة ، كما قال تعالى : « كنت كنزاً مخفياً » الحديث . فتحبب اليهم بالابتلاء بالنعم والنقم ، ليعرفوه عند ظهور صفاته عليهم ، فيصيروا مظاهر له في الانتهاء اليه ، كما كانوا معادن وخزائن عند الابتداء منه ، فإن كونه منتهي من لوازم كونه مبتدأ .

«وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَاذِبِينَ . أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّئَاتِ أَنْ يَسْبِقُونَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ . مَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ ٱللهِ فَإِنَّ أَجَلَ ٱللهِ لَآتٍ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ . وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ ٱللهَ لَغَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَالَمِينَ . وَٱلَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّالِحَاتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ ٱلَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ . وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْناً وَإِنْ جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ . وَٱلَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي ٱلصَّالِحِينَ . وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِٱللهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي ٱللهِ جَعَلَ فِتْنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللهِ وَلَئِنْ جَاءَ نَصْرٌ مِنْ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ أَوَلَيْسَ ٱللهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ ٱلْعَالَمِينَ . وَلَيَعْلَمَنَّ ٱللهُ ٱلَّذِينَ آمَنُوا وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْمُنَافِقِينَ . وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا ٱتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَايَاكُمْ وَمَا هُمْ بِحَامِلِينَ مِنْ خَطَايَاهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ . وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالاً مَعَ أَثْقَالِهِمْ وَلَيُسْأَلُنَّ يَوْمَ ٱلْقِيٰمَةِ عَمَّا كَانُوا

يَفْتَرُونَ . وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحاً إِلَى قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلاَّ خَمْسِينَ عَاماً فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ . فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَصْحَابَ ٱلسَّفِينَةِ وَجَعَلْنَاهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ . وَإِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ ٱعْبُدُوا ٱللهَ وَٱتَّقُوهُ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ . إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ ٱللهِ أَوْثَاناً وَتَخْلُقُونَ إِفْكاً إِنَّ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ ٱللهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقاً فَٱبْتَغُوا عِنْدَ ٱللهِ ٱلرِّزْقَ وَٱعْبُدُوهُ وَٱشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ . وَإِنْ تُكَذِّبُوا فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلاَّ ٱلْبَلَاغُ ٱلْمُبِينُ . أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ ٱللهُ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى ٱللهِ يَسِيرٌ . قُلْ سِيرُوا فِي ٱلْأَرْضِ فَٱنْظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ ٱللهُ يُنْشِئُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْآخِرَةَ إِنَّ ٱللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ . يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَرْحَمُ مَنْ يَشَاءُ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ . وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَاءِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ ٱللهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ . وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ ٱللهِ وَلِقَائِهِ أُولَئِكَ يَئِسُوا مِنْ رَحْمَتِي وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ . فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلاَّ أَنْ قَالُوا ٱقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنْجَاهُ ٱللهُ مِنَ ٱلنَّارِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ » .

« ولقد فتنّا الذين من قبلهم » من اهل الاستبصار ، والاستعداد بأنواع المصائب ، والمِحَن ، والرياضات ، والفتن ، حتى يتميز الصادق في الطلب ، القابل للكمال بظهور كاله ، من الكاذب المهوّس ، الضعيف الاستعداد « ومن كان يرجوا لقاء الله » في أحد المواطن ، سواء كان موطن الثواب والآثار ، او موطن الأفعال ، او موطن الأخلاق ، او موطن الصفات ، او موطن الذات ، « فإن أجل الله » في احدى القيامات الثلاث « لآتٍ » أي ، فليتيقن وقوع اللقاء بحسب حاله ، ورجائه عند الأجل المعلوم ، وليعمل الحسنات ليجد الكرامة في جنة النفس من باب الآثار ، والأفعال عند الموت الطبيعي ، او ليجتهد في المحو بالرياضات والمراقبات ، ليشاهد في جنة القلب من تجليات الصفات ، ومقامات الاخلاق ، ما يشتهيه ويدعيه عند الموت الإرادي ، او ليجاهد في الله حق جهاده بالفناء فيه ، ليجد روح الشهود ، وذوق الجمال ، في جنة الروح عند الموت الاكبر ، والطامة الكبرى « ومن جاهد » في أي مقام كان ، لأي موطن أراد ، « فإنما يجاهد لنفسه » .

« والذين آمنوا » كل واحد من أنواع الايمان المذكورة ، « وعملوا الصالحات » بحسب ايمانهم « لنكفّرنّ عنهم » سيئات اعمالهم ، وأخلاقهم ، وصفاتهم ، او ذواتهم بأنوار ذاته « ولنجزينهم أحسن الذي كانوا يعملون » من اعمالنا الصادرة عن صفاتنا بدل اعمالهم .

« ووصينا الانسان » الى آخره . جعل أول مكارم الاخلاق إحسان الوالدين ، إذ هما مظهرا صفتي الايجاد والربوبية ، فكان حقهما يلي حق الله ، بقرن طاعتهما بطاعته ، لأن العدل ظلّ التوحيد ، فمن وحّد الله لزمه العدل ، وأول العدل مراعاة حقوقهما ، لأنهما أولى الناس ، فوجب تقديم حقوقهما على حق كل أحد ، إلا على حقه تعالى ، ولهذا أوجبت طاعتهما في كل شي إلا في الشرك بالله .

« وَقَالَ إِنَّمَا ٱتَّخَذْتُمْ مِّنْ دُونِ ٱللهِ أَوْثَاناً مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي ٱلْحَيٰوةِ ٱلدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيٰمَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُمْ بَعْضاً وَمَأْوَاكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُمْ مِّنْ نَّاصِرِينَ. فَآمَنَ لَهُ لُوطٌ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ. وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحٰقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَابَ وَآتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي ٱلدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي ٱلْآخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّالِحِينَ. وَلُوطاً إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَالَمِينَ. أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ ٱلسَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ ٱلْمُنْكَرَ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلاَّ أَنْ قَالُوا ٱئْتِنَا بِعَذَابِ ٱللهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ ٱلصَّادِقِينَ. قَالَ رَبِّ ٱنْصُرْنِي عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْمُفْسِدِينَ. وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُوا إِنَّا مُهْلِكُوا أَهْلِ هٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا ظَالِمِينَ. قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطاً قَالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَنْ فِيهَا لَنُنَجِّيَنَّهُ وَأَهْلَهُ إِلاَّ ٱمْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَابِرِينَ. وَلَمَّا أَنْ جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطاً سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعاً وَقَالُوا لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهْلَكَ إِلاَّ ٱمْرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَابِرِينَ. إِنَّا مُنْزِلُونَ

عَلى أهلِ هذهِ ٱلقَرْيَةِ رِجزاً مِّنَ ٱلسَّماءِ بِما كانُوا يَفسُقُونَ . وَلَقَدْ تَرَكْنَا مِنهَا آيَةً بَيِّنَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ . وَإلى مَدْيَنَ أخَاهُمْ شُعَيْباً فَقَالَ يَا قَوْمِ ٱعْبُدُوا ٱللهَ وَٱرْجُوا ٱليَوْمَ ٱلآخِرَ وَلَا تَعْثَوْا فِي ٱلأَرْضِ مُفسِدِينَ . فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ . وَعاداً وَثَمُودَ وَقَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ مِّنْ مَّسَاكِنِهِمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَانُ أعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ . وَقَارُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مُّوسَى بِٱلْبَيِّنَاتِ فَٱسْتَكْبَرُوا فِي ٱلأَرْضِ وَمَا كَانُوا سَابِقِينَ . فَكُلاًّ أَخَذْنَا بِذَنبِهِ فَمِنْهُمْ مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِباً وَمِنْهُمْ مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَّنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ ٱللهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ . مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا مِنْ دُونِ ٱللهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ ٱلعَنْكَبُوتِ ٱتَّخَذَتْ بَيْتاً وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ . إنَّ ٱللهَ يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ وَهُوَ ٱلعَزِيزُ ٱلحَكِيمُ . وَتِلْكَ ٱلأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إلاَّ ٱلعَالِمُونَ . خَلَقَ ٱللهُ ٱلسَّمٰوَاتِ وَٱلأَرْضَ بِٱلحَقِّ إنَّ فِي ذٰلِكَ لَآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ » .

« إنما اتخذتم من دون الله » شيئاً عبدتموه مودوداً فيما بينكم « في الحياة الدنيا » او ان كل ما اتخذتم من دون الله شيئاً مودوداً فيما بينكم في الحياة الدنيا ، او ان كل ما اتخذتم اوثاناً مودوداً في هذه الحياة ، او لمودة بينكم في هذه على القراءتين والمعنى .

إن المودة قسمان : مودة دنيوية ، ومودة أخروية . والدنيوية منشؤها النفس من الجهة السفلية ، والأخروية منشؤها الروح من الجهة العلوية ، فكل ما يحب ويود من دون الله لا لله، ولا بمحبة الله، فهو محبوب بالمودة النفسية ، وهي هوى زائل ، كلما انقطعت الوصلة البدنية زالت ولم تصل الى احدى القيامات، فإنها نشأت من تركيب البدن واعتدال المزاج، فإذا انحل التركيب وانحرف المزاج، تلاشت وبقي التضادّ والتعاند بمقتضى الطبائع، كقوله تعالى: « ثم يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضاً » . ولهذا شبهها ببيت العنكبوت في الوهن في قوله : « مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت » الى آخر الآية .

وأما الأخروية فمنشؤها الذات الأحدية ، والمحبة الإلهية ، وتلك المودة هي التي تكون بين الأصفياء والأولياء ، لتناسب الصفات، وتجانس الذوات، لا تتصفى غاية الصفاء ، ولا تتجرّد عن الغطاء ، إلا عند زوال التركيب والبروز عن حجب النفس والبدن في مقام القلب والروح ، لقربها من منبعها هناك ، فتصير يوم القيامة محبة صرفة ، صافية الهيئة ، بخلاف تلك .

« أَتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَابِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَاءِ وَٱلْمُنكَرِ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ

وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ . وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ ٱلْكِتَابِ إِلاَّ بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلاَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِٱلَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلٰهُنَا وَإِلٰهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ » .

« أتلُ ما أوحيَ إليك من الكتاب وأقم الصلواة » أي، فصل ما أجمل فيك من كتاب العقل القرآني بسبب الوحي ونزول كتاب العلم الفرقـاني ، وأقم الصلاة المطلقة على ترتيب تفاصيل التلاوة والعلوم ، ومعناه أجمع بـين الكمال العلمي والعمل المطلق ، فـإن لك بحسب كل علم صلاة ، وكما ان العلوم أما نافعة تتعلق بالاداب والأعمال ، واصلاح المعاش ، وهي عـلوم القوى من غيب الملكوت الأرضية ، وأمـا شريفة تتعلق بالأخلاق والفضائل ، واصلاح المعاد ، وهي علوم النفس من غيب الصدر والعقل العلمي ، وأما كلية يقينية تتعلق بالصفات ، وهي على نوعين : عقلية نظرية . وكشفية سرّية . وكلاهما من غيب القلب والسرّ ، وأما حقيقية تتعلق بالتجليات والمشاهدات ، وهي من غيب الروح ، وأمـا ذوقية لدنية تتعلق بالعشقيات والمواصلات ، وهي من غيب الخفاء ، وأما حقية من غيب الغيوب ، وبحسب كل علم صلاة .

فالأولى هي صلاة البدنية بإقامة الأوضاع وأداء الأركان . والثانية صلاة النفس بالخضوع ، والخشوع ، والإنقياد ، والطمأنينة بـين الخوف والرجاء . والثالثة صلاة القلب بالحضور والمراقبة . والرابعة صلاة السرّ بالمناجاة والمكالمة والخامسة صلاة الروح بالمشاهدة والمعاينة . والسادسة صلاة الخفاء ، بالمناغـاة

والملاطفة ، ولا صلاة في المقام السابع ، لأنـــه مقام الفناء والمحبة الصرفة ، الفناء في عين الوحدة .

وكما كان نهـــاية الصلاة الظاهرة وانقطاعها بظهور الموت الذي هو ظاهر اليقين وصورته ، كما قيل في تفسير قوله تعالى : « واعبد ربـك حتى يأتيك اليقين » فكذلك انتهاء الصلاة الحقيقية بالفناء المطلق ، الذي هو حق اليقين. وأمـا في مقام البقاء بعد الفناء ، فيتجدّد جميع الصلوات الست مع سابعة . وهي صلاة الحق بالمحبة ، والتفريد .

« إن الصلاة تنهي عن الفحشاء والمنكر » فالصلاة البدنية تنهي عـــن المعاصي والسيئات الشرعية ، وصلاة النفس تنهي عـــن الرذائل والأخلاق الرديئة ، والهيئات المظلمة ، وصلاة القلب تنهي عن الفضول والغفلة ، وصلاة السرّ تنهي عن الإلتفات الى الغير ، والغيبة . كما قال عليه السلام : (لو علم المصلي من يناجي ما التفت) وصلاة الروح عن الطغيان بظهور القلب بالصفات كنهي صلاة القلب عن ظهور النفس بها ، وصلاة الخفاء عن الاثنينية وظهور الانانية ، وصلاة الذات تنهي عن ظهور البقية بالتلوين ، وحصول المخالفة في التوحيد « ولذكر الله اكبر » الذي هو ذكر الذات في مقـام الفناء المحض ، وصلاة الحق عند التمكين في مقام البقاء اكبر من جميع الإذكار ، والصلوات « والله يعلم ما تصنعون » في جميع المقامات والأحوال ، والصلوات .

« ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن » إنمـــا منع المجادلة مع أهـل الكتاب إلا بالطريقة التي هي أحسن ، لأنهم ليسوا محجوبين عن الحق بل عن الدين ، فهم أهل استعداد ولطف ، لا أهل خذلان وقهر ، وإنمـــا ضلوا عن مقصدهم الذي هو الحق في الطريق ، لموانع ، وعادات ، وظواهر،

فوجب في الحكمة مرافقتهم في المقصد الذي هو التوحيد ، كما قال : « وإلهنا وإلهكم واحد » ومرافقتهم في الطريق ما استقام منها ووافق طريق الحق ، لا مـــا اعوج وانحرف عن المقصد ، كالإنقياد ، واستسلام للمعبود بالحق ، الواحد المطلق ، كما قال : « ونحن له مسلمون » ليتحقق عندهم انهم على الحق ، متوجهون الى مقصدهم ، سالكون لسبيله ، فتطمئن قـلوبهم ، وملاطفتهم ، في بيان كيفية سلوك الطريق بتصويب ما هو حق مما هم عليه ، وتبصير مـا هو باطل لاحتجابهم عنه ، بالعبادة كقوله : « آمنا بالذي أنزل إلينا وأنزل اليكم » لمناسبتهم ومشاركتهم إياهم في اللطف ، فيستأنسوا بهم ويقبلوا قولهم ، ويهتدوا بهداهم ، إلا الذين ران على قلوبهم مـــا كانوا يكسبون ، فبطل استعدادهم ، وحجبوا عن ربهم ، وهم الذين ظلموا منهم على أنفسهم بإبطال استعداداتهم ، ونقص حقوقها من كمالاتها ، بتكديرها ، وتسويدها ، ومنعها عن القبول بكثرة ارتكاب الفضول ، فإنهم أهـل القهر ، لا يؤثر فيهم إلا القهر ، ولا تنجع فيهم الملاطفة للمضادّة بين الوصفين .

« وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَا إِلَيْكَ ٱلْكِتَابَ فَٱلَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ ٱلْكِتَابَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمِنْ هَٰؤُلَاءِ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا ٱلْكَافِرُونَ . وَمَا كُنْتَ تَتْلُوا مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ . بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا ٱلْعِلْمَ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا ٱلظَّالِمُونَ . وَقَالُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِّنْ رَّبِّهِ قُلْ إِنَّمَا ٱلْآيَاتُ عِنْدَ ٱللهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ . أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَـا عَلَيْكَ

ٱلْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ . قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ شَهِيداً يَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمٰوَاتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلَّذِينَ آمَنُوا بِٱلْبَاطِلِ وَكَفَرُوا بِٱللَّهِ أُولٰئِكَ هُمُ ٱلْخَاسِرُونَ . وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ وَلَوْلَا أَجَلٌ مُّسَمًّى لَّجَاءَهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَيَأْتِيَنَّهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ . يَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِٱلْكَافِرِينَ . يَوْمَ يَغْشَاهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ وَيَقُولُ ذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ . يَا عِبَادِيَ ٱلَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِيَّايَ فَٱعْبُدُونِ . كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ ٱلْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ . وَٱلَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّالِحَاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ غُرَفاً تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَامِلِينَ . ٱلَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ . وَكَأَيِّنْ مِّنْ دَابَّةٍ لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا ٱللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ . وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمٰوَاتِ وَٱلْأَرْضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ . ٱللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ . وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَّنْ نَّزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ

مِنْ بَعْـدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ . وَمَا هٰذِهِ ٱلْحَيٰوةُ ٱلدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْآخِرَةَ لَهِيَ ٱلْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ . فَإِذَا رَكِبُوا فِي ٱلْفُلْكِ دَعَوُا ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ . لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ وَلِيَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ . أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَماً آمِناً وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ أَفَبِٱلْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ يَكْفُرُونَ . وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَى عَلَى ٱللَّهِ كَذِباً أَوْ كَذَّبَ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوىً لِلْكَافِرِينَ . وَٱلَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ » .

« بل هو آيات بيّنات في صدور الذين أوتوا العلم » أي ، القرآن علوم حقيقية ذوقيّة بيّنة ، محلها صدور العلماء المحققين ، وهي المعاني النازلة من غيب الغيوب الى الصدر ، لا الألفاظ والحروف الواقعة على اللسان والذكر ، وما يجحد بها إلا الكافرون المحجوبون ، لعدم الاستعداد ، والظالمون الذين أبطلوا استعدادهم بالرذائل ، والوقوف مع الأضداد « وانّ جهنم لمحيطة بالكافرين » المحجوبين عن الحق ، لكونهم مغمورين في الغواشي الطبيعية ، والحجب الهيولانية ، بحيث لم يبق فيهم فرجة ، الى عالم النور ، فيستبصروا ويستضيئوا بها ، ويتنفسوا منها فيتروّحوا فيها .

« يوم يغشاهم العذاب من فوقهم » لحرمـانهم عن الحق ، واحتجابهم عن النور ، واحتراقهم تحت القهر « ومن تحت أرجلهم » لحرمـــانهم اللذات والشهوات ، واحتجابهم عنهـا ، بفقدان الأسباب والآلات، وتعذيبهم بإيلام الهيئات ، ونيران الآثار، وهم بين مبتلين شديدين ، ومشوقين قويين الى الجهة العلوية بمقتضى الفطرة الأصلية ، والى السفلية باقتضاء رسوخ الهيئة العارضية مع الحرمان عنهما ، واحتباسهم في برزخ بينهما ، نعوذ بالله منه .

« والذين جاهدوا » من أهل الطريقة « فينا » بالسير في صفاتنـا ، وهو السير القلبيّ ، لأن المبتدىء الذي هو في مقام النفس سيره بالجهاد الى الله ، والمجاهدة في هذا السير بالحضور والمراقبة ، والاستقامة الى الله في الثبات على حكم التجليات « لنهدينهم » الى طرق الوصول الى الذات ، وهي الصفات ، لأنها حجب الذات ، فالسلوك فيها بالاتصاف بهـا موصل الى حقيقة الاسم الثابت له تعالى بحسب الصفة الموصوف هو بها ، وهو عين الذات الواحدية ، وهي باب الحضرة الأحدية « وانّ الله لمع المحسنين » الذين يعبدون الله عـلى المشاهدة ، كما قـال عليه السلام : (الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه) فالمحسنون السالكون في الصفات والمتصفون بهـا ، لأنهم يعبدون بالمراقبة والمشاهدة ، وانما قال كأنك تراه ، لأن الرؤية ، والشهود العينيّ لا يكون إلا بالفناء في الذات بعد الصفات .

سورة الروم

بسم الله الرحمن الرحيم

« الٓمٓ . غُلِبَتِ ٱلرُّومُ . فِي أَدْنَى ٱلْأَرْضِ وَهُمْ مِّنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ . فِي بِضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ . بِنَصْرِ ٱللَّهِ يَنصُرُ مَن يَشَآءُ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ . وَعْدَ ٱللَّهِ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ وَعْدَهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ . يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْآخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ » .

« الٓمٓ . غلبت الروم » الذات الأحدية مع صفتي العلم والمبدئية، كما ذكر، اقتضت أن روم القوى الروحانية ، تكون مغلوبة في أقرب موضع من أرض النفس ، الذي هو الصدر ، لأن فيض المبدأ يوجب إظهار الخلق ، واحتجاب الحق به ، فكل ما كان أقرب الى الحق كان مغلوباً بالذي هو

أقرب الى الخلق ، وذلك حكم الاسم المبدي في مظهر النشأة ، وتجليه تعالى به ، وباسمه الظاهر ، واسمه الخالق ، وفي الجملة بما في حضرته المبدئية من الأسماء « وهم من بعد » كونهم مغلوبين « سيغلبون » على فارس القوى النفسانية الأعجمية ، المحجوبة بالرجوع الى الله ، وظهور القلب .

« في بضع سنين» من الأطوار التي يكون فيها الترقي الى الكمال، وأوقات الحضور ، والمقامات ، والتجليات « لله الأمر من قبل » بحكم اسمه المبدي « ومن بعد » بحكم اسمه المعيد يدبر الأمر ، من السماء الى الأرض . ثم يعرج اليه « ويومئذ » أي ، يوم غلبة روم الروحانيات على النفسانيات ، « يفرح المؤمنون بنصر الله » وتأييده من الملكوت السماوية ، وإمدادهم بالإمداد القدسية « ينصر من يشاء » من أهل عنايته ، المستعدين بها « وهو العزيز » القويّ الغالب على قهر الفارسيين ، المحجوبين « الرحيم » بإفاضة الإمدادات الكمالية ، والأنوار التأييدية القدسية ، على الروميين الغالبين « وعد الله » في تكميل المستعدين ، من أهل عنايته « لا يخلف الله وعده ولكنّ اكثر الناس لا يعلمون » لاحتجابهم يحسبون ان هذه الغلبة بقوّتهم وكسبهم ، وأنه قد يمكن أنه لا يبلغ المعنى به السعي الى الكمال لعدم السعي ، ولا يعرفون ان ذلك المستعد أيضاً من توفيقه ، وعلامة عنايته تعالى به ، وعدم السعي من خذلانه ، وآية كونه غير معني به ، فإن أعمالنا معرّفات لا موجبات ، « يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا » وأن وجوه المكاسب منوطة بسعي العباد وتدبيرهم « وهم » عن الباطن وأحوال العالم الروحاني « هم غافلون » لا يفطنون أن وراء هذه الحياة المنقطعة حياة سرمدية ، كما قال : « وإن الدار الآخرة لهي الحيوان لو كانوا يعلمون » وأن وراء تدبير العباد وسعيهم لله تعالى ، تقديراً وحكماً .

«أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمٰوَاتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَأَجَلٍ مُسَمًّى وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ ٱلنَّاسِ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ . أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي ٱلْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا ٱلْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِٱلْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ . ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ ٱلَّذِينَ أَسَاؤُا ٱلسُّوأَى أَنْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ ٱللَّهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِؤُنَ » .

« أولم يتفكروا في أنفسهم ما خلق الله » سموات الغيوب السبعة ، وأرض البدن ، ومـا بينهما من القوى الطبيعية ، والملكوت الأرضية والروحانية ، والملكوت السماوية ، والصفات ، والأخلاق وغيرها ، إلا بالحكمة ، والعدل ، وظهور الحق في مظاهرهم بالصفات على حسب استعداد قبولها لتجليه «واجل مسمّى » هو غاية كال كل منهم وفنائه في الله بمقتضى هوية استعداده الأول ، حتى يشهدوا بقدر استعدادهم ، وإلقاء الله فيهم بصفاته وذاته .

« وإن كثيراً من الناس بلقاء ربهم لكافرون » لاحتجابهم عنه ، فيتوهمون أنه لا يكون إلا بالمقابلة الصورية في عالم آخر ، باندراج الهوية في الهوية .

« اللهُ يَبْدَؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ . وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُبْلِسُ الْمُجْرِمُونَ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ مِنْ شُرَكَائِهِمْ شُفَعَؤُا وَكَانُوا بِشُرَكَائِهِمْ كَافِرِينَ . وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ . فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ . وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ فَأُولَئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ . فَسُبْحَانَ اللهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ . وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ وَعَشِيّاً وَحِينَ تُظْهِرُونَ . يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَيُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذٰلِكَ تُخْرَجُونَ . وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ . وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ » .

« الله يبدؤا الخلق » بإظهار الفرس على الروم . « ثم يعيده » بإظهار الروم على الفرس « ثم إليه ترجعون » بالفناء فيه « ويوم تقوم الساعة » بوقوع

القيامة الصغرى « يبلس المجرمون » عن رحمة الله ، وتحيرهم في العذاب غير قابلين للرحمة ، او القيامة الكبرى ، بظهور المهدي ع.م ، وقهرهم تحت سطوته ، وحرمانهم من رحمته ، وحينئذ يتفرّق الناس بتميز المؤمن عن الكافر .

« فسبحان الله » أن يكون غيره في الوجود، والصفة، والفعل ، والتأثير « حين تمسون » بغلبة ظلمة الفرس ، على نور الروم « وحين تصبحون » عند ظهور نورهم على ظلمة الفرس « وله الحمد » بظهور صفات كماله ، وتجليات جماله في سموات الغيوب السبعة ، وقت اصباح غلبة نور الروحانيات على ظلمات النفسانيات ، وقرب طلوع شمس الروح ، وبظهور صفات جلاله في أرض البدن، عند امساء غلبة ظلمة النفسانيات على نور الروحانيات «وعشيا» وقت فنائهم ، وغيبة شمس الروح في الذات « وحين تظهرون » في البقاء بعد الفناء ، عند الإستقامة والإستواء « يخرج » حيّ القلب من ميت النفس، بالإعادة وقت الاصباح « ويخرج » ميت النفس من حيّ القلب في الإبداء عند الامساء « ويحيي » أرض البدن حينئذ « وكذلك تخرجون » في النشأة الثانية « ومن آياته » أي، من أفعاله وصفاته التي يتوصل بها الى ذاته معرفة وسلوكاً « ان خلق لكم من أنفسكم أزواجاً » أي ، خلق لكم من النفوس أزواجاً للأرواح « لتسكنوا اليها » وتركنوا، وتميلوا نحوها بالمودّة ، والتأثير والتأثر « وجعل بينكم » من الجانبين المودّة والرحمة فتودّ النفس نور الروح ، وتأثيره بالقبول والتأثر ، فتسكن عن الطيش وتتصفى ، فيرحمها الله بولد القلب ، في مشيمة الإستعداد برّاً بها فتهتدي ببركته ، وتتخلق بأخلاقه فتفلح ، وتودّ الروح النفس بالتأثير فيها ، وإفاضة النور عليها فيرحمه الله بالولد المبارك برّاً عطوفاً فيرتقي ببركته ويظهر به كماله « ان في ذلك لآيات »

صفات وكالات « لقوم يتفكرون » في أنفسهم وذواتهم ، وما جبلت عليها وأودعت فيها .

« وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ ٱلسَّمٰوَاتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالِمِينَ . وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُمْ بِٱللَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱبْتِغَاؤُكُمْ مِّنْ فَضْلِهِ إِنَّ فِي ذٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ . وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفاً وَطَمَعاً وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَاءِ مَاءً فَيُحْيِي بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ . وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ ٱلسَّمَاءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ إِذَا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ . وَلَهُ مَنْ فِي ٱلسَّمٰوَاتِ وَٱلْأَرْضِ كُلٌّ لَّهُ قَانِتُونَ . وَهُوَ ٱلَّذِي يَبْدَؤُا ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِي ٱلسَّمٰوَاتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ . ضَرَبَ لَكُمْ مَّثَلاً مِّنْ أَنْفُسِكُمْ هَلْ لَّكُمْ مِّنْ مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِّنْ شُرَكَاءَ فِي مَا رَزَقْنَاكُمْ فَأَنْتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ كَذٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ . بَلِ ٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا أَهْوَاءَهُمْ بِغَيْرِ

عِلْمٍ فَمَنْ يَهْدِي مَنْ أَضَلَّ ٱللَّهُ وَمَا لَهُمْ مِّنْ نَّاصِرِينَ .
فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ
عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ
أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ » .

« واختلاف ألسنتكم » من لسان النفس ، والقلب ، والسرّ ، والروح ، والخفاء ، بكل مقال في كل مقام ، فإنه لا ينحصر وجوه اختلافات هـذه الألسن « وألوانكم » تلوّناتكم ، وتلويناتكم في السموات السبع ، والأرض « لآيات » من تجليات الصفات والافعال ، للعلماء العارفين في مراتب علومهم « منامكم » غفلتكم في ليل النفس ، ونهـار القلب بظهور صفاتها « وابتغاؤكم من فضله » بالترقي في الكمالات ، واكتساب الأخـلاق والمقامات ، يسمعون كلام الحق بسمع القلب ، فيفهمون معناه بحسب مقاماتهم في الأطوار «يريكم» برق اللوامع ، والطوالع في البدايات، خائفين من انقضاضها وخفوقها، وبقائكم في الظلمة بفواتها ، وطامعين في رجوعها، ومزيدكم بها، وينزل مياه الواردات والمكاشفات بعدها من سماء الروح ، وسحاب السكينة ، فيحيي بهـا أراضي النفوس ، والإستعدادات الهامدة بعد موتهـا بالجهل « يعقلون » بطاوعة نفوسهم للدواعي العقلية ، معاني الواردات ، ومـا يصلحهم من الحكم والمعقولات « وله المثل الأعلى » أي ، الوصف الأعلى، بالفردانية في الوجود ، والوحدة الذاتية ، وما أحسن قول مجاهد في معناه : انه لا إله إلا هو .

« فأقم وجهك » لدين التوحيد ، وهو طريق الحق تعالى ، ولذلك أطلق من غير اضافة : أي هو الدين مطلقاً ، ومـا سواه ليس بدين ، لانقطاعه

دون الوصول الى المطلوب ، والوجه هو الذات الموجودة مع جميع لوازمها وعوارضها ، وإقامته الدين ، تجريده عن كل ما سوى الحق ، قائماً بالتوحيد، والوقوف مع الحق ، غير ملتفت الى نفسه ، ولا الى غيره ، فيكون سيره حينئذ سير الله ، ودينه وطريقته اللذان هو عليهما دين الله وطريقته ، إذ لا يرى غيره موجود « حنيفاً » مائلاً منحرفاً عن الأديان الباطلة التي هي طرق الاغيار والانداد لمن أثبت غيره ، فأشركه بالله « فطرت الله » أي ، الزموا فطرة الله ، وهي الحالة التي فطرت الحقيقة الانسانية عليها ، من الصفاء ، والتجرّد في الأزل ، وهي الدين القيم ، أزلاً وأبداً لا يتغير ، ولا يتبدّل عن الصفاء الاول ، ومحض التوحيد الفطري ، وتلك الفطرة الأولى ليست إلا من الفيض الأقدس ، الذي هو عين الذات ، من بقى عليها لم يمكن انحرافه عن التوحيد واحتجابه عن الحق ، إنما يقع الإنحراف ، والإحتجاب من غواشي النشأة ، وعوارض الطبيعة عند الخلقة او التربية ، والعادة .

أما الاول فلقوله عليه السلام ، في الحديث الرباني : (كل عبادي خلقت حنفاء ، فأحتالتهم الشياطين عن دينهم ، وأمروهم أن يشركوا بي غيري) .

وأما الثاني فلقوله : (كل مولود يولد على الفطرة ، حتى يكون أبواه هما اللذان يهوّدانه ، وينصرانه) لا أن تتغير تلك الحقيقة في نفسها عن الحالة الذاتية ، فإنه محال ، وذلك معنى قوله : « لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ، ولكنّ اكثر الناس لا يعلمون » تلك الحقيقة .

« مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَوٰةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ . مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعاً كُلُّ حِزْبٍ

بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ . وَإِذَا مَسَّ ٱلنَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا رَبَّهُمْ مُّنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا أَذَاقَهُمْ مِّنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ . لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ . أَمْ أَنْزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَاناً فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُوا بِهِ يُشْرِكُونَ . وَإِذَا أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا بِهَا وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ . أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ ٱللهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِي ذٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ . فَآتِ ذَا ٱلْقُرْبَى حَقَّهُ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ ذٰلِكَ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللهِ وَأُولٰئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ . وَمَا آتَيْتُمْ مِّنْ رِّباً لِّيَرْبُوَا فِي أَمْوَالِ ٱلنَّاسِ فَلَا يَرْبُوا عِنْدَ ٱللهِ وَمَا آتَيْتُمْ مِّنْ زَكٰوةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللهِ فَأُولٰئِكَ هُمُ ٱلْمُضْعِفُونَ . ٱللهُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَّنْ يَفْعَلُ مِنْ ذٰلِكُمْ مِّنْ شَيْءٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ . ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ ٱلَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ . قُلْ سِيرُوا فِي ٱلْأَرْضِ فَٱنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِنْ قَبْلُ كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُّشْرِكِينَ . فَأَقِمْ وَجْهَكَ

لِلدِّينِ ٱلْقَيِّمِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ مِنَ ٱللهِ يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ . مَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَمَنْ عَمِلَ صَالِحاً فَلِأَنْفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ . لِيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّالِحَاتِ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْكَافِرِينَ . وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ يُرْسِلَ ٱلرِّيَاحَ مُبَشِّرَاتٍ وَلِيُذِيقَكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَلِتَجْرِيَ ٱلْفُلْكُ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ . وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ رُسُلاً إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَاؤُهُمْ بِٱلْبَيِّنَاتِ فَٱنْتَقَمْنَا مِنَ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا وَكَانَ حَقّاً عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ . ٱللهُ ٱلَّذِي يُرْسِلُ ٱلرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَاباً فَيَبْسُطُهُ فِي ٱلسَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كِسَفاً فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ . وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمُبْلِسِينَ . فَٱنْظُرْ إِلَى آثَارِ رَحْمَتِ ٱللهِ كَيْفَ يُحْيِي ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذٰلِكَ لَمُحْيِي ٱلْمَوْتَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ . وَلَئِنْ أَرْسَلْنَا رِيحاً فَرَأَوْهُ مُصْفَرّاً لَظَلُّوا مِنْ بَعْدِهِ يَكْفُرُونَ . فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَى وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ . وَمَا أَنْتَ بِهَادِ ٱلْعُمْيِ عَنْ ضَلَالَتِهِمْ إِنْ

تُسْمِعُ إلاَّ مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ مُسْلِمُونَ . اللهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفاً وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ . وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ كَذَلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ . وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ اللهِ إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ فَهَذَا يَوْمُ الْبَعْثِ وَلَكِنَّكُمْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ . فَيَوْمَئِذٍ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَعْذِرَتُهُمْ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ . وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَلَئِنْ جِئْتَهُمْ بِآيَةٍ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلاَّ مُبْطِلُونَ . كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللهُ عَلَى قُلُوبِ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ . فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ » .

« منيبين اليه » حال من الضمير المتصل في الزمن المقدّر ، أي الزموا تلك الفطرة المخصوصة بالله ، منيبين اليه من جميع الأغيار المتوهم وجودها من قبل شياطين الوهم والخيال ، وأديانها الباطلة بالتجرّد عن الغواشي الجبلية ، والعوارض البدنية ، والهيئات الطبيعية ، والصفات النفسانية ، الى الحق ودينه « واتقوه » بعد الإنابة اليه ، بتجريد الفطرة بالفناء فيه « وأقيموا الصلاة » الشهود الذاتي « ولا تكونوا من المشركين » ببقية الفطرة ، وظهور الانانية في مقامها « من الذين » فارقوا دينهم الحقيقي ، بسقوطهم عن الفطرة

واحتجابهم بحجب النشأة ، والعادة ، « وكانوا شيعاً » فرقاً مختلفة لوقوف كل أحد مع حجابه ، واختلاف حجبهم ، وتفريق الشيطان إياهم في أودية صفات النفس ، فبعضهم على دين البهائم ، وبعضهم على دين السباع ، وبعضهم على دين الهوى ، وبعضهم على دين الشيطان خاصة ، وأنواع الشياطين لا تنحصر .

فكذا الأديان « كل حزب بما لديهم فرحون » أي ، من المفارقين الدين الحقيقي ، المتفرّقين شيعاً مختلفة ، كل حزب عند تكدّر الفطرة ، وتكاثف الحجاب ، يفرح بما يقتضيه استعداده من الحجاب ، لكونه مقتضى طبيعة حجابه ، فيناسب حاله من الإستعداد الغالب ، والفرح انما يكون بالإدراك الملائم من حيث هو ملائم ، وذلك ملائم في الحال ، بحسب الإستعداد العارضي ، وإن لم يلائم في الحقيقة ، بحسب الاستعداد الأصلي ، ولهذا يجب به التعذيب عند زوال العارض .

سورة لقمان

بسم الله الرحمن الرحيم

« الم . تِلْكَ آيَاتُ ٱلْكِتَابِ ٱلْحَكِيمِ . هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ . ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ . أُولَـٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَـٰئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ . وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَـٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ . وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْرًا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ . إِنَّ ٱلَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتُ ٱلنَّعِيمِ . خَالِدِينَ فِيهَا وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ . خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا وَأَلْقَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ

دَابَّةٍ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ. هٰذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ . وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ. وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ. وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ . وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ . يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمٰوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ. يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلٰوةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ. وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ. وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ

لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ . أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ ٱللهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي ٱلسَّمٰوَاتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي ٱللهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدىً وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ . وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ ٱللهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ ٱلشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَى عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ . وَمَنْ يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى ٱللهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَى وَإِلَى ٱللهِ عَاقِبَةُ ٱلْأُمُورِ . وَمَنْ كَفَرَ فَلَا يَحْزُنْكَ كُفْرُهُ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا إِنَّ ٱللهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ . نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلاً ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَى عَذَابٍ غَلِيظٍ . وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمٰوَاتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللهُ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ . لِلهِ مَا فِي ٱلسَّمٰوَاتِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّ ٱللهَ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ . وَلَوْ أَنَّ مَا فِي ٱلْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ ٱللهِ إِنَّ ٱللهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ . مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ إِنَّ ٱللهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ » .

« ومن يسلم وجهه الى الله » أي ، وجوده الى الله بالفناء في أفعاله ، أو صفاته ، أو ذاته « وهو محسن » عابد له على مشاهدته بحسب مقامه ، يعمل

في الأول بأعمال التوكل على مشاهدة أفعاله تعالى . وفي الثاني ، بأعمال مقام الرضا على مشاهدة صفاته . وفي الثالث ، بالإستقامة في التحقق به على شهود ذاته « فقد استمسك » بدين التوحيد الذي هو أوثق العرى « والى الله عاقبة الأمور » بالفناء فيه ، وإليه انتهاء الكل .

« أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱللَّيْلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱللَّيْلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى وَأَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ . ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ ٱلْبَاطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ . أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱلْفُلْكَ تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ بِنِعْمَتِ ٱللَّهِ لِيُرِيَكُمْ مِنْ آيَاتِهِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ . وَإِذَا غَشِيَهُمْ مَوْجٌ كَٱلظُّلَلِ دَعَوُا ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ فَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ . يَا أَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا رَبَّكُمْ وَٱخْشَوْا يَوْماً لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَنْ وَالِدِهِ شَيْئاً إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُمْ بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ . إِنَّ ٱللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي

ٱلْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَداً وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ».

« ألم تر » أن فلك البدن تجري في بحر الهيولى ، بإفاضة آثار صفاته الحياة ، والقدرة الإدراك عليـه ، وإعداده بالآلات « بنعمة الله » أي ، لقبول الكمالات عليه « ليريكم » بهذا الجري والإستعداد من آيات تجليات أفعاله وصفاته « ان في ذلك لآيات » من تجليات أفعاله وصفاته ، اذ لا تظهر إلا عـلى هذا المظهر « لكل صبار » يصبر مع الله في المجاهدة ، عن ظهور أفعال نفسه ، وصفاتها لأحكام مقام التوكل والرضا « شكور » يشكر نعم التجليات بالقيام بحقها ، والعمل بأحكام مقام التوكل في تجليات الأفعـال ، وأحكام مقام الرضا في تجليات الصفات ، ليكون على مزيد من جلاله .

« واذا غشيهم موج » من غلبـات صفات النفس ، ومقتضيات الطبـع « كالظلل » كالحجب السائرة لأنوار التجليات ، « دعوا الله مخلصين له الدين » التجأوا الى الله بالإخلاص ، والقيـام بحقه في مقامهم ، لتنكشف الحجب ببركة الثبـات على العمل بالاخلاص ، فإن السالك اذا حجب بالتلوين عن المقـام الأعلى ، وجب عليه التثبت في المقام الذي دونه مما هو ملك له ، كالاخلاص بالنسبة الى التوكل « فلما نجاهم » بالتجلي الفعليّ ، الى أبرّ مقـام التوكل ، والأمن من الغرق في بحر الهيولى ، بغلبات النفس « فمنهم مقتصد » ثابت على العدل في القيام بحقوق التوكل ، والسير في أفعاله تعالى على التمكين « وما يجحد بآياتنا » بإضافة حقوق مقامه في التجليات ، واحتجابه عنها في التلوينات « إلا كل ختار » يغدر في الوفـاء بعقد العزيمة ، وعهد الفطرة مع الله عنـد الإبتلاء بالفترة « كفور » لا يستعمل نعم الله في مراضيه ، ولا

يعصي حقوق مقامه في التجليات ، ولا يعمل بأعمال أهل التوكل ، والرضا عند ظهور أنوار الأفعال والصفات . أو تلك الشريعة ، تجري مراكبها في هذا البحر الى ساحل برّ النجاة وجنّة الآثار ، ليريكم من آيات تجليات الأفعال .

« اتقوا ربكم » احذروه في الظهور بأفعالكم ، وصفاتكم، وذواتكم بالفناء فيه عنها« واخشوا يوماً لا يجزي والد عن ولده »لانقطاع الوصل عند بروزكم لله ، المتجلي بالوحدة والقهر ، ولا يبقى وجود للوالد والولد ، فلا يجزي بعضهم عن بعض شيئاً « فلا تغرّنكم الحياة الدنيا » من الحياة القلبية ، التي هي أقرب اليكم بأنها حقيقة دائمة ، فإنه لا حياة لأحد حينئذ « ولا يغرنّكم بالله الغرور » فتظهروا بالأنانية ، وتحتجبوا بوسوسته ، فتقعوا في الطغيان .

« انّ الله عنده علم الساعة » الكبرى ، لفناء الكل فيه ، حينئذ فكيف بعلومهم « وينزل » غيث ذلك ، بحسب الإستعدادات قبل الفناء « ويعلم ما في » أرحام الإستعداد من الكمالات ، أهي تامّة أم لا ؟ « وما تدري نفس ماذا تكسب » من العلوم والمقامات في الزمان المستقبل ، لاحتجابها عمّا في استعدادها « وما تدري نفس بأي أرض » من أراضي المقامات « تموت » ويفنى استعدادها ، لانقضاء ما فيها من الكمالات ، لأن علم الإستعدادات وحدودها مما استأثر به الله تعالى لذاته ، في غيب الغيب ، والله تعالى أعلم .

سورة السجدة

بسم الله الرحمن الرحيم

« الم . تَنْزِيلُ ٱلْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ . أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَاهُ بَلْ هُوَ ٱلْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ لِتُنْذِرَ قَوْماً مَا أَتَاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ . ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمٰوَاتِ وَٱلْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَى عَلَى ٱلْعَرْشِ مَا لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ » .

« الم » أي ، ظهور الذات الأحدية ، والصفات ، والحضرات الاسمائية ، هو « تنزيل » كتاب العقل الفرقاني المطلق على الوجود المحمدي « من ربّ العالمين » بظهوره في مظهره بصورة الرحمة التامّة « الله الذي خلق السموات والأرض وما بينهما » باحتجابه بها في الأيام الستّة الإلهية ، التي هي مدّة دور الخفاء ، من لدن آدم عليه السلام الى دور محمّد عليه الصلاة

والسّلام « ثم استوى » على عرش القلب المحمدي ، للظهور في هذا اليوم الأخير الذي هو جمعـــة تلك الأيام ، بالتجلي بجميع صفاته ، فإن استواء الشمس هو كمال ظهورها في الإشراق ، ونشر الشعاع .

ولهذا قال عليه السلام : (بعثت في نسم الساعة) فإن وقت بعثته طلوع صبح الساعة ، ووسط نهـار هذا اليوم ، وقت ظهور المهدي عليه السلام ، ولأمر ما استحبّ قراءة هذه السورة في صبح يوم الجمعة « ما لكم من دونه » عند ظهوره « من ولي » ولا شفيع لفناء الكل فيه « أفلا تتذكرون » العهد الأول من ميثاق الفطرة عند ظهور الوحدة ؟

« يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَاءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ . ذَٰلِكَ عَالِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَادَةِ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ . ٱلَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَانِ مِن طِينٍ . ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِن سُلَالَةٍ مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ . ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَارَ وَٱلْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ . وَقَالُوا أَءِذَا ضَلَلْنَا فِي ٱلْأَرْضِ أَءِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ بَلْ هُم بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ كَافِرُونَ . قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ . وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ ٱلْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا

رُؤُسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحاً إِنَّا مُوقِنُونَ » .

« يدبر الأمر » بالإخفاء ، والخلاقية من سمـاء ظهور الوحدة الى ارض خفائها وغروبها في الأيام الستة « ثم يعرج اليه » بالظهور في هذا اليوم السابع الذي « كان مقداره ألف سنة مما تعدّون ذلك » المدبر « عـالم الغيب » وحكمة الخفاء في الستة « والشهادة » أي ، الظهور في هـذا اليوم « العزيز » المنيع ، بستور الجلال في الاحتجاب « الرحيم » بكشفها ، وإظهار الجمـال « الذي أحسن كل شيء خلقه » بأن جعله مظاهر صفاته ، فإن الحسن مختص بالصفات ، والاكوان كلها مظاهر صفاته ، إلا الانسان الكامل فإنـه مختص بجمال الذات ، ولهذا خصه بالتسوية . أي التعديل بأعدل الأمزجة وأحسن التقويم ،ليستعد بذلك لقبول الروح المخصوص به تعالى «ونفخ فيه من روحه».

وبهـذا النوع أنهى الخلق ، وظهر الحق « ملك الموت » أي النفس الإنسانية الكلية ، التي هي معاد النفوس الجزئية ، مـا لم تسقط عن الفطرة بالكلية ، وإن احتجبت الهيئات الظلمانية ، والصفات النفسانية ، فإنها ما لم تبلغ الى حدّ الرين ، وانغلاق باب المغفرة ، تتوفاها النفس التي هي بمثابـة القلب للعالم ، وإن بلغت فرقتها ملائكة العذاب فحسب ، ولما لم يبلغوا الى هـذا الحدّ ، وإن احتجبوا عن لقاء الرب ، وصفهم مع ميلهم الى الجهة السفلية المنكسة لرؤسهم بسبب رسوخ هيئات الاجرام بالبصر ، والسمع ، وتمنى الرجوع ، إذ لو لم يبق فيهم نور الفطرة وطمسوا بالكلية ، لم يقولوا « ربنا ابصرنا وسمعنا » ولم يتمنوا الرجوع ، وهؤلاء هم الذين لا يتخلدون في النار ، بل يعذّلون بحسب رسوخ الهيئات . ثم يرجعون .

«وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا وَلَٰكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ . فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا إِنَّا نَسِينَاكُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ . إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ».

« لآتينا كل نفس هداها » بالتوفيق للسلوك ، مع المساواة في الاستعداد، ولكنه ينافي الحكمة، لبقائهم حينئذ على طبيعة واحدة، وبقاء سائر الطبقات الممكنة في حيز الإمكان مع عدم الظهور أبداً ، وخلق اكثر مراتب هذا العالم عن أربابها فلا تمشي الأمور الخسيسة والدنيئة المحتاج اليها في العالم ، التي تقوم بها أهل الحجاب ، والذلة ، والقسوة ، والظلمة ، البُعداء عن المحبة ، والرحمة ، والنور ، والعزة ، فلا ينضبط نظام العالم ، ولا يتم صلاح المهتدين أيضاً ، لوجوب الاحتياج الى سائر الطبقات ، فإن النظام ينصلح بالخافي ، وبالمظاهر ، فلو كانوا مظاهر كلهم أنبياء وسعداء لاختل بعدم النفوس الغلاظ وشياطين الانس ، القائمين بعمارة العالم ، ألا ترى الى قوله تعالى : اني جعلت معصية آدم سبباً لعمارة العالم . فوجب في الحكمة الحقة التفاوت في الاستعداد بالقوّة ، والضعف ، والصفاء ، والكدورة ، والحكم بوجود السعداء ، والاشقياء في القضاء ، ليتجلى بجميع الصفات في جميع المراتب ، وهذا معنى قوله : « ولكن حق القول مني » أي ، في القضاء السابق « لأملأن جهنم » الطبيعة « من الجنة » أي ، النفوس الأرضية الخفية عن البصر « والناس أجمعين. »

« فذوقوا بما نسيتم لقاء يومكم هذا » لإحتجابكم بالغشاوات الطبيعية والملابس البدنية « إنا نسيناكم » بالخذلان عن الرحمة لعدم قبولكم إياها وأدباركم ، وذوقوا عذاب الخلد بسبب أعمالكم ، فعلى هذا التأويل المذكور تكون الخلد مجازاً ، وعبارة عن الزمان الطويل ، او يكون الخطاب بذوقوا لمن حق عليهم القول في القضاء السابق من الجنة والناس .

« إنما يؤمن » على التحقيق بآيات صفاتنا « الذين إذا ذكروا بها خرّوا» لسرعة قبولهم لها ، بصفاء فطرتهم « سجداً » فانين فيها « وسبحوا بحمد ربهم » أي ، جرّدوا ذواتهم ، متصفين بصفات ربهم ، فذاك هو تسبيحهم وحمدهم له بالحقيقة « وهم لا يستكبرون » بظهور صفات النفس ، والانانية .

« تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفاً وَطَمَعاً وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ . فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِّنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ . أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِناً كَمَنْ كَانَ فَاسِقاً لَّا يَسْتَوُونَ . أَمَّا ٱلَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ ٱلْمَأْوَى نُزُلاً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ . وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمُ ٱلنَّارُ كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ . وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَى دُونَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ .

وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا
مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ مُنْتَقِمُونَ . وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَابَ
فَلَا تَكُنْ فِي مِرْيَةٍ مِّنْ لِقَائِهِ وَجَعَلْنَاهُ هُدىً لِّبَنِي
إِسْرَائِيلَ . وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا
وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ . إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ
يَوْمَ ٱلْقِيٰمَةِ فِي مَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ . أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ
كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِّنَ ٱلْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ
إِنَّ فِي ذٰلِكَ لَآيَاتٍ أَفَلَا يَسْمَعُونَ . أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا
نَسُوقُ ٱلْمَاءَ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعاً تَأْكُلُ
مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ . وَيَقُولُونَ مَتَى
هٰذَا ٱلْفَتْحُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ . قُلْ يَوْمَ ٱلْفَتْحِ لَا يَنْفَعُ
ٱلَّذِينَ كَفَرُوا إِيمَانُهُمْ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ . فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ
وَٱنْتَظِرْ إِنَّهُمْ مُّنْتَظِرُونَ » .

« تتجافى جنوبهم » بالتجرّد عن الغواشي الطبيعية ، والقيـــام عن المضاجـع البدنية ، والخروج عن الجهات بمحو الهيئات « يدعون ربهم » بالتوجه الى التوحيد في مقام القلب ، خوفـاً من الاحتجاب بصفات النفس بالتلوين « وطمعاً » في لقاء الذات « وممّا رزقناهم » من المعارف ، والحقائق

« ينفقون » على أهل الاستعداد « فلا تعلم نفس » شريفة منهم « مـا أخفى لهم » من جمال الذات ، ولقاء نور الأنوار الذي تقرّ به أعينهم ، فيجدون من اللذة والسرور ما لا يبلغ كنهه ، ولا يمكن وصفه « جزاء بمـا كانوا يعملون » من التجريد، والمحو في الصفاء ، والعمل بأحكام التجليات «مؤمناً» بالتوحيد على دين الفطرة، « كمن كان فاسقاً » بخروجه عن ذلك الدين القيّم، بحكم دواعي النشأة « جنـات المأوى » بحسب مقاماتهم من الجنات الثلاث « كلما أرادوا أن يخرجوا منها » بالميل الفطريّ « أعيدوا فيهـــا » لاستيلاء الميـل السفلي ، وقهر الملكوت الأرضية ، بسبب رسوخ الهيئات الطبيعية « ولنذيقنـّهم من العذاب الأدنى » الذي هو عذاب الآثار، ونيران مخالفات النفوس والطباع في البليّات ، والشدائد ، والأهوال « دون العذاب الأكبر » الذي هو الاحتجاب بالظلمات عن أنوار الصفات والذات ، لعلـّهم يرجعون الى الله عند تصفية فطرتهم بشدة العذاب الأدنى قبل الرين بكثافة الحجاب.

« ولقد آتينا موسى » كتاب العقل الفرقـاني « فلا تكن في مرية » من لقاء موسى عند بلوغك الى مرتبته في معراجك ، كما ذكر في قصة المعراج ، أنه لقيه في السماء الخامسة ، وهو عند ترقيه عن مقام السرّ الذي هو مقـام المناجاة ، الى مقام الروح الذي هو الوادي المقدس « يوم الفتح » المطلق ، يوم القيامة الكبرى ، بظهور المهديّ « لا ينفع » ايمـان المحجوبين حينئذ ، لأنه لا يكون إلا باللسان ، ولا يغني عنهم العذاب ، والله تعالى أعلم .

سورة الأحزاب

بسم الله الرحمن الرحيم

« يَا أَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَافِرِينَ وَٱلْمُنَافِقِينَ
إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيماً حَكِيماً . وَٱتَّبِعْ مَا يُوحَى إِلَيْكَ مِنْ رَّبِّكَ
إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا . وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ وَكَفَى بِٱللَّهِ
وَكِيلاً . مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ وَمَا جَعَلَ
أَزْوَاجَكُمُ ٱللَّائِي تُظَاهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَاتِكُمْ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ
أَبْنَاءَكُمْ ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ وَهُوَ
يَهْدِي ٱلسَّبِيلَ . ٱدْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ ٱللَّهِ فَإِنْ لَّمْ
تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ فِي ٱلدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ
فِي مَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ وَلَٰكِنْ مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا
رَّحِيماً . ٱلنَّبِيُّ أَوْلَى بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ

وَأُولُوا ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ ٱللَّهِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُهَاجِرِينَ إِلَّآ أَن تَفْعَلُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِكُم مَّعْرُوفًا كَانَ ذَٰلِكَ فِي ٱلْكِتَابِ مَسْطُورًا ».

« يا أيها النبيّ اتق الله » بالفناء عن ذاتك بالكلية ، دون بقـاء البقية . « ولا تطع الكافرين » بموافقتهم في بعض الحجب لظهور الأنانية « والمنافقين » بالنظر الى الغير فتكون ذا وجهين ، وبالانتهـاء بحكم هذا النهي ، وصف بقوله : « ما زاغ البصر وما طغى » . « إن الله كان عليماً » يعلم ذنوب الأحوال « حكيماً » في ابتلائك بالتلوينات ، فإنها تنفع في الدعوة وإصلاح أمر الأمة ، اذ لو لم يكن له تلوين لم يعرف ذلك من أمّته ، فـلا يمكنه القيام بهدايتهم ، واتبع في ظهور التلوينات « ما يوحى اليك من ربك » من التأديبات ، وأنواع العتاب ، والتشديدات بحسب المقامـات ، كما ذكر غير مرّة في قوله : « ولولا أن ثبتناك » وأمثاله .

« ان الله كان بما تعملون خبيرا » يعلم مصادر الأعمال ، وانهـا من أي الصفات تصدر من الصفات النفسانية ، أو الشيطانية ، أو الرحمانية فيهديك اليها ، ويزكيك منها ، ويعلمك سبيل التزكية ، والحكمة في ذلك « وتوكّل على الله » في دفع تلك التلوينات ، ورفع تلك الحجب ، والغشاوات « وكفى بالله وكيلا » فإنها لا ترتفع ، ولا تنكشف إلا بيده ، لا بنفسك ، وعلمك ، وفعلك . أي ، لا تحتجب برؤية الفناء في الفناء ، فإنه ليس من فعلك ، سواء كان في الأفعال ، أو الصفات ، أو الذات ، أو إزالة التلوينات ، فإنها كلها بفعل الله لا مدخل لك فيها ، وإلا لما كنت فانياً .

« النبيّ أولى بالمؤمنين من أنفسهم » لأنه مبدأ وجوداتهم الحقيقية، ومبدأ كمالاتهم ، ومنشأ الفيضين ، الأقدس الاستعدادى أوّلاً ، والمقدّس الكمالي ثانياً ، فهو الأب الحقيقي لهم ، ولذلك كانت أزواجه أمّهاتهم في التحريم ، ومحافظة الحرمة مراعـــاة لجانب الحقيقة ، وهو الواسطة بينهم وبين الحق في مبدأ فطرتهم ، فهو المرجع في كمالاتهم ، ولا يصل اليهم فيض الحق بدونه ، لأنه الحجاب الأقدس ، واليقين الأول ، كما قال : (اول مـا خلق الله نوري) فلو لم يكن أحب اليهم من انفسهم لكانوا محجوبين بأنفسهم عنه ، فلم يكونوا ناجين ، إذ نجاتهم انما هي بالفناء فيه ، لأنه المظهر الأعظم « وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله من المؤمنين والمهاجرين » بعضهم أولى ببعض من غيرهم للاتصال الروحاني والجسماني، والأخوة الدينية ، والقرابة الصورية ، ولا تخل القرابة من تناسب ما في الحقيقة ، لاتصال الفيض الروحاني بحسب الاستعداد المزاجي ، فكما تتناسب أمزجة أولي الأرحـــام وهياكلهم الصورية ، فكذلك أرواحهم ، وأحوالهم المعنوية « إلا أن تفعلوا الى اوليائكم» المحبوبين في الله» للتناسب الروحي، والتقارب الذاتي «معروفاً» إحساناً بمقتضى المحبة والإشتراك في الفضيلة ، زائداً عـــا بين الاقارب « كان ذلك في الكتاب » أي ، اللوح المحفوظ ، مسطوراً .

« وَإِذْ أَخَـــذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّينَ مِيثَـاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقاً غَلِيظًا . لِيَسْئَلَ ٱلصَّادِقِينَ عَنْ صِدْقِهِمْ وَأَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَاباً أَلِيماً . يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا ٱذْكُرُوا نِعْمَةَ ٱللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ

فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَكَانَ ٱللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيراً . إِذْ جَاؤُكُمْ مِّنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللهِ ٱلظُّنُونَا . هُنَالِكَ ٱبْتُلِيَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالاً شَدِيداً . وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَافِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُوراً . وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَٱرْجِعُوا وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ ٱلنَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِنْ يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَاراً . وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِم مِّنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُوا ٱلْفِتْنَةَ لَأَتَوْهَا وَمَا تَلَبَّثُوا بِهَا إِلَّا يَسِيرًا . وَلَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا ٱللهَ مِنْ قَبْلُ لَا يُوَلُّونَ ٱلْأَدْبَارَ وَكَانَ عَهْدُ ٱللهِ مَسْؤُلاً . قُلْ لَّنْ يَنفَعَكُمُ ٱلْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُم مِّنَ ٱلْمَوْتِ أَوِ ٱلْقَتْلِ وَإِذًا لَّا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلاً . قُلْ مَنْ ذَا ٱلَّذِي يَعْصِمُكُم مِّنَ ٱللهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءً أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّنْ دُونِ ٱللهِ وَلِيّاً وَلَا نَصِيراً . قَدْ يَعْلَمُ ٱللهُ ٱلْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ وَٱلْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ ٱلْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلاً . أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَاءَ ٱلْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ

إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ
ٱلْخَوْفُ سَلَقُوكُمْ بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى ٱلْخَيْرِ أُولَٰئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا
فَأَحْبَطَ ٱللَّهُ أَعْمَالَهُمْ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا . يَحْسَبُونَ
ٱلْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا وَإِنْ يَأْتِ ٱلْأَحْزَابُ يَوَدُّوا لَوْ أَنَّهُمْ بَادُونَ
فِي ٱلْأَعْرَابِ يَسْأَلُونَ عَنْ أَنبَائِكُمْ وَلَوْ كَانُوا فِيكُمْ مَّا قَاتَلُوا
إِلَّا قَلِيلًا » .

« وإذا أخذنا من النبيين ميثاقهم » وخصوصاً الخمسة المذكورة لاختصاصهم بمزيد المرتبة والفضيلة ميثاق التوحيد ، والتكميل ، والهداية بالتبليغ عند الفطرة ، وهو الميثاق الغليظ المضاعف بالكمال والتكميل ، ولذلك ، أضافه اليهم بقوله : « ميثاقهم » أي ، الميثاق الذي ينبغي لهم ، ويختص بهم ، وقدّم في الاختصاص بالذكر نبينا عليه السلام ، بقوله : « منك » لتقدّمه على الباقين في الرتبة والشرف « ليسئل » الله بسبب عهدهم وميثاقهم ، وبواسطة هدايتهم « الصادقين » الذين صدقوا العهد الأول ، والميثاق الفطري ، في قوله : « ألست بربكم ؟ قالوا : بلى » عن صدقهم بالوفاء ، والوصول الى الحق ، بإخراج ما في استعدادهم من الكمال ، بحضور الأنبياء ، كما قال تعالى : « من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه » فالسؤال ، إنما كان مسبباً عن ميثاق الأنبياء ، لأنـــه يسألهم على ألسنتهم وهم الشاهدون لهم آخراً ، كما كانوا شاهدين عليهم أولاً .

« لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَنْ كَانَ يَرْجُوا ٱللهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللهَ كَثِيرًا . وَلَمَّا رَأَى ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُوا هَـٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ ٱللهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَاناً وَتَسْلِيماً » .

« لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة » وجب على كل مؤمن متابعة رسول الله ﷺ مطلقاً ، حتى يتحقق رجاؤه ، ويتم عمله ، لكونه الواسطة في وصولهم ، والوسيلة في سلوكهم للرابطة النفيسة بينه وبينهم ، بحكم الجنسية.

وذكر الرجاء اللازم للايمان بالغيب في مقام النفس ، وقرن بـه الذكر الكثير الذي هو عمل ذلك المقام ، ليعلم أن من كان في بدايته يلزمه متابعته في الاعمال ، والأخلاق ، والمجاهدة ، والمؤاساة ، بالنفس والمال ، إذ لو لم يحكم البداية لم يفلح بالنهاية .

ثم اذا تجرّد وتزكى عن صفات نفسه ، فليتابعه في موارد القلب ، أي ، الصدق ، والإخلاص ، والتسليم ، والتوكل ، كما تابعه في منازل النفس ، ليحتظي ببركة متابعته بالمواهب ، والأحوال ، وتجليات الصفات في مقامه ، كما احتظى بالمكاسب والمقامات ، وتجليات الأفعال في مقام النفس ، وكذا في مقام السر والروح حتى الفناء ، ومن صحة المتابعة تصديقه في كل ما اخبر به ، بحيث لا يعتوره الشك في شيء من اخباره ، وإلا فترت العزيمة ، وبطلت المتابعة ، فان الأصل والعمدة في العمل الاعتقاد الجازم ، ولهذا مدحهم بقوله : « ولما

رأى المؤمنون الأحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله» إذ وعدهم الابتلاء والزلزال، حتى ينخلعوا عن ابدانهم، ويتجردوا في التوجّه اليه عن نفوسهم، في قوله: «ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مسّتهم البأساء والضرّاء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله».

«وما زادهم» أي، وقوع البلاء بالأحزاب «إلا إيماناً وتسليماً» لقوة اعتقادهم في البداية، وصحة متابعتهم في التسليم، ففازوا بمقام الفتوة، والإنخلاع بالبلاء، وعن قيود النفس، لسلامة الفطرة، فوصفهم بالوفاء الذي هو كمال مقام الفتوة، وسمّاهم رجالاً على الحقيقة، بقوله:

«مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا ٱللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَّنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً. لِّيَجْزِيَ ٱللَّهُ ٱلصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَافِقِينَ إِنْ شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيماً. وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيّاً عَزِيزاً. وَأَنْزَلَ ٱلَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَابِ مِنْ صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا. وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضاً لَّمْ تَطَؤُهَا وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا. يَا أَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُلْ لِّأَزْوَاجِكَ إِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ

وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحاً جَمِيلاً . وَإِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُ وَٱلدَّارَ ٱلْآخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنْكُنَّ أَجْراً عَظِيماً . يَا نِسَاءَ ٱلنَّبِيِّ مَنْ يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا ٱلْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا . وَمَنْ يَقْنُتْ مِنْكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعْمَلْ صَالِحاً نُؤْتِهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقاً كَرِيماً . يَا نِسَاءَ ٱلنَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ ٱلنِّسَاءِ إِنِ ٱتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلاً مَعْرُوفاً . وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَاهِلِيَّةِ ٱلْأُولَى وَأَقِمْنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَآتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا . وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفاً خَبِيرًا . إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَاتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَاتِ وَٱلْقَانِتِينَ وَٱلْقَانِتَاتِ وَٱلصَّادِقِينَ وَٱلصَّادِقَاتِ وَٱلصَّابِرِينَ وَٱلصَّابِرَاتِ وَٱلْخَاشِعِينَ وَٱلْخَاشِعَاتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَاتِ وَٱلصَّائِمِينَ وَٱلصَّائِمَاتِ وَٱلْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَافِظَاتِ وَٱلذَّاكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيماً » .

« من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه » أي رجال، أي رجال ما أعظم قدرهم، لكونهم صادقين في العهد الاول الذي عاهدوا الله عليه في الفطرة الأولى بقوة اليقين، وعدم الاضطراب عند ظهور الأحزاب، فلم يلتحوا بكثرتهم وقوّتهم عن التوحيد، وشهود تجلي الأفعال؛ فيقعوا في الارتياب، ويخافوا سطوتهم وشوكتهم « فمنهم من قضى نحبه » بالوفاء بعهده، والبلوغ الى كال فطرته « ومنهم من ينتظر » في سلوكه بقوّة عزيمته « وما بدّلوا تبديلا » بالإحتجاب بغواشي النشأة، وارتكاب مخالفات الفطرة، بمحبة النفس والبدن ولذّاتها، والميل الى الجهة السفلية وشهواتها، فيكونوا كاذبين في العهد، غادرين.

« ليجزي الله الصادقين بصدقهم » جنات الصفات « ويعذب المنافقين » الذين وافقوا المؤمنين بنور الفطرة، وأحبوهم بالميل الفطري الى الوحدة، وأحبوا الكافرين بسبب غواشي النشأة، والانهماك في الشهوة، فهم متذبذبون بين الجهتين، لا الى هؤلاء، ولا الى هؤلاء، وبهيئات نفوسهم المظلمة «إن شاء» لرسوخها « او يتوب عليهم» لعروضها، وعدم رسوخها « إن الله كان غفوراً» يستر هيئات النفوس بنوره، « رحيماً » يفيض الكمال عند إمكان قبوله.

« يا أيها النبيّ قل لأزواجك » الى آخره. اختيار النساء، هو احدى خصال التجريد، وأقدام الفتوة التي يجب متابعته فيها، فإنه عليه السلام، مع ميله اليهن لقوله: (حبب إليّ من دنياكم ثلاث إذ شوّشن وقته بميلهن الى الحياة الدنيا، وزينتها خيرهن) وجرّد نفسه عنهن، وحكمهن بين اختيار الدنيا ونفسه، فإن اخترنه لقوة إيمانهن بقين معه، بلا تفريق لجمعيته، وتشويش لوقته بطلب الزينة والميل اليها، بل على التجرد والتوجه الى الحق

كهوى نفسه ، وان اخترن الدنيا وزينتها متعهن ، وسرّحهن . وفرّغ قلبه عنهن بمثابة إماتة القوى المستولية .

« وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالاً مُّبِيناً . وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولاً . مَّا كَانَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ ٱللَّهُ لَهُ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِي ٱلَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا . ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَداً إِلاَّ ٱللَّهَ وَكَفَى بِٱللَّهِ حَسِيباً . مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّنْ رِّجَالِكُمْ وَلَـٰكِنْ رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّينَ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً . يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا

اذْكُرُوا اللّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا . وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً . هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَٰئِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُمْ مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيماً . تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيماً » .

« وما كان لمؤمن ولا مؤمنة » الآية . من جملة الخصال التي تجب طاعته ومتابعته فيها ، وهو مقام الرضا والفناء في الارادة ، لكونه عليه السلام ، اذا فنى بذاته وصفاته في ذات الله ، وصفاته تعالى ، أعطى صفات الحق بدل صفاته عند تحققه بالحق في مقام البقاء بالوجود الموهوب، وكان حكمه وإرادته حكم الله ، وإرادته تعالى كسائر صفاته ، ألا ترى الى قوله تعالى : « وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى » فمن لوازم متابعته الفناء في ارادة الحق ، فإرادته إرادة الحق ، فيجب الفناء في إرادته وترك الاختيار مع اختياره ، وإلا لكان عصياناً « ضلالاً مبيناً » لكونه مخالفة صريحة للحق .

« وإذ تقول للذي أنعم الله عليه » الى قوله : « وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه» أحد التأديبات الإلهية النازلة في تلوينه عند ظهور نفسه للتثبيت، وتلك التلوينات هي موارد التأديبات ، ولهذا كان خلقه القرآن .

« يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله » باللسان في مقام النفس ، والحضور في مقام القلب ، والمناجاة في مقام السر ، والمشاهدة في مقام الروح ، والمواصلة في مقام الخفاء ، والفناء في مقام الذات « وسبحوه » بالتجريد عن الأفعال والصفات ، والذات « بكرة » وقت طلوع فجر نور القلب ، وإدبار ظلمة

النفس ، وليل غروب شمس الروح بالفناء في الذات . أي ، دائماً من ذلك الوقت الى الفناء السرمدي .

« هو الذي يصلّي عليكم » بحسب تسبيحكم بتجليات الأفعال، والصفات، دون الذات ، لإحتراقهم هناك بالسبحات ، كما قال جبريل عليه السلام : (لو دنوت أنملة لاحترقت) . « ليخرجكم » بالإمداد الملكوتي ، والتجلي الاسمائي من ظلمة افعال النفوس ، الى نور تجليات افعاله في مقام التوكل ، ومن ظلمة صفات النفوس الى نور تجليات صفاته ،ومن ظلمة الأنانية الى نور الذات .

« وكان بالمؤمنين رحيماً » يرحمهم بما يستدعيه حالهم ، ويقتضيه استعدادهم ، من الكمالات « تحيتهم » أي ، تحية الله إياهم وقت اللقاء ، بالفناء فيه تكميلهم ، وتسليمهم عن النقص ، بجبر كسرهم بأفعاله ، وصفاته ، وذاته ، وتحيته لهم بإفاضة هذه الكمالات ، وقت لقائهم إياه ، بالمحو والفناء ، هي سلامتهم عن آفات صفاتهم ، وأفعالهم ، وذواتهم . أو بسلامتهم ، لأن التحية بالتجليات والسّلامة عن الآفات تكونان معاً ، والأوّل يناسب اطلاق اسم السّلام على الله تعالى « وأعدّ لهم أجراً كريماً » باثابة هذه الجنات عن أعمالهم في التسبيحات ، والمذاكرات .

« يَا أَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيرًا . وَدَاعِياً إِلَى ٱللهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجاً مُنِيرًا . وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُمْ مِّنَ ٱللهِ فَضْلاً كَبِيرًا . وَلَا تُطِعِ ٱلْكَافِرِينَ وَٱلْمُنَافِقِينَ وَدَعْ أَذَاهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللهِ وَكَفَى بِٱللهِ وَكِيلاً . يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ

ٱلمؤْمنَاتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبلِ أَنْ تَمَسُّوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ
مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا فَمَتِّعُوهُنَّ وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحاً جَمِيلاً . يَا أَيُّهَا
ٱلنَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ ٱللاَّتِي آتَيْتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا
مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا أَفَاءَ ٱللهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّاتِكَ
وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَالاَتِكَ ٱللاَّتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ وَٱمْرَأَةً
مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ ٱلنَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا
خَالِصَةً لَّكَ مِنْ دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي
أَزْوَاجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ
وَكَانَ ٱللهُ غَفُورًا رَّحِيماً . تُرْجِي مَنْ تَشَاءُ مِنْهُنَّ وَتُؤْوِي إِلَيْكَ
مَنْ تَشَاءُ وَمَنِ ٱبْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ ذٰلِكَ أَدْنَى
أَنْ تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ وَلَا يَحْزَنَّ وَيَرْضَيْنَ بِمَا آتَيْتَهُنَّ كُلُّهُنَّ وَٱللهُ يَعْلَمُ
مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَكَانَ ٱللهُ عَلِيماً حَلِيماً . لَا يَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسَاءُ مِنْ
بَعْدُ وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلاَّ
مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ وَكَانَ ٱللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ رَّقِيباً . يَا أَيُّهَا
ٱلَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ إِلاَّ أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى
طَعَامٍ غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ وَلٰكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَٱدْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ

فَٱنْتَشِرُوا وَلَا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي ٱلنَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ وَٱللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ ٱلْحَقِّ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعاً فَسْئَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ ٱللَّهِ وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَداً إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ عِنْدَ ٱللَّهِ عَظِيماً . إِنْ تُبْدُوا شَيْئاً أَوْ تُخْفُوهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً . لَا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِي آبَائِهِنَّ وَلَا أَبْنَائِهِنَّ وَلَا إِخْوَانِهِنَّ وَلَا أَبْنَاءِ إِخْوَانِهِنَّ وَلَا أَبْنَاءِ أَخَوَاتِهِنَّ وَلَا نِسَائِهِنَّ وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ وَٱتَّقِينَ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيداً » .

« إنا أرسلناك شاهداً » للحق ، في الارسال الى الخلق ، غير محتجب بالكثرة عن الوحدة ، مطلقاً على أحوالهم ، وكمالاتهم « بنور الحق » ومبشراً المستعدين السالمين فيه ، بالفوز بالوصول « ونذيراً » المحجوبين والواقفين مع الغير ، بالعقاب والحرمان ، والحجاب « وداعياً الى الله » كل مستعد بحسب حاله ومقامه « باذنه » وما يسر الله له بحسب استعداده « وسراجاً منيراً » بنور الحق ، النفوس المظلمة بغشاوات الجهل ، وهيئات البدن ، والطبع .

« وبشّر المؤمنين » المستبصرين بنور الفطرة « بأن لهم » بحسب صفاء استعداداتهم « من الله فضلاً » بافاضة الكمالات بعـــد هبة الاستعدادات « كبيراً » من جنات الصفات « ولا تطع الكافرين والمنافقين » في التلوينات ،

كما ذكر في أول السورة ، فيتكدّر نور سراجك « ودع أذاهم » بنفسك ، لتنجو من آفة التلوين ، ورؤية فعل الغير ، فإنهم لا يفعلون مـــا يفعلون ، بالاستقلال بأنفسهم « وتوكل على الله » برؤية أفعالهم ، وأفعالك منه « وكفى بالله وكيلا » يفعل بك وبهم ما يشاء ، فإن آذاهم على مظهرك ، فهو القادر على ذلك ، مع براءتك عن ذنب للتلوين ، كما فعل عند التمكين ، وإلا فهو أعلم بشأنه .

« إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰئِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً . إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَاباً مُهِيناً . وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا بُهْتَاناً وَإِثْماً مُبِيناً . يَا أَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ ذَٰلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُوراً رَحِيماً . لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ ٱلْمُنَافِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَٱلْمُرْجِفُونَ فِي ٱلْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلاً . مَلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقِفُوا أُخِذُوا وَقُتِّلُوا تَقْتِيلاً . سُنَّةَ ٱللَّهِ فِي ٱلَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلاً . يَسْأَلُكَ ٱلنَّاسُ عَنِ

ٱلسَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا . إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا . خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَّا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا . يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي ٱلنَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا ٱللَّهَ وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا . وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا . رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ ٱلْعَذَابِ وَٱلْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا . يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَٱلَّذِينَ آذَوْا مُوسَى فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهًا . يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا ٱتَّقُوا ٱللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا . يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ».

« ان الله وملائكته يصلون على النبيّ » بالإمداد وبالتأييدات ، والإفاضة للكمالات ، فالمصلّي في الحقيقة هو الله تعالى، جمعاً وتفصيلاً ، بواسطة وغير واسطة ، ومن ذلك تعلم صلاة المؤمنين عليه وتسليمهم له ، فإنهـا من حيز التفصيل ، وحقيقة صلاتهم عليه ، قبولهم لهدايته وكماله ، ومحبتهم لذاته وصفاته ، فإنهـا إمداد له منهم ، وتكميل وتعميم للفيض ، اذ لو لم يمكن قبولهم لكمالاته لما ظهرت ، ولم يوصف بالهداية والتكميل ، فالإمداد أعمّ ممن أن يكون من فوق بالتأثير ، أو من تحت بالتأثر ، وذلك كقبول المحبـة

والصفاء ، هو حقيقة الدعــاء في صلاتهم ، بقولهم : « اللهم صل على محمد » وتسليمهم جعلهم إياه بريئاً من النقص ، والآفة ، في تكميل نفوسهم والتأثير فيها ، وهو معنى دعائهم له بالتسليم .

« لعنهم الله في الدنيــا والآخرة » لأن النبي في غاية القرب منه ، بحيث يتحقق به بفنــاء أنيته ، ولم تبق اثنينية هناك لخلوص محبته ، فالمؤذي له يكون مؤذياً لله ، والمؤذي لله هو الظاهر بأنية نفسه ، لعداوة الله له ، فهو غاية البعد الذي هو حقيقة اللعن في الدارين ، ظاهراً وباطنـاً ، وهو مقابل لحضرة العزة ، فيكون في غاية الهوان ، في عذاب الاحتجاب « وما يدريك لعلّ الساعة تكون قريباً » لمن استعدّ لهـــا « لعن الكافرين » لبعدهم عنه بالاحتجاب « يوم تقلب وجوههم في النار » بتغيير صورهم في أنواع العذاب ، وبراز الحجاب .

« اتقوا الله » بالاجتنــاب عن الرذائل ، والسداد في القول الذي هو الصدق والصواب ، والصدق هو مادّة كل سعادة ، وأصل كل كمال ، لأنه من صفاء القلب ، وصفاؤه يستدعي قبول جميع الكمالات ، وأنوار التجليات ، وهو، وإن كان داخلاً في التقوى المأمور بها، لأنه اجتناب من رذيلة الكذب، مندرج تحت التزكية التي عبر عنها بالتقوى ، لكنه أفرد بالذكر للفضيلة ، كأنـــه جلس برأسه ، كما خصّ جبريل وميكائيل من الملائكة « يصلح لكم أعمالكم » بإفاضة الكمالات والفضائل ، أي، زكوا أنفسهم لقبول التحلية من الله ، بفيض الكمالات عليكم « ويغفر لكم » ذنوب صفاتكم بتجليــات صفاته « ومن يطع الله ورسوله » في التزكية ، ومحو الصفات « فقد فاز » بالتحلية، والإتصاف بالصفات الإلهية ، وهو الفوز العظيم .

« إنا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمٰوَاتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُوماً جَهُولاً . لِيُعَذِّبَ ٱللهُ ٱلْمُنَافِقِينَ وَٱلْمُنَافِقَاتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبَ ٱللهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَاتِ وَكَانَ ٱللهُ غَفُورًا رَّحِيماً » .

« إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال » بإيداع حقيقة الهوية عندها ، واحتجابها بالتعينات « فأبين أن يحملنها » بأن تظهر عليهن مع عظم أجرامها ، لعدم استعدادها لقبولها « وأشفق منها » لعظمها عن أقدارها ، وضعفها عن حملها ، وقبولها « وحملها الانسان » لقوة استعداده واقتداره على حملها ، فانتحلها لنفسه ، بإضافتها اليه « إنه كان ظلوماً » بمنعه حق الله حين ظهر بنفسه ، وانتحلها « جهولاً » لا يعرفها ، لاحتجابه بأنانيته عنها .

« ليعذب الله المنافقين والمنافقات » الذين ظلموا بمنع ظهور نور استعدادهم بظلمة الهيئات البدنية ، والصفات النفسانية ، ووضعوه في غير موضعه ، فجهلوا حقه « والمشركين والمشركات » الذين جهلوا ، لاحتجابهم بالأنانية ، والوقوف مع الغير بغلبة الرّين ، وكثافة الحجب الخلقية ، فعظم ظلمهم ، لانطفاء نورهم بالكلية ، وامتناع وفائهم بالأمانة الإلهية « ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات » الذين تابوا عن الظلم ، بالاجتناب عن الصفات النفسانية المانعة عن الأداء ، وعدلوا بابراز ما أخفوه من حق الله عند الوفاء ، وعن الجهل بحقه اذ عرفوه ، وأدّوا أمانته اليه بالفناء « وكان الله غفوراً » ستر

ذنوب ظلمهم وجهلهم عن التزكية ، والتصفية ، والتجريد ، والمحو ، والطمس بأنوار تجلياته « رحيماً » رحمهم بالوجود الحقاني عند البقاء بأفعاله ، وصفاته، وذاته ، أو عرضنا الأمانة الإلهية بالتجلي عليها ، وإيداع ما تطيق حملها فيها من الصفات ، بجعلها مظاهر لها ، أو فأبينَ أن يحملنها بخيانتهـا وإمساكها عندها ، والامتناع عن أدائها ، وأشفقن من حملها عندها ، فأدّينها باظهـار ما أودع فيها من الكمالات ، وحملهـا الانسان باخفائها بالشيطنة ، وظهور الأنانية ، والامتناع عن أدائها باظهار مـا أودع فيه من الكمال ، وإمساكها بظهور النفس بالظلمة ، والمنع عن الترقي في مقام المعرفة ، والله أعلم .

سورة سبأ

بسم الله الرحمن الرحيم

«الحمد لله الذي له ما في السموات وما في الأرض وله الحمد في الآخرة وهو الحكيم الخبير . يعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو الرحيم الغفور . وقال الذين كفروا لا تأتينا الساعة قل بلى وربي لتأتينكم عالم الغيب لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا في كتاب مبين . ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك لهم مغفرة ورزق كريم . والذين سعوا في آياتنا معاجزين أولئك لهم عذاب من رجز أليم . ويرى الذين أوتوا العلم الذي أنزل إليك من ربك هو الحق ويهدي إلى

صِرَاطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ. وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَى رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ. أَفْتَرَى عَلَى ٱللَّهِ كَذِباً أَمْ بِهِ جِنَّةٌ بَلِ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ فِي ٱلْعَذَابِ وَٱلضَّلَالِ ٱلْبَعِيدِ. أَفَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ مِّنَ ٱلسَّمَاءِ وَٱلْأَرْضِ إِن نَّشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ ٱلْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفاً مِّنَ ٱلسَّمَاءِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ».

« الحمد لله الذي له ما في السموات وما في الأرض » بجعله مظاهر لصفاته الظاهرة ، وكمالاته الباهرة ، وظهوره فيها بالحجب الجلاليـة « وله الحمد في الآخرة » بتجليه على الأرواح بالكمالات الباطنة ، والصفات الجمالية ، أي ، له الحمد بالصفات الرحمانية في الدنيا ظاهراً ، وله الحمـد بالصفات الرحيمية في الآخرة باطناً « وهو الحكيم » الذي أحكم ترتيب عالم الشهادة ، بمقتضى حكمته « الخبير » الذي نفذ علمه في بواطن عالم الغيب للطافته .

« يعلم مـــا يلجُ في الأرض » من الملكوت الأرضية ، والقوى الطبيعية « وما يخرج منها » بالتجريد من النفوس الانسانية ، والكمالات الخلقية « وما ينزل من السماء » من المعارف والحقائق الروحانية « وما يعرج فيهـا » من هيئات الأعمال الصالحة ، والأخلاق الفاضلة « وهو الرحيم » بإفاضة الكمالات السماوية النورانيـة « الغفور » بستر الهيئات الأرضية الظلمانية « ويرى الذين أوتوا العـلم » أي ، العلماء المحققون يرون حقيّة ما أنزل اليك عياناً ، لأن

المحجوب لا يمكنه معرفة العارف وكلامه ، إذ كل عارف بشيء لا يعرفه إلا بما فيه من معناه ، فمن لم يكن له حظ من العلم ، ونصيب من المعرفة ، لا يعرف العالِم العارف وعلمه ، لخلوّه عما به يمكن معرفته « ويهدي الى » طريق الوصول الى الله « العزيز » الذي يغلب المحجوبين ، ويمنعهم بالقهر ، والقمع « الحميد » الذي ينعم على المؤمنين بأنواع اللطف ، ولو لم يعتبر تطبيق الصفتين على قوله : « ليجزي الذين آمنوا » الى آخره . واعتبر التطبيق على قوله : « ويرى الذين أوتوا العلم » لكان معنى العزيز القوي الذين يغلب الواصلين بالإفناء الحميد ، الذي ينعم عليهم بصفاته عند البقاء .

« وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ مِنَّا فَضْلاً يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ . أَنِ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ وَاعْمَلُوا صَالِحاً إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ . وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ وَمِنَ الْجِنِّ مَنْ يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَنْ يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ » .

« ولقد آتينا داود » الروح « منّا فضلا » بعلوّ الرتبة ، وتسبيح المشاهدة ، والمناغاة في المحبة مع مزيد العبادة والتفكر ، والكمالات العلمية والعملية ، بأن قلنا : « يا جبال » الأعضاء « أوّبي » أي ، سبّحي « معه » بالتسبيحات المخصوصة بك من الانقياد والتمرن في الطاعات بالحركات ، والسكنات ، والأفعال ، والإنفعالات ، التي أمرناك بها ، وطير القوى

الروحـانية بالتسبيحات القدسيّة من الإذكار ، والإدراكات ، والتعقلات ، والاستفاضات ، والاستشراقات من الأرواح المجرّدة ، والذوات المفارقة ، كل بما أمر « وألنّا له » حديد الطبيعة الجسمانية العنصرية .

« أن أعمل سابغات » من هيئات الورع والتقوى ، فإن الورع الحصين في الحقيقة هو لباس الورع الحافظ من صوارم دواعي اعـادي النفوس ، وسهام نوازغ الشياطين « وقدّر » بالحكمة العملية ، والصنعة المتقنة العقلية والشرعية ، في ترغيب الأعمال المزكية ، ووصول الهيئات المانعة من تأثير الدواعي النفسية « واعملوا » أيها العاملون لله بالجمعية في الجهة السفلية الى الجهـــة العلوية عملاً صالحاً ، يصعدكم في الترقي الى الحضرة الإلهية ، ويعدّكم لقبول الأنوار القدسية ، والخطاب لداود ، الروح ، وآله من القوى الروحـــانية ، والنفسانية ، والأعضاء البدنية .

« ولسليمان » القلب ، ريح الهوى النفسانية « غدوّها شهر » أي ، جريها غداة طلوع نور الروح ، وإشراق شعاع القلب ، وإقبـال النهار ، سير طور في تحصيل الأخلاق ، والفضائل ، والطاعات ، والعبادات ، والصوالح الـتي تتعلق بسعادة المعـــاد « ورواحها » أي ، جريها ، رواح غروب الانوار الروحية في الصفات النفسية ، وزوال تلألؤ أشعتها ، وإدبار نهـار النور سير طور آخر في ترتيب مصالح المعاش ، من الأقوات ، والأرزاق ، والملابس ، والمناكح ، وما يتعلق بصلاح النظام ، وقوام البدن .

« وأسلنا له عين » قطر الطبيعة البدنيـة الجامدة بالتمرين في الطاعـات والمعاملات « ومن » جنّ القوى الوهمية ، والخيالية « من يعمل بين يديه » بحضوره في التقديرات المتعلقة بصلاح العالم ، وعمارة البلاد ، ورفاهية العباد ،

والتركيبات ، والتفصيلات المتعلقة بإصلاح النفس ، واكتساب العلوم « بإذن ربه » بتسخيره إياها له ، وتيسيره الأمور على أيديها ، « ومَن يزغ منهم عن أمرنا » بمقتضى طبيعته الجنية ، وينحرف عن الصواب ، والرأي العقلي ، بالميل الى الزخارف النفسية ، واللذات البدنية « نذقه من عذاب السعير » بالرياضة القوية ، وتسليط القوى الملكية عليها ، بضرب السياط النارية من الدواعي العقلية ، القهرية ، المخالفة للطباع الشيطانية .

« يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ إِعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْراً وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ » .

« يعملون له ما يشاء من محاريب » المقامات الشريفة « وتماثيل » الصوَر الهندسية « وجفان كالجواب » من ظروف الارزاق المعنوية ، والأغذية الروحانية ، بمحاكات المعاني بالصوَر الحسّية ، وإبداع الحقائق في الأمثلة الصورية ، وإدراج المدركات الكلية ، والواردات الغيبية في الملابس اللفظية ، والهيئات الجزئيــة ، واسعة كالحياض ، لكونها عرية عن المواد الهيولانية ، وإن اكتنفت باللواحق المادية ، والعوارض الجسمانية « وقدور راسيات » من تهيئة الاستعدادات بتركيب القياسات المستقيمة ، وإعداد موارد العلوم ، والمعارف بالآراء الصائبة ، والعزائم القوية الثابتة .

« إعمَلوا آل داود » الروح بما سخّرنا لكم ، ما سخّرنا وأفضنا عليكم ، من نِعَم الكمالات ما أفضنا « شكراً » باستعمال هذه النِعَم في طريق السلوك ، والتوجّه إليّ ، وأداء حقوق العبودية ، بالفناء فيّ ، لا في تدبير

الملكة الدنيوية ، وإصلاح الكمالات البدنية « وقليل من عبادي الشكور » الذي يعمل استعمال النِعَم في طاعة الله العمل الخالص لوجه الله .

« فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ ٱلْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ ٱلْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ٱلْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ . لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ » .

« فلمّا قضينا عليه الموت » بالفناء فيّ في مقام السرّ « مـــا دلهم على موته إلا دابّة الأرض » أي ، ما اهتدوا الى فنائه في مقام الروح ، وتوجهه الى الحق في حـــال السرّ ، إلا بحركة الطبيعة الأرضية ، وقواها البدنية الضعيفة ، الغالبة على النفس الحيوانيـــة ، التي هي منسأته ، اذ لا طريق لهم الى الوصول الى مقام السرّ ، ولا وقوف على حـــال القلب فيه ، ولا شعور بكونه في طور وراء أطوارهم ، إلا برابطة اتصال الطبيعة البدنية ، المتصلة به ، المقهورة بالقوى الطبيعية ، لضعفها بالرياضة ، وانقطاع مدد القلب عنها ، حينئذ ، أي ، لا يطلعون إلا على حـــال الدابة التي تأكل المنسأة بالاستيلاء عليها ، لأنّ النفس الحيوانية ، عند عروج القلب ضعفت ، وسقطت قواها ، ولم يبق منها إلا القوى الطبيعية الحاكمة عليها .

« فلمّا خرّ » من صعقته الموسوية ، وذهـــل في الحضور ، والاشتغال بالحضرة الإلهيـــة عن استعمالها ، في الأعمال ، وأعمالها بالرياضيات « تبينت

الجنّ أن لو كانوا يعلمون » غيب مقام السرّ بالاطلاع على المكاشفات ، لو كانوا مجرّدين « ما لبثوا في العذاب المهين » من الرياضة الشاقة التي تمنعهم الحظوظ والمرادات ، ومقتضيات الطباع والأهواء ، بالمخالفات ، والإجبار على الأعمال المتعبة في السلوك ، والاقتصار بها على الحقوق .

« لقد كان لسبأ » أهل مدينة البدن « في مساكنهم » في مقارّهم ، ومحالهم « آية » دالّة لهم على صفات الله وأفعاله « جنتان » جنة الصفات والمشاهدات عن يمينهم من جهة القلب ، والبرزخ التي هي أقوى الجهتين وأشرفهما ، وجنة الآثار والأفعال عن شمالهم من جهة الصدر ، والنفس التي هي أضعف الجهتين ، وأخسهما « كلوا من رزق ربكم » من الجهتين ، كقوله : « لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم » . « واشكروا له » باستعمال نعم ثمراتها في الطاعات ، والسلوك فيه بالقربات « بلدة طيبة » باعتدال المزاج والصحة « ورب غفور » يستر هيئات الرذائل ، وظلمات النفوس ، والطباع بنور صفاته وأفعاله ، فلكم التمكين من جهة الاستعداد ، والأسباب والآلات ، والتوفيق بالامداد ، وإفاضات الأنوار .

« فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ ٱلْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِّنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ . ذَٰلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا ٱلْكَفُورَ . وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ ٱلْقُرَى ٱلَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا ٱلسَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّاماً آمِنِينَ . فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ

فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ».

« فأعرضوا » عن القيام بالشكر والتوسل بها الى الله ، بل عن الأكل من ثمراتها التي هي العلوم النافعة ، والحقيقية بالإنهماك في اللذات ، والشهوات ، والأنفاس ، في ظلمات الطبائع ، والهيآت « فأرسلنا عليهم سيل » الطبيعة الهيولانية ، بنقب جرذان سيول الطبائع العنصرية ، سكر المزاج الذي سدّته بلقيس النفس التي هي ملكتكم ، والعرم الجرذ « وبدّلناهم بجنيتهم جنتين » من شوك الهيئات المؤذية ، وأصل الصفات السيئة ، البهيمية ، والسبعية ، والشيطانية « ذواتي أكل خمط » أي ، ثمرة مرّة بشعة ، كقوله : « طلعها كأنه رؤوس الشياطين » « وشيء من سدد » بقاء الصفات الانسانية « قليل ذالك » العقاب« جزيناهم » بكفرانهم النعم« وهل نجازي بذلك إلا الكفور» الذي يستعمل نعمة الرحمن في طاعة الشيطان .

« وجعلنا بينهم وبين القرى التي باركنا فيها » من الحضرة القلبية ، والسرية والروحية ، والإلهية بالتجليات الافعالية ، والصفاتية والاسمائية الذاتية ، وأنوار المكاشفات ، والمشاهدات « قرى ظاهرة » مقامات ومنازل مترائية متواصلة ، كالصبر والتوكل والرضا ، وأمثالها « وقدّرنا فيها السّير » الى الله وفي الله ، مرتباً يرتحل السالك في الترقي من مقام ، وينزل في مقام ، « سيروا في منازل النفوس ليالي » وفي مقامات القلوب ومواردها « أياماً آمنين » بين القواطع الشيطانية ، وغلبات الصفات النفسانية بقوة اليقين ، والنظر الصحيح على منهاج الشرع المبين .

« فقالوا » بلسان الحال ، والتوجه الى الجهة السفلية المبعدة عن الحضرة

القدسية ، والميل الى المهاوي البدنية ، والسير في المهامة الطبيعية ، والمهالك الشيطانية « ربنا باعد بين أسفارنا وظلموا أنفسهم » بالاحتجاب عن أنوار القرى المباركة بظلمات البرازخ المنحوسة « فجعلناهم أحاديث » وآثاراً سائرة بين الناس في الهلاك ، والتدمير « ومزقناهم » بالغرق والتفريق .

« وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلاَّ فَرِيقاً مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ . وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِمْ مِّنْ سُلْطَانٍ إِلاَّ لِنَعْلَمَ مَنْ يُؤْمِنُ بِٱلآخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِي شَكٍّ وَرَبُّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ . قُلِ ٱدْعُوا ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِّنْ دُونِ ٱللهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي ٱلسَّمٰوَاتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِّنْ ظَهِيرٍ . وَلَا تَنْفَعُ ٱلشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلاَّ لِمَنْ أَذِنَ لَهُ حَتَّى إِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا ٱلْحَقَّ وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ . قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِّنَ ٱلسَّمٰوَاتِ وَٱلْأَرْضِ قُلِ ٱللهُ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدىً أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ . قُلْ لَّا تُسْئَلُونَ عَمَّا أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْئَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ . قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَهُوَ ٱلْفَتَّاحُ ٱلْعَلِيمُ . قُلْ أَرُونِيَ ٱلَّذِينَ أَلْحَقْتُمْ بِهِ شُرَكَاءَ كَلَّا بَلْ هُوَ ٱللهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ . وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيراً وَنَذِيراً وَلَكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ

لَا يَعْلَمُونَ . وَيَقُولُونَ مَتَى هٰذَا ٱلْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ . قُلْ
لَّكُمْ مِّيعَادُ يَوْمٍ لَّا تَسْتَأْخِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ .
وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ نُّؤْمِنَ بِهٰذَا ٱلْقُرْآنِ وَلَا بِٱلَّذِي بَيْنَ
يَدَيْهِ وَلَوْ تَرَى إِذِ ٱلظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ
بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ ٱلْقَوْلَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا
لَوْلَا أَنْتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ . قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ
ٱسْتُضْعِفُوا أَنَحْنُ صَدَدْنَاكُمْ عَنِ ٱلْهُدَى بَعْدَ إِذْ جَاءَكُمْ بَلْ كُنْتُمْ
مُّجْرِمِينَ . وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ
ٱللَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَنْ نَّكْفُرَ بِٱللهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَنْدَاداً
وَأَسَرُّوا ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا ٱلْعَذَابَ وَجَعَلْنَا ٱلْأَغْلَالَ فِي أَعْنَاقِ
ٱلَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ . وَمَا أَرْسَلْنَا
فِي قَرْيَةٍ مِّنْ نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ .
وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالاً وَأَوْلَاداً وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ . قُلْ إِنَّ
رَبِّي يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَلٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا
يَعْلَمُونَ . وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِٱلَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِنْدَنَا زُلْفَى
إِلَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً فَأُولٰئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ ٱلضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا

وَهُمْ فِي ٱلْغُرُفَاتِ آمِنُونَ . وَٱلَّذِينَ يَسْعَوْنَ فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُولٰئِكَ فِي ٱلْعَذَابِ مُحْضَرُونَ . قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّازِقِينَ . وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعاً ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلٰئِكَةِ أَهٰؤُلَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ . قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنْتَ وَلِيُّنَا مِنْ دُونِهِمْ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ . فَٱلْيَوْمَ لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَفْعاً وَلَا ضَرّاً وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ . وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هٰذَا إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَنْ يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُكُمْ وَقَالُوا مَا هٰذَا إِلَّا إِفْكٌ مُفْتَرًى وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ إِنْ هٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ . وَمَا آتَيْنَاهُمْ مِنْ كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا وَمَا أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِنْ نَذِيرٍ . وَكَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَمَا بَلَغُوا مِعْشَارَ مَا آتَيْنَاهُمْ فَكَذَّبُوا رُسُلِي فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ . قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلّٰهِ مَثْنَى وَفُرَادَى ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ . قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ

فَهُوَ لَكُمْ إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَى ٱللهِ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ . قُلْ إِنَّ رَبِّي يَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلاَّمُ ٱلْغُيُوبِ . قُلْ جَاءَ ٱلْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ ٱلْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ . قُلْ إِنْ ضَلَلْتُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَى نَفْسِي وَإِنِ ٱهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِي إِلَيَّ رَبِّي إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ . وَلَوْ تَرَى إِذْ فَزِعُوا فَلَا فَوْتَ وَأُخِذُوا مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ . وَقَالُوا آمَنَّا بِهِ وَأَنَّى لَهُمُ ٱلتَّنَاوُشُ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ . وَقَدْ كَفَرُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ وَيَقْذِفُونَ بِٱلْغَيْبِ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ . وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِمْ مِنْ قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ مُرِيبٍ » .

« ولقد صدق عليهم » على الناس « ابليس ظنه » في قوله : « لأضلنهم ولأغوينهم ولا آمرنهم فليغيرنّ خلق الله » ، وأمثال ذلك ، والفريق المستثنون هم المخلصون « وما كان له عليهم من سلطان » أي ، ما سلطناه عليهم إلا لظهور علمنا في مظاهر العلماء المحققين المخلصين ، وامتيازهم عن المحجوبين المرتابين ، فإنّ المستعد الموفق الصافي القلب ينبع علمه من مكمن الاستعداد ، ويتفجر من قلبه عند وسوسة الشيطان ، فيرجمه بمصابيح الحجج النيرة ، ويطرده بالعياذ بالله عند ظهور مفسدته الغوية ، بخلاف غيره من الذين اسودّت قلوبهم بصفات النفوس ، وناسبت بجهالاتهم مكايد الشيطان ، وأحوال القيامة الكبرى ، من الجمع ، والفصل ، والفتح بين المحق والمبطل ، ومقالات الظالمين كلها تظهر عند ظهور المهديّ عليه السلام .

سورة فاطر

بسم الله الرحمن الرحيم

« ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَوَاتِ وَٱلْأَرْضِ جَاعِلِ ٱلْمَلَٰئِكَةِ رُسُلاً أُولِي أَجْنِحَةٍ مَّثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ يَزِيدُ فِي ٱلْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ . مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ . يَا أَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذْكُرُوا نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِّنَ ٱلسَّمَاءِ وَٱلْأَرْضِ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ . وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّنْ قَبْلِكَ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ . يَا أَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُمْ بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ . إِنَّ ٱلشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوّاً إِنَّمَا يَدْعُوا حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ

أَصْحَابِ ٱلسَّعِيرِ . ٱلَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَٱلَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ . أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَناً فَإِنَّ ٱللهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ إِنَّ ٱللهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ . وَٱللهُ ٱلَّذِي أَرْسَلَ ٱلرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَاباً فَسُقْنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ » .

« جاعل الملائكة رسلا أولي أجنحة » عن جهات التأثير الكائنة في الملكوت السماوية ، والأرضية بالأجنحة ، جعلها الله رسلا مرسلة الى الأنبياء بالوحي ، والى الأولياء بالإلهام ، والى غيرهم من الأشخاص الانسانية وسائر الأشياء بتصريف الأمور وتدميرها ، فما يصل بتأثيرهم الى ما يتأثر منه فهو جناح ، فكل جهة تأثير جناح ، مثلا انّ العاقلتين ، العلمية والنظرية جناحان للنفس الانسانية ، والمدركة والمحركة الباعثة ، والمحركة الفاعلة ، ثلاثة أجنحة للنفس الحيوانية ، والغاذية ، والنامية ، والمولدة ، والمصوّرة ، أربعة أجنحة للنفس النباتية ، ولا تنحصر أجنحتهم في العدد ، بل لهم بحسب تنوّعات التأثيرات أجنحة . ولهذا حكي رسول الله ﷺ أنه رأى جبريل عليه السلام ، ليلة المعراج وله ستمائة جناح ، وأشار الى أكثرتها بقوله تعالى : « يزيد في الخلق ما يشاء » .

« مَنْ كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعاً إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّالِحُ يَرْفَعُهُ وَٱلَّذِينَ يَمْكُرُونَ ٱلسَّيِّئَاتِ لَهُمْ

عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُولَٰئِكَ هُوَ يَبُورُ . وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ مِّنْ تُرَابٍ
ثُمَّ مِنْ نُّطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجاً وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا
تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَمَا يُعَمَّرُ مِنْ مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنْقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا
فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ . وَمَا يَسْتَوِي ٱلْبَحْرَانِ هَٰذَا
عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَمِنْ كُلٍّ تَأْكُلُونَ
لَحْماً طَرِيّاً وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى ٱلْفُلْكَ فِيهِ
مَوَاخِرَ لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ . يُولِجُ
ٱللَّيْلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱللَّيْلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ
كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ وَٱلَّذِينَ
تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ . إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا
يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا ٱسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ
يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ . يَا أَيُّهَا ٱلنَّاسُ
أَنْتُمُ ٱلْفُقَرَاءُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ . إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ
وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ . وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ . وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ
وِزْرَ أُخْرَى وَإِنْ تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَى حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ
كَانَ ذَا قُرْبَى إِنَّمَا تُنْذِرُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِٱلْغَيْبِ وَأَقَامُوا

ٱلصَّلَوٰةَ وَمَن تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ. وَمَا يَسْتَوِي ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ. وَلَا ٱلظُّلُمَاتُ وَلَا ٱلنُّورُ. وَلَا ٱلظِّلُّ وَلَا ٱلْحَرُورُ. وَمَا يَسْتَوِي ٱلْأَحْيَاءُ وَلَا ٱلْأَمْوَاتُ إِنَّ ٱللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَاءُ وَمَا أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي ٱلْقُبُورِ. إِنْ أَنتَ إِلَّا نَذِيرٌ. إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ. وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَاتِ وَبِٱلزُّبُرِ وَبِٱلْكِتَابِ ٱلْمُنِيرِ. ثُمَّ أَخَذْتُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ. أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ. وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَابِّ وَٱلْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَٰلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰؤُا إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ».

« من كان يريد العزّة فلله العزّة جميعاً » أي ، العزّة صفة من صفات الله مخصوصة به ، من أرادها فعليه بالفناء في صفات الله تعالى عن صفاته ، ثم على طريق التجريد ومحو الصفات ، بقوله اليه : « يصعد الكلم الطيب » أي ، النفوس الصافية الطيبة عن خبائث الطبائع الباقية على نور فطرتها ، الذاكرة لميثاق توحيدها « والعمل الصالح » بالتزكية والتحلية « يرفعه » أي ، يرفع

ذلـك الجنس الطيب الى حضرته دون غيره ، فيتصف بصفة العزة ، وسائر الصفات ، أو اليه يصعد العلم الحقيقي ، من التوحيد الأصلي الفطري الطيب عن خبائث التوهمات ، والتخيلات ، والعمل الصالح بمقتضاه يرفعه دون غيره ، كما قـــال أمير المؤمنين عليه السلام : (العلم مقرون بالعمل ، والعلم يهتف بالعمل ، فإن أجابه وإلا ارتحل) أي ، سلم الصعود الى الحضرة الإلهية ، هو العلم والعمل ، لا يمكن الترقي إلا بهما ، ولا يكفي التوحيـد الذي هو الأصل في الاتصاف بعزته وسائر صفاتـــه ، لأن الصفات مصادر الأفعال ، فما لم يترك الأفعـال النفسية التي مصادرها صفات النفس بالزهد والتوكل، ولم يتجرّد عن هيئاتها بالعبادة والتبتل، لم يحصل استعداد الاتصاف بصفاته تعالى ، فكان العلم الحقيقي الذي هو للتوحيد بمثـابة عضادتي السلم ، والعمل بمثابة الدرجات في الترقي « والذين يمكرون السّيئات » بظهور صفات النفوس ، وإن كانوا عالمين « لهم عذاب » من هيئات الأعمال القبيحة المؤذية « شديد » .

« إنما يخشى الله من عباده العلماء » أي ،ما يخشى الله إلا العلماء العرفاء به، لأن الخشية ليست هي خوف العقاب بل هيئة في القلب، خشوعية،انكسارية، عند تصوّر وصف العظمة ، واستحضاره لها ، فمن لم يتصوّر عظمته لم يمكنه خشيه، ومن تجلى الله له بعظمته خشيه حق خشيته ، وبين الحضور التصوري الحاصل للعالم الغير العـــارف ، وبين التجلي الثابت للعالم العارف بون بعيد ، ومراتب الخشية لا تحصى بحسب مراتب العلم والعرفان « إن الله عزيز» غالب على كل شيء بعظمته « غفور » يستر صفة تعظم النفس ، وهيئة تكبرها بنور تجلي عزته .

« إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ ٱللَّهِ وَأَقَامُوا ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ . لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ . وَٱلَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَابِ هُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ إِنَّ ٱللَّهَ بِعِبَادِهِ لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ . ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَابَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِٱلْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ . جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ » .

« إن الذين يتلون كتاب الله » الذي أعطاهم في بدء الفطرة من العقل القرآني ، بإظهاره وإبرازه ليصير فرقاناً « وأقاموا » صلاة الحضور القلبي ، عند ظهور العلم الفطري ، « وأنفقوا مما رزقناهم » من صفة العلم والعمل ، الموجب لظهوره عليهم « سرّاً » بالتجريد عن الصفات « وعلانية » بترك الأفعال « يرجون » في مقام القلب ، بالترك والتجريد « تجارة لن تبور » من استبدال أفعال الحق وصفاته ، بأفعالهم وصفاتهم « ليوفيهم أجورهم » في جنات النفس والقلب ، من ثمرات التوكل والرضا « ويزيدهم من فضله » في جنات الروح ، مشاهدات وجهه في التجليات « انه غفور » يستر لهم ذنوب

أفعالهم وصفاتهم « شكور » يشكر سعيهم ، بالابدال من أفعاله ، وصفاته .

« والذي أوحينـــا اليك من الكتاب » الفرقاني المطلق « هو الحق » الثابت المطلق ، الذي لا مزيد عليه ، ولا نقص فيه « مصدقاً لما بين يديه » لكونه مشتملاً عليها ، حاوياً لمـا فيها بأسرها « انّ الله بعباده لخبير » يعلم أحوال استعداداتهم « بصير » بأعمـــالهم ، يعطيهم على حسب الاستعداد بقدر الاستحقاق بالأعمال .

« ثم أورثنا » منك هذا « الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا » المحمديين المخصوصين من عند الله بمزيد العنـاية ، وكمال الاستعداد ، بالنسبة الى سائر الأمم ، لأنهم لا يرثون ، ولا يصلون اليه إلا منك وبواسطتك ، لأنك المعطي إياهم الاستعداد والكمال ، فنسبتهم الى سائر الأمم نسبتك الى سائر الأنبياء « فمنهم ظالم لنفسه » بنقص حق استعداده ، ومنعه عن خروجه الى الفعل ، وخيانته في الأمانة المودعة عنده بحملها ، وإمساكها ، والإمتناع عن أدائها ، لانهماكه في اللذات البدنيـة ، والشهوات النفسانية « ومنهم مقتصد » يسلك طريق اليمين ، ويختار الصالحات من الأعمال ، والحسنات ، ويكتسب الفضائل ، والكمالات في مقام القلب « ومنهم سابق بالخيرات » التي هي تجليات الصفات ، الى الفناء في الذات « بإذن الله » بتيسيره وتوفيقه « ذلك هو الفضل الكبير جنات عدن » من الجنات الثلاث « يدخلونها يحلون فيها من أساور » صور كمالات الأخلاق ، والفضائل ، والأحوال ، والمواهب المصوغة بالأعمـال ، من ذهب العلوم الروحانية ، ولؤلؤ المعارف ، والحقائق الكشفية الذوقية ، فلباسهم فيها حرير الصفات الإلهية .

« وَقَالُوا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ . ٱلَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ ٱلْمُقَامَةِ مِنْ فَضْلِهِ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ . وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَى عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا كَذَٰلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ . وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحاً غَيْرَ ٱلَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن نَّصِيرٍ . إِنَّ ٱللَّهَ عَالِمُ غَيْبِ ٱلسَّمٰوَاتِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ . هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ فِي ٱلْأَرْضِ فَمَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَلَا يَزِيدُ ٱلْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ إِلَّا مَقْتاً وَلَا يَزِيدُ ٱلْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا خَسَاراً . قُلْ أَرَأَيْتُمْ شُرَكَاءَكُمُ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي ٱلسَّمٰوَاتِ أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَاباً فَهُمْ عَلَىٰ بَيِّنَتٍ مِّنْهُ بَلْ إِن يَعِدُ ٱلظَّالِمُونَ بَعْضُهُم بَعْضاً إِلَّا غُرُوراً . إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمٰوَاتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا وَلَئِن زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّن بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيماً غَفُوراً . وَأَقْسَمُوا بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِن جَاءَهُمْ

نَذِيرٌ لَيَكُونَنَّ أَهْدَى مِنْ إِحْدَى ٱلْأُمَمِ فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا . إِسْتِكْبَارًا فِي ٱلْأَرْضِ وَمَكْرَ ٱلسَّيِّىءِ وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّىءُ إِلَّا بِأَهْلِهِ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ ٱلْأَوَّلِينَ فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبْدِيلاً وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحْوِيلاً . أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَكَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي ٱلسَّمٰوَاتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيماً قَدِيرًا . وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَٰكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيراً » .

« وقالوا » بألسنة أحوالهم وأقوالهم عند اتصافهم بجميع الصفات الحميدة، حالة البقاء بعد الفناء « الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن » اللازم ، لفوات الكمالات الممكنة بحسب الاستعدادات ، بهبته لنا اياها في هذا الوجود الحقاني « ان ربّنا لغفور شكور » جزاؤنا منه أوفى وأبقى ، ممّا نستحقه بسعينا الذي أحلّنا دار الإقامة الدائمة التي لا انتقال منها بوجه ، في هذا الوجود الموهوب من عطائه الصرف ، وفضله المحض « لا يمسنا فيها نصب » بالسعي والانتقال « ولا يمسنا فيها لغوب » بالسير والترحال .

« والذين كفروا » المحجوبون منك بالإنكار ، الذين لا يقبلون الكتاب

ولا يرثونه ، لبعدهم عنك في الحقيقة ، فلا تقارب ، ولا تواصل بينك وبينهم « لهم نار » جهنم الطبيعية ، يعذبون فيها بأنواع الحرمان ، والآلام دائماً « لا يقضى عليهم فيموتوا » ويستريحوا « ولا يخفف عنهم من عذابها » فيتنفسوا ، والله أعلم .

سورة يس

بسم الله الرحمن الرحيم

« يس . وَالقُرْآنِ الحَكِيمِ . إِنَّكَ لَمِنَ المُرْسَلِينَ . عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ . تَنْزِيلَ العَزِيزِ الرَّحِيمِ . لِتُنْذِرَ قَوْماً مَا أُنْذِرَ آبَاؤُهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ » .

« يس » أقسم بالصنفين الدالّين على كمال استعداده ، كما ذكر في طه « والقرآن الحكيم » الذي هو الكمال التامّ اللائق باستعداده على أنه سبب هذه الأمور من المرسلين على طريق التوحيد الموصوف بالإستقامة ، وذلك أن (ي) إشارة الى اسمه الواقي و (س) الى اسم السلام ، الذي وقى سلامة فطرتك السالمة عن النقص في الأزل ، عن آفات حجب النشأة والعادة ، والسّلام الذي هو عينها وأصلها ، والقرآن الحكيم الذي هو صورة كمالها ، الجامع لجميع الكمالات ، المشتمل على جميع الحكم .

« إنّك » بسبب هذه الثلاثة « لمن المرسلين » « تنزيل العزيز الحكيم » أي ، القرآن الشامل للحكمة ، الذي هو صورة كمال استعدادك ، تنزيل

باظهاره مفصلاً من مكمن الجمع على مظهرك ليكون فرقاناً من العزيز الغالب ، الذي غلب على أنانيتك ، وصفات نشأتك ، وقهرها بقوّته لئلا تظهر ، وتمنع ظهور القرآن المكنون في غيبك على مظهر قلبك ، وصيرورته فرقانـــاً ، الرحيم الذي أظهره عليك بتجليات صفاته الكمالية بأسرهـا « لتنذر قوماً » بلغوا في كمال استعدادهم ما لم يبلغ آباؤهم ، فما أنذروا بما أنذرتم بـه « فهم غافلون » عما أوتي اليهم من الاستعداد البالغ حدّاً لم يبلغه استعداد أحـد من الأمم السابقة ، كما قال الذين اصطفينا من عبادنا .

« لَقَـدْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَى أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ . إِنَّا جَعَلْنَـــا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالاً فَهِيَ إِلَى ٱلْأَذْقَانِ فَهُمْ مُّقْمَحُونَ . وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدّاً وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدّاً فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ . وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ . إِنَّمَا تُنْذِرُ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكْرَ وَخَشِيَ ٱلرَّحْمَنَ بِٱلْغَيْبِ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ . إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي ٱلْمَوْتَى وَنَكْتُبُ مَـا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ » .

« لقد حق القول على أكثرهم » في القضاء السابق بأنهم أشقيـــاء « فهم لا يؤمنون » لأنــه اذا قويت الاستعدادات عند ظهورك ، قوي الأشقياء في الشرّ ، كما قوي السعداء في الخير « إنا جعلنـــا في أعناقهم أغلالاً » من قيود

الطبيعة البدنية ، ومحبة الأجرام السفلية « فهي الى الأذقان » تمنع رؤوسهم عن التطأطؤ للقبول ، اذ عمت الأعناق التي هي مفاصل تصرّفات الرؤوس ، وأطبقت المفاصل حتى جاوزت أعاليها ، وبلغت حدّ الرؤوس من قدّام ، فلم يبق لهم تصرف بالقبول ، ولا تأثر بالإنفعال، والميل الى الركوع والسجود للانقياد والفناء ، فإن الكمالات الانسانية انفعالية ، لا تحصل إلا بالتذلل ، والإنقهار « فهم مقمحون » ممنوعون عن قبولها ، بإمالة الرؤوس .

« وجعلنا من بين أيديهم » من الجهة الإلهية « سدّاً » من حجاب ظهور النفس والصفات المستولية على القلب ، منعهم من النظر الى فوق ، ليشتاقوا للقاء الحق عند رؤية الأنوار الجمالية « ومن خلفهم » من الجهة البدنية « سداً » من حجاب الطبيعة الجسمانية ولذّاتها المانعة ، لامتثالهم الأوامر والنواهي ، فمنعهم من العمل الصالح الذي يعدّهم لقبول الخير ، والصفات الجلالية، فانسدّ لهم طريق العلم والعمل ، فهم واقفون مع اصنام الأبدان حيارى يعبدونها ، لا يتقدمون ولا يتأخرون « فأغشيناهم » بالإنغماس في الغواشي الهيولانية ، والإنغمار في الملابس الجسمانية « فهم لا يبصرون » لكثافة الحجب من جميع الجهات وإحاطتها بهم ، وإذا لم يبصروا ولم يتأثروا ، فالإنذار وعدم الإنذار بالنسبة اليهم سواء .

« إنما تنذر » أي ، يؤثر الانذرا، وينجع في « من اتّبع الذكر » لنورية استعداده وصفاته ، فيتأثر به ويقبل الهداية بما في استعداده من التوحيد الفطري ، والمعرفة الأصلية ، فيتذكر ويخشى « الرحمن » بتصوّر عظمته مع غيبته من التجلي، فيتبعه بالسلوك ليحضر ما هو غائب عنه، ويرى ما استضاء بنوره « فبشّره بمغفرة » عظيمة من ستر ذنوب حجب أفعاله ، وصفاته ، وذاته « وأجر كريم » من جنات أفعال الحق ، وصفاته ، وذاته .

« وَٱضْرِبْ لَهُمْ مَّثَلاً أَصْحَابَ ٱلْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا ٱلْمُرْسَلُونَ . إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ ٱثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُمْ مُّرْسَلُونَ . قَالُوا مَا أَنْتُمْ إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَمَا أَنْزَلَ ٱلرَّحْمٰنُ مِن شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلاَّ تَكْذِبُونَ . قَالُوا رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ . وَمَا عَلَيْنَا إِلاَّ ٱلْبَلَاغُ ٱلْمُبِينُ . قَالُوا إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ لَئِنْ لَّمْ تَنْتَهُوا لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُمْ مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ . قَالُوا طَائِرُكُمْ مَّعَكُمْ أَئِنْ ذُكِّرْتُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ » .

« واضرب لهم مثلاً أصحاب القرية » الى آخر المثل ، يمكن ان يؤوّل أصحاب القرية بأهل مدينة البدن ، والرسل الثلاثة بالروح والقلب والعقل ، إذ أرسل اليهم اثنان أولاً « فكذّبوهما » لعـــدم التناسب بينها وبينهم ، ومخالفتهم إياهما في النور والظلمة ، فعززوا بالعقل الذي يوافق النفس في المصالح والمناجح ، ويدعوها وقومها الى ما يدعو اليــه القلب والروح ، فيؤثرهم . وتشاؤمهم بهم ، تنفرهم عنهم ، لحملهم إياهم على الرياضة والمجاهدة ، ومنعهم عن اللذّات والحظوظ ، ورجمهم إياهم ، رميهم بالدواعي الطبيعية ، والمطالب البدنية ، وتعذيبهم إياهم ، استيلاؤهم عليهم ، واستعمالهم في تحصيل الشهوات البهيمية ، والسّبُعية .

« وَجَاءَ مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَا قَوْمِ ٱتَّبِعُوا ٱلْمُرْسَلِينَ . ٱتَّبِعُوا مَنْ لَّا يَسْئَلُكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُّهْتَدُونَ . وَمَا لِيَ لَا أَعْبُدُ ٱلَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ . ءَأَتَّخِذُ مِنْ دُونِهِ آلِهَةً إِنْ يُرِدْنِ ٱلرَّحْمَنُ بِضُرٍّ لَّا تُغْنِ عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئاً وَلَا يُنْقِذُونِ . إِنِّي إِذاً لَّفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ . إِنِّي آمَنْتُ بِرَبِّكُمْ فَٱسْمَعُونِ . قِيلَ ٱدْخُلِ ٱلْجَنَّةَ قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ . بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ ٱلْمُكْرَمِينَ . وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى قَوْمِهِ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ جُنْدٍ مِّنَ ٱلسَّمَاءِ وَمَا كُنَّا مُنْزِلِينَ . إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ . يَا حَسْرَةً عَلَى ٱلْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِمْ مِّنْ رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ . أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِّنَ ٱلْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ . وَإِنْ كُلٌّ لَّمَّا جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ . وَآيَةٌ لَّهُمُ ٱلْأَرْضُ ٱلْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبّاً فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ . وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِّنْ نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ ٱلْعُيُونِ . لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلَا يَشْكُرُونَ . سُبْحَانَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ ٱلْأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ » .

والرجل الذي جاء من أقصى المدينة ، أي ، أبعد مكان منها ، هو العشق المنبعث من أعلى وأرفع موضع منها ، بدلالة شمعون العقل ، ونظره لإظهار دين التوحيد ، والدعوة الى الحبيب الأوّل وتصديق الرسل « يسعى » لسرعة حركته ، ويدعو الكل بالقهر ، والإجبار الى متابعة الرسل في التوحيد : ويقول : « ومالي لا أعبد الذي فطرني وإليه ترجعون » وكان اسمه حبيباً وكان نجاراً ينحت في بدايته أصنام مظاهر الصفات من الصور ، ولاحتجابه بحسنها عن جمال الذات ، وهو المأمور بدخول جنة الذات ، قائلاً : « يا ليت قومي » المحجوبين عن مقامي ، وحالي « يعلمون بما غفر لي ربي » ذنب عبادة أصنام مظاهر الصفات ونحتها ، « وجعلني من المكرمين » لغاية قربي في الحضرة الأحدية ، وفي الحديث : (ان لكل شيء قلباً ، وقلب القرآن يس) فلعل ذلك لأن حبيباً المشهور بصاحب يس ، آمن بـه ، قبل بعثته بستمائة سنة ، وفهم سرّ نبوّته . وقال النبي ﷺ : (سبّاق الامم ثلاثة لم يكفروا بالله طرفة عين : علي بن ابي طالب عليه السلام ، وصاحب يس ، ومؤمن آل فرعون) .

« وَآيَةٌ لَّهُمُ ٱللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ . وَٱلشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ . وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ . لَا ٱلشَّمْسُ يَنبَغِي لَهَا أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱللَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ . وَآيَةٌ لَّهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ . وَخَلَقْنَا لَهُم مِّن

مِّثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ . وَإِنْ نَّشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلَا صَرِيخَ لَهُمْ وَلَا هُمْ يُنْقَذُونَ . إِلَّا رَحْمَةً مِّنَّا وَمَتَاعاً إِلَى حِينٍ » .

« وآية لهم الليل » أي ، ليل ظلمة النفس « نسلخ منه » نهار ونور شمس الروح ، والتلوين « فإذا هم مظلمون » وشمس الروح «تجري لمستقرّ لها» وهو مقام الحق في نهاية سير الروح « ذلك تقدير العزيز » المتمنع من ان يصل الى حضرة أحديته شيء ، الغالب على الكل بالقهر ، والفناء « العليم » الذي يعلم حـد كال كل سيار وانتهاء سيره ، وقمر القلب « قدّرناه » أي ، قدّرنا مسيره في سيره « منازل » من الخوف ، والرجاء ، والصبر ، والشكر ، وسائر المقامات ، كالتوكل ، والرضا « حتى عاد » عند فنائه في الروح ، في مقام السرّ « كالعرجون القديم » وهو بقرب استسراره فيه ، وإضاءة وجهه الذي يلي الروح قبل تمام فنائه فيه ، واحتجابه لنوريته عن النفس والقوى ، وكونه بدراً إنما يكون في موضع الصدر في مقابلة مقام السرّ .

« لا الشمس ينبغي لهـا أن تدرك القمر » في سيره فيكون له الكمالات الصدرية من الإحاطة بأحوال العالمين ، والتجلي بالأخلاق ، والأوصاف ، ولا الليل سابق النهار بإدراك القمر الشمس وتحويل ظلمة النفس نهار نور القلب ، لأن القمر اذا ارتقى الى مقام الروح ، بلغ الروح حضره الوحدة فلا تدركه ، وتكون النفس حينئذ نيرة في مقام القلب لا ظلمة لهـا ، فلم تسبق ظلمتها نوره بل زالت ، مع أنّ القلب ونوره في مقام الروح ، فلم تسبقه على تقدير بقائها « وكلّ في فلك » أي ، مدار ، ومحـل لسيره ، معين في بدايته ونهايته ، لا يتجاوز حدّيه المعينين « يسبحون » يسيرون ، الى أن جمع الله بينهما في حدّ ، وخسف القمر بها ، وأطلع الشمس من مغربها ، فتقوم القيامة .

« وآية لهم أنا حملنا ذريتهم في الفلك المشحون » وهو سفينة نوح ، فيه سر من أسرار البلاغة ، حيث لم يذكر آباءهم الذين كانوا فيها ، بل ذرياتهم الذين كانوا في أصلابهم ، فلا بد من وجود الذريات حينئذ « وخلقنا لهم من مثله » أي ، مثل سفينة نوح ، وهي السفينة المحمدية « ما يركبون » .

« وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ . وَمَا تَأْتِيهِمْ مِّنْ آيَةٍ مِّنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ . وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنفِقُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنُطْعِمُ مَن لَّوْ يَشَاءُ اللَّهُ أَطْعَمَهُ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ . وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ . مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ . فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَا إِلَى أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ . وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ الْأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ . قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَن بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ . إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ . فَالْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ . إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغُلٍ

فَاكِهُونَ . هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلَالٍ عَلَى ٱلْأَرَائِكِ مُتَّكِئُونَ . لَهُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَلَهُمْ مَّا يَدَّعُونَ . سَلَامٌ قَوْلاً مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ . وَٱمْتَازُوا ٱلْيَوْمَ أَيُّهَا ٱلْمُجْرِمُونَ ».

« اتقوا ما بين أيديكم » من أحوال القيامة الكبرى ، « وما خلفكم » من أحوال القيامة الصغرى ، فإن الأولى تأتي من جهة الحق ، والثانيـة تأتي من جهة النفس بالفنـاء في الله في الأولى ، والتجرُّد عن الهيئات البدنية في الثانية والنجاة منها . والصيحتان ، همـا : التنبه عن النفخة الأولى بوقوع مقدّماتها ، وانزعاج القوى كلها ، دفعة عن مقارّها . وعن الثانية بوقوعها ، وانتباهتهم دفعة ، وانتشار القوى في محالّها و « الأجداث » الأبدان ، التي هي مراقدهم .

« انّ أصحاب الجنة اليوم في شغل » من أنوار التجليات ، ومشاهدات الصفات متلذذون ، هم ، ونفوسهم الموافقـة لهم في التوجه « في ظلال » من أنوار الصفات ، « على الأرائك » المقامات، والدرجات « متكئون لهم فيها فاكهة » من أنواع المدركات ، وأصناف الواردات ، والمكاشفات. « ولهم ما يتمنون من المشاهدات ، وهي « سلام » أعني ، قولاً بإفاضة الكمالات ، وتبرأتهم بها من وجوه النقص ، التي تنبعث منها دواعي التمنيات ، صادراً « من ربّ رحيم » يرحم بتلك المشتهات .

« أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَّا تَعْبُدُوا ٱلشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ . وَأَنِ ٱعْبُدُونِي هٰذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ . وَلَقَدْ

أَضَلَّ مِنْكُمْ جِبِلاًّ كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ . هَٰذِهِ جَهَنَّمُ
ٱلَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ . إِصْلَوْهَا ٱلْيَوْمَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ .
أَلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا
كَانُوا يَكْسِبُونَ . وَلَوْ نَشَاءُ لَطَمَسْنَا عَلَى أَعْيُنِهِمْ فَٱسْتَبَقُوا
ٱلصِّرَاطَ فَأَنَّى يُبْصِرُونَ . وَلَوْ نَشَاءُ لَمَسَخْنَاهُمْ عَلَى مَكَانَتِهِمْ
فَمَا ٱسْتَطَاعُوا مُضِيًّا وَلَا يَرْجِعُونَ . وَمَنْ نُعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي
ٱلْخَلْقِ أَفَلَا يَعْقِلُونَ . وَمَا عَلَّمْنَاهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ
إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُبِينٌ . لِيُنْذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ ٱلْقَوْلُ
عَلَى ٱلْكَافِرِينَ . أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا
أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ . وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا
يَأْكُلُونَ . وَلَهُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَمَشَارِبُ أَفَلَا يَشْكُرُونَ . وَٱتَّخَذُوا
مِنْ دُونِ ٱللَّهِ آلِهَةً لَعَلَّهُمْ يُنْصَرُونَ . لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ
وَهُمْ لَهُمْ جُنْدٌ مُحْضَرُونَ . فَلَا يَحْزُنْكَ قَوْلُهُمْ إِنَّا نَعْلَمُ مَا
يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ . أَوَلَمْ يَرَ ٱلْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ
فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ . وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ
يُحْيِي ٱلْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ . قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ

وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ . ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَاراً فَإِذَا أَنتُمْ مِّنْهُ تُوقِدُونَ . أَوَلَيْسَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمٰوَاتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَى وَهُوَ ٱلْخَلَّاقُ ٱلْعَلِيمُ . إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ . فَسُبْحَانَ ٱلَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ » .

والعهد: عهد الأزل، وميثاق الفطرة . وعبادة الشيطان : هو الاحتجاب بالكثرة ، لامتثال دواعي الوهم . والصراط المستقيم : طريق الوحدة . وقال الضحاك في وصف جهنم : (ان لكل كافر بئراً من النار يكون فيه لا يرى ولا يدري) وذلك صورة احتجابه ، ومعنى الختم على الأفواه ، وتكليم الأيدي ، وشهادة الأرجل ، تغيير صورهم ، وحبس ألسنتهم عن النطق، وتصوير أيديهم وأرجلهم على صور تدل بهيئاتها وأشكالها على أعمالها، وتنطق بألسنة أحوالها على ملكاتها ، من هيئات أفعالها « إنما أمره » عند تعلق إرادته بتكوين شيء ترتب ، كونه على تعلق الإرادة به دفعة معاً بلا تخلل زماني .

« فسبحان » أي ، نزه عن العجز ، والتشبه بالأجسام ، والجسمانيات في كونها ، وكون أفعالها زمانية « الذي » تحت قدرته ، وفي تصرف قبضته ، « ملكوت كل شيء » من النفوس ، والقوى المدبرة له « واليه ترجعون » بالفناء فيه والانتهاء اليه ، والله أعلم .

سُورَةُ الصَّافَّات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

« وَالصَّافَّاتِ صَفّاً . فَالزَّاجِرَاتِ زَجْرًا . فَالتَّالِيَاتِ ذِكْرًا . إِنَّ إِلَٰهَكُمْ لَوَاحِدٌ . رَبُّ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ الْمَشَارِقِ » .

« والصّافات صفـّاً » أقسم بنفوس السالكين في سبيله طريق التوحيد « الصافات » في مقامهم ومراتب تجلياتهم ، ومواقف مشاهداتهم ، « صفاً » واحداً في التوجه اليه «فالزاجرات» في دواعي الشياطين ، وفوارغ التمنيات المفسانية في الأحايين « زجراً » بالأنوار ، والاذكار ، والبراهين« فالتّاليات » نوعـاً من انواع الاذكار بحسب أحوالهم ، باللسان ، والقلب ، والسر أو الروح ، كما ذكر غير مرة على وحدانية معبودهم ، لتثبيتهم في التوجـه عن الزيغ ، والإنحراف بالإلتفات الى الغير ، « ربّ » سموات الغيوب السبعة ، التي هم سائرون فيها ، وأرض البدن « وما بينهما وربّ » مشارق تجليات الأنوار الصفاتية ، وصفه بالوحدانية الذاتية في أطوار الربوبية ، الكاشفة عن وجوه التحولات ، بتعدّد الأسماء ، ليتحفظوا عند تعدّد وتجليات الصفات ، وترتب المقامات من الاحتجاب بالكثرة .

« إنا زَيَّنَّا ٱلسَّماءَ ٱلدُّنيا بِزِينَةٍ ٱلكَواكِبِ. وَحِفظًا مِّنْ كُلِّ شَيطَانٍ مَّارِدٍ. لَّا يَسَّمَّعُونَ إِلَى ٱلْمَلَإِ ٱلْأَعلَى وَيُقذَفُونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ. دُحُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ. إلاَّ مَنْ خَطِفَ ٱلخَطْفَةَ فَأَتبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ . فَٱستَفتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلقًا أَمْ مَّنْ خَلَقْنَا إِنَّا خَلَقنَاهُمْ مِّنْ طِينٍ لَّازِبٍ . بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ . وَإِذَا ذُكِّرُوا لَا يَذكُرُونَ . وَإِذَ رَأَوْا آيَةً يَسْتَسْخِرُونَ . وَقَالُوا إِنْ هَـذَا إلاَّ سِحْرٌ مُّبِينٌ . ءَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَاباً وَعِظَاماً ءَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ . أَوَ آبَاؤُنَا ٱلأَوَّلُونَ . قُلْ نَعَمْ وَأَنْتُمْ دَاخِرُونَ . فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ يَنظُرُونَ . وَقَالُوا يَا وَيْلَنَا هَذَا يَوْمُ ٱلدِّينِ . هَذَا يَوْمُ ٱلفَصْلِ ٱلَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ . أَحْشُرُوا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ . مِنْ دُونِ ٱللهِ فَٱهْـدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ ٱلجَحِيمِ . وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَّسْؤُلُونَ . مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ . بَلْ هُمُ ٱليَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ . وَأَقبَلَ بَعضُهُمْ عَلَى بَعضٍ يَتَسَاءَلُونَ . قَالُوا إِنَّكُمْ كُنتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ ٱليَمِينِ . قَالُوا بَلْ لَّمْ تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ . وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُمْ مِّنْ سُلطَانٍ بَلْ كُنتُمْ قَوْماً طَاغِينَ . فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ

رَبِّنَا إِنَّا لَذَائِقُونَ . فَأَغْوَيْنَاكُمْ إِنَّا كُنَّا غَاوِينَ . فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ . إِنَّا كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ . إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ . وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوا آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَجْنُونٍ . بَلْ جَاءَ بِالْحَقِّ وَصَدَّقَ الْمُرْسَلِينَ . إِنَّكُمْ لَذَائِقُوا الْعَذَابِ الْأَلِيمِ . وَمَا تُجْزَوْنَ إِلا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ . إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ » .

« إنّا زيّنا السماء الدنيا » اي، العقل الذي هو أقرب السماوات الروحانية بالنسبة الى القلب « بزينة » كواكب الحجج والبراهين، كقوله : « بمصابيح ، وجعلناها رجوماً للشياطين وحفظاً » اي ، وحفظناها من كل شيطان من شياطين الأوهام والقوى التخيلية ، عند الترقي الى أفق العقل بتركيب الموهومات والمخيلات ، في المغالطات والتشكيكات ، « مارد » خارج عن طاعة الحق والعقل « لا يسمعون الى الملأ الأعلى » من الروحانيات والملكوت السماوية بتلك الحجج « من كل جانب » من جميع الجهات السماوية ، اي ، من اي وجه من وجوه المغالطة والتخييل ، يركبون القياس ويرتقون به ، يقذفون بما يبطله من الدحور والطرد ، او مدحورين مطرودين « ولهم عذاب واصب » دائم الرياضات، وأنواع الزجر في المخالفات « إلا من خطف الخطفة» في الإستراق ، فموّه كلامه بهيئة جلية ، وأوهم الحق بصورة نورية استفادها من كلمة حقة ملكية، « فأتبعه شهاب ثاقب » من برهان نير عقلي، او إشراق نور قدسي ، فأبطلها ، وطرد الجني ، بنفي الصورة الوهمية التي أوهمها « إلا عباد الله المخلصين » استثناء منقطع ، اي ، لكن عباد الله المخصوصون به

لفرط عنايتهم به ، الذين أخلصهم الله عن شوب الغيرية ، والأنانية ، والبقية ، واستخلصهم لنفسه بفناء الأنانية ، والإثنينية .

« أُولَٰئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ . فَوَاكِهُ وَهُم مُّكْرَمُونَ . فِي جَنَّاتِ ٱلنَّعِيمِ . عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ . يُطَافُ عَلَيْهِم بِكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ . بَيْضَاءَ لَذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ . لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ . وَعِندَهُمْ قَاصِرَاتُ ٱلطَّرْفِ عِينٌ . كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ . فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ . قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ . يَقُولُ أَإِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُصَدِّقِينَ . أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَدِينُونَ . قَالَ هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ . فَٱطَّلَعَ فَرَآهُ فِي سَوَاءِ ٱلْجَحِيمِ . قَالَ تَٱللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرْدِينِ . وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ . أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ . إِلَّا مَوْتَتَنَا ٱلْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ . إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ . لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ ٱلْعَامِلُونَ » .

« أولئك لهم رزق معلوم » يعلمه الله دون غيره ، وهو معلومات الله المقوّية لقلوبهم ، المغذية لأرواحهم « فواكه » ملذّة غاية التلذيذ ، إذ الفاكهة ما يتلذّذ به ، أي ، يتلذّذون في مكاشفاتهم ، بما يحضرهم من معلوماته تعالى

« وهم مكرّمون » في مقعد صدق عند مليك مقتدر ، في الجنـات الثلاث ، يلنعمون بقرب الحق في حضرته غاية الإكرام ، والتنعم « على سرر » مراتب ودرجات « متقابلين » في الصف الأول متراثين ، لا يحجب بعضهم عن بعض ، ولا يتفاضلون في المقـاعد « يطاف عليهم بكأس من » خمر العشق « معين » مكشوف لأهل العيان ، إذ دنه المعـاينة ، فكيف لا يعاين ؟ « بيضاء » نورية من عين الأحدية الكافورية ، لا شوب فيها ولا مزج ، من التعينات « لذّة للشاربين لا فيهـا غول » يغتال العقل ، لأنهم أهل صحو ، أخلصهم الله من الشوائب ، والحجاب ، فلا ينكر لهم « ولا هم عنها ينزفون » بذهاب العقول والألم ، يكونوا أهل الجنات الثلاث في مقام البقاء .

« وعنـدهم قاصرات الطرف » من أهل الجبروت والملكوت ، والنفوس المجرّدة الواقفات تحت مراتبهم في مقام تجليات الصفات ، وسرادقات الجلال ، وفي مجالي مشاهداتهم تحت قباب الجمال في روضات القدس ، وحضرة الأسماء « عين » لأن ذواتهم كلها عيون لا يمدّون طرفـاً عنهم لفرط محبتهم وعشقهم لهم ، لأنهم هم المشوقون « كأنهنّ بيض مكنون » في الأداحي ، لغاية صفائها في خدور القدس ، ونقائهـا من موادّ الرجس « يتساءلون » يتحادثون ، بأحاديث أهل الجنة والنار ، ومذاكرة أحوال السعداء والأشقياء ، مطلعين على كلا الفريقين ، ومـا هم فيه من الثواب والعقاب ، كما ذكر في وصف أهل الأعراف .

« أَذَٰلِكَ خَيْرٌ نُّزُلًا أَمْ شَجَرَةُ ٱلزَّقُّومِ . إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِّلظَّالِمِينَ . إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ ٱلْجَحِيمِ .

طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُؤُوسُ ٱلشَّيَاطِينِ . فَإِنَّهُمْ لَآكِلُونَ مِنْهَا
فَمَالِؤُنَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ . ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْباً مِّنْ حَمِيمٍ .
ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى ٱلْجَحِيمِ . إِنَّهُمْ أَلْفَوْا آبَاءَهُمْ ضَالِّينَ .
فَهُمْ عَلَى آثَارِهِمْ يُهْرَعُونَ . وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ
ٱلْأَوَّلِينَ . وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِمْ مُّنْذِرِينَ . فَٱنظُرْ كَيْفَ
كَانَ عَاقِبَةُ ٱلْمُنْذَرِينَ . إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ . وَلَقَدْ
نَادَانَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ ٱلْمُجِيبُونَ . وَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ ٱلْكَرْبِ
ٱلْعَظِيمِ . وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ ٱلْبَاقِينَ . وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي
ٱلْآخِرِينَ . سَلَامٌ عَلَى نُوحٍ فِي ٱلْعَالَمِينَ . إِنَّا كَذَٰلِكَ
نَجْزِي ٱلْمُحْسِنِينَ . إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ . ثُمَّ أَغْرَقْنَا
ٱلْآخَرِينَ .

« إنها شجرة تخرج في أصل الجحيم » وهي شجرة النفس الخبيثة المحجوبة النابتة في قعر جهنم الطبيعة ، المتشعبة أغصانها في دركاتها القبيحة الهائلة ، ثمراتهــا من الرذائل والخبائث ، كأنها من غاية القبح والتشوّه ، والخبث بالتنفر « رؤوس الشياطين » أي ، تنشأ منهــا الدواعي المهلكة ، والنوازع المردية ، الباعثة عــلى الأفعال القبيحة ، والأعمال السيئة ، فتلك أصول الشيطنــة ، ومبادىء الشرّ والمفسدة ، فكانت رؤوس الشياطين « فإنهم لآكلون منها » يستمدّون منهــا ، ويتغذون ، ويتقوّون ، فإن الأشرار

غذاؤهم من الشرور ، ولا يلتذون إلا بهـا « فمالئون منها البطون » بالهيئات الفاسقة ، والصفات المظلمة ، كالممتلىء غضباً ، وحقــداً ، وحسداً ، وقت هيجانها . « ثم ان لهم عليها لشوبا من حميم » الأهواء الطبيعية ، والمنى السيئة الرديئة ، ومحبــات الأمور السفلية ، وقصور الشرور الموبقة ، التي تكسر بعض غلة الأشرار « ثم ان مرجعهم لإلى الجحيم » لغلبــة الحرص والشره ، بالشهوة والحقد ، والبغض ، والطمع وأمثالها ، واستيلاء دواعيها مع امتناع حصول مباغيها .

« وَإِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ لَإِبْرَاهِيمَ . إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ . إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَاذَا تَعْبُدُونَ . أَئِفْكاً آلِهَةً دُونَ ٱللهِ تُرِيدُونَ . فَمَا ظَنُّكُمْ بِرَبِّ ٱلْعَالَمِينَ . فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي ٱلنُّجُومِ . فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ . فَتَوَلَّوْا عَنْهُ مُدْبِرِينَ . فَرَاغَ إِلَى آلِهَتِهِمْ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ . مَا لَكُمْ لَا تَنْطِقُونَ . فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْباً بِٱلْيَمِينِ . فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ يَزِفُّونَ . قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ . وَٱللهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ . قَالُوا ٱبْنُوا لَهُ بُنْيَاناً فَأَلْقُوهُ فِي ٱلْجَحِيمِ . فَأَرَادُوا بِهِ كَيْداً فَجَعَلْنَاهُمُ ٱلْأَسْفَلِينَ . وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيَهْدِينِ . رَبِّ هَبْ لِي مِنَ ٱلصَّالِحِينَ . فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ » .

ويمكن تطبيق قصة ابراهيم عليه الصلاة والسلام ، على حال الروح البالغ من الكمال « اذ جاء ربه » بسابقة معرفة الأزل ، والوصلة الثابتة في العهد الأول « بقلب » باق على الفطرة ، واستعداد صاف « سليم » عن النقائص والآفات ، محافظ على عهد التوحيد الفطري ، منكر على المحتجبين بالكثرة عن الوحدة ، ناظر في نجوم العلوم العقلية الاستدلالية ، والحجج والبراهين النظرية ، مدرك بالاستبصار والاستدلال سقمه من جهة الأعراض النفسانية ، والشواغل البدنية الحاجبة ، فأعرض عنه قومه البدنيون المدبرون عن مقصده ووجهته ، لإنكاره عليهم في تقيد الأكوان ، وطاعة الشيطان الى عيدهم ، واجتماعهم على اللذات والشهوات ، التي يعودون اليها كل وقت « فراغ » أي ، فأقبل مخفياً حاله عنهم على كسر آلهتهم بفأس التوحيد ، والذكر الحقيقي يضربهم « ضرباً » بيمين العقل ، فرجعوا اليه غالبين مستولين عند ضعفه ، ساعين في تخريب قالبه « فألقوه » في نار حرارة الرحم ، فجعلها الله عليه برداً وسلاماً ، أي روحاً وسلامة من الآفات ، لبقاء صفاء استعداده ، ونقاء فطرته ، وبنى عليه بنيان الجسد ، وجعل الله أعداءه من النفس الأمارة ، والقوى البدنية الملقية إياه في النار من الأسفلين لتكامل استعداده ، فتوجه الى ربه بالسلوك « وقال اني ذاهب الى ربي سيهدين » ودعا ربه بلسان الاستعداد الكامل الأصلي أن يهب له ولد القلب الصالح ، فبشره به ورزقه .

« فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي ٱلْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّابِرِينَ . فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ . وَنَادَيْنَاهُ أَن يَا إِبْرَاهِيمُ . قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّؤْيَا إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلْمُحْسِنِينَ .

إِنَّ هٰذَا لَهُوَ ٱلْبَلٰٓؤُا ٱلْمُبِينُ . وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ . وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي ٱلْآخِرِينَ . سَلَامٌ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ . كَذٰلِكَ نَجْزِي ٱلْمُحْسِنِينَ . إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ . وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحٰقَ نَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّالِحِينَ . وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰ إِسْحٰقَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ مُبِينٌ . وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهٰرُونَ . وَنَجَّيْنَاهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ . وَنَصَرْنَاهُمْ فَكَانُوا هُمُ ٱلْغَالِبِينَ . وَآتَيْنَاهُمَا ٱلْكِتَابَ ٱلْمُسْتَبِينَ . وَهَدَيْنَاهُمَا ٱلصِّرَاطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ . وَتَرَكْنَا عَلَيْهِمَا فِي ٱلْآخِرِينَ . سَلَامٌ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهٰرُونَ . إِنَّا كَذٰلِكَ نَجْزِي ٱلْمُحْسِنِينَ . إِنَّهُمَا مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ . وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ . إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَلَا تَتَّقُونَ . أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ ٱلْخَالِقِينَ . ٱللهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ آبَائِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ . فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ . إِلَّا عِبَادَ ٱللهِ ٱلْمُخْلَصِينَ . وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي ٱلْآخِرِينَ . سَلَامٌ عَلَىٰ إِلْ يَاسِينَ . إِنَّا كَذٰلِكَ نَجْزِي ٱلْمُحْسِنِينَ . إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ . وَإِنَّ لُوطًا لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ . إِذْ نَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ . إِلَّا عَجُوزًا فِي ٱلْغَابِرِينَ . ثُمَّ دَمَّرْنَا ٱلْآخَرِينَ . وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِمْ مُّصْبِحِينَ . وَبِٱللَّيْلِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ . وَإِنَّ

يُونُسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ . إِذْ أَبَقَ إِلَى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ . فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُدْحَضِينَ . فَٱلْتَقَمَهُ ٱلْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ . فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ . لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ . فَنَبَذْنَاهُ بِٱلْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ . وَأَنبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّن يَقْطِينٍ . وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ . فَآمَنُوا فَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ . فَٱسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبِّكَ ٱلْبَنَاتُ وَلَهُمُ ٱلْبَنُونَ . أَمْ خَلَقْنَا ٱلْمَلَٰئِكَةَ إِنَاثاً وَهُمْ شَاهِدُونَ . أَلَا إِنَّهُم مِّنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ . وَلَدَ ٱللهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ . أَصْطَفَى ٱلْبَنَاتِ عَلَى ٱلْبَنِينَ . مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ . أَفَلَا تَذَكَّرُونَ . أَمْ لَكُمْ سُلْطَانٌ مُّبِينٌ . فَأْتُوا بِكِتَابِكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ . وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ ٱلْجِنَّةِ نَسَباً وَلَقَدْ عَلِمَتِ ٱلْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ . سُبْحَانَ ٱللهِ عَمَّا يَصِفُونَ . إِلَّا عِبَادَ ٱللهِ ٱلْمُخْلَصِينَ . فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ . مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ بِفَاتِنِينَ . إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ ٱلْجَحِيمِ . وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ . وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلصَّافُّونَ . وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلْمُسَبِّحُونَ . وَإِن كَانُوا لَيَقُولُونَ . لَوْ أَنَّ عِندَنَا ذِكْراً مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ . لَكُنَّا عِبَادَ ٱللهِ ٱلْمُخْلَصِينَ . فَكَفَرُوا بِهِ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ . وَلَقَدْ

سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ . إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنْصُورُونَ . وَإِنَّ جُنْدَنَا لَهُمُ ٱلْغَالِبُونَ . فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّى حِينٍ . وَأَبْصِرْهُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ . أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ . فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ فَسَاءَ صَبَاحُ ٱلْمُنْذَرِينَ . وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّى حِينٍ . وَأَبْصِرْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ . سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ . وَسَلَامٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ . وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ » .

فلمّا بلغ معه السعي بالسلوك في طريق الكمالات الخلقيـــة ، والفضائل النفسانية ، أوحى اليه أن يذبحه بالفناء في التوحيد ، والتسليم لربه الحق بالتجريد من الصفات الكمالية ، فأخبره بذلك ، فانقاد وأسلم وجهه بالفناء في ذاته عن صفاته ، ففدي على يد جبريل العقل الفعّال ، بذبح النفس الشريفة السمينة العلوم ، العظيمة الأخلاق ، وكمالات الفضائل ، فذبحت بالفناء فيه ، وأنجى اسمعيل القلب بالفناء الحقاني الموهوب ، المفدى من جهـة الله ، وترك الله عليه السلام في العالمين المتخلفين عن مقامه لاهتدائهم بنوره ، واقتدائهم بإيمانه ، وهديه .

« وانّ يونس » القلب « لمن المرسلين » الى أهـــل النقصان ، المحتجبين بالأبدان ، المتبعين للشيطان ، المتظاهرين بالطغيان « اذ أبق » الى فلك البدن « المشحون » بالقوى البدنية ، وكمالاتهـــا الحسية ، الجاري في بحر الهيولى « فساهم » أي ، فاقترع معهم الحظوظ البدنية ، واختيارها بالأفكار العقلية « فكان من المدحضين » المحجوبين ، المزلقين بالحجة البرهانية اليقينية ، لأنهم

بدنيون أهـــل البحر والسفينة ، وهو القدسيّ المجرّد من سكان الحضرة الإلهية ، الأبق من سيده الى السفينة ، الملقي بيده الى التهلكة ، فألقي في البحر فالتقمه حوت الرحم ، كلقطة النطفة « وهو مليم » مستحق الملامة ، للتعلق بالملابس البدنية ، الموجبة لوقوعه في تلك البلية « فلولا أنــه كان من المسبحين » المنزهين لربه بالتقديس حالة التجريد والتوحيد ، للبث في بطنه كسائر القوى الطبيعية والنفسانية ، المنغمسة في بطون حيتان الصور النوعية الجسمانية من الطبائع الهيولانية « الى يوم يبعثون » أي ، يوم يبعث المجرّدون عن مراقد أبدانهم ، مع بقائه في مرقده ، كسائر الغافلــين ، أو يوم يبعث زفقاؤه البدنيون في القيامة الصغرى « فنبذناه في العراء » أى ، بالفضاء عن عرصة الدنيـــا ، بالوادة « وهو سقيم » ضعيف ، ممنوّ بالأعراض المادّية ، واللواحق الطبيعية « وأنبتنا عليــه شجرة من يقطين » لا تقوم على ساق ، وتنسرح على وجه الأرض تظلل عليه بأوراقها من الغواشي البدنية ، وقـــد قيل في التفاسير الظاهرة : (انه قد ضعف بدنه في بطن الحوت وصار كطفل ساعة يولد) .

« وأرسلناه » عند الكمال « الى مائة ألف أو يزيدون » . والله أعلم .

سورة ص

بسم الله الرحمن الرحيم

« ص وَٱلْقُرْآنِ ذِي ٱلذِّكْرِ . بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ . كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ فَنَادَوْا وَلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ . وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ وَقَالَ ٱلْكَافِرُونَ هٰذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ . أَجَعَلَ ٱلْآلِهَةَ إِلٰهاً وَاحِداً إِنَّ هٰـذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ . وَٱنْطَلَقَ ٱلْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ ٱمْشُوا وَٱصْبِرُوا عَلَى آلِهَتِكُمْ إِنَّ هٰذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ . مَا سَمِعْنَا بِهٰذَا فِي ٱلْمِلَّةِ ٱلْآخِرَةِ إِنْ هٰذَا إِلَّا ٱخْتِلَاقٌ . ءَأُنْزِلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْ ذِكْرِي بَلْ لَمَّا يَذُوقُوا عَذَابِ . أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ ٱلْعَزِيزِ ٱلْوَهَّابِ . أَمْ لَهُمْ مُلْكُ ٱلسَّمٰوَاتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَلْيَرْتَقُوا فِي ٱلْأَسْبَابِ . جُنْـدٌ مَا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِنَ

ٱلْأَحزَابِ . كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو ٱلْأَوْتَادِ . وَثَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَابُ ٱلْأَيْكَةِ أُولَٰئِكَ ٱلْأَحْزَابُ . إِنْ كُلٌّ إِلَّا كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابِ . وَمَا يَنْظُرُ هَٰؤُلَاءِ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً مَّا لَهَا مِنْ فَوَاقٍ . وَقَالُوا رَبَّنَا عَجِّلْ لَّنَا قِطَّنَا قَبْلَ يَوْمِ ٱلْحِسَابِ » .

« ص » أقسم بالصورة المحمّدية ، والكمال التام المذكور بالشرف والشهرة بأنـه أتمّ الكمالات ، وهو العقل القرآني الجامع لجميع الحكم والحقائق ، من الإستعداد التـام المناسب لتلك الصورة الشريفة ، كما روي عن ابن عباس : (« ص » جبل بمكة كان عليـه عرش الرحمن عاماً) دلّ عليه قوله : « في عزّة وشقاق » وحذف جواب القسم في مثل ذلك ، غير عزيز ، وهو انـه لحق يجب ان يتبع ويذعن له ، ويقبل بخضوع ، وذلة « بل الذين » حجبوا عن الحق بأنائيتهم ، وضادّوه في استكبار ، وعناد ، ولج ، وخلاف ، لظهور أنفسهم بباطلها في مقابلة الحق .

« إِصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَٱذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُودَ ذَا ٱلْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ . إِنَّا سَخَّرْنَا ٱلْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِشْرَاقِ . وَٱلطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَّهُ أَوَّابٌ . وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَآتَيْنَاهُ ٱلْحِكْمَةَ وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ » .

وقوله : « اصبر على مـا يقولون » معناه داوم استقامتك في التوحيد ، وعارض أذاهم بالصبر في التمكين ، ولا تظهر نفسك في مقابلة أذاهم بالتلوين، فإنك قائم بالله ، متحقق بالحق ، فلا تتحرك إلا به « واذكر » حال اخيك « عبدنا » المخصوص بعنايتنا القديمة « داود ذا الأيد » أي ، القوة ، والتمكين ، والإضطلاع في الدين ، كيف زلّ عن مقام استقامته في التلوين ، فـلا يكن حالك في ظهور النفس حاله .

ثم وصف قوّة حال داود عليه السلام ، وكاله ، بقوله : « انــه اوّاب » رجاع الى الحق عن صفاته ، وأفعاله بالفناء فيه « انا سخرنا » جبال الاعضاء معه « يسبحن » بالانقياد ، والتمرّن في الطاعة اوقات العبادة ، وقت عشيّ الاستتار ، واحتجاب نور شمس الروح بظهور النفس ، وإشراق التجلي ، وسلطان نور شمس الروح على النفس لا يتفاوت حاله فيالعبادة بالفترة والعزيمة في الوقتين ، لكمال تمرين نفسه وبدنـــه في الطاعة ، وطير القوى بأجمعها « محشورة » مجموعة ، متسالمة بهيئة العدالة ، والإنخراط في سلك الوحدة في تسبيحاتها المخصوصة ، بكل واحدة منها ، « كلّ له أوّاب » رجاع للتسبيحه بتسبيحه « وشددنا ملكه » قوّيناه بالتأييد ، وإيتاء العزّة والهيبة ، وأعطاه العز والقـــدرة لإئتلاف نفسه بأنوار تجليات القهر ، والعظمة ، والكبرياء ، والعزة ، واتصافه بصفاتنا الباهرة فيها به كل احد ، ويجله ، ويذعن لسلطنته ويبجله « وآتيناه الحكمـــة » لاتصافه بعلمنا « وفصل الخطاب » والفصاحة المبينة للاحكام ، أي الحكمة النظرية والعملية ، والمعرفة ، والشريعة ، وفصل الخطاب هو المفصول المبين من الكلام ، المتعلق بالاحكام .

« وَهَلْ أَتَاكَ نَبَؤُا ٱلْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا ٱلْمِحْرَابَ . إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُودَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لَا تَخَفْ خَصْمَانِ بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ فَٱحْكُمْ بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَٱهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ ٱلصِّرَاطِ . إِنَّ هَـٰذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي ٱلْخِطَابِ . قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَى نِعَاجِهِ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ إِلَّا ٱلَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ وَظَنَّ دَاوُودُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعاً وَأَنَابَ . فَغَفَرْنَا لَهُ ذَٰلِكَ وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَى وَحُسْنَ مَآبٍ . يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُمْ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ ٱللهِ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ ٱللهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ ٱلْحِسَابِ » .

ثم بيّن تلوينه وظهور نفسه في زلته وتبيّنه الحق بالعتاب على خطيئته ، وتأديبه إياه ، وتداركه بتوبته ، بقوله : « وهل أتاك نبأ الخصم إذ تسوّروا المحراب » ؟ « وظنّ » أي، تيقن « داود » أنمـــا ابتليناه بإمرأة أوريا

« فاستغفر ربه » بالتنصل عن ذنبه ، بالإفتقار ، والإلتجاء اليه في المجاهدة ، وكسر النفس ، وقمعها بالمخالفة « وخرّ » بمحو صفات النفس « راكعاً » فانياً في صفات الحق « وأناب » الى الله بالفنـاء في ذاته « فغفرنا له ذلك » التلوين بستر صفاته بنور صفاتنا « وإن له عندنا لزلفى » بالوجود الحقـاني الموهوب حال البقاء بعد الفناء « وحسن مآب » ، لاتصافه حينئذ بصفاتنا لا بأنانيته، ليلتحق بنا ويحكم بأحكامنا ، في محل الخلافة الإلهية، كما قال : « يا داود إنّا جعلنـاك خليفة في الارض فاحكم بين الناس » بالحكم « الحق » لا بنفسك ، ليكون عدلاً لا جوراً « ولا تتبع الهوى » بظهور النفس ، فتجور ضالاً عن سبيل الحق الى سبيل الشيطان .

« وَمَا خَلَقْنَـا ٱلسَّمَاءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَـا بَيْنَهُمَا بَاطِلاً ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ ٱلنَّارِ . أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّالِحَاتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِي ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ . كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُوا ٱلْأَلْبَابِ . وَوَهَبْنَا لِدَاوُودَ سُلَيْمَانَ نِعْمَ ٱلعَبْـــدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ . إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِٱلْعَشِيِّ ٱلصَّافِنَاتُ ٱلْجِيَادُ . فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ ٱلْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِٱلْحِجَابِ . رُدُّوهَا عَلَيَّ فَطَفِقَ مَسْحاً بِٱلسُّوقِ وَٱلْأَعْنَاقِ » .

« وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما » خلقاً « باطلا » لا حق فيها ، بل حقاً محتجباً بصورها ، لا وجود لها بنفسها فتكون باطلا محضاً « ذلك ظنّ » المحجوبين عن الحق بمظاهر الكون « فويل » لهم من نار الحرمان ، والإحتجاب ، والتقلب في نيران الطبيعة ، والأنانية بأشد العذاب . بل لم نجعل « الذين آمنوا » بشهود جماله في مظاهر الأكوان « وعملوا الصالحات » من الأعمال المقصودة بذاتها ، المتعلقة بصلاح العالم ، الصادرة عن اسمائه «كالمفسدين» المحجوبين الفاعلين بأنفسهم وصفاتهم الأفعال البهيمية، والسَّبُعية، والشيطانية في ارض الطبيعة «أم نجعل المتقين» المجرّدين عن صفاتهم «كالفجار» المتلبسين بالغواشي النفسانية ، والشيطانية ، في اعمالهم « ليدبّروا آياته » بالنظر العقلي ما داموا في مقام النفس، فينخلعوا عن صفاتهم في متابعة صفاته « وليتذكر » حال العهد الأول ، والتوحيد الفطري، عند التجرّد « أولوا » الحقائق المجرّدة ، الصافية عن قشر الخلقة .

ثم نكر تلوين سليمان وابتلاءه تأكيداً لتثبيته ، وتقوية له في استقامته ، وتمكينه « نعم العبد » لصلاحية استعداده للكمال النوعي الانساني، وهو مقام النبوة « إنه أوّاب » رجّاع إليّ بالتجريد « إذ عرض عليه بالعشيّ » وقت قرب غروب شمس الروح في الأفق الجسماني ، بميل القلب الى النفس ، وظهور ظلمتها بالميل الى المال واستيلاء محبة الجسمانيات واستحسانها ، كما قال الله تعالى : « زيّن للناس حبّ الشهوات » الى قوله : « والخيل المسومة والأنعام والحرث » فإن الميل الى الزخارف الدنيوية ، والمشتهيات الحسّيّة ، وهو اللذات الطبيعة ، والأجرام السفلية ، يوجب إعراض النفس عن الجهة العلوية، واحتجاب القلب عن الحضرة الإلهية « الصافنات الجياد » التي استعرضها والجذب بهواها ، وأحبها ، فقال : « إني أحببت حب الخير » اي، أحببت

منيباً حب المال « عن ذكر ربي » مشتغلاً به لحبتي إياه ، كما يجب لمثلي أن يشتغل بربه ذاكراً محباً له ، فاستبدلت محبة المال بذكر ربي ومحبته ، فذهلت عنه « حتى توارت » شمس الروح بحجب النفس « ردّوها عليّ فطفق مسحاً بالسوق والأعناق » اي ، بمسح السيف مسحاً بسوقها يعرقب بعضها ، وينحر بعضها كسراً لأصنام النفس التي تعبدها بهواها ، وقمعاً لسورتها وقواهـــا ، ورفعاً للحجاب الحائل بينه وبين الحق ، واستغفاراً وإنابة اليـه ، بالتجريد والترك .

« وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَداً ثُمَّ أَنَابَ . قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكاً لَّا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ » .

« ولقد فتنّا سليمان » ابتليناه مرة اخرى بما هو أشدّ من هـذا التلوين وهو إلقاء الجسد على كرسيه ؛ وقد اختلف في تفسيره على ثلاثة أوجه :

احدها : إنه وُلد له ابن فهمّ الشياطين بقتله مخافة ان يسخّرهم كأبيه ، فعلم بذلك ، فكان يغدوه في السحابة فما راعه إلا أن أُلقيَ على كرسيه ميتاً ، فتنبّه على خطئه في ان لم يتوكل فيه على ربه .

والثاني : إنه قال ذات يوم : (لأطوفنّ على سبعين امرأة ، كل واحـدة تأتي بفارس يجاهد في سبيل الله) ولم يقل إن شاء الله ، فطاف عليهن ولم تحمل إلا امرأة واحدة جاءت بشق رجل ، فعلى هذين الوجهين يكون ابتلاؤه بمحبة الولد ، فظهور النفس بميله اليه إمـــا بشدّة الاهتمام بحفظه ، وتربيته ، وصونه عن شياطين الأوهام ، والتخيلات في سحاب العقل العملي ، وتغذيته

بالحكمة العقلية، واعتماده في ذلك على العقل والمعقول، واستحكام أمله لكماله دون تفويض امره فيه الى الله، واتكاله في شأنه عليه، فابتلاه الله بموته، فتنبه على خطئه في شدة حبه للغير وغلبة امـــله، وأما بظهور النفس في الإقتراح والتمني، وغلبة الحسبان والظن، والإحتجاب عـــن الإستنهاب بالعادة والفعل، وبالتدبير عن التقدير والذهول عن امر الحق، بغلبة صفات النفس، فابتلاه الله بالمعلول البعيد عن المراد، الذي تصوّره في نفسه وقدّره فأناب بالرجوع الى الحق عنـــد التنبه على ظهور النفس، وتدارك التلوين بالإستغفار والإعتذار في التقصير.

والوجه الثالث: انـــه غزا صيدون مدينة في بعض جزائر البحر فقتل ملكها، وكان، عظيم الشأن، وأصاب بنتاً له اسمهـــا جرادة، من أحسن الناس وجهاً، فاصطفاها لنفسه بعد ان أسلمت، وأحبها، وقد اشتدّ حزنها على أبيها فأمر الشياطين فمثلوا لها صورة أبيها فكستها مثل كسوته، وكانت تغدوا اليها وتروح مع ولائدها يسجدن لها كعادتهن في ملكه، فأخبر آصف سليمان بذلك، فكسر الصورة وعاقب المرأة، ثم خرج وحده الى فلاة وفرش لنفسه الرماد فجلس عليه تائب الى الله متضرّعاً، وكانت له ام ولد يقال لها: امينة. إذا دخل للطهارة، او لإصابة امرأة، وضع خاتمه عندها، وكان ملكه في خاتمـــه فوضعه عندها يوماً وأتاها الشيطان صاحب البحر اسمه صخر على صورة سليمان، فقال: يا أمينة خاتمي فتختم به، وجلس على كرسي سليمان، وغير سليمان عن هيئته، فأنكرته وطردته، فعرف ان الخطيئة قد أدركته، فأخذ يدور على البيوت يتكفف، وإذا قال: أنا سليمان. حثوا عليه التراب وسبوه، ثم عمد الى السماكين يخدمهم، فمكث على ذلك أربعين صباحاً، ثم طار الشيطان وقذف الخاتم في البحر فابتلعته سمكة، ووقعت السمكة في

يد سليمان فبقر بطنها ، فإذا هو بالخاتم فتختم به ، وخرّ ساجداً ورجع اليه ملكه ، وجاب صخرة لصخر فجعله فيها ، وقذفه في البحر .

فإن صحت الحكاية في مطابقتها للواقع ، كان قد اشتدّ تلوينه وابتلى بمثل ما ابتلى به ذو النون ، وآدم ، عليهما السلام ، والحكاية من موضوعات حكماء اليهود وعظمائهم ، كسائر ما وضعت الحكماء في تمثيلاتهم من حكايات : إيسال ، وسلامان ، وأمثالها وتأويلها . والله أعلم بصحتها ، ووضعها .

ان سليمان قصد مدينة صيدون البدن جزيرة في بحر الهيولى ، وقتل ملكها النفس الامّارة العظيم الشأن ظاهر الطغيان ، بالمجاهدة في سبيل الله ، وأصاب بنتاً له اسمها جرادة ، وهي القوى المتخيلة بالطيارة كالجرادة ، تجرّد أشجار الاجسام والأشياء كلها ، بنزع صورها عن موادها ، مكتوفة بلواحقها حزينة ، وهي من أحسن الناس صورة في تزيينها ، وتصوينها نفسها ، ومـا تخيلته من مدركاتها ، وأسلمت على يده . أي انقادت للعقل ، ورجعت عن دين الوهم ، فصارت مفكرة فاصطفاها لنفسه ، وأحبها لتوقف حصول كماله عليها . وحزنها على أبيها : ميلها الى النفس بطبعها ، وتأسفها على فوات حظوظها . وأمره للشيطان بتمثيل صورة أبيها ، وكسوتها مثل كسوته : هو إشارة الى منشأ تلوينه ، وابتلائه بالميل الى النفس واغتراره بكماله ، واشتغاله بحظوظ النفس قبل أوانه ، كما قال امير المؤمنين عليه السلام : (نعوذ بالله من الضلال بعد الهدى) وطاعة الشيطان له : تسخير القوّة الوهمية له في إعـادة النفس الى الهيئة الاولى ، وأن لم تكن على قوّتها الاولى ، وحياتهـا من الهوى ، لكونه مصوناً عن الإحتجاب معنياً به في العناية . وسجود جرادة وولائدها له ، كعادتهنّ في ملكه تعبد الفكرية ، وسائر القوى البدنية ، للنفس بالإنقياد والمراعاة ، والخدمة ، وإيصال الحظوظ اليها كعادتهنّ في الجاهلية الاولى .

وأخبار آصف سليمان بذلك : تنبيه العقل للقلب على تلوينه عند قرب موته . وكسر الصورة ، وعقاب المرأة : ندامته وتوبته عن حاله ، وتنصله متضرّعاً الى الله ؛ وكسره للنفس بالرياضة ، وخروجه وحده الى الفلاة : تجرّده عن البدن عند سقوط قواه . وفرش الرماد وجلوسه فيه : تغير المزاج ، وترمد الاخلاط مع بقـاء العلاقة البدنية . وأمّ الولد المسماة أمينة : هي الطبيعة البدنية أمّ الأولاد ، القوى النفسانية ، يضع هو خاتم بدنه عندهـا ، وقت الاشتغـال بالأمور الطبيعية ، والضروريات البدنية ، كالدخول في الخلوة ، واصابة المرأة ، وأمثالها ، وهي أمينة على حفظه . وكون ملكه في خاتمه : إشارة الى توقف كماله المعنوي ، والصوري على البدن . والشيطان الذي جاءها فأخذ منها الخاتم : هو الطبيعة العنصرية الأرضية ، صاحب بحر الهيولى السفلية ، سمي صخراً لميله الى السفل ، وملازمته كالحجر للثقل . وتختمه به : لبسه به بانضمامه الى نفسه . وجلوسه على كرسي سليمان : هو إلقاء الله تعالى بدنه ميتاً على موضعه وسرير سلطنته ، كما قال تعالى: « وألقينا على كرسيه جسداً » وتغير سليمان عن هيئته : بقاء الهيئات الجسمانية ، والآثار الهيولانية ، من بقايا الصفات النفسانية عليه ، بعد المفارقة البدنية ، وتغيره عن النورانية الفطرية والهيئة الأصلية . وإتيانه أمينة لطلب الخاتم : ميله الى البدن ومحبته له ، وشوقه اليه ، وإنكارها إياه ، وطردهـا له : عبارة عن عدم قبول الطبيعة البدنية الحياة ، لبطلان المزاج . ودوره على البيوت متكففاً : ميله الى الحظوظ واللذات الجسمانية ، وانجذابه اليها بالشوق للهيئات النفسانية . وحثيهم التراب على وجهه وسبهم إياه : عبارة عن حرمانه من تلك الحظوظ واللذات ، وفقدان أسباب تلك الشهوات ، وقصده الى السماكين وخدمته لهم : إشارة الى الميل الى قرارة الأرحام المتعلق بالنطفة . ومكثه أربعين يوماً في خدمة السماكين : إشارة الى قوله عليه الصلاة والسلام ، في الحديث الرباني :

(خمرت طينة آدم بيدي أربعين صباحاً) . وطيران الشيطان: سريان الطبيعة العنصرية في التركيب . وإلقاؤه الخاتم في البحر : تلاشي التركيب البدني في البحر الهيولاني . وابتلاع السمكة إياه : جذب الرحم للمادة البدنية التي هي النطفة . ووقوع السمكة في يد سليمان : تعلقه في الرحم بها ، واستيلاؤه على الرحم بالإغتذاء منه ، والتصرّف فيـه . وبقر بطنها وأخذ الخاتم منه ، وتختمه به : فتح الرحم وإخراج البدن منه ، وتلبسه به . وخروره ساجداً ، ورجوع ملكه : حصول كماله به ، بالإنقياد لأمر الله والفناء فيه ، « وجعله » لصخر في صخرة ، وإلقاؤه إياه في البحر : إبقاء الطبيعة الارضية على حالها ، منطبعة محبوسة في باطن الجرم ، ملازمـة للثقل ، « والميل » الى السفل في بحر الهيولى عند وجود الطبيعة البدنية ، « وتركه إياه » فيه غـير قادر على استيلاء أمينة ، وأخذ الخاتم منها الى حين .

« ثم أناب » بعـد التنبّا والتي الى الله بالتجريد ، والتزكية « قال ربّ اغفرلي » ذنوب تعلقاتي ، وهيئاتي الساترة لنوري ، المظلمة المكدرة لصفائي ، بنورك « وهب لي ملكاً لا ينبغي لأحـد من بعدي » أي ، كمالاً خالصاً باستعدادي تقتضيه هويتي لا ينبغي لغيري لاختصاصه بي ، وهو الغـاية التي يمكنه بلوغها . « انك أنت الوهاب » لجميع الاستعدادات ، وكل ما سئلت من الكمالات ، كما قال تعالى : « وآتاكم من ما سألتموه » .

« فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ . وَٱلشَّيَاطِينَ كُلَّ بَنَّاءٍ وَغَوَّاصٍ . وَآخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي ٱلْأَصْفَادِ . هَٰذَا عَطَاؤُنَا فَٱمْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ . وَإِنَّ لَهُ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَآبٍ » .

« فسخرنا له » ريح الهوى « تجري بأمره رخاء » لينة طيعة منقادة ، لا تتزعزع بالإستيلاء ، والاستعصاء « حيث » قصد وأراد « والشياطين » الجنية الباطنة ، من القوى النفسانية « كلّ بنـاء » مقدّر بالهندسة ، عامل لأبنية الحكم العملية ، وقواعد القوانين العدلية « وغوّاص » في بحور العوالم القدسية والهيولانية ، مخرج لدرر المعاني الكليّة والجزئية ، والحكم العملية والنظرية « وآخرين » من القوى النفسانية ، والطبيعية « مقرّنين في » أصفاد القيود الشرعية ، وأغلال الرياضات العقليسة ، والانسية الظاهرة من العمال المسخرين في الأعمال ، والفساق ، والعصاة المقرّنين في الأغلال« هذا عطاؤنا » المحض « فامنن أو أمسك » أي ، أطلق إرادتك واختيارك في الحـــلّ ، والعقد ، والإعطاء ، والمنع عند الكمال التـــامّ ، والعطاء الصرف ، اي ، الوجود الموهوب حـال البقاء بعد الفناء ، كما شئت « بغير حساب » عليك ، فإنك قائم بنا مختار باختيارنا ، متحقق بذاتنا وصفاتنا ، وذلك معنى قوله : « وإن له عندنا لزلفى وحسن مآب » .

« وَٱذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ . ٱرْكُضْ بِرِجْلِكَ هٰذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ . وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنَّا وَذِكْرَى لِأُولِي ٱلْأَلْبَابِ » .

« واذكر عبدنا ايوب » في ابتلائنـــا إياه ، عند ظهور نفسه في التلوين بإعجابه بكثرة ماله ، او مداهنته لكافر النفس في ظهورها ، وترك تغذيته إياها بالرياضة والمجاهدة ، لكون ماشية قوّاه الطبيعية في ناحيته ، او عـدم

إغاثته لمظلوم العقل النظري ، والقوى القدسية ، عند استقامته على اختلاف الروايات في التفاسير الظاهرة في سبب ابتلائه ، ويمكن الجمع بينها . وابتلاؤه بالمرض والزمانة ، ووقوع ديدان القوى الطبيعية فيه ، واستئكاله وسقوطه على فراش البدن حتى لم يبق منه إلا القلب واللسان : اي الفطرة والاستعداد الأصليان، دون ما اكتسب من الكمالات « إذ نادى ربه » بلسان الاضطرار، والافتقار في مكمن الاستعداد « إني مسّني الشيطان بنصب وعذاب » اي ، استولى عليّ الوهم بالوسوسة ، فلقيت بسببه هذا المرض والعذاب، من الأخلاق الرديئة ، والاحتجاب .

« أركض برجلك » اي ، اضرب بقوّتك، التي تلي أرض البدن من العقل العملي ، المسمى صدر أرض بدنك ، تنبع عينان من الحكمة العمليــة ، والنظرية « هذا مغتسل » اي ، العملية المزكية للنفوس ، المطهرة من أوثاث الطبائع ، المبرئة من أمراض الرذائل « بارد » ذو روح وسلامة « وشراب » من النظرية ، اي العلم المفيد لليقين ، الدافع لمرض الجهل والزمانة عن السير ، فتغتسل وتشرب منه تبرأ بإذن الله ظاهرك وباطنك ، وتصحّ ، وتقوى .

« ووهبنا له أهله » قيل : كان له سبعة ابناء وسبع بنات ، فانهدم عليهم البيت في الابتلاء فهلكوا ، فأحياهم الله عند كشف الضرّ ، وإعـادة أموال الكمالات عليه ، وهي إشارة الى الروحانية ، والنفسانية الهالكة في التلوين، واستيلاء الطبيعة البدنية ، او البــالغة في التلوين الأعظم وخراب البدن ، واستئكال الديدان إياه ، حـــتى لم يبق منه إلا القلب ، ولسان الاستعداد الفطري ، فأحياهم عند الإنابة والرجوع الى حال الصحة ، والقوّة ، وكشف المرض والزمانة ، بالشرب ، والغسل من العينين المذكورتين « ومثلهم معهم » باكتساب الملكات الفاضلة ، والأخلاق الحميدة ، والصفات الجميلة ، حتى صارت

القوى الطبيعية النفسانية ايضاً روحانية في النشأة الثانية ، وحدرث القوى البدنية الفانية « رحمة منا » بإفاضة الكمالات التي سألها استعداده «وذكرى» وتذكيراً « لأولي » الحقائق المجرّدة عن قشور الموادّ الجسمانية ، الذين يفهمون بسمع القلب،حتى يعتبروا أحوالهم بحاله، ويتذكروا ما في فطرتهم من العلوم.

« وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثاً فَاضْرِبْ بِهِ وَلَا تَحْنَثْ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ » .

« وخذ بيدك ضغثاً » قيل : إنه حلف في مرضه ليضربن امرأته مائة إن برىء ، واختلف في سبب حلفه ، فقيل : أبطأت ذاهبة في حاجة ، وقيل : أوهمها الشيطان أن تسجد له سجدة ليردّ اموالهم الذاهبة ، وقيل : باعت ذؤابتين لها برغيفين ، وكانتا متعلق ايوب عند قيامه ، وقيل : أشارت اليه ليشرب الخمرة . كلها إشارات الى التلوين المذكور بظهور النفس بإبطائها ، وتكاسلها في الطاعات، أو طاعة شيطان الوهم وانقيادها له في تمني الحظوظ، وترك ما يتعلق به القلب في القيام عن مرقد البدن ، والتجرّد عن الهيئات المنشطة المشجعة من العلوم النافعة والأعمال الفضيلة ، واستبدال الحظوظ القليلة المقدار اليسيرة الوقع والخطر بها، او المرآة بها لاستجلاب حظ النفس، او شرب خمر الهوى ، والميل الى ما يخالف العقل ، وحلفه ، إشارة الى نذره المخالفات والرياضات المتعبة، والمجاهدات المؤلمة ،او ما ركز في استعداده في محبته ، التجريد ، والتزكية بالرياضة ، وعزيمة تأديب النفس بالأخلاق ، والآداب ، بالمخالفات المؤلمة بمقتضى العهد الاول ، وحكم ميثاق الفطرة . وأخذ الضغث والضرب به : إشارة الى الرخصة ، والطريقة السهلة السمحة ، من تعديل الاخلاق بالإقتصار على الأوساط ، والإعتدالات من الرياضات ،

والمخالفات لصفاء الإستعداد ، وشرف النفس ، ونجابة جوهرها دون الإفراط فيها ، والأخذ بالعزائم الصعبة ، كما قـال عليه الصلاة والسلام : (بعثت بالحنيفية السمحة السهلة) .

« ولا تحنث » بترك التأديب بالكلية ، ونقص العزيمـة في طلب الكمال ، وترك الوفـاء بالنذر الفطري « إنا وجدناه صابراً » في بليته ، وطلبه للكمال فرحمناه ، وليس كل طالب « صابراً نعم العبد انه » رجاع الى الله بالتجرّد ، والمحو ، والفناء .

« وَٱذْكُرْ عِبَـادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ أُولِي ٱلْأَيْدِي وَٱلْأَبْصَارِ . إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى ٱلدَّارِ . وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ ٱلْمُصْطَفَيْنَ ٱلْأَخْيَارِ . وَٱذْكُرْ إِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَذَا ٱلْكِفْلِ وَكُلٌّ مِّنَ ٱلْأَخْيَارِ . هَـٰذَا ذِكْرٌ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ . جَنَّـٰتِ عَدْنٍ مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ ٱلْأَبْوَابُ . مُتَّكِئِينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَـٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ . وَعِندَهُمْ قَاصِرَاتُ ٱلطَّرْفِ أَتْرَابٌ . هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ . إِنَّ هَـٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُ مِن نَّفَادٍ » .

« واذكر عبادنا » المخصوصين من أهل العناية ، « اولى الأيدي ، والأبصار » أي ، العمل والعلم لنسبة الاول ، إلى الأيدي ، والثاني الى البصر ، والنظر ،

وهم أرباب الكمالات العملية والنظرية « إنا أخلصناهم » صفيناهم عن شوائب صفات النفس ، وكدورة الانانية ، وجعلناهم لنا خالصين بالمحبة الحقيقية ، ليس لغيرنا فيهم نصيب ، ولا يميلون الى الغير بالمحبة العارضية ، لا الى أنفسهم ولا الى غيرهم ، بسبب خصلة خالصة غير مشوبة بهم ، آخر هي « ذكرى الدار » الباقيـــة ، والمقرّ الاصلي . أي استخلصناهم لوجهنا بسبب تذكرهم لعالم القدس ، وإعراضهم عن معدن الرجس ، مستشرفين لأنوارنا ، لا إلتفات لهم الى الدنيـا ، وظلماتها أصلاً « وإنهم عندنا » أي ، في الحضرة الواحدية « لمن » الذين اصطفيناهم ، لقربنا من بني نوعهم « الأخيار » المنزهين عـــن شوائب الشر والإمكان ، والعدم والحدثان .

« هذا ذكر » أي ، هـــذا باب مخصوص بذكر السابقين من أهل الله ، المخصوصين بالعناية « وإن المتقين » المجرّدين من صفات نفوسهم دون الواصلين الى بساط القرب والكرامة ، الناظرين اليه في جنة الروح ، بالمشاهدة «لحسن مآب » في مقام القلب من جنة الصفات، « جنات عدن » « مخلدة » « مفتحة لهم » أبوابها بالتجليات ، « يدخلونها » من طرق الفضائل الخلقية، والكمالات « متكئين فيها » على ارائك المقامات ، « يدعون فيها بفاكهة كثيرة » مـن المكاشفات اللذيذة « وشراب » المحبة الوصفية « وعندهم قاصرات الطرف » من الأزواج القدسية ، ومـــا في مراتبهم من النفوس الفلكية ، والأنسية « أتراب » متساوية في الرتب « ليوم الحساب » لوقت جزائكم مـن الصفات الإلهية ، على حساب فنائكم من الصفات البشرية « مـا له من نفاد » لكونه غير مادّي ، فلا ينقطع .

« هٰذَا وَإِنَّ لِلطَّاغِينَ لَشَرَّ مَآبٍ . جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ . هٰذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ . وَآخَرُ مِنْ شَكْلِهِ أَزْوَاجٌ . هٰذَا فَوْجٌ مُّقْتَحِمٌ مَّعَكُمْ لَا مَرْحَباً بِهِمْ إِنَّهُمْ صَالُوا ٱلنَّارِ . قَالُوا بَلْ أَنتُمْ لَا مَرْحَباً بِكُمْ أَنتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ لَنَا فَبِئْسَ ٱلْقَرَارُ . قَالُوا رَبَّنَا مَنْ قَدَّمَ لَنَا هٰذَا فَزِدْهُ عَذَاباً ضِعْفاً فِي ٱلنَّارِ . وَقَالُوا مَا لَنَا لَا نَرَى رِجَالاً كُنَّا نَعُدُّهُم مِّنَ ٱلْأَشْرَارِ . أَتَّخَذْنَاهُمْ سِخْرِيّاً أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ ٱلْأَبْصَارُ . إِنَّ ذٰلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ ٱلنَّارِ » .

« هـذا » باب ، في وصف الجنة وأهلها « وإن » للذين طغوا حدودهم بصفات النفس وظهورها ، فنازعوا الحق علوّه وكبرياءه ، باستعلائهم وتكبرهم « لشر مآب » الى جهنم الطبيعة الآثارية، ونيران الظلمات الهيولانية « يصلونها » بفقدان اللذات ، ووجدان الآلام « هذا فليذوقوه حميم » اسوى والجهل « وغساق » الهيئات الظلمانية ، والكدورات الجسمانية « و » خزي، وعذاب « آخر » من نوعه، او مذوقات أخر من مثله ، أصناف من العذاب في الهوان والحرمان .

« هذا فوج » من اتباعكم ، وأشباهكم أهـل طبائع السوء ، والرذائل المختلفة « مقتحم معكم » في مضايق المذلة ، ومداخل الهوان، قال الطاغون:

« لا مرحباً » بهم لشدّة عذابهم ، وكونهم في الضيق والضنك ، واستيحاش بعضهم من بعض لقبح المناظر ، وسوء المخابر « قالوا » أي ، الأتباع « بـل انتم لا مرحباً بكم » لتضاعف عذابكم ، ورسوخ هيأتكم « انتم قدمتموه لنا » بأضلالنا ، والتحريض على أعمالنا . وهذه المقاولات قد تكون بلسان القال، وقـــد تكون بلسان الحال ، والرجال الذين اتخذوهم سخرياً هم الفقراء الموحدون ، والصعاليك المحققون ، عدوهم من الأشرار في الدنيا ، لمخالفتهم إياهم في الإغراء عما سوى الله ، والتوجه الى خلاف مقاصدهم ، وترك عاداتهم ومطالبهم ، بـــل « زاغت عنهم » أبصارهم ، لكونهم محجوبين بالغواشي البدنية ، والأمور الطبيعية ، عـن حقائقهم المجرّدة ، وزواتهم المقدسة ، كما حجبوا بالعادات العامية ، والطرائق الجاهلية ، عـن طرائقهم ، وسيرتهم ، على ان ام منقطعة ، وإنما كان تخاصم أهل النار حقاً لكونهم في عالم التضادّ، ومحـــل العناد ، أسراء في قيود الطبائع المختلفة ، وأيدي القوى المتنازعة ، والأهواء المانعة ، والميول المتجاذبة .

« قُلْ إِنَّمَا أَنَا مُنْذِرٌ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلاَّ ٱللهُ ٱلْوَاحِدُ ٱلْقَهَّارُ . رَبُّ ٱلسَّمٰوَاتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفَّارُ . قُلْ هُوَ نَبَؤٌا عَظِيمٌ . أَنْتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ . مَا كَانَ لِيَ مِنْ عِلْمٍ بِٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَى إِذْ يَخْتَصِمُونَ . إِنْ يُوحَى إِلَيَّ إِلاَّ أَنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ . إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلٰئِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَراً مِنْ طِينٍ . فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ . فَسَجَدَ ٱلْمَلٰئِكَةُ

كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ . إِلاَّ إِبْلِيسَ إِسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَافِرِينَ . قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ ٱلْعَالِينَ . قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ » .

ما أنا إلا منذر ، لا أدعوكم الى نفسي ، ولا أقدر على هدايتكم ، لأني فان عن نفسي وعن قدري ، قائم في الإنذار بالله ، وصفاته « ومـا من إله » في الوجود « إلا الله الواحد » بذاته « القهار » الذي يقهر كل من سواه ، بإفنائه في وحدانيته « رب » الكل ، الذي يرب كل شيء في حضرة واحديتـه ، باسم من اسمائه « العزيز » الذي يغلب المحجوب بقوّته ، فيعذبه بمـا حجب به في سترات جلاله ، لاستحقاقه فيض الربوبية من حضرة القهـار المنتقم ، وسطوات العذاب المحتجب «الغفـّار» الذي يستر ظلمات النفس بأنوار تجليات جماله لمن بقي فيه نور فطرته ، فيقبل نور المغفرة لبقاء مسكة من نوريته .

« قل هو » أي، الذي أنذرتكم به ، من التوحيد الذاتي ، والصفاتي « نبأ عظيم أنتم عنه معرضون » ثم احتج على صحة نبوّته باطلاعه على اختصام الملأ الأعلى واختصام اهل النار ، بقوله في اختصام اهل النـار : إن ذلك لحق . وفي اختصام الملأ الأعلى « إذ يختصمون» لأن ذلك حقيقي لا ينتهي الى الوفاق ابداً . وهذا عارضيّ نشأ من عدم اطلاعهم على كال آدم عليه السلام ، الذي هو فوق كالاتهم ، وانتهى الى الوفاق عند قولهم : « سبحانك لا علم لنـا إلا ما علـّمتنا » .

وقوله تعالى : « ألم أقل لكم اني أعلم غيب السماوات والأرض » على مـا

ذكر في (البقرة) عند تأويل هذه القصة . وسجودهم لآدم عليه السلام : تعظيمهم له ، وانقيادهم وخضوعهم ، لانكشاف كماله الذي هو فوق كمالاتهم عليهم السلام . وإباء إبليس واستكباره: عدم انقياد شيطان الوهم وإذعانه ، لاحتجابه عن حقيقته بانطباعه في المادة ؛ ولهذا قال تعالى : « وكان من الكافرين » « لما خلقت بيدي » اي، خلقته بصفتي الجمال، والجلال، والقهر، واللطف ، وجميع أسمائي المتقابلة ، المندرجة تحت صفتي القهر والمحبة ، لتحصل عند الجمعية الإلهية في الحضرة الواحدية ، بخلاف حال الملأ الأعلى ، فإن من خلق منهم بصفة القهر لا يقدر على اللطف ، وبالعكس .

« أستكبرت » اي، أعرض لك التكبر ، والاستنكاف « أم كنت » عالياً عليه،زائداً في المرتبة، فأجاب المحجوب: بأني عال خير منه في الأصل، لعدم اطلاعه على حقيقته المجردة، واطلاعه على بشريته . ولا شك أن الروح الحيواني الناري الذي خلق منه اللعين ، أشرف من المادة الكثيفة البدنية ؛ ولكن الإحتجاب عن الجمعية الإلهية ، واللطيفة الروحانية ، بعث اللعين على الإباء حتى تمسك بالقياس ، وعصى الله في سجود الناس .

« قَالَ فَٱخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ . وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ ٱلدِّينِ . قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ . قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ . إِلَى يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ . قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ . إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ . قَالَ فَٱلْحَقُّ وَٱلْحَقَّ أَقُولُ . لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ » .

والرجيم واللعين، من بُعد عن الحضرة القدسية، المنزهة عن المواد الرجسية، بالإنغماس في الغواشي الطبيعية، والإحتجاب بالكوائن الهيولانية، ولهذا، وقت اللعن بيوم الدين، وحدّد نهايته بـه، لأن وقت البعث والجزاء، هو زمان تجرّد الروح عن البدن وموادّه، وحينئذ لا يبقى تسلطه على الانسان، وينقاد ويذعن له في الوقت المعلوم، الذي هو القيامة الكبرى، فلا يكون ملعوناً كما قال عليه السلام: (إلا أن شيطاني أسلم على يدي) والأنظار للاغواء واللعن، ينتهيان الى ذلك الوقت. لكن الذين أخلصهم الله لنفسه من أهل العنـاية عن شوب الكدورات النفسية، وحجب البشرية والأنانية، وصفّى فطرتهم عن خلط ظلمة النشأة، لا يمكنه أغواؤهم البتـة في البداية ايضاً، فكيف في النهاية؟ واللعن، وإن ارتفع بإسلامه وإنقياده هنـاك، لكن لزمه كونه جهنمياً لملازمته الطبيعة الهيولانية، والمادة الجسمانية، فلا يتجرّد أصلاً، وإن كان قد يرتقي الى سماء العقل، والأفق الروحانية بالوسوسة والالقاء، ويتصل في جنة النفس بآدم عنـد الإغواء؛ ولا يزال يطرد عن ذلك الجناب «فاخرج منها فانك رجيم» وإنما أقسم على الإغواء بعزته تعالى، لأنه مسبب عن تعزّزه بأستار الجلال، وسرادقات الكبرياء، وتمنعه عن إدراك إبليس لفنـائه بسحب الأنوار؛ وأقسم الله تعالى في مقـابلته بالحق الثابت الواجب الذي لا يتغير على إملائه جهنم منه ومن اتباعه، لوجود ذلك التعزز وملازمة هؤلاء جهنم دائماً ابداً على حـاله لا يتغير ولا يتبدل، لأن تجرّد المجرّد بالذات، وتعلق المتعلق بالطبع، أمر تقتضيه الذوات، والأعيـان، والحقائق في الأزل غير عارض، فلا يزال كذلك ابداً.

« قُلْ مَا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ . إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ . وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ » .

« قل ما أسئلكم عليه من أجر » ولا غرض لي في ذلك ؛ فإن اقوال الكامل المحقق بالحق مقصودة بالذات ، غير معللة بالغرض « وما أنا من المتكلفين » أي ، المتصنعين الذين ينتحلون الكمالات ، ويظهرون بأنفسهم وصفاتها ، ويدعون كمالات الله لأنفسهم ، بل فنيت عن نفسي وصفاتها ، فالله القائل بلساني : « ولتعلمن نبأه بعد حين » عند القيامة الصغرى ، او الكبرى ، لظهور تأويله حينئذ .

سورة الزمر

بسم الله الرحمن الرحيم

« تَنْزِيلُ ٱلْكِتَابِ مِنَ ٱللهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ . إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ ٱلْكِتَابَ بِٱلْحَقِّ فَٱعْبُدِ ٱللهَ مُخْلِصاً لَّهُ ٱلدِّينَ . أَلَا لِلهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى ٱللهِ زُلْفَى إِنَّ ٱللهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ ٱللهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ . لَّوْ أَرَادَ ٱللهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَداً لَّٱصْطَفَى مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ سُبْحَانَهُ هُوَ ٱللهُ ٱلْوَاحِدُ ٱلْقَهَّارُ » .

هـذا « تنزيل » كتاب العقل الفرقاني بظهوره عليك ، من غيب الغيوب « من الله » وحضرته الواحدية « العزيز » المحتجب بسترات الجلال ، في غيب غيبه « الحكيم » ذي الحكمة الكامنة هنـاك ، البارزة في مراتب التنزيلات

« بالحق » أي، أنزلناه بظهور الحق فيك بعد كمونه، « فاعبد الله » فخصصه بالعبادة الذاتية ، حين تجلى لك بذاته ، ولم يبق إحـداً من خلقه « مخلصاً » ممحضاً « له الدين » عن شوب الغيرية والاثنينية ؛ أي، اعبده بشهوده لذاته، ومطالعة تجليات صفاته بعينه ، وتلاوة كلامه به ، فيكون سيرك سير الله ، ودينك دين الله ، وفطرتك ذات الله .

« ألا لله الدين الخالص » عن شوب الغيرية والأنانية ، لا لك لفنائك فيه بالكلية ، فـلا ذات لك ، ولا صفة ، ولا فعل ، ولا دين ، وإلا لـما خلص الدين بالحقيقة ، فلا يكون لله « والذين » احتجبوا بالكثرة عن الوحـدة ، واتخذوا الغير ولياً بالمحبة للتقرّب، والتوسل به الى الله « إن الله يحكم بينهم » عند حشر معبوداتهم معهم فيما اختلفوا فيه من صفاتهم، وأقوالهم، وأفعالهم؛ فيقرن ُكلا منهم مع من يتولاه من عابد ومعبود ، ويدخل المبطل النـار مع المبطلين ، كما يدخل المحق الجنة مع المحقين ، ويجزي ُكلا بوصفه الغالب عليه، وما وقف معه ، واحتجب به ، مع اختلافهم في الأوصاف ، ومـــا وقفوا معـــه « إن الله لا يهدي » الى النجاة ، وعالم النور ، وتجليات الصفات ، والذوات « من هو كاذب كفار » لبعده عنه ، واحتجـابه بظلمة الرذائل ، وصفات النفس عن النور ، وامتناعه عن قبوله « سبحانه » اي ، نزهـه عن المماثلة والمجانسة ، واصطفاء الولد لكون الوحدة ، لازمة لذاتـه وقهره بوحدانيته لغيره ، فلا تماثل في الوجود فكيف في الوجوب ؟

« خَلَقَ ٱلسَّمٰوَاتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ يُكَوِّرُ ٱللَّيْلَ عَلَى ٱلنَّهَـــارِ وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱللَّيْلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى أَلَا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفَّارُ » .

خَلَقَكُمْ مِّنْ نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنزَلَ لَكُمْ مِّنَ ٱلْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقاً مِّنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ ».

« خلق السموات والأرض بالحق » بظهوره في مظاهرها ، واحتجابه بصورها ، مصرفاً للكل بقدرته ، وفعله « وسخر الشمس والقمر » بسلطانه وملكه ، فلا ذات ولا صفة ، ولا فعل لغيره ، وذلك دليل وحدانيته « الا هو العزيز » القويّ الذي يقهر الكل بسطوة قهره « الغفار » الذي يسترهم بنور ذاته وصفاته ، فلا يبقى معه غيره ، أو العزيز الممتنع باحتجابه عن خلقه بصور مخلوقاته ، « الغفار » الذي يستر لمن يشاء ذنوب وجوده وصفاته ، فيظهر عليه ويتجلى له بصفاته وذاته .

« خلقكم من نفس واحدة » هي آدم الحقيقي ، أي النفس الناطقة الكلية ، التي تتشعب عنها النفوس الجزئية « ثم جعل منها زوجها » النفس الحيوانية « وأنزل لكم » لكون صورها في اللوح المحفوظ ، ونزول كل ما وجد في عالم الشهادة من عالم الغيب « خلقاً من بعد خلق » يخلقكم في أطوار الخلقة متقلبين « في ظلمات ثلاث » من الطبيعة الجسمانية ، والنفس النباتية ، والحيوانية « ذلكم » الخالق لصوركم المكوّرة ، أي المصرف بقدرته ، المسخر بملكوته ، وسلطانه ، المنشيء للكثرة من وحدته بأسمائه وصفاته ، المنزل لما قضى وقدّر بأفعاله ، هو الذات الموصوفة بجميع صفاته ، يربكم بأسمائه ، « له

الملك » يتصرّف فيه بأفعاله « لا إله إلا هو » في الوجود « فأنى تصرفون » عن عبادته الى عبادة غيره ، مع عدمه .

« إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ ٱللهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ . وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيباً إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُوا إِلَيْهِ مِنْ قَبْلُ وَجَعَلَ لِلهِ أَنْدَاداً لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلاً إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ ٱلنَّارِ . أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ ٱللَّيْلِ سَاجِداً وَقَائِماً يَحْذَرُ ٱلْآخِرَةَ وَيَرْجُوا رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا ٱلْأَلْبَابِ » .

« إن تكفروا » وتحتجبوا بصفاتكم وذواتكم ؛ فإن الله لا يحتاج الى ذواتكم وصفاتكم في ظهوره وكماله ، لكونها فانية في نفس الأمر ، ليست شيئاً إلا به ، فضلاً عن احتياجه اليها ، وهو الظاهر بذاته لذاته ، والباطن بحقيقته ، المشاهد لكماله بعينه « ولا يرضى لعباده » الإحتجاب ، لكونه سبب هلاكهم ، ووقوعهم في أسر المالك والزبانية ، ولا يتعلق بهم الرضا ، ولا يقبلون نوره فيدخلون الجنة « وإن تشكروا » برؤية نعمه ، واستعمالها

في طاعتيه ؛ لتستعدوا لقبول فيضه ، يرضى الشكر لكم ، بتجلي الصفات لتتصفوا بها ، فتبلغوا مقام الرضا ، وتدخلوا الجنة ؛ فما تبعة الكفر إلا عليكم ، ولا ثمرة الشكر إلا لكم ، أهذا الكافر المحجوب افضل .

« أمن هو قانت » مطيع في مقام النفس ، وأوقات ظلمة صفاتها ؛ « ساجداً » بفناء الأفعال والصفات ، « قائماً » بالطاعة والانقياد عند ظهور النفس بصفاتها ، وأفعالها ؟ « يحذر » عقاب « الآخرة ويرجو » الرحمة ، إذ السالك في مقام النفس لا يخلو عن الخوف ، والرجاء .

« قل هل يستوي » اي ، لا يستويان ، وإنما ترك المضمر الى الظاهر ليبين أن المطيع في مقام النفس هو العالم ، والكافر هو الجاهل . أما الأول ، فإن العلم هو الذي رسخ في القلب ، وتأصل بعروقه في النفس ، بحيث لا يمكن صاحبه مخالفته ، بل سيط باللحم والدم ، فظهر أثره في الأعضاء ، لا ينفك شيء منها عن مقتضاه . وأما المرتسم في حيز العقل والتخيل ، بحيث يمكن ذهول النفس عنه ، وعن مقتضاه ، فليس بعلم ؛ إنما هو أمر تصوري ، وتخيّل عارضي ، لا يلبث ، بل يزول سريعاً ، لا يغذو القلب ، ولا يسمن ، ولا يغني من جوع . وأما الثاني فظاهراً ذو علم لم يحجب بالغير عن الحق ، « إنما يتذكر» ويتعظ بهذا الذكر « أولوا » العقول الصافية عن قشر التخيل والوهم ، لتحققها بالعلم الراسخ ، الذي يتأثر به الظاهر ، وأما المشوبة بالوهم فلا تتذكر ، ولا تتحقق بهذا العلم ، ولا تعيه ، بل تتلجلج فيه ، فيذهب .

« قُلْ يَا عِبَادِ ٱلَّذِينَ آمَنُوا ٱتَّقُوا رَبَّكُمْ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَـٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَأَرْضُ ٱللَّهِ وَاسِعَةٌ إِنَّمَا

يُوَفَّى ٱلصَّابِرُونَ أَجرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ . قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللهَ مُخْلِصاً لَهُ ٱلدِّينَ . وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ ٱلْمُسْلِمِينَ . قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ . قُلِ ٱللهَ أَعْبُدُ مُخْلِصاً لَهُ دِينِي . فَٱعْبُدُوا مَـا شِئْتُمْ مِّنْ دُونِهِ قُلْ إِنَّ ٱلْخَاسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيٰمَةِ أَلَا ذٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ . لَهُمْ مِّنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ ٱلنَّـارِ وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ذٰلِكَ يُخَوِّفُ ٱللهُ بِهِ عِبَادَهُ يَا عِبَادِ فَٱتَّقُونِ » .

« قل يا عباد » المخصوصين بيّ من اهل العناية « الذين آمنوا » الايمان العملي « اتقوا ربكم » بمحو صفاتكم « الذين أحسنوا » أي، اتصفوا بالصفات الإلهية ، فعبدوه على المشاهدة « في هذه الدنيـا حسنة » لا يكتنه كنهها في الآخرة ؛ وهي شهود الوجه البـاقي ، وجمـاله الكريم « وأرض الله » اي ، النفس المطمئنة المخصوصة بالله ، لإنقيادها له، وقبولها لنوره واطمئنانها اليه، ذات سعة بيقينها لا تتقيد بشيء ، ولا تلبث في ضيق من عادة ، ومألوف ، وأمر غير الحق .

« إنما يوفّى الصابرون » الذين صبروا مع الله في فناء صفاتهم، وأفعالهم، وسلوكهم فيه، وسيرهم في منازل النفس الواسعة باليقين « أجرهم » من جنات الصفات « بغير حساب » إذ الأجر الموفى بحسب الأعمال في مقـام النفس ،

مقدّر بالأعمال في جنة النفوس ، متناه لكونه من باب الآثار ، محصوراً في المواد .

وأما الذي يوفّى بحسب الأخلاق والأحوال ، فهو غير متناه ، لكونه من باب تجليات الصفات في جنة القلب وعالم القدس ، مجرداً عن المواد « مخلصاً له الدين » عن الإلتفات الى الغير ، والسير بالنفس ، « وأمرت لأن أكون » مقدم « المسلمين » الذين أسلموا وجوههم الى الله بالفناء فيه ، وسابقهم في الصف الأول ، سائراً بالله ، فانياً عن النفس وصفاتها « أخاف إن عصيت ربي » بترك الإخلاص ، والنظر الى الغير « عذاب يوم عظيم » من الإحتجاب والحرمان والبعد « قل الله » أخص بالعبادة « مخلصاً له ديني » عن شوب الأنانية ، والأثنينية .

« قل إن الخاسرين » بالحقيقة ، الكاملين في الخسران ، هم الواقفون مع الغير ، المحجوبون عن الحق « الذين خسروا أنفسهم وأهليهم » بإهلاك الأنفس ، وتضييع الأهل ، من الجواهر المقدسة التي تجانسهم ، وتناسبهم في عالمها الروحاني لاحتجابهم بالظلمات الهيولانية عنهم « ألا ذلك هو الخسران » الحقيقي ، الظاهر البيّن لهم « من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل » لانغمارهم في المواد الهيولانية ، واستقرارهم في قعر بئر الطبيعة الظلمانية ، فوقهم مراتب من الطبائع ، وتحتهم مراتب اخرى ، وهم في غمرات منها .

« وَٱلَّذِينَ ٱجْتَنَبُوا ٱلطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى ٱللهِ لَهُمُ ٱلْبُشْرَى فَبَشِّرْ عِبَادِ . ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولٰئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَاهُمُ ٱللهُ وَأُولٰئِكَ هُمْ

أُولُوا ٱلْأَلْبَابِ . أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ أَفَأَنْتَ تُنْقِذُ مَنْ فِي ٱلنَّارِ . لَـٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِّنْ فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَارُ وَعْدَ ٱللهِ لَا يُخْلِفُ ٱللهُ ٱلْمِيعَادَ . أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللهَ أَنْزَلَ مِنَ ٱلسَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ فِي ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعاً مُّخْتَلِفاً أَلْوَانُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرّاً ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَاماً إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِأُولِي ٱلْأَلْبَابِ » .

« والذين اجتنبوا » عبادة الغير « وأنابوا الى الله » بالتوحيد المحض « لهم البشرى » باللقاء « فبشر عباد » المخصوصين بعنايتي « الذين يستمعون القول » كالعزائم والرخص ، والواجب ، والمندوب في قول الحق ، والغير « فيتبعون أحسنه » كالعزائم دون الرخص ، والواجب دون المندوب ، والقول حق في الكل لا غير « أولئك الذين هداهم الله » إليه بنور الهداية الأصلية « وأولئك هم أولوا الألباب » المميزون بين الأقوال بألبابهم المجرّدة فيتلقون المعاني المحققة دون غيرها .

« أفمن حق عليه كلمة العذاب » أي ، أنت مالك أمرهم فمن سبق الحكم بشقاوته فأنت تنقذه ، أي لا يمكن انقاذه أصلاً « لكن الذين اتقوا » أفعالهم ، وصفاتهم ، وذواتهم ، في التجريد والتفريد ، من أهل التوحيد « لهم غرف من فوقها غرف » أي ، مقامات ، وأحوال بعضها فوق بعض ،

كالتوكل بفناء الأفعال ، فوقه الرضاء بفنـاء الصفات فوقه الفناء في الذات « تجري من تحتها » أنهار علوم المكاشفات .

« أنزل من السماء » الروح « ماء » العلم ، « فسلكه ينابيع » الحـكم ، في أراضي النفوس ، بحسب استعداداتها ، « ثم يخرج به » زرع الأعمـال ، والأخلاق « مختلفاً » أصنافه ، بحسب اختلاف القوى ، والأعضاء « ثم يهيج » فينقطع عن أصله بأنوار التجليـات « فتراه مصفراً » ، لاضمحلاله ، وتلاشيه بفناء أصوله القائم هو بها ، من القوى ، والنفوس ، والقلوب « ثم يجعله حطاماً » بذهابه ، وانكساره ، وانقشاعه عنـــد ظهور صفاته تعالى ، واستقرارها بالتمكين ، « إن في ذلك لذكرى لأولي » الحقائق المجرّدة من قشرة الأنانية .

« أَفَمَنْ شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِ فَوَيْلٌ لِّلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ أُولَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ . ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ . أَفَمَن يَتَّقِي بِوَجْهِهِ سُوءَ ٱلْعَذَابِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَقِيلَ لِلظَّٰلِمِينَ ذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ . كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَاهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ . فَأَذَاقَهُمُ ٱللَّهُ ٱلْخِزْيَ فِي ٱلْحَيَوٰةِ

ٱلدُّنيا ولَعَذَابُ ٱلآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ . وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هٰذَا ٱلقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ . قُرْآناً عَرَبِيّاً غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ . ضَرَبَ ٱللهُ مَثَلاً رَّجُلاً فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلاً سَلَماً لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلاً ٱلْحَمْدُ لِلهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ » .

« أفمن شرح الله صدره للإسلام » بنوره حال البقاء بعد الفناء ، ونقّى قلبه بالوجود الموهوب الحقاني ، فيسع صدره الحق والخلق من غير احتجاب بأحدهما عن الآخر ، فيشاهد التفصيل في عين الوحدة ، والتوحيد في عين الكثرة ، والإسلام هو الفناء في الله وتسليم الوجه اليه ، أي ، شرح صدره في البقاء ، لإسلامه وجهه حال الفناء « فهو على نور من ربه » يرى ربه « فويل » للذين قست « قلوبهم » من قبول « ذكر الله » لشدة ميلها الى اللذات البدنية ، وإعراضها عن الكمالات القدسية « أولئك في ضلال مبين » عن طريق الحق « متشابهاً » في الحق والصدق « مثاني » لتنزلها عليك في مقام القلب قبل الفناء وبعده ، فتكون مكرّرة باعتبار الحق والخلق ، فتارة يتلوها الحق ، وتارة يتلوها الخلق « تقشعر منه جلود » أهل الخشية من العلماء بالله ، لانفعالها بإلهيات النورانية الواردة على القلب ، النازل أثرها الى البدن « ثم تلين جلودهم وقلوبهم » وأعضاؤهم ، بالإنقياد ، والسكينة ، والطمأنينة « الى ذكر الله ذلك هدى الله » بالأنوار اليقينية « يهدي به من يشاء » من أهل عنايته .

« ومن يضلل الله » يحجبه عن النور ، فلا يفهم كلامه ، ولا يرى معناه «فما له من هاد ، أفمن يتقي بوجهه سوء العذاب» مع كونه أشرف الأعضاء، لكون سائر جوارحه مقيدة بهيآت لا يتأتى له التحرّز بها ، ولا يتهيأ ؛ مغللة بأغلال لا يتيسر له بها الحركة في الدفع ، ولا يتسنى كمن أمن العذاب «مثلا» في التوحيد والشرك « رجلا فيه شركاء متشاكسون » سيئوا الأخلاق، لا يتسالمون في شيء ، يوجهه هذا في حاجة ، ويمنعه هذا ، أو يجذبه أحدهما الى جهة ، والآخر الى ما يقابلها ، فيتمازعون ، ويتجاذبون ، وهذا صفة من تستولي عليه صفات نفسه المتجاذبة ، لاحتجابه بالكثرة المتخالفة ، فهو في عين التفرقة همه شعاع ، وقلبه أوزاع « ورجلا سلما لرجل » لا يبعثه إلا الى جهته .

وهذا مثل الموحد الذي تسالمت له مشايعة السر الى جناب الرب ، ليس له إلا همّ واحد ، ومقصد واحد، في عين الجمعية ، مجموع ناعم البال ، خافض العيش ، والحال .

« إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ . ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ . فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى ٱللَّهِ وَكَذَّبَ بِٱلصِّدْقِ إِذْ جَآءَهُ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَٰفِرِينَ . وَٱلَّذِي جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ . لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ذَٰلِكَ جَزَآؤُا ٱلْمُحْسِنِينَ . لِيُكَفِّرَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ ٱلَّذِي عَمِلُوا وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ ٱلَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ .

أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِنْ دُونِهِ وَمَنْ
يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ . وَمَنْ يَهْدِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُضِلٍّ
أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِي ٱنْتِقَامٍ . وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ ٱلسَّمٰوَاتِ
وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ ٱللَّهِ إِنْ
أَرَادَنِيَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ
هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ قُلْ حَسْبِيَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ .
قُلْ يَا قَوْمِ ٱعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ .
مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُقِيمٌ . إِنَّا أَنْزَلْنَا
عَلَيْكَ ٱلْكِتَابَ لِلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ فَمَنِ ٱهْتَدَى فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ
فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ . أَللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنْفُسَ
حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ ٱلَّتِي قَضَى عَلَيْهَا
ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَى إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى إِنَّ فِي ذٰلِكَ لَآيَاتٍ
لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ . أَمِ ٱتَّخَذُوا مِنْ دُونِ ٱللَّهِ شُفَعَاءَ قُلْ أَوَلَوْ
كَانُوا لَا يَمْلِكُونَ شَيْئاً وَلَا يَعْقِلُونَ . قُلْ لِلَّهِ ٱلشَّفَاعَةُ جَمِيعاً
لَهُ مُلْكُ ٱلسَّمٰوَاتِ وَٱلْأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ . وَإِذَا ذُكِرَ
ٱللَّهُ وَحْدَهُ ٱشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ وَإِذَا

ذُكِرَ ٱلذِينَ مِنْ دُونِـهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ . قُلِ ٱللَّهُمَّ فَـاطِرَ ٱلسَّمٰوَاتِ وَٱلْأَرْضِ عَـالِمَ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَادَةِ أَنتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ . وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعاً وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَٱفْتَدَوْا بِهِ مِنْ سُوءِ ٱلْعَـذَابِ يَوْمَ ٱلْقِيٰمَةِ وَبَدَا لَهُمْ مِّنَ ٱللهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ . وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَـا كَسَبُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَّـا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ . فَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَاهُ نِعْمَةً مِّنَّا قَالَ إِنَّمَـا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ وَلٰـكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ . قَدْ قَالَهَـا ٱلَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَّـا كَانُوا يَكْسِبُونَ . فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَٱلذِينَ ظَلَمُوا مِنْ هٰؤُلَاءِ سَيُصِيبُهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَمَـا هُمْ بِمُعْجِزِينَ . أَوَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ ٱللهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْـدِرُ إِنَّ فِي ذٰلِـكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ » .

« إنك ميت وإنهم ميتون » معناه : كل شيء هالك إلا وجهـه ، أي ، فانٍ في الله ، وهم في شهودك هالكون ، معدومون بذواتهم « ثم إنكم يوم القيامة » الكبرى « عند ربكم تختصمون » لاختلافكم في الحقيقة والطريقة ، لكونهم محجوبين بالنفس وصفاتها ، سايرين بهـا ، طالبين لشهواتها ولذاتها ،

وكونك دائماً بالحق سايراً بـه ، طالباً لوجهه ، ورضاه « ليكفّر الله عنهم أسوأ الذي عملوا » من صفات نفوسهم ، وهيآت رذائلهم « ويجزيهم أجرهم بأحسن الذي كانوا يعملون » من تجليات صفاته ، وجنـات جماله ، فيمحو ظلمات وجوداتهم ، بنور وجهه .

« أليس الله بكاف عبده » المتوكل عليه في توحيد الافعـال ، وهو منبع القوى والقـدر « ويخوفونك بالذين من دونه » لاحتجابهم بالكثرة عنه ، فينسبون التأثير والقدرة ، الى ما هو ميت بالذات ، لا حول له ولا قوّة ، فأنت أحق بأن يكفيك ربك شرّهم ، « ومن يضلل الله » يحجبه عنه « فما له من هاد » إذ لا معقب لحكه ، ولا رادّ لقضائه .

« قل لله الشفاعة جميعاً » لتوقّفها على إرضائه للمشفوع له بتهيئته لقبولها ، وإذن الشفيع بتمكينه منها ، والتهيؤ من فيضه الأقدس ، فالقبول ، والتأثير من جهته ، له الملك مطلقاً ، وإليه الرجوع دائماً .

« ما لم يكونوا يحتسبون » ممـا يشاهدون من هيآت أعمالهم ، وصور أخلاقهم ، التي ذهلوا عنها ، لاشتغالهم بالشواغل الحسية ، وأحصاه الله بإثباته في كتبهم ، بـل في الكتب الأربعة من نفوسهم ، والسماء الدنيا ، واللوح المحفوظ ، وأم الكتاب .

« قُلْ يَا عِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ ٱللهِ إِنَّ ٱللهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ . وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِنْ

قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنْصَرُونَ . وَٱتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ . أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَى عَلَى مَا فَرَّطتُ فِي جَنبِ ٱللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّاخِرِينَ . أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ ٱللَّهَ هَدَانِي لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ . أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى ٱلْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ . بَلَى قَدْ جَاءَتْكَ آيَاتِي فَكَذَّبْتَ بِهَا وَٱسْتَكْبَرْتَ وَكُنتَ مِنَ ٱلْكَافِرِينَ . وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ » .

«لا تقنطوا من رحمة الله» فإن القنوط علامة زوال الإستعداد ، والسقوط عن الفطرة بالإحتجاب ، وانقطاع الوصلة من الحق ، والبعد ، إذ لو بقيت فيه مسكة من النور الأصلي لأدرك أثر رحمتــه الواسعه السابقة على غضبه بالذات، فرجا وصول ذلك الأثر اليه، وإن أسرف في الميل الى الجهة السفلية، وفرط في جنب الحضرة الإلهية ، لاتصاله بعالم النور بتلك البقية، وإذا اليأس لا يكون إلا مع الإحتجاب الكلي ، واسوداد الوجه بالإعراض عن العــالم العلوي ، والتغشي بالغطاء الخلقي المادي .

« إن الله يغفر الذنوب جميعاً » بشرط بقاء نور التوحيد في القلب ، وهو

مستفاد من اختصاص العبـاد ، لإضافتهم الى نفسه في قوله : « يا عبادي » ولهذا قيل : يغفر جميعها للأمة المحمدية الموحدين دون سائر الأمم ، كما قـال لأمة نوح عليه السلام : « يغفر لكم من ذنوبكم » أي ، بعضها «إنه هو الغفور» لهيآت الرذائل من الإفراط والتفريط « الرحيم » بإفاضة الفضائل

« وأنيبوا الى ربكم » بالتنصل عن هيآت السوء « وأسلموا له » وجوهكم ، بالتجرّد عن ذنوب الأفعال والصفات ، من قبـــل انسداد باب المغفرة بوقوع العذاب ، الذي تستحقونه بالموت ، فلا يمكنكم الإنابة والتسليم ، لفقدان الآلات ، وانسداد الأبواب « يا حسرتي على ما فرّطت » بترك السعي في طلب الكمال ، والتقصير في الطاعة ، حين كنت في جوار الله قريباً منه ، لصفاء استعدادي ، وتمكني من السلوك فيه ، بوجود الآلات البدنية المعدّة لي.

« ويوم القيامة » الكبرى « ترى الذين كذّبوا على الله » من المحجوبين ، الذين يسوّونه بالمخلوقات ، إذ يجسّمونه ، ويجوّزون عليه ما يمتنع عليه من الصفات ، لاحتجابهم بالمواد « وجوههم مسوّدة » بارتكاب الهيآت الظلمانية ، ورسوخ الرذائل النفسانية في ذواتهم « أليس في جهنم » الطبيعة الهيولانيـة « مثوى للكافرين » الذين احتجبوا بصفات نفوسهم المستولية عليهم ؟

« وَيُنَجِّي ٱللهُ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ ٱلسُّوءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ . ٱللهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ . لَهُ مَقَـــالِيدُ ٱلسَّمٰوَاتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ ٱللهِ أُولٰئِكَ هُمُ ٱلْخَاسِرُونَ . قُلْ

أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُونِّي أَعْبُدُ أَيُّهَا ٱلْجَاهِلُونَ . وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَاسِرِينَ . بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ وَكُنْ مِّنَ ٱلشَّاكِرِينَ . وَمَا قَدَرُوا ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ » .

«ويُنجّي الله الذين اتقوا» الرذائل، بتجرّدهم عن تلك الصفات «بمفازتهم» وأسباب فلاحهم من هيآت الحسنات وصور الفضائل ، والكمالات « لا يمسهم السوء » لتجرّدهم عن الهيآت المؤلمة المنافية « ولا هم يحزنون » بفوات كمالاتهم التي اقتضتها استعداداتهم له « مقاليد السموات والارض » هو وحـده يملك خزائن غيوبها ، وأبواب خيرها وبركتها، يفتح لمن يشاء بأسمائه الحسنى ، إذ كل إسم من أسمائه مفتاح لخزانـة من خزائن جوده ، لا ينفتح بابها إلا به ، فيفيض عليه ما فيها من فيض رحمتـــه العامة والخاصة ، ونعمته الظاهرة والباطنة .

« والذين كفروا بآيات الله » أي ، حجبوا عن أنوار صفاته وأفعـــاله بظلمات طباعهم ، ونفوسهم « أولئك هم الخاسرون » الذين ، لا نصيب لهم من تلك الخزائن لإطفائهم النور الأصلي القابل لهـــا ، وتضييعهم الإستعداد الفطري ، والإسم الذي يفتح بـه مقاليدها « قل أفغير الله تأمروني أعبد » بالجهول ، فأحتجب عن فيض رحمته ونور كماله ، فأكون من الخاسرين ، بـل

تخصص العبادة بالله موحداً فانياً فيه عن رؤية الغير ، إن كنت تعبد شيئاً « وكن من الشاكرين » به له .

« وما قدّروا الله حق قدره » أي ، ما عرفوه حقّ معرفته، إذ قدّروه في أنفسهم وصوّروه ، وكل ما يتصورونه فهو مجعول مثلهم « والأرض جميعاً قبضته » أي ، تحت تصرّفه وقبضة قدرته ، وقهر ملكوته « والسموات » في طيّ قهره، ويمين قوّته ، يصرفها كيف شاء، ويفعل بها ما يشاء ، يطويها ويفنيها عن شهود الشاهد يوم القيامة الكبرى ، والفناء في التوحيد ، لفناء الكل حينئذ في شهود التوحيد ، وكل تصرّف تراه بيمينه ، وكل صفة تراها صفته ، ويرى عالم القدرة بيمينه ، بل كل شيء عينه ، فلا يرى غيره ، بل يرى وجهه ، فلا عين ولا أثر لغيره « سبحانه وتعالى عما يشركون » بإثبات الغير وتأثيره ، وقدرته .

« وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي ٱلسَّمٰوَاتِ وَمَنْ فِي ٱلْأَرْضِ إلاَّ مَنْ شَاءَ ٱللهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ . وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ ٱلْكِتَابُ وَجِيءَ بِٱلنَّبِيِّينَ وَٱلشُّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ . وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ » .

« ونفخ في الصور » عند الإمـاتة ، بسريان روح الحق ، وظهوره في الكل وشهود ذاتـه بذاته ، وفناء الكل فيه « فصعق » أي ، هلك « من في

السموات ومن في الأرض » حال الفنـاء في التوحيد ، وظهور الهوية بالنفخة الروحية « إلا من شاء الله » من أهل البقاء بعد الفناء ، الذين أحياهم الله بعد الفناء بالوجود الحقـاني ، فلا يموتون في القيامة كرّة اخرى ، لكون حياتهم به ، وفنائهم عن أنفسهم من قبل .

« ثم نفخ فيه أخرى » عند البقاء بعد الفناء ، والرجوع الى التفصيل بعد الجمع « فإذا هم قيام » بالحق « ينظرون » بعينه « وأشرقت » أرض النفس حينئذ « بنور ربها » واتصفت بالعدالة التي هي ظل شمس الوحدة ، والأرض كلها في زمن المهدي عليه السلام ، بنور العـدل والحق « ووضع الكتاب » أي ، عرض كتب الأعمال على أهلها ليقرأ كل واحد عمله في صحيفته ، التي هي نفسه المنتقشة فيها صور أعماله ، المنطبع منهـا تلك الصور في بدنه « وجيء بالنبيين والشهداء » من السابقين المطلعين على أحوالهم ، الذين قـال فيهم : « يعرفون كلا بسيماهم » أي ، أحضروا للشهادة عليهم لإطلاعهم على أعمالهم ، « وقضى بينهم بالحق » حيث وزن أعمالهم بميزان العدل، وفي جزاء أعمالهم لا ينقص منها شيء« وهو أعلم بما يفعلون »لثبوت صور أفعالهم عنده.

« وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ زُمَراً حَتَّى إِذَا جَاؤُهَـا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَـالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا بَلَى وَلَـكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ عَلَى ٱلْكَافِرِينَ . قِيلَ ٱدْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا

فَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ . وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَالِدِينَ » .

« وسيق » المحجوبون « الى جهنم » بسائق العمل ، وقائد الهوى النفسيّ والميل السفليّ « فتحت أبوابها » لشدّة شوقها اليهم ، وقبولها لهم ، لما بينهما من المناسبة « وقال لهم خزنتها » من مالك والزبانية ، أي الطبيعة الجسمانية ، والملكوت الأرضية ، الموكلة بالنفوس السفلية .

« وسيق الذين اتقوا » الرذائل والصفات ، النفوس « الى الجنة » بسائق العمل ، وقائد المحبة « وفتحت أبوابها » قبل مجيئهم ، لأن أبواب الرحمة ، وفيض الحق مفتوحة دائماً ، والتخلف من جهة القبول لا من جهة الفيض ، بخلاف أبواب جهنم فإنها مطبقة تنفتح بهم وبمجيئهم اليها ، لكون الموادّ غير مستعدة لقبول النفوس ، إلا بآثارها « وقال لهم خزنتها » من رضوان ، والأرواح القدسية ، والملكوت السماوية « سلام عليكم » أي ، تحيتهم الصفات الإلهية ، والأسماء العليّة ، بإفاضة الكمال عليهم ، وتبرئتهم من الآفة والنقص « طبتم » عن خبائث الأوصاف النفسانية ، والهيئات الهيولانية ، فادخلوا جنة الفردوس الروحانية مقدّرين الخلود ، لنزاهة ذواتكم عن التغيّرات الجسمانية .

« وَقَالُوا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَامِلِينَ .

وَتَرَى ٱلْمَلَٰئِكَةَ حَافِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِٱلْحَقِّ وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ ».

« وقالوا الحمد لله » بالإتصاف بكمالاته ، والوصول الى نعيم تجليات صفاته « الذي صدقنا وعده » بإيصالنا الى ما وعدنا في العهد الأول وأودع فينـا ، وأنبأنا عنه على ألسنة رسله « وأورثنا » جنة الصفات « نتبوّأ » منها حيث نشاء ، بحسب شرفنا ، ومقتضى حالنا « فنعم أجر العاملين » الذين عملوا بما علموا ، فأورثوا جنة القلب والنفس ، من الأنوار ، والآثار .

« وترى » ملائكة القوى الروحانية في جنة الصفات « حافّين من حول » عرش القلب « يسبّحون » بتجرّدهم عن اللواحق المـادية ، حامدين ربهم بالكمالات الروحانية « وقضى بينهم بالحق » بتسالمهم ، واتحـادهم في التوجه نحو الكمال بنور العدل ، والتوحيد ، واختصاص كل بما حكم بالحق في تسبيحه من غير تخاصم، وتنازع ؛ وقيل على لسان الأحدية : (الحمد المطلق في الحضرة الواحدية، للذات الإلهية، الموصوفة بجميع صفاتها). « رب العالمين » مربّيهم على حسب استعدادات الأشياء ، وأحوالهـا ، او ملائكة النفوس والأرواح السماوية ، حافين في جنة الفردوس من حول عرش الفلك الأعظم ، يسبّحون بحمد ربهم ، باتصاف ذواتهم المجردة بالكمالات الربانية ، وقضى بينهم بالحق ، باختصاص كل بمـا حكم به الحق من الأفعال ، والكمالات ؛ وقيل على لسان الكل : (المطلق لله رب العالمين) .

وإن حملت القيامة على الصغرى فمعناه : وأرض البدن جميعـاً قبضته ،

يتصرف فيها بقدرته ، ويقبضها عن الحركة ، ويمسكها عن الانبساط بالحياة وقت الموت ، وسماوات الأرواح وقواها مطويات بيمينه ؛ ونفخ في الصور عند النفس الآخر فصعق من في السماوات من القوى الروحانية،ومن في الأرض من القوى النفسانية الطبيعية، إلا من شاء الله من الحقيقة الروحانية، واللطيفة الانسانية ، التي لا تموت ؛ ثم نفخ فيه أخرى في النشأة الثانية بنور الحياة والاعتدال ، ووضع الكتاب ، أي ، لوح النفس المنتقش فيه صور أعماله ، فتنتشر بظهور تلك النفوس عليه ؛ وجيء بالنبيين والشهداء من الذين اطلعوا على استعدادهم وأحوالهم ، بأن يحشروا معهم ، فيجازوا على حسب اعمالهم ، وقضى بينهم بالعدل، وهم لا يظلمون. وباقي التأويلات بحالها الى آخر السورة. والله تعالى أعلم .

سورة المؤمن (غافر)

بسم الله الرحمن الرحيم

« حمٓ . تَنْزِيلُ ٱلْكِتَابِ مِنَ ٱللهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ . غَافِرِ ٱلذَّنْبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ ذِي ٱلطَّوْلِ لَا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ » .

هذه « حم » أي ، الحق المحتجب بمحمد ، فهو حقّ بالحقيقة ، محمد بالخليقة ، أحبه فظهر بصورته ، فكان ظهوره به « تنزيل الكتاب» المحمدي « من الله » أي ، ذاته الموصوفة قد تجمع صفاته « العزيز » بستور جلاله ، حال كون الكتاب قرآناً « العليم » الظاهر بعلمه ، فيكون فرقاناً ، فقوله : « حم » معناه في الحقيقة : لا إله إلا الله محمد رسول الله ، أي، الحق الباطن حقيقته، الظاهر بمحمد، هو تنزيل الكتاب الذي هو عين الجمع الجامع للكل، المكنون بعزّته في سرادقات جلاله، المتنزّل في مراتب غيوبه، ومظاهر علية في الصورة المحمدية ، التي ظهر علمه بها في مظهر العقل الفرقاني .

« غافر الذنب » بظهور نوره ، وستره لظلمات النفوس والطبائع « قابل

التوب » برجوع الحقيقة المجرّدة من غواشي النشأة اليه « شديد العقـــاب » للمحجوب الواقف مع الغير بالشرك، غير الراجع اليه بالتوحيد « ذي الطول» اي ، الفضل بإفاضة الكمال الزائـد على نور الاستعداد الأول على حسب قبوله « لا إله إلا الله » أولاً وآخراً، وظاهراً، وباطناً، معاقباً، ومتفضلاً « اليه » مصير الكل على كل الأحوال ، من الراجع التائب ، والواقف المعاقب ، إمـا الى ذاته او صفاته، او افعاله، كيف كان، لا يخرج عن إحاطته شيء فيكون خارجاً عن ذاته، موجوداً بوجود غير وجوده، او لم يكف بربك انه على كل شيء شهيد ؟

« مَا يُجَادِلُ فِي آيَاتِ ٱللهِ إِلاَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا فَلَا يَغْرُرْكَ تَقَلُّبُهُمْ فِي ٱلْبِلَادِ . كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَٱلْأَحْزَابُ مِنْ بَعْدِهِمْ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ وَجَادَلُوا بِٱلْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ ٱلْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ . وَكَذٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ أَصْحَابُ ٱلنَّارِ . أَلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْماً فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَٱتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ » .

« ما يجادل في آيات الله إلا » المحجوبون عن الحق ، لأن غير المحجوب يقبلها بنور استعداده من غير إنكار لصفاته ، وأما المحجوب فلظلمة جوهره، وخبث باطنه ، لا يناسب ذاته آياته فينكرها ، ويجادل فيها « بالباطل » ، ليدحض بجداله آياته ، فيحق له العقاب .

« الذين يحملون العرش » من النفوس النـــاطقة السماوية اللاتي أرجلهم في الأرضين السفلى بتأثيرهم فيهـــا ، وأعناقهم مرقت من السماوات العلى لتجرّدهم منهـــا ، وتدبيرهم اياها ، او الارواح التي هي معشوقاتها « ومن حوله » من الأرواح المجردة القدسية ، والنفوس الكوكبية « يسبّحون بحمـــد ربهم » ينزهونه عن اللواحق المـــادية بتجرّد ذواتهم ، حامدين له بإظهار كمالاتهم المستفادة منه تعالى،فكأنهم يقولون بلسان الحال: (يا من هذه صفاته وهباته) « ويؤمنون به » الايمان العيـــاني الحقيقي ، « ويستغفرون الذين آمنوا » بالإمدادات النورية ، والإفاضات السبوحية ، لمنـــاسبة ذواتهم ذواتهم ، في الحقيقة الإيمانية .

« ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلماً » أي، شملت رحمتك،وأحاط بالكل علمك « فاغفر » بنورك « للذين تابوا » اليك، بتجرّد عن الهيئات الظلمانية ، والظلمات الهيولانية « واتبعوا سبيلك » بالسلوك فيك ، على متــابعة حبيبك في الأعمال ، والمقامات ، والأحوال ، يتنصلون عن ذنوب افعالهم وصفاتهم ، وذواتهم « وقِهِم » بعنايتك « عذاب » جحيم الطبيعة .

« رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ ٱلَّتِي وَعَدتَّهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ

ٱلْحَكِيمُ . وَقِهِمُ ٱلسَّيِّئَاتِ وَمَنْ تَقِ ٱلسَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ . إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا يُنَادَوْنَ لَمَقْتُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ مِنْ مَقْتِكُمْ أَنفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى ٱلْإِيمَانِ فَتَكْفُرُونَ . قَالُوا رَبَّنَا أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ فَٱعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِّنْ سَبِيلٍ . ذَٰلِكُمْ بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ ٱللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ وَإِنْ يُشْرَكْ بِهِ تُؤْمِنُوا فَٱلْحُكْمُ لِلَّهِ ٱلْعَلِيِّ ٱلْكَبِيرِ » .

« ربنا وأدخلهم جنات » صفاتك ، وحظائر قدسك « التي وعدتهم ومن صلح » بالتجرّد عن الغواشي المادية ، واستعدّ لذلك بالتزكية والتحلية ، من أقاربهم المتصلين بهم للمناسبة ، والقرابة الروحانية « إنك أنت العزيز » الغالب ، القادر على التعذيب « الحكيم » الذي لا يفعل ما يفعل إلا بالحكمة ، ومن الحكمة الوفاء بالوعد .

« وقِهم السيئات » بتوفيقك ، وحسن عنايتك ، وكلاءتك « ومن تق السيئات» فقد حقّت له رحمتك « وذلك هو الفوز العظيم » لأن المحروم سعيد ، والمحجوب يمقت نفسه حين تظهر له هيئاتها المظلمة ، وصفاتها المؤلمة ، وسواد وجهه الموحش ، وقبح منظرها المنفر ، بارتفاع الشواغل الحسية التي كانت تشغله عن إدراك ذاته ، فينادي : « لمقت الله أكبر من مقتكم أنفسكم » إذ هو نور الأنوار ، وكلما كان الشيء أشدّ نورية وأكثر ضوءاً فهو

أبعد مناسبة من الجوهر المظلم الكدر ، فيكون أشد مقتاً له ، ومقته لنفسه ايضاً ناشيء من النور الأصلي الاستعدادي ، لانطباع محبـــة النور في الأصل الاستعدادي النوري ، بل النور لذاته محبوب ، والظلمة مبغوضة « إذ تدعون الى الايمان فتكفرون » أي ، كبر مقته إياكم وقت احتجابكم عنـــه ، وعدم قبولكم للدعوة الى الايمـــان التوحيدي ، أو لاحتجابكم وآبائكم عن الدعوة الإيمانية .

« قالوا ربنا أمتّنا اثنتين » أي ، أنشأتنا أمواتاً مرتين « وأحييتنا » في النشأتين ، « فاعترفنا بذنوبنا » عند وقوع العقاب المرتب عليها ، وامتناع المحيص عنـه « ذلكم » العذاب السرمد ، والمقت الأكبر ، بسبب شرككم واحتجابكم عن الحق بالغير « فالحكم لله » بمعاقبكم الأبدي لا للغير ، فلا سبيل الى النجاة لعلوّه وكبريائه ، فلا يمكن احداً ردّ حكمه وعقابه .

« هُوَ ٱلَّذِي يُرِيكُمْ آيَاتِهِ وَيُنَزِّلُ لَكُمْ مِّنَ ٱلسَّمَاءِ رِزْقاً وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلاَّ مَنْ يُنِيبُ . فَٱدْعُوا ٱللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَافِرُونَ . رَفِيعُ ٱلدَّرَجَاتِ ذُو ٱلْعَرْشِ يُلْقِي ٱلرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنْذِرَ يَوْمَ ٱلتَّلَاقِ . يَوْمَ هُمْ بَارِزُونَ لَا يَخْفَى عَلَى ٱللهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ لِلَّهِ ٱلْوَاحِدِ ٱلْقَهَّارِ . أَلْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ ٱلْيَوْمَ إِنَّ ٱللهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ . وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْآزِفَةِ إِذِ ٱلْقُلُوبُ لَدَى ٱلْحَنَاجِرِ كَاظِمِينَ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ .

يَعْلَمُ خَائِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي ٱلصُّدُورُ . وَٱللهُ يَقْضِي بِٱلْحَقِّ
وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَقْضُونَ بِشَيْءٍ إِنَّ ٱللهَ هُوَ ٱلسَّمِيعُ
ٱلْبَصِيرُ . أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي ٱلْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ
ٱلَّذِينَ كَانُوا مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَآثَارًا فِي ٱلْأَرْضِ
فَأَخَذَهُمُ ٱللهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِّنَ ٱللهِ مِنْ وَاقٍ . ذَٰلِكَ
بِأَنَّهُمْ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ بِٱلْبَيِّنَاتِ فَكَفَرُوا فَأَخَذَهُمُ ٱللهُ
إِنَّهُ قَوِيٌّ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ . وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ
مُّبِينٍ . إِلَى فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَقَارُونَ فَقَالُوا سَاحِرٌ كَذَّابٌ . فَلَمَّا
جَاءَهُمْ بِٱلْحَقِّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا ٱقْتُلُوا أَبْنَاءَ ٱلَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ
وَٱسْتَحْيُوا نِسَاءَهُمْ وَمَا كَيْدُ ٱلْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ . وَقَالَ
فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ
دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي ٱلْأَرْضِ ٱلْفَسَادَ . وَقَالَ مُوسَى إِنِّي
عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ مِّنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَّا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ .
وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا
أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ ٱللهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِٱلْبَيِّنَاتِ مِنْ رَّبِّكُمْ وَإِنْ يَكُ
كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُمْ بَعْضُ ٱلَّذِي يَعِدُكُمْ

إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ . يَا قَوْمِ لَكُمُ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي ٱلْأَرْضِ فَمَنْ يَنْصُرُنَا مِنْ بَأْسِ ٱللَّهِ إِنْ جَاءَنَا قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ . وَقَالَ ٱلَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِثْلَ يَوْمِ ٱلْأَحْزَابِ . مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعِبَادِ . وَيَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ ٱلتَّنَادِ . يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُمْ مِنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ وَمَنْ يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ . وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ بِٱلْبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِمَّا جَاءَكُمْ بِهِ حَتَّى إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَنْ يَبْعَثَ ٱللَّهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُرْتَابٌ . ٱلَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ ٱللَّهِ وَعِنْدَ ٱلَّذِينَ آمَنُوا كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ » .

« هو الذي يريكم » آيات صفاته بتجلياته « وينزّل لكم » من سماء الروح « رزقاً » حقيقياً ما أعظمه ، وهو العلم الذي يحيـــا به القلب ، ويتقوّى « وما يتذكر » احواله السابقة بذلك الرزق « إلا من ينيب » اليه بالتجرد ، وقطع النظر عن الغير ، فأنيبوا اليه لتتذكروا بتخصيص العبادة بـــه ،

وإخلاص الدين عن شوب الغيرية ، وتجريـد الفطرة عن النشأة ، ولو أنكر المحجوبون ، وكرهوا .

« رفيع الدرجات » أي ، رفيع درجات غيوبه ، ومصاعد سماواته من المقامات التي يعرج فيها السالكون اليه « ذو العرش » أي ، المقـام الأرفع ، المالك الأشياء كلها ؛ « يلقي الروح » أي ، الوحي ، والعلم اللدني ، الذي تحيا به القلوب الميتة « من » عالم « أمره على من يشاء من عباده » الخاصة به اهل العناية الأزلية « لينذر يوم » القيامة الكبرى ، الذي يتلاقى فيه العبد والرب بفنائه فيه ، او العباد في عين الجمع .

« يوم هم بارزون » عن حجاب الأنيـات ، او غواشي الأبدان « لا يخفى على الله منهم شيء » مما ستروا من اعمالهم ، واستخفوا بها من الناس ، توهماً إنه لا يطلع عليهم ، لظهورها في صحائفهم ، وبروزها من الكمون الى الظهور ، كما قال : « أحصاه الله ونسوه » وقالوا : « مال هذا الكتاب لا يغـــادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها » ، ولا يخفى عليـه منهم شيء ، لبروزهم عن حجب الاوصاف الى عين الذات « لمن الملك اليوم » ينادي بـه الحق سبحانه عند فناء الكل في عين الجمع فيجيب هو وحده « لله الواحد » الذي لا شيء سواه « القهار » الذي أفنى الكل بقهره « إن الله سريع الحساب » لوقوعـه دفعة باقتضاء سيئاتهم المكتوبة في صحائف نفوسهم تبعاتها ، وحسناتها ثمراتها .

« وأنذرهم يوم الآزفة » أي ، الواقعة القريبة ، وهي القيـــامة الصغرى « إذ القلوب لدى الحناجر » لشدّة الخوف ، « كذلك يضلّ الله من هو مسرف مرتاب » كقوله : « إن الله لا يهدي من هو مسرف كذاب » أي ، الاضلال والخذلان ، كل واحد منهما مرتب على الرذيلتين : العلمية والعملية ، فإن الكذب

والارتياب كلاهما من باب رذيلة القوة النطقية لعـدم اليقين ، والصدق ، والإسراف عن رذيلة القوتين الآخريين ، والإفراط في اعمالها .

« وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَامَانُ ٱبْنِ لِي صَرْحاً لَّعَلِّي أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَابَ . أَسْبَابَ ٱلسَّمٰوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلٰهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كَاذِباً وَكَذٰلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوءُ عَمَلِهِ وَصُدَّ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلاَّ فِي تَبَابٍ . وَقَالَ ٱلَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ ٱتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ . يَا قَوْمِ إِنَّمَا هٰذِهِ ٱلْحَيٰوةُ ٱلدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ ٱلْآخِرَةَ هِيَ دَارُ ٱلْقَرَارِ . مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَى إِلاَّ مِثْلَهَا وَمَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولٰئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ . وَيَا قَوْمِ مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلنَّجٰوةِ وَتَدْعُونَنِي إِلَى ٱلنَّارِ . تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِٱللّٰهِ وَأُشْرِكَ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلْغَفَّارِ . لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِي إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ فِي ٱلدُّنْيَا وَلَا فِي ٱلْآخِرَةِ وَأَنَّ مَرَدَّنَا إِلَى ٱللّٰهِ وَأَنَّ ٱلْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ ٱلنَّارِ . فَسَتَذْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى ٱللّٰهِ إِنَّ ٱللّٰهَ بَصِيرٌ بِٱلْعِبَادِ . فَوَقَاهُ ٱللّٰهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا وَحَاقَ بِآلِ

فِرْعَوْنَ سُوءُ ٱلْعَذَابِ . ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوّاً وَعَشِيّاً وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ . وَإِذْ يَتَحَاجُّونَ فِي ٱلنَّارِ فَيَقُولُ ٱلضُّعَفَٰٓؤُا لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعاً فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا نَصِيباً مِّنَ ٱلنَّارِ . قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُلٌّ فِيهَا إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ ٱلْعِبَادِ . وَقَالَ ٱلَّذِينَ فِي ٱلنَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ٱدْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْماً مِّنَ ٱلْعَذَابِ . قَالُوا أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُمْ بِٱلْبَيِّنَاتِ قَالُوا بَلَى قَالُوا فَٱدْعُوا وَمَا دُعَٰٓؤُا ٱلْكَافِرِينَ إِلاَّ فِي ضَلَالٍ » .

والصرح الذي أمر فرعون هامان ببنائه هو قاعدة الحكمة النظرية من القياسات الفكرية ، فإن القوم كانوا منطقيين محجوبين بعقولهم المشوبة بالوهم ، غير المنوّرة بنور الهداية ، أراد أن يبلغ طرق سماوات الغيوب ، ويطلع على الحضرة الأحدية بطريق الفكر دون السلوك في الله بالتجريد ، والمحو والفناء ولاحتجابه بأنانيته وعلمه ، قال : « وإني لأظنه كاذباً وكذلك » أي ، مثل ذلك التزيين ، والصدّ « زيّن لفرعون سوء عمله » لاحتجابه بصفات نفسه ورذائله ، « وصدّ عن السبيل » لخطئه في فكره ، أي ، فسد علمه ونظره ، لشدة ميله الى الدنيا ، ومحبته إياها بغلبة الهوى ، بخلاف حال الذي آمن حيث حذّر أولاً من الدنيا ، بقوله : « يا قوم إنما هذه الحياة الدنيا متاع وإن الآخرة هي دار القرار » لسرعة زوال الأولى وبقاء الأخرى ، دائماً « أدعوكم الى النجاة » أي ، التوحيد والتجريد الذي هو سبب نجاتكم

« وتدعونني الى الشرك » الموجب لدخول النار « وأشرك به ما ليس لي » بوجوده علم إذ لا وجود له ، « وأنا أدعوكم الى العزيز » الغالب الذي يقهر من عصاه « الغفار » الذي يستر ظلمات نفوس من أطاعه بأنواره « لا جرم » الى آخره . أي، وجب وحقّ « إن ما تدعونني اليه » لا دعوة له في الدارين لعدمه بنفسه، واستحالة وجوده فيهما « النار يعرضون عليها غدوّاً وعشياً » أي ، تصلى ارواحهم بنار الهيئات الطبيعية ، واحتجاب الأنوار القدسية ، والحرمان عن اللذات الحسّية ، والشوق اليها ، مع امتناع حصولها .

« ويوم تقوم الساعة » بحشر الأجساد ، او ظهور المهدي عليه السلام ، قيل لهم : ادخلوا « أشدّ العـــذاب » لانقلاب هيئاتهم وصوَرهم ، وتراكم الظلمـات ، وتكاثف الحجب ، وضيق الحبس ، وضنك المضجع على الأول ، وقهر المهدي عليه السلام ، إياهم وتعذيبه لهم لكفرهم به ، وبعدهم عنـــه ، ومعرفته إياهم بسيماهم على الثاني .

« إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ آمَنُوا فِي ٱلْحَيٰوةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَادُ . يَوْمَ لَا يَنْفَعُ ٱلظَّالِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ ٱلدَّارِ . وَلَقَـــدْ آتَيْنَا مُوسَى ٱلْهُدَى وَأَوْرَثْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ ٱلْكِتَابَ . هُدىً وَذِكْرَى لِأُولِي ٱلْأَلْبَابِ . فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللهِ حَقٌّ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِبْكَارِ . إِنَّ ٱلَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ ٱللهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ إِنْ

فِي صُدُورِهِمْ إِلاَّ كِبْرٌ مَّا هُمْ بِبَالِغِيهِ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ . لَخَلْقُ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ . وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَلاَ الْمُسِيءُ قَلِيلاً مَّا تَتَذَكَّرُونَ . إِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَلٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يُؤْمِنُونَ . وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ . اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِراً إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَشْكُرُونَ » .

« إنّا لننصر رسلنا والذين آمنوا » بالتأييد الملكوتي ، والنور القدسي في الدارين « فاصبر إن وعد الله حق » أي ، احبس النفس عن الظهور في مقابلة اذاهم ، واعلم انك ستغلب حال البقاء والتمكين « إنّا غالبون » واستغفر لذنب حالك بالتنصل عن افعالك « وسبّح » بالتجريد بحمد ربك موصوفاً بكماله دائماً؛ أي ما دمت في حال الفناء لا تأمن التلوين بظهور النفس وصفاتها ، وجب عليك الصبر والإستغفار والتجريد عن الأوصاف التي تظهر بها النفس ، والتحقق بالله وصفاته ، فإذا حصل لك مقام الإستقامة والتمكين حال البقاء بعد الفناء ، فذلك وقت الغلبة وظهور النفس ، والوفاء بالوعد .

« قال ربكم أدعوني استجب لكم » هذا دعاء الحال ، لأن الدعـاء باللسان مع عدم العلم بأن المدعوّ به خير له ، أم لادعاء المحجوبين ، وقال الله تعالى : « وما دعاء الكافرين إلا في ضلال» أي ، ضياع . وأما الدعاء الذي لا تتخلف عنه الإستجابة فهو دعاء الحال بأن يهيىء العبد إستعداده لقبول مـا تطلبه ، ولا تتخلف الإستجابة عن هـــذا الدعاء ، كمن طلب المغفرة فتاب الى الله وأناب بالزهد، والطاعة ، ومن طلب الوصول فاختار الفناء ، ولهذا قال الله تعالى : « إن الذين يستكبرون عن عبـادتي » أي ، لا يدعونني بالتضرّع ، والخضوع ، والإستكانة ، بل تظهر أنفسهم بصفة التكبر والعلوّ « سيدخلون جهنم داخرين » لدعائهم بلسان الحال مع القهر والإذلال ، إذ صفة الإستكبار ومنازعة الله في كبريائه تستدعي ذلك .

« ذٰلِكُمُ ٱللهُ رَبُّكُمْ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ لَّا إِلٰهَ إِلاَّ هُوَ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ . كَذٰلِكَ يُؤْفَكُ ٱلَّذِينَ كَانُوا بِآيَاتِ ٱللهِ يَجْحَدُونَ . أللهُ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ قَرَاراً وَٱلسَّمَاءَ بِنَاءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُمْ مِّنَ ٱلطَّيِّبَاتِ ذٰلِكُمُ ٱللهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ ٱللهُ رَبُّ ٱلْعَالَمِينَ . هُوَ ٱلْحَيُّ لَا إِلٰهَ إِلاَّ هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ٱلْحَمْدُ لِلّٰهِ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ . قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ ٱللهِ لَمَّا جَاءَنِيَ ٱلْبَيِّنَاتُ مِنْ رَّبِّي وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَالَمِينَ . هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُمْ مِّنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُم لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ

ثُمَّ لِتَكُونُوا شُيُوخاً وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى مِنْ قَبْلُ وَلِتَبْلُغُوا أَجلاً مُسَمّىً وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ . هُوَ ٱلَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ فَإِذَا قَضَى أَمْراً فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ . أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ ٱللهِ أَنَّى يُصْرَفُونَ . ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا بِٱلْكِتَابِ وَبِمَا أَرْسَلْنَا بِهِ رُسُلَنَا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ . إِذِ ٱلْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَٱلسَّلَاسِلُ يُسْحَبُونَ . فِي ٱلْحَمِيمِ ثُمَّ فِي ٱلنَّارِ يُسْجَرُونَ . ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تُشْرِكُونَ . مِنْ دُونِ ٱللهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا بَلْ لَمْ نَكُنْ نَدْعُوا مِنْ قَبْلُ شَيْئاً كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللهُ ٱلْكَافِرِينَ . ذَٰلِكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَفْرَحُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَمْرَحُونَ . ٱدْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ . فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللهِ حَقٌّ فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ . وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلاً مِنْ قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللهِ فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ ٱللهِ قُضِيَ بِٱلْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْمُبْطِلُونَ . ٱللهُ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَنْعَامَ لِتَرْكَبُوا مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ . وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ

وَلِتَبْلُغُوا عَلَيْهَا حَاجَةً فِي صُدُورِكُمْ وَعَلَيْهَا وَعَلَى ٱلْفُلْكِ تُحْمَلُونَ. وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَأَيَّ آيَاتِ ٱللَّهِ تُنْكِرُونَ. أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي ٱلْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَآثَاراً فِي ٱلْأَرْضِ فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ».

« ذلكم الله ربكم » أي،ذلكم المتجلي بأفعاله وصفاته، الله الموصوف بجميع الصفات ، ربكم بأسمائه المختصة بكل واحدة من احوالكم « خالق كل شيء » بالإحتجاب بـــه « لا إله إلا هو » في الوجود ، يخلق شيئاً ، ويظهر بصفة « فأنى تؤفكون » عن طاعته ، الى اثبات الغير ، وطاعته .

مثل ذلك الضرب الذي ضربتم به لاحتجابكم بالكثرة «يؤفك» الجاحدون « بآيات الله » حين لم يعرفوها ، إذ يسترها الى الغير « الذين كذبوا بالكتاب » لبعد مناسبتهم له،واحتجابهم بظلماتهم عن النور «فسوف يعلمون وبال أمرهم» إذ أغلال قيود الطبائع المختلفة «في أعناقهم» وسلاسل الحوادث الغير المتناهية ممنوعين بها عن الحركة الى مقاصدهم « يسحبون » في حميم الجهل والهوى ، ثم « يسجرون » في نار الأشواق الى المشتهيات واللذات الحسّية ، مع فقدهـــا ووجدان آلام الهيئات المؤذية بدلها ، فاقدين لما احتجبوا بها ، ووقفوا معها، من صور الكثرة التي عبدوهـــا ، قائلين : « لم نكن ندعوا من قبل شيئاً » لاطلاعهم على أن ما عبدوه وضيعوا أعمارهم في عبادته ليس بشيء ، فضلاً عن اغنائه عنهم شيئاً « ذلكم العذاب » بسبب فرحكم بالباطل ، الزائل ، الفـاني في الجهة السفلية بالنفس ، ونشاطكم بـــه لمناسبة نفوسكم الكدرة الظلمانية ،

البعيدة عن الحق له « أدخلوا أبواب جهنم خالدين فيهـا » لرسوخ رذائلكم ، واستحكام حجابكم « فبئس مثوى المتكبرين » الظاهرين ، برذيلة الكبر .

« فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِّنَ الْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِمْ مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ . فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّـا بِاللَّهِ وَحْدَهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّـا بِهِ مُشْرِكِينَ . فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا سُنَّتَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ » .

«فلما جاءتهم رسلهم بالبيِّنات فرحوا بما عندهم من العلم» أي ، المحجوبون بالعقول المشوبة بالوهم ، وبمعقولهم الخالي عن نور الهداية والوحي ، اذا جاءتهم الرسل بالعلوم الحقيقية التوحيدية ، والمعـارف الحقانية الكشفية ، فرحوا بعلومهم ، وحجبوا بهـا عن قبول هدايتهم ، واستهزأوا برسلهم لاستصغارهم بمـا جاؤا به في جنب علومهم ، فحاق بهم جزاء استهزاءهم ، وهلكوا عن آخرهم ، والله أعلم .

سورة حم السجدة
"او فصلت"

بسم الله الرحمن الرحيم

« حم . تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ . كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآناً عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ . بَشِيراً وَنَذِيراً فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ . وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَاعْمَلْ إِنَّنَا عَامِلُونَ » .

« حم » ظهور الحق بالصورة المحمدية « تنزيل » كتاب الكل ، الجامع لجميع الحقائق من الذات الأحدية الموصوفة بالرحمة الرحمانية العامة للكل ، بإفاضة الوجود والكمال عليه ، والرحيمة الخاصة بالأولياء المحمديين ، المستعدّين لقبول الكمال الخاص العرفاني ، والتوحيد الذاتي ، وهو كتاب العقل الفرقاني الذي « فُصّلت آياته » بالتنزيل ، بعد ما أجملت قبل في عين الجمع حال كونه «قرآناً» أي ، فُصّلت بحسب ظهور الصفات ، وحدوث الإستعدادات في حال كونه جامعاً للكل « عربياً » لوجود نشأته في العرب «لقوم يعلمون»

حقائق آياتـه ، لقرب استعداداتهم منه ، وصفاء فطرهم « بشيراً » للقابلين المستعدين للكمال ، المستبصرين بنوره باللقـــاء « نذيراً » للمحجوبين بظلمات نفوسهم من العقاب « فأعرض أكثرهم » لاحتجابهم بالأغيار وبقائهم في ظلمات الإستتار « فهم لا يسمعون » كلام الحق لوقر سمع القلب ، كما قالوا : « قلوبنا في أكنّة مما تدعونا اليه وفي آذاننا وقر » لأن غشاوات الطبيعة ، وحجب صفات النفوس أعمت أبصار قلوبهم ، وأصمّت آذانها ، وجعلتها في أغطية وأكنّة ، وحجبت بينهم وبينه .

« قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ . الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُم بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ . إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ » .

« قل إنما أنا بشر مثلكم » أي ، إني من جنسكم ، وأناسبكم في البشرية ، والمماثلة النوعية ، لتوجيه الإنس والخلطة ، وأباينكم بالوحي المنبّه على التوحيد المبيّن لطريق السلوك ، فاتصلوا بي بالمناسبة النوعية ، ومجانسة البشرية ، لتهتدوا بنور التوحيد والوحي المفيد لبيان الدين ، وتسلكوا سبيل الحق الذي عرّفنيه بقوله : « إنما إلهكم إله واحد » لا شريك له في الوجود «فاستقيموا» بالثبات على الإيمان والسكينة ، والإيقـــان في التوجّه « اليه » من غير انحراف الى الباطل ، والطرق المتفرّقة ، ولا زيغ بالإلتفات الى الغير ، والميل الى النفس « واستغفروه » بالتنصّل عن الهيآت المادية ، والتجرّد عن الصفات البشرية ليستر بنور صفاته ذنوب صفاتكم « وويل » للمحتجبين بالغير ، الذين لا

يزكّون أنفسهم بمحو صفاتها ليرتفع حجاب الغيرية ، فتتحقق بالوحدة « وهم بالآخرة هم كافرون » لستزهم النور الفطري ، المقتضي الشوق الى عالم القدس ، ومعدن الحياة الأبدية ، بظلمات الحس ، وهيآت الطبيعة البدنية .

« قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِٱلَّذِي خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَاداً ذَٰلِكَ رَبُّ ٱلْعَالَمِينَ . وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلسَّائِلِينَ . ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ إِلَى ٱلسَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ » .

« قل أنكم لتكفرون بالذي خلق الأرض في يومين » أي ، في حادثين كما ذكر أن اليوم معبّر به عن الحادث لنسبته اليه في قولهم الحوادث اليومية لتشابهها في الظهور والخفاء ، وهما الصورة والمادة « وبارك فيها » أي ، أكثر خيرها « وقدّر فيها » معايشها وأرزاقها « في أربعة أيام » هي الكيفيات الأربع والعناصر الأربعة ، التي خلق منها المركبات بالتركيب والتعديل « سواء » مستوية بالإمتزاج والإعتدال للطالبين للأقوات والمعايش ، أي ، قدّرها لهم .

« ثم استوى الى السماء » أي ، قصد الى إيجادها ، وثم للتفاوت بين الخلقين في الإحكام وعدمه واختلافها في الجهة ، والجوهر ، لا للتراخي في الزمان ،

إذ لا زمان هناك « وهي دخـان » أي ، جوهر لطيف بخلاف الجواهر الكثيفة الثقيلة الأرضية « فقال لهـا وللأرض ائتيا طوعاً أو كرهاً » أي ، تعلّق أمره وإرادته بإيجادهما فوجدتا في الحـال معاً كالمأمور المطيع ، اذا ورد عليه أمر الآمر المطاع ، لم يلبث في امتثاله ، وهو من باب التمثيل؛ إذ لا قول ثمة .

« فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمٰوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَاءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظاً ذٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ . فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ . إِذْ جَاءَتْهُمُ ٱلرُّسُلُ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ ٱللهَ قَالُوا لَوْ شَاءَ رَبُّنَا لَأَنْزَلَ مَلٰئِكَةً فَإِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ . فَأَمَّا عَادٌ فَٱسْتَكْبَرُوا فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ ٱللهَ ٱلَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ . فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحاً صَرْصَراً فِي أَيَّامٍ نَحِسَاتٍ لِنُذِيقَهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْيِ فِي ٱلْحَيٰوةِ ٱلدُّنْيَا وَلَعَذَابُ ٱلْآخِرَةِ أَخْزَى وَهُمْ لَا يُنْصَرُونَ . وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَٱسْتَحَبُّوا ٱلْعَمَى عَلَى

ٱلْهُدَىٰ فَأَخَذَتْهُمْ صَاعِقَةُ ٱلْعَذَابِ ٱلْهُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ. وَنَجَّيْنَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ .

«فقضاهن سبع سموات في يومين» أي المادة والصورة كالأرض « وأوحى في كل سماء أمرها » أي أشار اليها بما أراد من حركتها ، وتأثيرات ملكوتها وتدبيراتها ، وخواص كوكبها ، وكل مـا يتعلق بها « وزينا السماء الدنيا » أي السطح الذي يلينا من فلك القمر « بمصابيح » الشهب وحفظناها «حفظاً» من ان تنخرق بصعود البخارات اليهـا ، ووصول القوى الطبيعية الشيطانية الى ملائكتها « ذلـك تقدير العزيز » الغالب على أمره كيف يشاء « العليم » الذي اتقن صنعه بعلمه ، او انكم لتكفرون وتحتجبون بالغواشي البدنية عن الذي خلق أرض البدن ، وجعلها حجاب وجهه في يومين ، أي شهرين ، او حادثين . مادة ، وصورة . وتجعلون له انداداً بوقوفكم مع الغير ، ونسبتكم التأثير الى ما لا وجود له ، ولا أثر ، ذلـــك الخالق هو الذي يرب العالمين بأسمائه .

وجعل فيها رواسي الأعضاء من فوقها ، او رواسي الطبائع الموجبة للميل السفلي من القوى العنصرية ، والصور المادية التي تقتضي ثباتها على حالها ، وبارك فيها بتهيئة الآلات والأسباب والمزاجات ، والقوى التي تتم بها لمقته وأفعاله ، وقـدّر فيها أقواتها بتدبير الغازية وأعوانها ، وتقدير مجاري الغذاء ، وأمور التغذية وأسبابها وموادها ، في تتمة أربعة أشهر . أي جميع ذلـك في أربعة أشهر سواء متساوية ، او في مواد العناصر الأربعة .

ثم استوى ، أي بعد ذلك قصد قصداً مستوياً من غير ان يلوي الى شيء آخر الى سماء الروح وتسويتها ، وهي دخان . أي مادة لطيفة من بخاريـة

الأخلاط ولطافتها ، مرتفعة من القلب ، وقد جاء في الحديث : (ان خلق احدكم يجمع في بطن امه أربعين يوماً نطفة ، ثم يكون علقة مثل ذلـك ، ثم يكون مضغة مثل ذلـــك ، ثم يبعث الله اليه ملكاً بأربع كلمات فيكتب عمله ، وأجله ، ورزقه ، وشقي أم سعيد ، ثم ينفخ فيـه الروح) ويعضده حديث آخر: في أن نفخ الروح في الجنين يكون بعد أربعة أشهر من وقت الحمل ، فقال لهـــا : « والارض البدن ائتيا » أي تعلقت إرادته بتكوينهما وصيرورتهما شيئاً واحداً وخلقاً جديداً ، فتكوّنا على ما أراد من الصورة ، وهذا معنى خلق الارض قبل السماء غير مدحوّة ، ودحوها بعده. فإن المادة البدنية وأن تخلقت بدنا قبل اتصال الروح وانتفاخه فيها ، لكن الاعضاء لم تنبسط ، ولم ينفتق بعضها من بعض إلا بعده .

فقضاهن سبع سموات ، أي الغيوب السبعة المذكورة مـــن القوى ، والنفس ، والقلب ، والسر ، والروح ، والخفاء ، والحق الذي أدرج هويته في هوية الشخص الموجود ، وتنزل بإيجاده في هذه المراتب واحتجب بهـا ، وإن جعلت السبعة من المخلوقات حتى تخرج الهوية من جملتها، فإحداها وهي الرابعة بين القلب ، والسر العقل ، وهي السماء الدنيا باعتبار دنوّها من القلب الذي به الإنسان انساناً في يومين ، في شهرين آخرين ، فيتمّ مدة الحمل ستة أشهر ، او مدة خلق الإنسان . ولهذا اذا ولد بعد تمام الستة على رأس الشهر السابع عاش مستوى الخلق ، او في طورين مجرّدة وغير مجرّدة ، او حادثين روح ، وجسد ، والله أعلم .

وأوحى في كل سماء من الطبقات المذكورة أمرها وشأنها المخصوص بها ، من الأعمـــال ، والإدراكات ، والمكاشفات ، والمشاهدات ، والمواصلات ، والمناغيات ، والتجليات ، « وزينا السماء الدنيا » أي العقل ، بمصابيح الحجج

والبراهين ، وحفظناها من استراق شياطين الوهم والخيال ، كلام الملأ الأعلى من الروحانيات بالترقي الى الأفق العقلي ، واستفادة الصور القياسية لترويج أكاذيبها ، وتخيلاتها بها .

« وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ ٱللَّهِ إِلَى ٱلنَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ . حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَٰرُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ . وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا قَالُوٓا أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِيٓ أَنطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ . وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ . وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِي ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَىٰكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ . فَإِن يَصْبِرُوا فَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ وَإِن يَسْتَعْتِبُوا فَمَا هُم مِّنَ ٱلْمُعْتَبِينَ . وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَآءَ فَزَيَّنُوا لَهُم مَّا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ فِيٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَٰسِرِينَ . وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ . فَلَنُذِيقَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا

عَذَاباً شَدِيداً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَسوَأَ ٱلَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ. ذٰلِكَ جَزَاءُ أَعْدَاءِ ٱللهِ ٱلنَّارُ لَهُمْ فِيهَا دَارُ ٱلْخُلْدِ جَزَاءً بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ. وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا رَبَّنَا أَرِنَا ٱللَّذَيْنِ أَضَلاَّنَا مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنْسِ نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ ٱلْأَسْفَلِينَ ».

« حتى إذا ما جاؤها شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم » أي غيرت صور أعضائهم ، وصورت أشكالها على هيئة الاعمال التي ارتكبوها ، وبدلت جلودهم وأبشارهم ، فتنطق بلسان الحال ، وتدل بالاشكال على مـــا كانوا يعملون ، ولنطقها بهـذا اللسان قالت : « أنطقنا الله الذي أنطق كل شيء » إذ لا يخلو شيء ما من النطق ، « ولكن الغافلين لا يفهمون ».

« وقيّضنا لهم قرناء » أي قدّرنا لهم أخداناً وأقراناً من شياطين الانس او الجن ، من الوهم والتخيّل ، لتباعدهم من الملأ الأعلى ، ومخالفتهم بالذات للنفوس القدسية ، والأنوار الملكوتية ، بانغماسهم في المـــواد الهيولانية ، واحتجابهم بالصفات النفسانية ، وانجذابهم الى الأهواء البدنيــة ، والشهوات الطبيعة ، فنـــاسبوا النفوس الأرضية الخبيثة ، والكدرة المظلمة ، وخالفوا الجواهر القدسية ، والذوات المجرّدة ، فجعلت الشياطين أقرانهم ، وحُجبوا عن نور الملكوت ، « فزيّنوا لهم ما بين أيديهم » مـــا بحضرتهم من اللذات البهيمية ، والسَّبُعية ، الشهوات الطبيعية « وما خلفهم » من الآمال ، والأماني التي لا يدركونها « وحقّ عليهم القول » في القضاء الإلهي بالشقاء الأبدي كائنين « في أمم قد خلت من قبلهم » من المكذبين بالأنبياء ، والمحجوبين عن الحق

من الباطنيين، والظاهريين . « إنهم كانوا خاسرين » لخسرانهم نور الإستعداد الأصلي ، وربح الكمال الكسبي ، ووقوعهم في الهـــلاك الأبدي ، والعذاب السرمدي .

« ربنا أرنا الذين أضلانا » أي، حنق المحجوبين واغتاظوا على من أضلّهم من الفريقين عنـــد وقوع العذاب ، وتمنوا أن يكونوا في أشدّ من عذابهم ، وأسفل من دركاتهم ، لما لقوا من الهوان ، وألم النيران ، وعذاب الحرمان ، والخسران بسببهم ، وأرادوا أن يشفوا صدورهم برؤيتهم في أسوأ أحوالهم، وأنزل مراتبهم كما ترى، من وقع في البلية ، بسبب رفيق أشار اليه بما أوقعه فيها ، يتجرّد عليه ويتغيظ ، ويكاد أن يقع فيه مع غيبته ، ويتحرّق .

« إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ . نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ . نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ » .

« إن الذين قالوا ربنا الله » أي، وحّدوه بنفي غيره ، وعرفوه بالإيقان حق معرفته ، ثم استقاموا اليه بالسلوك في طريقه ، والثبات على صراطه ، مخلصين لأعمالهم ، عاملين لوجهه ، غير ملتفتين بهـا الى غيره « تنزل عليهم الملائكة » للمناسبة الحقيقية بينهم في التوحيد الحقيقي ، والإيمـــان اليقيني ، والعمل الثابت على منهاج الحق ، والإستقامة في الطريقة اليه ، غير ناكثين في

عزيمـــة ، ولا منحرفين عن وجهه ، ولا زائغين في عمل ، كما ناسبت نفوس المحجوبين من أهل الرذائل ، الشياطين بالجواهر المظلمة والأعمـــال الخبيثة ، فتنزلت عليهم « ولا تخافوا » من العقاب ، لتنوّر ذواتكم بالأنوار، وتجرّدها عن غواسق الهيئات « ولا تحزنوا » بفوات كمالاتكم التي اقتضاهـا استعدادكم « وأبشروا » بجنة الصفات « التي كنتم توعدون » حال الإيمان بالغيب . او قالوا : ربنا الله بالفناء فيه . ثم استقاموا به بالبقاء بعد الفناء عند التمكين، تنزل عليهم الملائكة للتعظيم ، عند الرجوع الى التفصيل ؛ إذ في حال الفناء لا وجود للملائكة ، ولا لغيرهم ، ألا تخـــافوا من التلوين ، ولا تحزنوا على الإستغراق في التوحيد ، فإن اهل الوحدة اذا ردّوا الى التفصيل ورؤية الكثرة ، غلب عليهم الحزن ، والوجد في اول الوهلة ، لفوات الشهود الذاتي في عين الجمع ، والإحتجاب بالتفصيل ، حتى يتمكنوا في التحقق بالحق حال البقاء ، وانشراح الصدر بنور الحق ، فلا تحجب بهم الكثرة عن الوحـدة ، ولا الوحـدة عن الكثرة ، شاهدين في تفاصيل الصفات عين الذات بالذات ، كما قال تعـالى لنبيه عليه السلام ، في هذه الحال : « ألم نشرح لك صدرك ووضعنا عنك وزرك الذي أنقض ظهرك » .

وأبشروا بجنة الذات ، الشاملة لجميع مراتب الجنان ، التي كنتم توعَدونها في مقام تجليات الصفات « نحن أولياؤكم » وأحباءكم في الدارين للمناسبة الوصفية ، والجنسية الأصلية بيننا وبينكم ، كما أن الشياطين اولياء المحجوبين لما بينهم من الجنسية ، والمشاركة في الظلمة ، والكدورة . « ولكم فيها ما تشتهي أنفسكم » من المشاهدات ، والتجليات ، والروح ، والريحان ، والنعيم المقيم . أي ، اذا بلغتم الكمال الذي هو مقتضى استعدادكم فلا شوق لكم الى ما غاب عنكم ، بل كل ما تشتهون وتتمنون ، فهو مع الإشتهاء والتمني حاضر لكم في الجنان

الثلاث « نزلاً » معداً لكم « من غفور » ستر لكم بنوره ذنوب آثاركم ، وأفعالكم ، وصفاتكم ، وذواتكم « رحيم » رحمكم بتجليات افعـــاله ، وصفاته ، وذواته ، وإبدالكم بها إياها .

« وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّنْ دَعَا إِلَى ٱللهِ وَعَمِلَ صَالِحاً وَقَـــالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ . وَلَا تَسْتَوِي ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ إِدْفَعْ بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ . وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ ٱلَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ » .

« ومن أحسن قولاً » أي ، حـــالاً ، إذ كثيراً ما يستعمل القول بمعنى الفعل ، والحال ، ومنه « قالوا ربنا الله » أي ، جعلوا دينهم التوحيد ، ومنه الحديث : (هلك المكثرون) ، إلا من قـــال : « هكذا ، وهكذا » أي ، أعطي « ممن دعا الى الله وعمل صالحاً وقال إنني من المسلمين » أي ، من أسلم وجهه الى الله في التوحيد ، وعمل بالإستقامة والتمكين ، ودعا الخلق الى الحق للتكميل ، فقـــدّم الدعوة الى الحق والتكميل ، لكونه أشرف المراتب ، ولاستلزامه الكمال العلمي ، والعملي ، وإلا لما صحت الدعوة ، وإن صحت ما كانت الى الله ، أي ، الى ذاته الموصوفة بجميع الصفات ، فإن العـــالم الغير العامل إن دعا كانت دعوته الى العليم ، والعامل الغير العالم الى الغفور الرحيم ، والعالم العامل العارف صحت دعوته إلى الله .

« ولا تستوي الحسنة ولا السيئة » لكون الأولى من مقـــام القلب تجرّ

صاحبها الى الجنة ، ومصاحبة الملائكة ، والثانية ، من مقام النفس تجرّ صاحبها الى النار ، ومقارنة الشياطين « ادفع بالتي هي أحسن » اذا أمكنك دفع السيئة من عدوّك بالحسنة التي هي أحسن ، فلا تدفعها بالحسنة التي دونها ، فكيف بالسيئة ؟ فإن السيئة لا تندفع بالسيئة ، بل تزيد وتعلو ارتفاع النار بالحطب ، فإن قابلتها بمثلها كنت منحطاً الى مقام النفس ، متبعاً للشيطان ، سالكاً طريق النار ، ملقياً لصاحبك في الأوزار وجاعلا له ولنفسك من جملة الأشرار ، متسبباً لازدياد الشر ، معرضاً عن الخير . وإن دفعتها بالحسنة سكنت شرارته ، وأزلت عداوته ، وتثبت في مقام القلب على الخير ، وهديت الى الجنة ، وطردت الشيطان ، وأرضيت الرحمان ، وانخرطت في سلك الملكوت ، ومحوت ذنب صاحبك بالندامة . وإن دفعتها بالتي هي أحسن ناسبت الحضرة الرحيمية بالرحموت ، وصرت بإنصافك بصفاته تعالى من أهل الجبروت ، وأفضت من ذاتك فيض الرحمة على صاحبك فصار « كأنه وليّ حميم » .

ولأمر ما قال النبي عليه السلام : (لو جاز أن يظهر البارىء لظهر بصورة الحلم) ولا يلقى هذه الخصلة الشريفة ، والفضيلة العظيمة « إلا الذين صبروا » مع الله فلم يتغيروا بزلة الأعداء لرؤيتهم منه تعالى ، وتوكلهم عليه ، واتصافهم بحلمه ، أو طاعتهم لأمره « وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم » من الله بالتخلّق بأخلاقه .

« وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ إِنَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ . وَمِنْ آيَاتِهِ ٱللَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُوا

لِلَّهِ ٱلَّذِي خَلَقَهُنَّ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ . فَإِنِ ٱسْتَكْبَرُوا فَٱلَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِٱللَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْئَمُونَ . وَمِنْ آيَاتِهِ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَاءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ ٱلَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي ٱلْمَوْتَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ . إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا أَفَمَنْ يُلْقَى فِي ٱلنَّارِ خَيْرٌ أَمْ مَنْ يَأْتِي آمِناً يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ ٱعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ . إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا بِٱلذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ » .

« وإما ينزغنك من الشيطان نزغ » ينخسنك نخس بالمقابلة بالسيئة ، وداعية بالإنتقام، وهيجان من غضبك « فاستعذ بالله » بالرجوع الى جنابه، والجأ الى حضرته من شرّه ووسوسته، ونزغه بالبراءة عن أفعالك وصفاتك، والفناء فيه عن حولك وقوّتك « إنه هو السميع » لما هجس ببالك من أحاديث نفسك ، وأقوالك « العليم » بنيّاتك ، وما بطن من أحوالك .

« ومن آياته » ليل ظلمة النفس بظهور صفاتها الساترة للنور ، لتقعوا في السيئات ، وتستعدوا لقبول الوساوس الشيطانية ، ونهار نور الروح بأشراق أشعتها من القلب الى النفس ، فتباشروا الحسنات وتدفعوا السيئات بها ، وتمتنعوا عن قبول الوساوس ، وتتعرضوا للنفحات ، وشمس الروح ، وقمر

القلب « لا تسجدوا للشمس » بالفناء فيه ، والوقوف معه ، والإحتجاب به عن الحق « ولا للقمر » بالوقوف مع الفضائل والكمالات ، والتبوء الى جنة الصفات «واسجدوا لله الذي خلقهن» بالفناء في الذات «إن كنتم» موحدين ، مخصصين العبودية بـــه دون غيره ، ولا مشركين ، ولا محجوبين « فإن استكبروا » عن الفنــاء فيه بظهور الأنانية والطغيان ، والإستعلاء بصفات النفس والعدوان . « فالذين عند ربك » من السابقين، الفانين فيه « يسبحون له » بالتجريد ، والتنزيه عن حجب ذواتهم وصفاتهم دائمـاً ، بليل الإستتار في مقام التفصيل ، ونهار التجلي في مقام الجمع « لا يسأمون » لكونهم قائمين بالله ، ذاكرين بالمحبة الذاتية .

« إن الذين يلحدون في آياتنا » أي ، يميلون ، ويزيغون فيها من طريق الحق الى الباطل، فينسبونها الى غير الحق ، لاحتجابهم عنه، ويتلونها بأنفسهم فيفهمون منها ما يناسب صفاتهم ، «لا يخفون علينا» وإن خفينا عنهم « وإنه لكتاب عزيز » منيع ، محمي عن أن تمسه وتفهمه النفوس الخبيثة المحجوبـة فتغيره ، ويطلع عليه المبطلة فتبطله لبعده عن مبالغ عقولهم .

« لَا يَأْتِيهِ ٱلْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ . مَّا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِنْ قَبْلِكَ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ . وَلَوْ جَعَلْنَـٰهُ قُرْآناً أَعْجَمِيّاً لَّقَـالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ ءَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدىً وَشِفَاءٌ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ

وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُولَٰئِكَ يُنَادَوْنَ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ. وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَابَ فَٱخْتُلِفَ فِيهِ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَّبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ. مَّنْ عَمِلَ صَالِحاً فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ. إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَمَا تَخْرُجُ مِنْ ثَمَرَاتٍ مِّنْ أَكْمَامِهَا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلاَّ بِعِلْمِهِ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَائِي قَالُوا آذَنَّاكَ مَا مِنَّا مِنْ شَهِيدٍ. وَضَلَّ عَنْهُمْ مَّا كَانُوا يَدْعُونَ مِنْ قَبْلُ وَظَنُّوا مَا لَهُمْ مِّنْ مَّحِيصٍ. لَّا يَسْئَمُ ٱلْإِنْسَانُ مِنْ دُعَاءِ ٱلْخَيْرِ وَإِنْ مَّسَّهُ ٱلشَّرُّ فَيَؤُسٌ قَنُوطٌ. وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِنْ بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَـٰذَا لِي وَمَا أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُّجِعْتُ إِلَى رَبِّي إِنَّ لِي عِنْدَهُ لَلْحُسْنَى فَلَنُنَبِّئَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا بِمَا عَمِلُوا وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ. وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَى بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ فَذُو دُعَاءٍ عَرِيضٍ. قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ ٱللهِ ثُمَّ كَفَرْتُمْ بِهِ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ. سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي ٱلْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى

كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ. أَلَا إِنَّهُمْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقَاءِ رَبِّهِمْ أَلَا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطٌ ».

وما اعتقدوه من باطلهم « إذ لا يأتيه الباطل من » جهة من الجهات ، لا من جهة الحق فيبطله بما هو أبلغ منه ، وأشد احكاماً في كونه حقاً وصدقاً ، ولا من جهة الخلق ، فيبطلونه بالإلحاد في تأويله ، ويغيرونه بالتحريف ، لكونه ثابتاً في اللوح ، محفوظاً من جهة الحق ، كما قال : « أنا نحن نزلنا الذكر وأنا له لحافظون » .

« قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء » أي هو المؤمنين بالغيب هداية تهديهم الى الحق ، وتبصرهم بالمعرفة وشفاء يزيل أمراض قلوبهم من الرذائل كالنفاق ، والشك . أي تبصرهم بطريق النظر والعمل فتعلمهم ، وتزكيهم « والذين لا يؤمنون » من المحجوبين ، لا يسمعونه ولا يفهمونه ، بل يشتبه عليهم ويلتبس ، لاستيلاء الغفلة عليهم ، وسد الغشاوات الطبيعية ، والهيئات البدنية طرق اسماع قلوبهم وأبصارها ، فلا ينفذ فيها ، ولا يلتبهوا بها ، ولا يتيقظوا ، كالذي ينادي من كان بعيد لبعدهم عن منبع النور الذي يدرك به الحق ويُرى ، وانهماكهم في ظلمات الهيولى .

« سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم » أي ، نوفقهم للنظر في تصاريفنا للممكنات ، وأحوالها « حتى يتبين لهم » بطريق الإستدلال واليقين البرهاني « انه الحق او لم يكف بربك » للذين شاهدوه من اهل العيان « انه على كل شيء شهيد » حاضر مطلع ، أي ، لم يكف شهوده على مظاهر الاشياء في معرفته ، وكونه الحق الثابت دون غيره ، حتى تحتاج الى الإستدلال بأفعاله ،

او التوسل بتجليات صفاته ، وهـذا هو حال المحبوب المكاشف بالجذب قبل السلوك ، والأول حال المحب السالك المجاهد لطلب الوصول .

« ألا انهم في مرية من لقـــاء ربهم » لاحتجابهم بالكون عن المكوّن والمخلوق عن الخالق « ألا انه بكل شيء محيط » لا يخرج عن إحاطته شيء، وإلا لم يوجد ، إذ حقيقة كل شيء عين علمه تعالى ، ووجوده به ، وعلمه عين ذاته ، وذاته عين وجوده ، فلا يخرج شيء عن إحاطته، إذ لا وجود لغيره، ولا عين ولا ذات ؛ كل شيء هالك إلا وجهه ، كما قال : « كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام » .

سورة حم عسق
"الشورى"

بسم الله الرحمن الرحيم

« حم . عسق . كَذٰلِكَ يُوحِي إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ ٱللهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ . لَهُ مَا فِي ٱلسَّمٰوَاتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْعَظِيمُ . تَكَادُ ٱلسَّمٰوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْ فَوْقِهِنَّ وَٱلْمَلٰئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي ٱلْأَرْضِ أَلَا إِنَّ ٱللهَ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ . وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ ٱللهُ حَفِيظٌ عَلَيْهِمْ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ . وَكَذٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِتُنْذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنْذِرَ يَوْمَ ٱلْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ فَرِيقٌ فِي ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي ٱلسَّعِيرِ . وَلَوْ شَاءَ ٱللهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلٰكِنْ يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَٱلظَّالِمُونَ مَا لَهُمْ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ » .

« حم عسق » أي ، الحق ظهر بحمد ظهور علمه بسلامة قلبه ، فالحق محمد ظاهراً وباطناً ، والعلم سلامة قلبه عن النقص ، والآفة ، أي كماله وبروزه عن الحجاب ، إذ تجرّد القلب ظهور العلم ، « كذلك » مثل ذلك الظهور على مظهرك ، وظهور علمه على قلبك « يوحى اليك والى الذين من قبلك » من الانبياء « الله » الموصوف بجميع صفاته « العزيز » الممتنع بسرادقات جلاله ، وستور صفاته « الحكيم » الذي يظهر كماله بحسب الإستعدادات ، ويهدي بالوسايط والمظاهر جميع العباد ، على وفق قبول الإستعداد .

« له ما في السموات وما في الارض » كلها مظاهر صفاته وصور مملكته ومحال أفعاله « وهو العلي » عن التقيد بصورها ، والتعين بأعيانها « العظيم » الذي تضاءلت ، وتصغرت في سلطانه ، وتلاشت وتفانت في عظمته « تكاد السموات يتفطرن من فوقهن » لتأثرهن من تجليات عظمته « ويتلاشين » من علوّ قهره وسلطنته « والملائكة » من العقول المجرّدة ، والنفوس المدبّرة « يسبحون » ذاته ، بتجرّد ذواتهم ، حامدين له بكمالات صفاتهم « ويستغفرون لمن في الارض » بإفاضة الانوار على أعيانهم ووجوداتهم ، بعد استفاضتهم إياها من الحضرة الاحدية « إلا ان الله هو الغفور » بستر ظلمات ذوات الكل من الملائكة ، والناس بنور ذاته « الرحيم » بإفاضة الكمالات بتجليات صفاته على وجوداتهم لا غيره .

« ولو شاء الله لجعلهم أمة واحدة » كلهم على الفطرة موحدين بناء على القدرة ، ولكن بنى أمره على الحكمة فجعل بعضهم موحدين عادلين، وبعضهم مشركين ظالمين ، كما قال : « ولا يزالون مختلفين » لتتميز المراتب، وتتحقق

السعادة والشقاوة ، وتمتلىء الدنيا والآخرة ، والجنة والنـار ، ويحصل لكل اهل ، ويستتب النظام ، ويحدث الإنتظام .

« أَمِ ٱتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ فَٱللَّهُ هُوَ ٱلْوَلِيُّ وَهُوَ يُحْيِي ٱلْمَوْتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ . وَمَا ٱخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى ٱللَّهِ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ . فَاطِرُ ٱلسَّمَٰوَاتِ وَٱلْأَرْضِ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجاً وَمِنَ ٱلْأَنْعَامِ أَزْوَاجاً يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ . لَهُ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَاتِ وَٱلْأَرْضِ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ . شَرَعَ لَكُمْ مِنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحاً وَٱلَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ أَنْ أَقِيمُوا ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ٱللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ . وَمَا تَفَرَّقُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْياً بَيْنَهُمْ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ إِلَىٰ أَجَلٍ مُسَمًّى لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُورِثُوا ٱلْكِتَابَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ » .

« أم اتخذوا من دونه أولياء » لا ولاية لهم في الحقيقة ، إذ لا قدرة ولا قوة ، ولا وجود « فالله هو الوليّ » دون غيره لتوليه كل شيء ، وسلطانه وحكمه « وهو » الحي، القادر، فكيف تستقيم ولاية غيره عليه ؟ « توكلت » بفناء الأفعال ، فـلا أقابل أفعالكم بفعلي « وإليه أنيب » بفناء صفاتي فلا اظهر بصفة من صفاتي في مقابلة صفات نفوسكم « ليس كمثله شيء » أي ، كل الأشياء فانية فيه هالكة ، فلا شيء يماثله في الشيئية والوجود «وهو السميع» الذي يسمع به كل من يسمع « البصير » الذي يبصر بـه كل من يبصر جمعاً وتفصيلاً ، يفني الكل بذاتـه ، ويبدئهم بصفاته ؛ بيده مفاتيح الأرزاق وخزائن الملك والملكوت ، يبسط ويقدّر بمقتضى علمـه ، على من يشاء من خلقه ، بحسب مصالحهم في الغنى والفقر .

« شرع لكم من الدين » المطلق الذي وصى جميع الأنبيـاء بإقامته ، واجتماعهم عليه ، وعدم تفرّقهم فيـه ، وهو أصل الدين ، أي ، التوحيد والعدل، وعلم المعاد المعبر عنه بالإيمان بالله واليوم الآخر، دون فروع الشرائع التي اختلفوا فيها بحسب المصالح، كأوضاع الطاعات، والعبادات، والمعاملات، كما قال تعالى : « لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجاً » فالدين القيم هو المتعلق بما لا يتغير من العلوم ، والأعمال، والشريعة هي المتعلقة بما يتغير من القواعد ، والأوضاع .

« كبُر على المشركين » المحجوبين عن الحق بالغير « ما تدعوهم اليه » من التوحيد، لكونهم أهل المقت، ومظاهر الغضب، والقهر، وليسوا من المحبوبين الذين اجتبـاهم الله بمحض عنايته ، ومجرّد مشيئته ، ومن المحبّين الذين وفقهم الله للإنابة اليه بالسلوك والإجتهاد ، والسير فيه بالشوق والإفتقار، فهداهم اليه بنور وجهه ، وجمال ذاته ، فجذب المحبوبين اليـه ، قبل السلوك والرياضة

بسابقة الإجتباء ، وخصّ المحبّين بعد التوفيق بالسلوك فيه ، والرياضة بالإصطفاء ، وطرد المحجوبين عن بابه ، وأبعدهم عن جنابه ، بسابقة كلمة القضاء عليهم بالشقاء .

« فَلِذَٰلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ آمَنتُ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِن كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ . وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي اللَّهِ مِن بَعْدِ مَا اسْتُجِيبَ لَهُ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ . اللَّهُ الَّذِي أَنزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ . يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا وَالَّذِينَ آمَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ أَلَا إِنَّ الَّذِينَ يُمَارُونَ فِي السَّاعَةِ لَفِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ . اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ » .

« فلذلك » التفرق في الدين « فادع » الى التوحيد « واستقم » في التحقق بالله ، والتعبد حق العبودية ، وأنت على التمكين ، ولا تظهر نفسك بصفة

عند إنكارهم ، واستمالتهم إياك في موافقتهم ، « ولا تتبع أهواءهم » المتفرقة بالتلوين « فيضلّوك » عن التوحيد .

« وقل آمنت بما أنزل الله من كتاب » أي ، اطلعت على كمالات جميع الأنبياء ، وجمعت في علومهم ، ومقاماتهم ، وصفاتهم ، وأخلاقهم ، فكمل توحيدي ، وصرت حبيباً لكمال محبتي ، ورسخت في نفسي ، فتمّت عدالتي ؛ وهذا معنى قوله : « وأمرت لأعدل بينكم الله ربنا وربكم » هو التثبيت في مقام التوحيد ، والتحقيق « لنا أعمالنا ولكم أعمالكم » صورة الإستقامة ، والتمكين في العدالة « لا حجة بيننا وبينكم » كمال المحبة والصفاء ، لاقتضاء مقام التوحيد ، النظر اليهم بالسواء « الله يجمع بيننا » في القيامة الكبرى ، والفناء « وإليه المصير » في العاقبة للجزاء .

« والذين يحاجّون في الله» لاحتجابهم بنفوسهم « من بعد ما استجيب له» بالإستسلام ، والإنقياد لدينه ، وقبول التوحيد بسلامة الفطرة « حجتهم داحضة » لكونها ناشئة من عند انفسهم ، فلا أصل لها عند الله « وعليهم غضب » لاستحقاقهم لذلك بظهور غضبهم ، « ولهم عذاب شديد » لحرمانهم .

« الله الذي أنزل الكتاب بالحق » أي ، العلم التوحيدي بالمحبة التي اقتضت استحقاقه لذلك ، فكان حقاً له « والميزان » أي ، العدل ، واذا حصل العلم والتوحيد في الروح ، والمحبة في القلب ، والعدل في النفس ، قرب الفناء في الله ، ووقوع القيامة الكبرى .

« الله لطيف بعباده » يلطف بهم في تدبير إيصال كمالاتهم اليهم ، وتهيئة أسبابها ، وتوفيقهم للأعمال المقرّبة لهم اليها « يرزق من يشاء » العلم الوافر بحسب عنايته بـه في هيئة استعداده له « وهو القويّ » القاهر « العزيز »

الغالب ، يمنع من يشاء بمقتضى عدله وحكمته ، ولكل أحد نصيب من اللطف والقهر، لا يخلو أحد منهما، وإنما تتفاوت الأنصاب بحسب الإستعدادات، والأسباب ، والأعمال ، والأحوال .

« مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي ٱلْآخِرَةِ مِنْ نَّصِيبٍ . أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰؤُا شَرَعُوا لَهُمْ مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ ٱللَّهُ وَلَوْلَا كَلِمَةُ ٱلْفَصْلِ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ ٱلظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ . تَرَى ٱلظَّالِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُوا وَهُوَ وَاقِعٌ بِهِمْ وَٱلَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّالِحَاتِ فِي رَوْضَاتِ ٱلْجَنَّاتِ لَهُمْ مَّا يَشَاؤُنَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ . ذَٰلِكَ ٱلَّذِي يُبَشِّرُ ٱللَّهُ عِبَادَهُ ٱلَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّالِحَاتِ قُلْ لَّا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِي ٱلْقُرْبَىٰ وَمَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ » .

« من كان يريد حرث الآخرة » بقوّة إرادته وشدّة طلبه، لزيادة نصيب اللطف وتوجهه ، وإقباله الى الحق لحيازة القرب ، « نزد له » في نصيبه ، فنصلح حال آخرته ودنياه ، لأن الدنيا تحت الآخرة ، وظلها ومثالها

وصورتها تلبعها ، ومن كان يريد حرث الدنيا وأقبل بهواه الى جهة السفل، وتعلق همه بزيادة نصيب القهر، وبعده عن الحق« نؤته منها » ما هو نصيبه ، وما قسم له وقدّر ، لا مزيد عليه « وما له في الآخرة من نصيب » لإعراضه عنها ، وعقد همه بالأدوَن ووقوفه معه ، وجعله حجاباً للأشرف ، وإدباره عن النصيب الأوفر ، فلا يتهيأ لقبوله ، ولا يستعد لحصوله ، إذ الأصل لا يتبع الفرع .

« قل لا أسئلكم عليه أجراً إلا المودة في القربى » استثناء منقطع ، وفي القربى متعلق بمقدر ، رأي المودّة الكائنة في القربى ، ومعناه نفي الأجر أصلاً ، لأن ثمرة مودّة أهل قرابته عائدة اليهم لكونها سبب نجاتهم، اذ المودة تقتضي المناسبة الروحانية المستلزمة لإجتماعهم في الحشر ، كما قال عليه الصلاة والسلام : (المرء يحشر مع من أحب) فلا تصلح أن تكون أجراً له، ولا يمكن من تكدّرت روحه وبعدت عنهم مرتبته محبتهم بالحقيقة ، ولا يمكن من تنوّرت روحه ، وعرف الله ، وأحبه من أهل التوحيد ، ان لا يحبهم ، لكونهم أهل بيت النبوّة ، ومعادن الولاية والفتوة ، محبوبين في العناية الأولى ، مربوبين للمحل الأعلى ، فلا يحبهم إلا من يحبّ الله ورسوله ، ويحبه الله ورسوله ، ولو لم يكونوا محبوبين من الله في البداية لما أحبهم رسول الله ، اذ محبته عين محبته تعالى في صورة التفصيل ، بعد كونه في عين الجمع ، وهم الأربعة المذكورون في الحديث الآتي . بعد ألا ترى أنّ له أولاد آخرين، وذوي قرابات في مراتبهم كثيرين لم يذكرهم ، ولم يحرّض الأمّة على محبتهم تحريضهم على محبة هؤلاء ؟

وخصّ هؤلاء بالذكر . روي أنها لما نزلت ، قيل : (يا رسول الله من قرابتك هؤلاء الذين وجبت علينا مودّتهم ؟ قال : عليّ وفاطمة ، والحسن ،

والحسين ، وأبناؤهما) . ثم لما كانت القرابة تقتضي المناسبة المزاجية المقتضية للجنسية الروحانيــة ، كان أولادهم السالكون لسبيلهم ، التابعون لهديهم في حكمهم ، ولهذا حرّض على الإحسان اليهم ، ومحبتهم مطلقــاً ، ونهى عن ظلمهم وإيذائهم ، ووعد على الأول ، ونهى عن الثاني .

قال النبي ﷺ وعلى آله : (حرمت الجنة على من ظلم أهــل بيتي وآذاني في عترتي ، ومن اصطنع صنيعة أحد من ولد عبد المطلب ولم يجــازه عليها فأنا أجازيه عليها غداً اذا لقيني يوم القيامة) .

وقال عليه السلام : (من مات على حبّ آل محمــد مات مغفوراً له . ألا ومن مات على حب آل محمد مات تائباً . ألا ومن مات على حب آل محمد مات مؤمناً . ألا ومن مات على حب آل محمد مات شهيداً مستكمل الإيمان . ألا ومن مات على حب آل محمد بشره ملك الموت بالجنة ، ثم منكر ونكير . ألا ومن مات على حب محمد وآل محمد يزفّ الى الجنــة كما تزف العروس الى بيت زوجها . ألا ومن مات عــلى حب آل محمد فتح له في قبره بابان الى الجنة . ألا ومن مات على حب آل محمد جعل الله قبره مزار ملائكة الرحمة . ألا ومن مات على حب آل محمد مات على السنّة والجماعة . ألا ومن مــات على بغض آل محمد جــاء يوم القيامة مكتوباً بين عينيه آيس من رحمة الله . ألا ومن مات على بغض آل محمد مات كافراً . ألا ومن مات على بغض آل محمد لم يشمّ رائحة الجنة) .

« ومن يقترف حسنة » بمحبة آل الرسول « نزد له فيها حسناً » بمتابعته لهم في طريقتهم ، لأن تلك المحبة لا تكون إلا لصفاء الاستعداد ، وبقــاء الفطرة ، وذلــك يوجب التوفيق لحسن المتابعة ، وقبول الهداية الى مقام

المشاهدة ، فيصير صاحبها من أهل الولاية ، ويحشر معهم في القيامة .

« إن الله غفور » بتنويره ظلمة صفات من أحب أهله « شكور » لسعي من ناسبهم ، فيحبهم بتضعيف جزاء حسناته ، وإفاضة كمالاته بتجليات صفاته ، ليوافقهم .

« أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَى عَلَى ٱللَّهِ كَذِباً فَإِنْ يَشَإِ ٱللَّهُ يَخْتِمْ عَلَى قَلْبِكَ وَيَمْحُ ٱللَّهُ ٱلْبَاطِلَ وَيُحِقُّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ . وَهُوَ ٱلَّذِي يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُوا عَنِ ٱلسَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ . وَيَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّالِحَاتِ وَيَزِيدُهُمْ مِّنْ فَضْلِهِ وَٱلْكَافِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ . وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي ٱلْأَرْضِ وَلَٰكِنْ يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَاءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ . وَهُوَ ٱلَّذِي يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ ٱلْوَلِيُّ ٱلْحَمِيدُ . وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ ٱلسَّمٰوَاتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِنْ دَابَّةٍ وَهُوَ عَلَى جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ . وَمَا أَصَابَكُمْ مِّنْ مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ . وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا لَكُمْ مِّنْ دُونِ ٱللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ . وَمِنْ آيَاتِهِ ٱلْجَوَارِ فِي ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَامِ . إِنْ يَشَأْ يُسْكِنِ ٱلرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ

عَلَى ظَهْرِهِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ . أَوْ يُوبِقْهُنَّ بِمَا كَسَبُوا وَيَعْفُ عَنْ كَثِيرٍ . وَيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِنَا مَا لَهُمْ مِّنْ مَّحِيصٍ . فَمَا أُوتِيتُمْ مِّنْ شَيْءٍ فَمَتَاعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَا عِنْدَ ٱللهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى لِلَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ . وَٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَاحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ . وَٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا ٱلصَّلَوٰةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ . وَٱلَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ ٱلْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ . وَجَزَاؤُا سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى ٱللهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّالِمِينَ . وَلَمَنِ ٱنْتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَٰئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِّنْ سَبِيلٍ . إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَظْلِمُونَ ٱلنَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ . وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ . وَمَنْ يُضْلِلِ ٱللهُ فَمَا لَهُ مِنْ وَلِيٍّ مِّنْ بَعْدِهِ وَتَرَى ٱلظَّالِمِينَ لَمَّا رَأَوُا ٱلْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَى مَرَدٍّ مِّنْ سَبِيلٍ . وَتَرَاهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَاشِعِينَ مِنَ ٱلذُّلِّ يَنْظُرُونَ مِنْ طَرْفٍ خَفِيٍّ وَقَالَ ٱلَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ ٱلْخَاسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَلَا

إِنَّ ٱلظَّالِمِينَ فِي عَذَابٍ مُّقِيمٍ . وَمَا كَانَ لَهُمْ مِّنْ أَوْلِيَاءَ يَنصُرُونَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُ مِن سَبِيلٍ . ٱسْتَجِيبُوا لِرَبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَكُم مِّن مَّلْجَإٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُم مِّن نَّكِيرٍ . فَإِنْ أَعْرَضُوا فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا ٱلْبَلَاغُ وَإِنَّا إِذَا أَذَقْنَا ٱلْإِنسَانَ مِنَّا رَحْمَةً فَرِحَ بِهَا وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ ٱلْإِنسَانَ كَفُورٌ . لِّلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَاوَاتِ وَٱلْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَن يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَاءُ ٱلذُّكُورَ . أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا وَيَجْعَلُ مَن يَشَاءُ عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ » .

« فإن يشاء الله يختم على قلبك » أي ، لا يفتري على الله إلا من هو مختوم القلب، مثلهم « ويمح الله الباطل » كلام مبتدأ ، أي ، ومن عادة الله ان يمحو الباطل « ويحقّ الحقّ بكلماته » وقضائه،إن كان افتراء يمحه ويثبت نقيضه، وإن كان الإفتراء ما يقولون فكذلك « ومـا عند الله خير وأبقى » لكونه أشرف وأدوم « للذين آمنوا » الإيمان اليقيني « ولا يتوكلون إلا على ربهم » بفنـاء الأفعال ، أي ، الذين علـّمهم اليقين ، وعلـّمهم التوكل بالإنسلاخ عن أفعالهم .

« والذين يجتنبون كبائر الاثم » التي هي وجوداتهم ، وهو أخسّ صفات نفوسهم ، التي تظهر بأفعالها في مقام المحو « وإذا مـا غضبوا » في تلويناتهم

« هم يغفرون » أي الاختصاص بالمغفرة دون غيرهم « والذين استجابوا لربهم » بلسان الفطرة الصافية « اذا دعاهم » الى التوحيد ، بتجلي نور الوحـدة « وأقـاموا » صلاة المشاهدة ولم يحتجبوا بآرائهم وعقولهم ، بل « أمرهم شورى بينهم » لعلمهم ان الله مع كل احد شأناً ، وإليه نظراً ، وفيـه سراً ليس لغيره ، ذلك الشأن ، والنظر ، والسر « وممـا رزقناهم ينفقون » بالتكميل .

« والذين اذا أصابهم البغي هم ينتصرون » بالعدالة ، احترازاً عن الذلة والإنظلام ، لكونهم في مقـام الإستقامة قائمين بالحق والعدل ، الذي ظله في نفوسهم .

« وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ ٱللهُ إلاَّ وَحْياً أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ . وَكَذٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحاً مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا ٱلْكِتَابُ وَلَا ٱلْإِيمَانُ وَلٰكِنْ جَعَلْنَاهُ نُوراً نَّهْدِي بِهِ مَنْ نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ . صِرَاطِ ٱللهِ ٱلَّذِي لَهُ مَا فِي ٱلسَّمٰوَاتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ أَلَا إِلَى ٱللهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ » .

« وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا » أي ، إلا بثلاثة أوجه : إما بوصوله الى مقام الوحدة والفناء فيه ، ثم التحقق بوجوده في مقـام البقاء ،

فيوحي اليه بلا واسطة ، كما قال الله تعالى: « ثم دنا فتدلى فكان قاب قوسين او ادنى ، فأوحى الى عبده ما اوحى » . « او من وراء حجاب » ، بكونه في حجاب القلب ، ومقام تجليات الصفات ، فيكلمه على سبيل المناجـــاة ، والمكالمة ، والمكاشفة ، والمحادثة دون الرؤية ، لاحتجابه بحجاب الصفات، كما كان حال موسى عليه السلام،« او يرسل رسولاً » من الملائكة فيوحي اليه ، على سبيل الإلقاء ، والنفث في الروع ، والإلهام ، او الهتاف ، او المنام ، كما قال عليه السلام : (إن روح القدس نفث في روعي إن نفساً لن تموت حتى تستكمل رزقها) .

« إنه عليّ » من أن يواجه ويخاطب ، بل يفنى ويتلاشى من يواجهه لعلوه من أن يبقى معه غيره ، ويحتمل شيء حضوره « حكيم » يدبر بالحكمة وجوه التكليم ، ليظهر علمه في تفاصيل المظاهر ، ويكمل بـه عباده ، ويهتدوا اليه ويعرفوه ، ومثل ذلك الإيحاء على الطرق الثلاثة .

« اوحينا اليك روحاً » تحيا به القلوب الميتة « من » عالم « أمرنا » المنزّه عن الزمان ، المقدّس عن المكان « ما كنت تدري ما الكتاب » أي، العقل الفرقاني الذي هو كالملك الخاص بك « ولا الإيمان » أي ، الخفي الذي حصل لك عند البقاء بعد الفناء ، حال كونك محجوباً بغواشي نشأتك ، وحـــال وصولك لفنائك ، وتلاشي وجودك « ولكن جعلناه نوراً » عند استقامتك « نهدي به من نشاء من عبادنا » المخصوصين بالعناية الأزلية ، إما المحبوبين ، وإما المحبّين .

« وإنك » أيها الحبيب « لتهدي » بنـا من تشاء « الى صراط مستقيم » لا يبلغ كنهه ، ولا يدرى وصفه « صراط الله » المخصوص به ، أي الطريق

التوحيدي الذاتي ، الشامل للتوحيد الصفاتي ، والأفعالي ، المسمى : توحيد الملك . أعني : سير الذات الأحدية ، مع جميع الصفات الظاهرة والباطنة ، بالكلية سماوات الأرواح ، وأرض الجسم المطلق « ألا الى الله تصير الأمور » بالفناء فيه ، فينادي بذاته : « لمن الملك اليوم ؟ » ويجيب هو نفسه بقوله : « لله الواحد القهار » . والله تعالى اعلم .

سورة الزخرف

بسم الله الرحمن الرحيم

« حمٓ . وَٱلْكِتَابِ ٱلْمُبِينِ . إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ . وَإِنَّهُ فِي أُمِّ ٱلْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ » .

أقسم بأول الوجود وهو الحق ، وآخره وهو محمد . وما أجل قسماً بما هو أصل الكل وكماله ، ولهذا كانت الشهادة بهما اساس الاسلام ، وعماد الايمان ، والجمع بينهما هو المذهب الحق ، والملة القويمة . فإن احدية الوجود والتأثير هو الجبر ، وإثبات التفصيل في الوجود والتأثير هو القدر ، والجمع بينهما بقولنا : (لا إله إلا الله محمد رسول الله) هو الصراط المستقيم ، والدين المتين . او بما يناسب الكتاب ، وهو اللوح ، والقلم ، لقوله تعالى : « ن والقلم وما يسطرون » وقد يكنى عن الكلمة بآخرها ، كما يكنى عنها بأولها ؛ فعلى الوجه الأول يمكن أن يؤول الكتاب بنفس محمد ، لكونه مبيناً للحق جمعاً وتفصيلاً ، وكونه منزّلاً من عند الله « قرآناً » أي ، جامعاً لجميع تفاصيل

الوجود ، حاصر للصفات الإلهية ، والمراتب الوجودية ، والكمالية « عربياً لعلكم تعقلون » ما نخاطبكم به .

« وإنــه في أمّ الكتاب » أي ، أصل الوجود في الرتبة الاولى ، وأول نقطة الوجود الإضافي الممتاز بالتعين الأول عن الوجود المطلق ، التـالي للهوية المحضة ، المشار اليه بقوله « لدينا العليّ » رفيع القدر، بحيث لا رفعة وراءها « حكيم » ذو الحكمة ، إذ بـه ظهرت صور الأشياء وحقائقها ، أعيانهـا ، وصفاتها ، وترتيب الموجودات ونظامها ، على ما هي عليه .

وأما على الوجه الثاني ، فلا يستقيم هـذا التأويل ، بل هو القرآن المبيّن للتوحيد والتفصيل الدالّ عليها ، المقسم به إجمالاً « وإنـه في أمّ الكتاب » أي ، الروح الأعظم ، المشتمل على كل العلوم؛ بل كل الأشياء لدينا قريباً منا، أقرب من سائر العلوم الحاصلة في مراتب التنزلات ؛ فإن العلم اللدني هو الذي انتقش في الروح ، الذي هو اول الأرواح . قبل تنزله في المراتب ، وكون القرآن ذا الحكمة ، كونه مشتملا على الحكمة النظرية ؛ المفيـدة للاعتقادات الحقة ، من التوحيد والنبوّة ، وبيان احوال المعاد وأمثالها ، فالحكمة العملية من بيان أحكام أفعـال المكلفين ، كالشرائع وكيفية السلوك في المراتب ، وأحوال المكاسب والمواهب .

« أَفَنَضْرِبُ عَنكُمُ ٱلذِّكْرَ صَفْحاً أَن كُنتُمْ قَوْماً مُّسْرِفِينَ . وَكَمْ أَرْسَلْنَـا مِن نَّبِيٍّ فِي ٱلْأَوَّلِينَ . وَمَـا يَأْتِيهِم مِّن نَّبِيٍّ إِلا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ . فَأَهْلَكْنَـا أَشَدَّ مِنْهُم بَطْشاً وَمَضَى مَثَـلُ ٱلْأَوَّلِينَ . وَلَئِن سَأَلْتَهُم

مَنْ خَلَقَ ٱلسَّمٰوَاتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ . أَلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْداً وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلاً لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ . وَٱلَّذِي نَزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَنْشَرْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيْتاً كَذٰلِكَ تُخْرَجُونَ . وَٱلَّذِي خَلَقَ ٱلْأَزْوَاجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ ٱلْفُلْكِ وَٱلْأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ . لِتَسْتَوُوا عَلَى ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا ٱسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَانَ ٱلَّذِي سَخَّرَ لَنَا هٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ . وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ . وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءاً إِنَّ ٱلْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ مُبِينٌ . أَمِ ٱتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَاكُمْ بِٱلْبَنِينَ . وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمٰنِ مَثَلاً ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدّاً وَهُوَ كَظِيمٌ . أَوَمَنْ يُنَشَّؤُا فِي ٱلْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي ٱلْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ . وَجَعَلُوا ٱلْمَلٰئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَادُ ٱلرَّحْمٰنِ إِنَاثاً أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْئَلُونَ » .

« أفنضرب عنكم الذكر » أي، أنهملكم، ونصرف الذكر عنكم لإسرافكم؟ وإنمـــا كانت الحاجة الى الذكر للاسراف ، إذ لو كانوا على السيرة العادلة ،

والطريقة الوسطى ، لما احتيج الى التذكير . بل التذكير يجب عند الإفراط والتفريط ، ولهذا بعث الأنبياء في زمان الفترة .

قال الله تعالى : « كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين وجعلوا له من عباده جزءاً » أي ، اعترفوا بـــأنه خالق السماوات والأرض ، ومبدعها وفاطرها ، وقـــد جسّموه ، وجزّؤوه بإثبات الولد له الذي هو بعض من الوالد مماثل له في النوع لكونهم ظاهريين جسمانيين ، لا يتجاوزون عن رتبة الحس والخيال ، ولا يتجرّدون عن ملابس الجسمانيات ، فيدركون الحقـائق المجرّدة ، والذوات القدسية ، فضلاً عن ذوات الله تعالى . فكل ما تصوّروا ، وتخيلوا ، كان شيئاً جسمانياً ؛ ولهذا كذبوا الأنبيـــاء في إثبات الآخرة ، والبعث ، والنشور ، وكل مـــا يتعلق بالمعاد ؛ إذ لا يتعدى إدراكهم الحياة الدنيا ، وعقولهم المحجوبة عن نور الهداية أمور المعاش ؛ فـلا مناسبة أصلاً بين ذواتهم ، وذوات الأنبياء ، إلا في ظاهر البشرية ، فلا حاجة الى ما وراءها .

ولما سمعوا من اسلافهم قول الأوائل من الحكماء في إثبات النفوس الملكية ، وتأنيثهم إياها ، إمـــا باعتبار اللفظ ، وإما باعتبار تأثرها ، وانفعالها عن الأرواح المقدسة العقلية ، مع وصفهم إياها بالقرب من الحضرة الإلهية ، توهموا أنوثتها في الحقيقة التي هي بإزاء الذكورة في الحيوان ، مع اختصاصها بالله ، فجعلوها بنات . وقلما يعتقدها العاميّ إلا صور انسية ، لطيفة في غاية الحسن .

« وَقَالُوا لَوْ شَاءَ ٱلرَّحْمَٰنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ مَّا لَهُمْ بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ . أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَاباً مِّنْ قَبْلِهِ فَهُمْ بِهِ مُسْتَمْسِكُونَ . بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى

آثارِهِمْ مُّهْتَدُونَ . وَكَذَٰلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِّنْ نَّذِيرٍ إِلاَّ قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُّقْتَدُونَ . قَالَ أَوَ لَوْ جِئْتُكُمْ بِأَهْدَى مِمَّا وَجَدْتُّمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ . فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ . وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ . إِلاَّ الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ . وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ . بَلْ مَتَّعْتُ هَٰؤُلَاءِ وَآبَاءَهُمْ حَتَّى جَاءَهُمُ الْحَقُّ وَرَسُولٌ مُّبِينٌ . وَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ قَالُوا هَٰذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِ كَافِرُونَ . وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ . أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضاً سُخْرِيّاً وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ . وَلَوْلَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمَٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفاً مِّنْ فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ . وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَاباً وَسُرُراً عَلَيْهَا يَتَّكِئُونَ . وَزُخْرُفاً وَإِنْ كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا مَتَاعُ الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ عِنْدَ

رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ . وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ » .

« وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم » لمّا سمعوا من الأنبياء تعليق الأشياء بمشيئة الله تعالى ، افترضوه وجعلوه ذريعة في الإنكار ، وقالوا ذلك ، لا عن علم وإيقان ، بل على سبيل العنـــاد ، والإفحام ، ولهذا ردّهم الله تعالى بقوله : « ما لهم بذلك من علم » إذ لو علموا ذلك ، لكانوا موحدين ، لا ينسبون التأثير إلا الى الله ، فلا يسعهم إلا عبادته دون غيره ، اذ لا يرون حينئذ لغيره نفعاً ولا ضرّاً « إن هم إلا يخرصون » لتكذيبهم أنفسهم في هذا القول بالفعل حين عظموهم ، وخافوهم ، وخوّفوا أنبياءهم من بطشهم ، كما قال قوم هود : « أن نقول إلا اعتراك بعض آلهتنا بسوء » . ولمّا خوّفوا ابراهيم عليه السلام ، كيدهم أجاب بقوله : « ولا أخاف مـــا تشركون به إلا أن يشاء ربّي شيئاً » الى قوله : « وكيف أخاف ما أشركتم » وقالوا : « لولا نزل هذا القرآن » الى آخره .

لما لم يكونوا أهـل معنى ، ولا حظ لهم إلا من الصورة ، لم يتصوروا في رسول الله ﷺ شيئاً يعظمونه به ، اذ لا مال له ، ولا حشمة ، ولا جـــاه عندهم ، وعظم في أعينهم الوليد بن المغيرة واضرابه . كأبي مسعود الثقفي ، وغيره . لمكان حشمتهم ، ومالهم ، وخدمهم . فاستخفوا برسول الله ﷺ ، وقالوا : (لا يناسب حاله اصطفاء الله إياه وكرامته عنده . ولو كان هذا القرآن من عند الله لاختـــار له رجلاً عظيماً كالوليد ، وأبي مسعود) فأنزل عليه لتناسب حاله عظمة الله ، فردّهم الله لأنهم ليسوا بقاسمي رحمـــة الدين والهداية ، التي لا حظ لهم منها ، ولا معرفة لهم بهـــا . بل ليسوا بقاسمي

مـــا هم يعرفونه ويتصرّفون به ، من المعيشة والحطام الدنيويّ ، الذي يتهالكون على كسبه ، ولا يقصدون إلا إياه ، فكيف بما لم يشموا عرفه ولم يعرفوا حاله ؟

« ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطاناً » قريء يعش بضم الشين وفتحها ، والفرق إن عشا يستعمل اذا نظر نظر العشي لعارض ، أو متعمداً من غير آفة في بصره . وعشَي : اذا ايف بصره .

فعلى الأول معناه : ومن كان له استعداد صاف ، وفطرة سليمة لإدراك ذكر الرحمن ، أي القرآن النازل من عنده ، وفهم معناه ، وعلم كونه حقاً ، فتعامى عنه لغرض دنيويّ ، وبغي وحسد ، ولم يفهمه ، ولم يعلم حقيقته ، لاحتجابه بالغواشي الطبيعية ، واشتغاله باللذات الحسية عنه ، أو لاغتراره بدينه وما هو عليه من اعتقاده ، ومذهبه الباطل ؛ نقيض له شيطاناً جنياً فيغويه بالتسويل والتزيين لمـــا انهمك فيه من اللذات ، وحرص عليه من الزخارف ، أو بالشبه والأباطيل المغوية ، لما اعتكف عليه بهواه من دينه ، أو انسياً يغويه ويشاركه في أمره ، ويجانسه في طريقه ، ويبعده عن الحق.

وعلى الثاني معنـــاه ، ومن ايف استعداده في الأصل ، وشقى في الأزل بعمى القلب عن إدراك حقائق الذكر ، وقصر عن فهم معناه ، نقيض لـــه شيطاناً من نفسه ، أو من جنسه ، يقارنه في ضلالته ، وغوايته .

« وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُّهْتَدُونَ . حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَنَا قَالَ يَٰلَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ ٱلْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ ٱلْقَرِينُ . وَلَن يَنفَعَكُمُ ٱلْيَوْمَ إِذ ظَّلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِي ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ .

أَفأَنتَ تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ أَوْ تَهْدِي ٱلْعُمْيَ وَمَنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ .
فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُمْ مُّنتَقِمُونَ . أَوْ نُرِيَنَّكَ ٱلَّذِي وَعَدْنَاهُمْ
فَإِنَّا عَلَيْهِم مُّقْتَدِرُونَ . فَٱسْتَمْسِكْ بِٱلَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ
عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ . وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْئَلُونَ .
وَسْئَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ
آلِهَةً يُعْبَدُونَ . وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِ
فَقَالَ إِنِّي رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ . فَلَمَّا جَاءَهُم بِآيَاتِنَا إِذَا هُم مِّنْهَا
يَضْحَكُونَ . وَمَا نُرِيهِم مِّنْ آيَةٍ إِلاَّ هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا
وَأَخَذْنَاهُم بِٱلْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ . وَقَالُوا يَا أَيُّهَ ٱلسَّاحِرُ
ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ إِنَّنَا لَمُهْتَدُونَ . فَلَمَّا كَشَفْنَا
عَنْهُمُ ٱلْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ . وَنَادَى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ
يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ ٱلْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي
أَفَلَا تُبْصِرُونَ . أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِّنْ هَٰذَا ٱلَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ
يُبِينُ . فَلَوْلَا أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِّن ذَهَبٍ أَوْ جَاءَ مَعَهُ
ٱلْمَلَٰئِكَةُ مُقْتَرِنِينَ . فَٱسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْماً
فَاسِقِينَ . فَلَمَّا آسَفُونَا ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ .

فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفاً وَمَثَلاً لِّلآخِرِينَ . وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبْنُ مَرْيَمَ مَثَلاً إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ . وَقَالُوا ءَآلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلاَّ جَدَلاً بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ . إِنْ هُوَ إِلاَّ عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلاً لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ . وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنكُمْ مَّلَائِكَةً فِي ٱلْأَرْضِ يَخْلُفُونَ » .

« وانهم ليصدونهم » وانّ الشياطين يصدّون قرناءهم عن طريق الوحدة ، وسبيل الحق « ويحسبون » الهداية فيما هم عليه « حتى اذا جاءنا » أي ، حضر عقابنا اللازم ، لاعتقاده وأعماله ، والعذاب المستحق لمذهبه ودينه ، تمنى غاية البعد بينه وبين شيطانه الذي أضله عن الحق ، وزين له ما وقع بسببه في العذاب ، واستوحش من قرينه ، واستذمه لعدم الوصلة الطبيعية ، أو انقطاع الأسباب بينهما بفساد الآلات البدنية .

« ولن ينفعكم » التمني وقت حلول العذاب ، واستحقاق العقاب ، اذ ثبت وصحّ ظلمكم في الدنيا ، وتبين عاقبته ، وكشف عن حاله ، لأنكم مشتركون في العذاب ، لاشتراككم في سببه ، أو ولن ينفعكم كونكم مشتركين في العذاب من شدّته وإيلامه .

« وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَٱتَّبِعُونِ هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ . وَلَا يَصُدَّنَّكُمُ ٱلشَّيْطَانُ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ . وَلَمَّا جَاءَ عِيسَى بِٱلْبَيِّنَاتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُمْ

بِٱلْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُمْ بَعْضَ ٱلَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ فَٱتَّقُوا ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ . إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ هَٰذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ . فَٱخْتَلَفَ ٱلْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ عَذَابِ يَوْمٍ أَلِيمٍ » .

« وإنه لعلم للساعة » أي ، أن عيسى عليه السلام ، مما يعلم بـه القيامة الكبرى ، وذلك أن نزوله من إشراط الساعة قيل في الحديث : (ينزل على ثنية من الأرض المقدسة اسمها أفيق ، وبيده حربة يقتل بها الدجال ، ويكسر الصليب ، ويهدم البيع ، والكنائس ، ويدخل بيت المقدّس ، والناس في صلاة الصبح ، فيتأخر الإمـام فيقدّمه عيسى عليه السلام ، ويصلي خلفه على دين محمد ﷺ) .

فالثنية المسماة أفيق . إشارة الى مظهره الذي يتجسد فيـه ، والأرض المقدسة الى المـادة الطاهرة التي يتكوّن منها جسده . والحربة إشارة الى صورة القدرة والشوكة ، التي تظهر فيها . وقتل الدجال بهـا : إشارة الى غلبته على المتغلب المضلّ ، الذي يخرج هو في زمانـه . وكسر الصليب ، وهدم البيع ، والكنائس : إشارة الى رفعـه الأديان المختلفة . ودخوله بيت المقدّس : إشارة الى وصوله الى مقـام الولاية الذاتية ، في الحضرة الإلهية ، الذي هو مقام القطب . وكون الناس في صلاة الصبح : إشارة الى اتفـاق المحمّديين على الإستقامة في التوحيد عند طلوع ، صبح يوم القيامة الكبرى ، بظهور نورَ شمس الوحدة . وتأخر الإمام : إشارة الى شعور القـائم بالدين المحمّدي في وقته بتقدمه على الكل في الرتبة لمكان قطبيته .

وتقديم عيسى عليه السلام ، إياه واقتداؤه به ، على الشريعة المحمّدية : إشارة الى متابعته للملة المصطفوية ، وعدم تغييره للشرائع ، وإن كان يعلمهم التوحيد العياني ، ويعرّفهم أحوال القيامة الكبرى . وطلوع الوجـــه الباقي هذا اذا كان المهدي عيسى ابن مريم على ما روى في الحديث : (لا مهدي إلا عيسى ابن مريم) وإن كان المهدي غـيره فدخوله بيت المقدّس : وصوله الى محل المشاهدة دون مقام القطب . والإمام الذي يتأخر : هو المهدي ، وإنمـا يتأخرمع كونه قطب الوقت مراعاة لأدب صاحب الولاية مع صاحب النبوة.

وتقديم عيسى عليه السلام ، إياه لعلمه بتقدّمه في نفس الأمر لمكان قطبيته. وصلاته خلفه على الشريعة المحمّدية : اقتداؤه بـــه تحقيقاً الإستفاضة منه ظاهراً وباطناً . والله أعلم .

وإنما قال : « واتبعون هـذا صراط مستقيم » لأن الطريقة المحمّدية هي صراط الله ، لكونه باقياً بـه بعد الفناء ، فدينه دين الله ، وصراطه صراط الله ، وأتباعه أتباع الله ، فلا فرق بين قوله : (اتبعوني). وقوله: (اتبعوا رسولي) . ولهذا كان متابعته تورث محبة الله ، إذ طريقه هي طريق الوحدة الحقيقة التي لا إستقامة إلا لها ، ولهذا لم يسع عيسى إلا إتباعه عند الوصول الى الوحدة ، وإرتفاع الإثنينية يوجب المحبة الحقيقية .

« هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ ٱلسَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ . ٱلأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلاَّ ٱلْمُتَّقِينَ . يَا عِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ . ٱلَّذِينَ آمَنُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا مُسْلِمِينَ . أُدْخُلُوا

ٱلْجَنَّةَ أَنتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ . يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ وَأَنتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ » .

« هل ينظرون إلا الساعة ان تأتيهم » أي ، ظهور المهدي دفعة ، وهم غافلون عنه « الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين » الخلة إما أن تكون خيرية او لا . والخيرية : إما أن تكون في الله او لله ، والغير الخيرية : إما أن يكون سببها اللذة النفسانية ، او النفع العقلي .

والقسم الأول : هو المحبـــة الروحانية الذاتية ، المستندة الى تناسب الأرواح في الأزل ، لقربهـــا من الحضرة الأحدية ، وتساويها في الحضرة الواحدية ، التي قال فيها : (فمـا تعارف منها ائتلف) . فهم إذا برزوا في هذه النشأة ، واشتاقوا الى أوطانهم في القرب ، وتوجهوا الى الحق ، وتجرّدوا عن ملابس الحس ، ومواد الرجس ؛ فلمـــا تلاقوا تعارفوا ، وإذا تعارفوا تحابوا ، لتجانسهم الأصلي ، وتماثلهم الوضعي ، وتوافقهم في الوجهة والطريقة ، وتشابههم في السيرة والغريزة ، وتجرّدهم عن الأغراض الفاسدة ، والأغراض الذاتية ، التي هي سبب العداوة ؛ وانتفع كل منهم بالآخر في سلوكه ، وعرفانه ، وتذكره لأوطانه ، والتذ بلقائه ، وتصفى بصفاته ، وتعاونوا في أمور الدنيا والآخرة ، فهي الخـلة التامة الحقيقية ، التي لا تزول أبداً كمحبة الأولياء ، والأنبياء ، والأصفياء ، والشهداء .

والقسم الثاني هو المحبة القلبية ، المستندة الى تناسب الأوصاف ، والأخلاق والسير الفاضلة ، ونشأته في الإعتقادات ، والأعمال الصالحة ؛ كمحبة الصلحاء ،

والأبرار فيما بينهم ، ومحبة العرفاء والأولياء إياهم ، ومحبة الأنبياء العامة أممهم .

والقسم الثالث : هو المحبة النفسانية ، المستندة الى اللذات الحسية ، والأغراض الجزئية ، كمحبة الأزواج لمجرّد الشهوة ، ومحبة الفجّار ، والفسّاق المتعاونين في اكتساب الشهوات ، واجتلاب الأموال .

والقسم الرابع : هو المحبة العقلية ، المستندة الى تسهيل اسباب المعاش ، وتيسير المصالح الدنيوية ، كمحبة التجار والصناع ، ومحبة المحسن اليه للمحسن ، فكل ما استند الى غرض فان ، وسبب زائل ، زال بزواله ، وانقلب عند فقدانه عداوة ، لتوقع كل من المتحابين ما اعتاد من صاحبه من اللذة المعهودة ، والنفع المألوف مع عدمه وامتناعه لزوال سببه .

ولما كان الغالب على اهل العالم احد القسمين الأخيرين ، أطلق الكلام وقال : « الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدوّ إلا المتقين » لانقطاع اسباب الوصلة بينهم ، وانتفاء الآلات البدنية عنهم ، وامتناع حصول اللذة الحسية ، والنفع الجسماني ، وانقلابها حسرات وآلاماً ، وضرراً وخسراناً ، قد زالت اللذات والشهوات ، وبقيت العقوبات والتبعات ، فكل يمقت صاحبه ويبغضه ، لأنه يرى ما به من العذاب منه وبسببه ؛ ثم استثنى المتقين المتناولين للقسمين الباقيين لقلتهم ، كما قال : « وقليل ما هم ، وقليل من عبادي الشكور » .

ولعمري إن القسم الأول أعزّ من الكبريت الأحمر . وفي الكاملون في التقوى ، البالغون الى نهايتها ، الفائزون بجميع مراتبها ، اجتنبوا أولاً المعاصي ، ثم الفضول ، ثم الأفعال ، ثم الصفات ، ثم الذوات ، فما بقيت منهم إلا نفس الحب .

وأما الفريق الثاني فاقتصروا على الرتبة الاولى ، وقنعوا بظاهر التقوى ، فرضوا من الآخرة بما أوتوا من النعيم ، وتسلّوا عن الدنيا وما فيها بالفضل الجسيم ، فبقي محباتهم فيما بينهم لبقاء أسبابها. وهي الصفات المتماثلة، والهيئات المتشابهة في ابتغاء مرضات الله ، وطلب ثوابه ، واجتناب سخط الله وعقابه، فهم العباد المرتضون . أي، كلا القسمين لاشتراكهما في طلب الرضا ، فلذلك ، نسبهم الى نفسه بقوله : « يا عبادِ لا خوف على الفريقين لأمنهم من العقاب ولا هم يحزنون » على فوات لذّات الدنيا ، لكونهم على ألذّ منها وأبهج ، وأحسن حالاً ، وأجمل ، وإن تفاوت حالهم في اللذة ، والسرور ، والفرح ، والحبور ، بما لا يتناهى ، وشتان بين محمد، ومحمد .

« وَتِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ . لَكُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِنْهَا تَأْكُلُونَ . إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ . لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ . وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَٰكِنْ كَانُوا هُمُ ٱلظَّالِمِينَ . وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَاكِثُونَ . لَقَدْ جِئْنَاكُمْ بِٱلْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ . أَمْ أَبْرَمُوا أَمْراً فَإِنَّا مُبْرِمُونَ . أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ » .

والجنة التي أمروا بدخولها هي جنة النفس ، لاشتراك الفريقين فيها ، دون جنتي الصفات والذات ، المخصوصتين بالسابقين بدليل قوله بعده :

« وتلك الجنة التي أورثتموها بما كنتم تعملون » وإنما الجنة التي هي ثواب الأعمال: جنة النفس ، لقوله : « وفيها ما تشتهيه الأنفس وتلذّ الأعين ».

« ونادوا يا مالك » سمي خازن النار مالكاً ، لاختصاصه بمن ملك الدنيا وآثرها ، لقوله تعالى : « فأما من طغى وآثر الحياة الدنيا فإن الجحيم هي المأوى» كما سمي خازن الجنة رضواناً ، لاختصاصه بمن رضي الله عنهم ورضوا عنه، وقيل: (الرضا بالقضاء باب الله الأعظم) وهو الطبيعة الجسمانية الموكلة بأجساد العالم ، والهيولى الظلمانية ، او النفس الحيوانية الكلية الموكلة بالتأثير في الأجساد الحيوانية ، المستعلية على النفوس الناطقة المحبوسة ، في قيود اللذات الحسية ، والمطالب السفلية ؛ وإنما لا يتعذب بالنار لكونه من جوهر تلك النار ، فهي له جنة ، وللجهنميين نار ، لتنافي جواهرهم وجوهرها ، وتباينهما ، واختصاص ندائهم بمالك دون الله تعالى ، لاحتجابهم وبعدهم عن الله بالكلية ، وتعبّدهم لمالك بالنيّة والأمنية ، وما ذلك النداء إلا توجههم اليه ، وطلب المراد منه .

ودعوتهم بقولهم : « ليقض علينا ربك » إشارة الى تمني زوال بقية الاستعداد بالكلية ، وإماتة الغريزة الفطرية ، لئلا يتأذوا بالهيئات المؤذية ، والنيران المردية ؛ أو تمني تعطل الحواس وعدم الاحساس لشدّة التألم بالعذاب الجسماني « وقال إنكم ماكثون » إشارة الى المكث المقدّر بحسب رسوخ الهيئات ، وارتكام الذنوب والآثام ، إن كانت الإستعدادات باقية ، والاعتقادات صحيحة ، أو الخلود فيها إن لم تكن ؛ فإن المكث أعم من المتناهي وغيره ، وكذا المجرم أعم من الشقي الأصلي وغيره .

وعلى هذا حمل الخلود في قوله : « ان المجرمين في عذاب جهنم خالدون »

على المكث الطويل الأعم من المتناهي وغيره، فإنه قد يستعمل في العرف بمعناه كثيراً مجازاً، وإنما جعلنا الجرم شاملا للقسمين المذكورين من الأشقياء، لمقابلته للمتقي الشامل للقسمين المذكورين من السعداء، وإن خصصناه بالشقي المردود المطرود في الأزل. كان المكث في قوله: « انكم ماكثون » عبارة عن الأبد « بلى ورسلنا لديهم يكتبون » كل ما خطر فينا بالبال من الأشرار ينتقش في النفوس الفلكية، كما ينتقش في الانسانية لاتصالها بها، وانتقاشها كما هي؛ إمّا في القوى الخيالية إن كانت جزئية، وإمّا في القوى العاقلة إن كانت كلية، وكلاهما يظهر على النفس عند ذهولها من الحس، ورجوعها الى ذاتها، ومـا كانت تنساها تنعكس اليها من النفوس الفلكية عند المفارقة فتتذكرها دفعة، وذلك، معنى قوله: « أحصاه الله ونسوه » فالرسل الكاتبون، هم النفوس الفلكية المناسبة، لكل واحد واحد من الأشخاص البشرية، بحسب الوضع المقارن لاتصال النفس بالبدن.

« قُلْ إنْ كَانَ لِلرَّحْمٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ ٱلْعَابِدِينَ . سُبْحَانَ رَبِّ ٱلسَّمٰوَاتِ وَٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ . فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ ٱلَّذِي يُوعَدُونَ . وَهُوَ ٱلَّذِي فِي ٱلسَّمَاءِ إِلٰهٌ وَفِي ٱلْأَرْضِ إِلٰهٌ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ . وَتَبَارَكَ ٱلَّذِي لَهُ مُلْكُ ٱلسَّمٰوَاتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِنْدَهُ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ . وَلَا يَمْلِكُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ

ٱلشَّفَاعَةَ إِلا مَنْ شَهِدَ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ . وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللهُ فَأَنى يُؤْفَكُونَ . وَقِيلِهِ يَا رَبِّ إِنَّ هؤُلَاءِ قَوْمٌ لَّا يُؤْمِنُونَ . فَٱصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَامٌ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ » .

« قل إن كان للرحمن ولد فأنا أوّل العابدين » أي ، لذلك الولد . وهو إما أن يدل على نفي الولد عن الله بالبرهان ، وإمّا أن يدل على نفي الشرك عن الرسول بالمفهوم .

أما دلالته على الأوّل ، فلما دل قوله : « سبحان ربّ السموات » الى قوله : « عمّا يصفون » على نفي التالي ، وهو عبادة الولد ، أي أوحده ، وأنزهه، تعالى عما يصفونه من كونه مماثلا لشيء ، لكونه رباً خالقاً للأجسام كلها ، فلا يكون من جنسها ، فيفيد انتفاء الولد على الطريق البرهاني .

وأما دلالته على الثاني ، فإذا جعل قوله : « سبحان ربّ السموات » الى آخره ، من كلام الله تعالى ، لا من كلام الرسول، أي نزّه رب السموات عمّا يصفونه ، فيكون نفياً للمقدّم ، ويكون تعليق عبادة الرسول من باب التعليق بالمحال ؛ والمعلق بالشرط عند عدمه ، فحوى بدلالة المفهوم أبلغ عند علماء البيان من دلالة المنطوق ، كما قال في استبعاد الرؤية : فإن استقر مكانه فسوف تراني . والله تعالى أعلم .

سورة الدخان

بسم الله الرحمن الرحيم

« حمٓ . وَٱلْكِتَابِ ٱلْمُبِينِ . إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ . فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ . أَمْرًا مِّنْ عِندِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ . رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ إِنَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ . رَبِّ ٱلسَّمٰوَاتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ . لَا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ . بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ يَلْعَبُونَ . فَٱرْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي ٱلسَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ . يَغْشَى ٱلنَّاسَ هٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ . رَبَّنَا ٱكْشِفْ عَنَّا ٱلْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ » .

« إنا أنزلناه في ليلة مباركة » الليلة المباركة هي بنية رسول الله ﷺ ، لكونها حادثة مظلمة ، ساترة لنور شمس الروح . ووصفها بالمباركة لظهور

الرحمة والبركة ، من الهداية والعدالة في العالم بسببها ، وازدياد رتبته وكماله بها . كما سماها ليلة القدر ، لأنّ قدره عليه السلام ، معرفته بنفسه ، وكماله إنما يظهر بها . ألا ترى أنّ معراجه إنما كان بجسده ؟ إذ لو لم يكن جسده لم يمكن ترقيه في المراتب الى التوحيد . وإنزال الكتب فيها: إشارة الى إنزال العقل القرآني الجامع للحقائق كلهـــا ، والفرقاني المفصل لمراتب الوجود ، المبين لتفاصيل الصفات وأحكام تجلياتهـــا ، المميز لمعاني الأسماء ، وأحكام الأفعال فيها . وهو معنى قوله : « فيها يفرق كل أمر حكيم » أو الى إنزال المحمديّ الذي هو الكتاب المبين ، حقيقة في صورتها ، أو القرآن .

« إنا كنا منذرين » لأهل العالم بوجوده « أمراً من عندنا » خصّ الأمر الحكمي بكونه من عنده ، لأن كل أمر يُبتنى على حكمة وصواب ، كما ينبغي من الشرائع والأحكام الفقهية ، إنما يكون من عنده مخصوصاً به ، مطلقاً لما في نفس الأمر ، وإلا كان أمراً مبنياً على الهوى ، والتشهي « إنا كنا مرسلين رحمة من ربك » تامــة ، كاملة على العالمين ، بإنزاله لاستقامة أمورهم الدينية والدنيوية، وصلاح معاشهم ومعادهم، وظهور الخير والكمال، والبركة والرشاد، فيهم بسببه . أو مرسلين إياك لرحمة كاملة شاملة عليهم .

« انـــه هو السميع » لأقوالهم المختلفة في الأمور الدينية ، الصادرة عن أهوائهم « العليم » بعقائدهم الباطلة ، وآرائهم الفاسدة ، وأمورهم المخيــلة ، ومعايشهم الغير المنتظمة ، فلذلك ، رحمهم بإرسال الرسول الهادي الى الحق في أمر الدين ، الناظم لمصالحهم في أمر الدنيــا ، المرشد الى الصواب فيها ، بتوضيح الصراط المستقيم ، وتحقيق التوحيد . بالبرهـــان ، وتقنين الشرائع وسنن الأحكام لضبط النظام .

« فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين » أي ، وقت ظهور آيات القيامة الصغرى ، او الكبرى . فإن الدخان من أشراطها ، فاعلم ان الدخان هو من الأجزاء الارضية اللطيفة المتصاعدة عن مركزها لتلطفها بالحرارة ، فإن فسرنا القيامة بالصغرى فالدخان هو السكرة ، والغشية ، والايلباضية العارضة لسماء الروح عنـــد النزع بسبب هيئة التعلق البدني ، والقترة المرتكبة على وجهها ، من مباشرة الأمور السفلية ، والميل الى اللذات الحسية ، ولهذا قال عليه السلام ، في وصفه : (أما المؤمن فيصيبه كهيئة الزكمة ، وأما الكافر فهو كالسكران يخرج من منخريه ، وأذنيه ، ودبره) .

فإن المؤمن لقلة تعلقه بالأمور البدنية ، وضعف تلك الهيئة المستفادة من مباشرة الأمور السفلية يقـــل انفعاله منها ، ويسهل زواله ، وخصوصاً إذا اكتسب ملكة الاتصال بعالم الأنوار .

وأمـــا الكافر فلشدّة تعلقه ، وقوّة محبته للجسمانيات ، وركونه الى السفليات ، تغشاه تلك الهيئة فتحيره ، وتشمله حتى عمّت مشاعره الظاهرة والباطنة ، ومخارجه العلوية ، والسفلية ، فلا يهتدي الى طريق . لا الى العالم العلوي ، ولا الى العالم السفلي « هذا عذاب أليم » ولما كان الغالب عليه التمني والتندم ، فيتمنى ما كان فيه من الحياة والصحة ، ويتندّم على مـا كان عليه من الفسوق ، والعصيان ، والفجور ، والطغيان .

قال بلسان الحال : « ربنا اكشف عنا العذاب إنّا مؤمنون » او بلسان المقال ، على ما ترى عليه حال بعض من وقع في النزع من العصاة من التوبة ، وموعدة الرجوع الى الطاعة

« أَنَّى لَهُمُ ٱلذِّكْرَىٰ وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُّبِينٌ . ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا مُعَلَّمٌ مَّجْنُونٌ . إِنَّا كَاشِفُوا ٱلْعَذَابِ قَلِيلاً إِنَّكُمْ عَائِدُونَ . يَوْمَ نَبْطِشُ ٱلْبَطْشَةَ ٱلْكُبْرَىٰ إِنَّا مُنتَقِمُونَ » .

« أنى لهم الذكرى » أي ، الإتعاظ ، والإيمان بمجرّد انكشاف العذاب « وقــد جاءهم » ما هو أبلغ منه من الرسول ، المبين طريق الحق بالمعجز والبرهان ، ودعــاهم الى سبيله بالطرق الثلاثة ، من الحكمة والموعظة الحسنة ، والمجادلة بالتي هي أحسن « ثم » أعرضوا ، ونسبوه الى الجنون والتعليم المتنافيين لفرط احتجابهم ، وعنادهم « إنا كاشفوا العذاب قليـــلا » بتعطيل الحواس ، والإدراكات « انكم عائدون » اليه « يوم نبطش البطشة الكبرى » أي ، وقت تمام الفراغ الى إدراك العذاب المؤلم بتلك الهيئات ، وتحقق الخلود « إنا منتقمون » معذبون بالحقيقة ، او بالرد الى الصحة والحيـــاة البدنية ، انكم عائدون الى الكفر لرسوخه فيكم .

يوم نبطش البطشة الكبرى ، بزوال الإستعداد ، وانطفاء نور الفطرة بالرين الحاصل من ارتكاب الذنوب ، والإحتجاب الكلي الموجب للعـــذاب الأبدي كما قال : « كلا بل ران على قلوبهم مـــا كانوا يكسبون كلا انهم عن ربهـــم يومئذ لمحجوبون » ننتقم منهم بالحقيقة بالحرمان الكلي ، والحجاب الأبـدي ، والعذاب السرمدي . وإن فسرنا القيامة بالكبرى ، فالدخان هو حجاب الأنيـــة الذي يغشى الناس عند ظهور نور الوحدة بطغيان النفس ، لإنتحال صفات الربوبية ، وغلبة سكرة يوم الجمع المورثة للإباحة ، إذ هو من

بقية النفس الأرضية ، اللطيفة بنور الوحدة ، المرتقية الى محل الشهود التي تأتي بها سماء الروح ، لتأثيره فيها بالتنوير ، إذ لم تحترق بالكلية بنار العشق ، بل صفت وتلطفت ، وتصعدت .

فأما المؤمن بالإيمان الحقيقي الموحد التام الإستعداد ، المحب الغالب المحبة ، فيصيبه كهيئة الزكمة ، أي السكرة التي قال فيها ابو زيد قدس الله روحه : (سبحاني ما أعظم شأني). والحسين بن منصور رحمه الله : (أنا الحق). ثم يرتفع عنه سريعاً لمزيد العناية الإلهية ، وقوة الإستعداد الفطرية ، وشدة المحبة الحقيقية ، فيتنبه لذلك ، ويتعذب به غاية التعذب ، ويشتاق الى الانطماس في عين الجمع غاية الشوق . فيقول : (هذا عذاب أليم) ويطلب الفناء الصرف ، كما قال الحلاج ، قدّس الله روحه :

بيني وبينك إني ينازعني   فارفع بفضلك إني من البينِ

ويدعو بلسان التضرع والإفتقار : « ربنا اكشف عنا العذاب إنّا مؤمنون » بالإيمان العيني عند كشف الحجاب الآني « أنّى لهم الذكرى » ؟ من أين لهم ذكر الذات ، والإيمان العيني في مقام حجاب الأنانية « وقــد جاءهم رسول مبين » ؟ أي ، رسول العقل المبين ، لوجوداتهم وصفاتهم ؛ أي ، انما احتجبوا بحجاب الآنية لظهور العقل وإثباته لوجوداتهم ، فكيف ذكرهم للذات تعجب من تذكرهم مع كونهم عقلاء ؟ ثم بين كونهم عشاقاً مشتاقين بقوله : « ثم تولّوا عنه » لقوّة المحبة وفرط العشق ، وقالوا : « معلّم » أي ، من عند الله ، بإفاضة العلم عليه ، « مجنون » مستور الإدراك ، محجوب عن نور الذات ، كما قال جبريل عليه السلام : (لو دنوت أنملة لاحترقت) .

« إنّا كاشفو العـذاب » أي ، عذاب الحجاب والحرمان ، لإعراضهم ،

بقوة العشق ، عن الرسول قليلاً، بطلوع نور الوجه الباقي ، وإشراق سبحاته، وإحراقها ما انتهى اليه بصره من خلقه . انكم عائدون بالتلوين، الى الحجاب بعــد تجلي نور الذات لبقية الآثار ، الى وقت التمكين « يوم نبطش البطشة الكبرى » أي ، وقت الفناء الكلي ، والإنطماس الحقيقي ، بحيث لا عين ولا أثر «إنّا منتقمون» أي،ننتقم بالقهر الأحدي، والإفناء الكلي من وجوداتهم، وبقاياهم ، فيطهرون عن الشرك الخفي بالوجود الأحدي .

وأما الكافر، أي المحجوب عن نور الذات،الممنوّ بحجب الصفات، المحروم عن الطمس عن عين الجمع بتوهم الكمال ، فيبقى في مقـام الأنائية ، ويتفرعن وراء حجاب الآنية ، كما قال اللعين : (أنا ربكم الأعلى مـا علمت لكم من إله غيري) فيخلع عن عنقه ربقة الشريعة ، ويسير بسيرة الإباحة ، ويتجسر على المخالفات ، ويتزندق بارتكاب المعـاصي وتركه الطاعات ، فيكون من شرار الناس ، الذين قال فيهم : (شر الناس من قامت القيامة عليه وهو حي) .

فهو في عدم التمييز والرجوع الى التفصيل،والإنهماك في الدواعي الطبيعية، والتعمق في الجاهلية ، كالسكران غلب الهوى على عقله وأحاط بـه الحجاب من جميع جهاته ، وظهر أثر الغيّ من مشاعره . هـذا عذاب أليم ، لكنه لا يشعر به لشدّة انهماكه في تفرعنه ، وقوة شكيمته في تشطينه كلما دعـــاه الموحّد القائم بالحق ، المهدي الى نور الذات بالفناء المطلق ، المنصور من عند الله بالوجود الموهوب المتحقق،ونبهه على ما به من الاحتجاب،أبى واستكبر، وطغى وتجبر ، لاستغنائه بنفسه وثباته في غيّه ، حتى اذا وقع في الارتياب وتفطن بالحجاب عند ارتتاج البـاب ، بتعين المآب ، وتيقن العقاب ، قال : « ربنا اكشف عنا العذاب إنّا مؤمنون » كما قال فرعون حين أدركه الغرق: « آمنت أنه لا إله إلا الذي آمنت به بنو إسرائيل » .

« أنّى لهم الذكرى » أي ، الاتعاظ والايمان الحقيقي ، وقــد عاندوا الحقّ ، وأعرضوا عن القائم بالحق ، فلعُنِنوا وطـُردوا « إنـّا كاشفوا العذاب» بكشف الحجاب قليلاً ، ربما تحققوا ما هم فيه من الوقوف مع النفس ، وتبينوا التفريط في جنب الحـــق ، إنكم عائدون لفرط تمكن الهوى من انفسكم ، وتشرب قلوبكم بمحبة نفوسكم ، واستيلاء صفاتها عليكم ؛ وقوة الشيطنة فيكم ، يوم نبطش البطشة الكبرى بالقهر الحقيقي ، والإذلال الكلي ، والطـــرد ، والإبعاد ، ننتقم منهم لمكان شركهم ، وعبادتهم لأنفسهم ، ومبارزتهم علينا بالظهور في مقابلتنا ، ومنازعتهم رداء الكبرياء منا ، كما قلنـــا : (العظمة إزاري ، والكبرياء ردائي ، فمن نازعني واحداً منهما قذفته في النـــار) .
وأما حكاية قوم فرعون فاشتهيت تطبيقها على حالك ، فافهم منها .

« وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ . أَنْ أَدُّوا إِلَيَّ عِبَادَ ٱللهِ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ . وَأَنْ لَّا تَعْلُوا عَلَى ٱللهِ إِنِّي آتِيكُمْ بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ . وَإِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَنْ تَرْجُمُونِ . وَإِنْ لَّمْ تُؤْمِنُوا لِي فَٱعْتَزِلُونِ . فَدَعَا رَبَّهُ أَنَّ هٰؤُلَاءِ قَوْمٌ مُّجْرِمُونَ . فَأَسْرِ بِعِبَادِي لَيْلاً إِنَّكُمْ مُّتَّبَعُونَ . وَٱتْرُكِ ٱلْبَحْرَ رَهْواً إِنَّهُمْ جُنْدٌ مُّغْرَقُونَ . كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ . وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ . وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ . كَذٰلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْماً آخَرِينَ . فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ

ٱلسَّمَاءُ وَٱلْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ . وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ . مِنْ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ كَانَ عَالِياً مِّنَ ٱلْمُسْرِفِينَ . وَلَقَدِ ٱخْتَرْنَاهُمْ عَلَى عِلْمٍ عَلَى ٱلْعَالَمِينَ . وَآتَيْنَاهُمْ مِّنَ ٱلْآيَاتِ مَا فِيهِ بَلَوْٰا مُّبِينٌ . إِنَّ هَٰؤُلَاءِ لَيَقُولُونَ . إِنْ هِيَ إِلَّا مَوْتَتُنَا ٱلْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُنْشَرِينَ . فَأْتُوا بِآبَائِنَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ . أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ وَٱلَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ أَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ . وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمٰوَاتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ . مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ . إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ مِيقَاتُهُمْ أَجْمَعِينَ . يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلًى عَنْ مَّوْلًى شَيْئاً وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ . إِلَّا مَنْ رَّحِمَ ٱللَّهُ إِنَّهُ هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ » .

« ولقد فتنّا قبلهم قوم فرعون» النفس الأمّارة من قبط القوى الحيوانية « وجاءهم رسول كريم » هو موسى القلب ، الشريف المجرد « أن أدّوا إليّ عباد الله » المخصوصين بـه من القوى الروحانية ، المأسورين في قيود طاعتكم ، المستضعفين باستيلائكم ، المستعبدين لقضاء حوائجكم ، وتحصيل مراداتكم من اللذات الحسية ، والشهوات البدنية « اني لكم رسول أمين »

بحصول علم اليقين ، المأمون من تغيره « وأن لا تعلوا على الله » بعصيانه وترك ما أدعوكم اليه ، واستكباركم ؛ « اني آتيكم » بحجة واضحة من الحجج العقلية « وإني عذت بربي وربكم أن ترجمون » بأحجار الهيولى السفلية ، والأهواء النفسية ، والدواعي الطبيعية ، فتجعلوني بحيث لا حراك في طلب الكمالات الروحانية ، والأنوار الرحمانية ، وتهلكوني .

« وإن لم تؤمنوا لي » بطاعتي ، ومشايعتي في التوجه الى ربي وطلب كمالي ، والتنوّر بأنواري « فاعتزلون » بعدم ممانعتي ، وترك معاجزتي ، ومعاوقتي في سيري وسلوكي « فدعا ربه » بلسان التضرع ، والإفتقار « إن هؤلاء قوم مجرمون » في اكتساب المطالب الجرمية ، واللذات الحسية ، منهمكون فيها ، لا يرفعون منها رأساً .

« فأسر » أي ، فقال الله : أسر « بعبادي » الروحانيين من القوى العقلية ، والفكرية ، والحدسية والقدسية ، وصفاتك المخلصة الى حضرة القدس ، وراء بحر الهيولى « ليلا » وقت نعاس القوى الحسية ، وتعطل القوى البدنية « انكم متبعون » بمطالبتهم إياكم بكمالات الحس ، ومجاذبتهم لكم عن جناب القدس . « واترك » بحر الهيولى ، والمواد الجسمانية ساكنة على قرارها ، ساجية عن أمواجها ، غير مزاحمة اياكم باضطراب أحوالها ، وانحراف مزاجها ، ومتسعة طرقها ، منفرجة لنفوذ تلك القوى وسريانها ، وتصرفها فيها « انهم جند مغرقون » هالكون بتموّج البحر ، وطمسه اياهم عند خراب البدن .

« إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ . طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ . كَٱلْمُهْلِ يَغْلِي فِي ٱلْبُطُونِ . كَغَلْيِ ٱلْحَمِيمِ . خُذُوهُ فَٱعْتِلُوهُ إِلَى

سَوَاءِ ٱلْجَحِيمِ . ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ ٱلْحَمِيمِ . ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ . إِنَّ هٰذَا مَا كُنْتُمْ بِهِ تَمْتَرُونَ . إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ . فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ . يَلْبَسُونَ مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَقَابِلِينَ . كَذٰلِكَ وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ » .

« إن شجرة الزقوم طعام الأثيم » شجرة الزقوم هي : النفس المستعلية على القلب في تعبّد الشهوة ، وتعوّد اللذات . سميت زقوماً لملازمتها اللذة ، اذ الزقم ، والتزقم ، عندهم : أكل الزبد ، والتمر . ولكونه لذيذاً نسبت تبعة اللذة اليه ، واشتق لها إسم منه ، ولا يطعم منهـا ، ويستمد من قواها وشهواتها ، إلا المنغمس في الاسم المنهمك في الهوى . « كالمهل » أي ، دردي الزيت لثقلها وترسبها ، وسرعة نفوذها في المسام للطافتها ، وحرارتها اللازمة لطلبها ما يهواها ؛ أو النحاس الذائب في ميلها الى الجهة السفلية ، وإيذائها القلب بشدّة الداعية ، ولهج الحرص ، ولهب نار الشوق مع الحرمان .

« يغلي في البطون » تضطرب ، وتقلق في البواطن من شدة حرّ التعب في الطلب ، فتقلق القلوب ، وتحرقها بنار الهوى ، ومنافاة ظلمتها لنوريتها ، وتسري فيها بالأذى ، لاستيلاء هيئتها عليها ، ولطف هواهـا الذي هو روح النفس ، ورسوخ محبتها فيها ؛ ولهذا قيل : (ذواق السلاطين محرقة الشفتين) « كغلي الحميم » الساري بحره في المسامّ للطافته . وقوله : « في البطون » كقوله : « نار الله الموقدة التي تطلع على الأفئدة » .

« ذق إنك أنت العزيز الكريم » إشارة الى انعكاس احوالها لانتكاس فطرتها، فإن اللذة والعزّة الجسمانية، والكرامة النفسانية موجبة للألم والهوان، والذلة الروحانية « إن هذا ما كنتم به تمترون » لحسبانكم انحصار اللذات والآلام في الحسية ، واحتجابكم بها عن العقلية .

« إن المتقين » الكاملين في التقوى باجتناب البقايا « في جنات » عالية من الجنان الثلاث « وعيون » من علوم الأحوال ، والمعارف ، وغيرها من المنافع الحقيقية « يلبسون من سندس » لطائف الأحوال والمواهب ، لاتصافهم بها ، كالمحبة، والمعرفة ، والفناء ، والبقاء « واستبرق » فضائل الأخلاق، كالصبر، والقناعة ، والحلم ، والسخاوة « متقابلين » على رتب متساوية في الصف الاول من صفوف الأرواح ، لا حجاب بينهم لتجرّد ذواتهم ، وبروزهم الى الله عن صفاتهم « كذلك وزوّجناهم بحور عين » أي، قرناهم بما فيه قرّة أعينهم ، واستئناس قلوبهم ، لوصولهم بمحبوبهم ، وحصولهم على كمال مرادهم .

« يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَاكِهَةٍ آمِنِينَ . لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَى وَوَقَاهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ . فَضْلاً مِّنْ رَّبِّكَ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ . فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ . فَٱرْتَقِبْ إِنَّهُمْ مُّرْتَقِبُونَ » .

« يدعون فيها بكل فاكهة » أي ، كل ما يتلذذ به من لذائذ الجنان الثلاث « آمنين » من الفناء والحرمان عن تلك النعماء « لا يذوقون فيها الموت إلا الموتة الاولى » أي ، الطبيعة الجسمانية لا الفناء من الافعال ،

والصفات، والذات . فإن كل فناء منها ، وإن كان موتاً إرادياً . لكنه حياة أصفى ، وألذ ، وأشهى ، وأبهج مما قبلها ، وكل منها في جنة « ووقاهم عذاب الجحيم » أي ، جحيم الحرمان بوجود البقية ، فضلاً عن الخذلان في جحيم الطبيعة « فضلاً من ربك » موهبة محضة ، وعطاء صرفاً من ربك ، بالوجود الحقاني ، عند تلاشي الآلات النفسانية « ذلك هو الفوز العظيم » .
والله أعلم .

سورة الجاثية

بسم الله الرحمن الرحيم

« حمٓ . تَنزِيلُ ٱلْكِتَابِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ . إِنَّ فِي ٱلسَّمَٰوَاتِ وَٱلْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ . وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِن دَابَّةٍ آيَاتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ » .

« حم » جواب القسم ، محذوف لدلالة « تنزيل الكتاب » عليه . أي ، أقسم بحقيقة الهوية . أي ، الوجود المطلق ، الذي هو أصل الكل ، وعين الجمع ، وبمحمد . أي ، الوجود الإضافي ، الذي هو كمال الكل ، وصورة التفصيل ، لأنزلن الكتاب المبين لهما ، او يجعل « حم » مبتدأ و « تنزيل الكتاب » خبره ، على تقدير حذف مضاف . أي ، ظهور حقيقة الحق ، المفصلة تنزيل الكتاب . أي ، ارسال الوجود المحمدي ، او انزال القرآن المبين الكاشف عن معنى الجمع والتفصيل في غير موضع . كما جمع في قوله : « شهد الله أنه لا إله إلا هو » ثم فصل بقوله : « والملائكة وأولوا العلم من الله » من عين الجمع « العزيز الحكيم » في صورة تفاصيل القهر واللطف، اللذين

هما أما الأسماء ، ومنشؤها الكثرة في الصفات ، إذ لا صفة إلا وهي من باب القهر ، او اللطف .

« إن في السماوات والأرض » أي ، في الكل « لآيات للمؤمنين » بذاته ، لأن الكل مظهر وجوده الذي هو عين ذاتـه ، « وفي خلقكم » الى آخره . « آيات لقوم يوقنون » بصفاته ، لأنكم وجميع الحيوانات مظاهر صفـاته من كونه حياً ، عالماً ، مريداً ، قادراً ، متكلماً ، سميعاً بصيراً ، لأنكم بهـذه الصفات شاهدون بصفاته .

« وَٱخْتِلَافِ ٱللَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَا أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَاءِ مِن رِّزْقٍ فَأَحْيَـا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَاحِ آيَاتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ . تِلْكَ آيَاتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ ٱللَّهِ وَآيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ . وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ . يَسْمَعُ آيَاتِ ٱللَّهِ تُتْلَى عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا فَبَشِّرْهُ بِعَـذَابٍ أَلِيمٍ » .

وفي « اختلاف الليل والنهار » الى آخره . « آيات لقوم يعقلون » أفعاله ، فإن هـذه التصرفات أفعاله ، وإنمـا فرق بين الفواصل الثلاث : بالإيمان ، والإيقان ، والعقل . لأن شهود الذات أوضح ، وإن خفي لغـاية وضوحه . والوجود أظهر ، والمصدّقون به اكثر ، لكونه من الضروريات ، ومشاهدة

الصفات أدقّ ، وألطف من القسمين الباقيين ، فعبّر عنهـا بالإيقان ، فكل مؤقن مؤمن بوجوده ، ولا ينعكس . وقد يوجد الإيقان بدون الايمان بالذات لذهول المؤمن بالوجود ، الموقن بالصفات عن شهود الذات، لاحتجابه بالكثرة عن الوحدة .

وأما الأفعال فمعرفتها استدلال بالعقل ، إذ التغير في الأشياء لا بد له من تغيير مغيّر عند العقل ، لاستحالة التأثر بدون التأثير عقلاً ، والأول فطري روحي . والثاني علمي قلبي . أي ، كشفي ذوقي . والثالث عقلي . فالمحبوب الباقي على الفطرة يؤمن أولاً بالذات ، ثم يوقن بالصفات ، ثم يعقل الأفعـال . وأما المحب المحتجب عن الفطرة بالنشأة والمادة ، فهو في مقام النفس ، يعقل أولاً أفعاله ، ثم يوقن بصفاته التي هي مبادىء أفعـاله ، ثم يؤمن بذاته ، ولهذا لما سئل حبيب الله ﷺ : (بمَ عرفت الله ؟) قـال : (عرفت الاشياء بالله) .

« تلك » أي، آيات سماوات الأرواح، وأرض الجسم المطلق، أي،الكل. وآيات الأحيـاء من الموجودات ، وآيات سائر الحوادث من الكائنات ، « آيات الله » أي، آيات ذاته، وصفاته، وأفعاله . « فبأي حديث بعد الله » وآيات صفاته، وأفعاله « يؤمنون » إذ لا موجود بعدها إلا حديث بلا معنى، واسم بلا مسمى، كما قال: « إن هي إلا أسماء سميتموها » أي، بلا مسمّيات.

« ويل لكل أفـّاك » منغمس في أفك الوجود المزخرف،الباطل،الموهوم، وإثم الشرك بنسبة الأفعال، لذلك الوجود « يسمع آيات الله » من كل موجود، قائل بلسان الحال ، او القال « تتلى عليه » على لسان كل شيء ، لا على لسان النبي وحـده « ثم يصر مستكبراً » في نسبتها الى الغير لاحتجابه بوجوده ،

واستكباره وأنانيته لفرط تفرعنه؛ او لغرته، وغفلته «كأن لم يسمعها» لعدم تأثره بها «فبشّره بعذاب» الحجاب المؤلم، والحرمان الموبق.

«وَإِذَا عَلِمَ مِنْ آيَاتِنَا شَيْئاً ٱتَّخَذَهَا هُزُواً أُولٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ. مِّنْ وَرَائِهِمْ جَهَنَّمُ وَلَا يُغْنِي عَنْهُمْ مَّا كَسَبُوا شَيْئاً وَلَا مَا ٱتَّخَذُوا مِنْ دُونِ ٱللهِ أَوْلِيَاءَ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ. هٰذَا هُدىً وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَهُمْ عَذَابٌ مِّنْ رِّجْزٍ أَلِيمٍ. ٱللهُ ٱلَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ ٱلْبَحْرَ لِتَجْرِيَ ٱلْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ. وَسَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي ٱلسَّمٰوَاتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعاً مِّنْهُ إِنَّ فِي ذٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ. قُلْ لِّلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ ٱللهِ لِيَجْزِيَ قَوْماً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ. مَنْ عَمِلَ صَالِحاً فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ. وَلَقَدْ آتَيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ ٱلْكِتَابَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَاهُمْ مِّنَ ٱلطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى ٱلْعَالَمِينَ. وَآتَيْنَاهُمْ بَيِّنَاتٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَمَا ٱخْتَلَفُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ

ٱلْعِلْمُ بَغْياً بَيْنَهُمْ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيٰمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ . ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ . إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا عَنكَ مِنَ ٱللهِ شَيْئاً وَإِنَّ ٱلظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَٱللهُ وَلِيُّ ٱلْمُتَّقِينَ . هٰذَا بَصَائِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ . أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا ٱلسَّيِّئَاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ . وَخَلَقَ ٱللهُ ٱلسَّمٰوَاتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ » .

« وإذا علم من آياتنا شيئاً اتخذها هزواً » بنسبتها الى من لا وجود له ، أصلاً « أولئك لهم عذاب مهين » في ذلّ الإمكان « إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون » أي، في تسخير ما في السماوات وما في الأرض لكم ، دلائل لمن يتفكر في نفسه من هو؟ ولماذا سخّر له هذه الأشياء، حتى الملكوت والجبروت منه من جهته ؟ فيرجع الى ذاته، ويعرف حقيقته، وسرّ وجوده ، وخاصيته التي بها شرّف وفضّل عليها ، وأهل لتسخيرها له ، فيأنف عن التأخر عن رتبة أشرفها فضلاً عن أخسّها ، ويترقى الى غايته التي يندب اليها .

« ثم جعلناك على شريعة » طريقة من أمر الحق هي طريقة التوحيد ،

« فاتبعها » بسلوكها على بيّنة ، وبصيرة « ولا تتبع » جهالات أهل التقليد « الذين لا يعلمون » علم التوحيد « إنهم لن يغنوا عنك من الله شيئاً » أي ، لن يدفعوا عنك ضراً بأفعالهم لعدم تأثيرهم ، ولا جهالة وحجاباً بأوصافهم لعدم قواهم ، وقدرهم ، وعلومهم ، إذ لا حول ولا قوّة إلا بالله ، ولا وحشة بحضورهم ، إذ لا مناسبة بينك وبينهم فتستأنس بهم ، بل لا إنس لك إلا بالحق ، وهم لا شيء محض في شهودك ، فلا موالاة بينك وبينهم بوجه ، وإنما موالاة الظالمين ليست إلا مع الظالمين لما بينهم من الجنسية والمناسبة في الإحتجاب « والله وليّ المتقين » أي ، متولي أمور من اتقى أفعاله بالتوكل عليه في شهود توحيد الأفعال ، أو ناصر من اتقى صفاته في مقام الرضا بمشاهدة تجليات الصفات ، أو حبيب من اتقى ذاته في شهود توحيد الذات ، إذ الولي يستعمل بالمعاني الثلاثة لغة .

« هذا » أي ، هذا البيان « بصائر » أي ، بيّنات لقلوب الذين طالعوا بهجة الصفات ، يطالعون بكل بصيرة تجلي طلعة صفته « وهدى » لأرواحهم الى محل شهود الذات « ورحمة » لنفوسهم من عذاب حجاب الأفعال « لقوم يوقنون » هذه البيانات .

« أَفَرَأَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ ٱللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ . وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا ٱلدَّهْرُ وَمَا لَهُمْ بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ . وَإِذَا تُتْلَىٰ

عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ مَا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا ائْتُوا بِآبَائِنَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ . قُلِ اللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ . وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَخْسَرُ الْمُبْطِلُونَ » .

« أفرأيت من اتخذ إلهه هواه » الإله المعبود ، ولما أطاعوا الهوى فقد عبدوه وجعلوه إلهاً ، إذ كل ما يعبده الانسان بمحبته وطاعته فهو اليه ، ولو كان حجراً « وأضله الله » عالماً بحاله من زوال استعداده ، وانقلاب وجهه الى الجهة السفلية ، او مع كون ذلك العابد للهوى عالماً بعلم ما يجب عليه فعله في الدين على تقدير أن يكون على علم حالاً من الضمير المفعول في أضلّه الله لا من الفاعل ، وحينئذ يكون الإضلال لمخالفته علمه بالعمل ، وتخلّف القدم عن النظر لتشرّب قلبه بمحبة النفس وغلبة الهوى ، كحال بلعام بن باعورا وأضرابه ، كما قال عليه السلام : (كم من عالِم ضلّ ، ومعه علمه لا ينفعه) . او على علم منه غير نافع ، لكونه من باب الفضول ، لا تعلّق له بالسلوك « وختم على سمعه وقلبه » بالطرد عن باب الهدى ، والإبعاد عن محل سماع كلام الحق ، وفهمه لمكان الرين ، وغلظ الحجاب « وجعل على بصره غشاوة » عن رؤية جماله ، وشهود لقائه « فمن يهديه من بعد الله » إذ لا موجود سواه يقوم بهدايته « أفلا تذكرون » ايها الموحدون .

« ما هي إلا حياتنا الدنيا » أي الحسية « نموت » بالموت البدني الطبيعي « ونحيى » الحياة الجسمانية الحسّية ، لا موت ولا حياة غيرهما ، ولا ينسبون

ذلك إلا الى الدهر، لاحتجابهم عن المؤثر الحقيقي القابض للأرواح ، والمفيض للحياة على الأبدان .

« قل الله يحييكم ثم يميتكم » لا الدهر ! « ثم يجمعكم » اليه بالحياة الثانية عند البعث، او الله يحييكم لا الدهر بالحياة الأبدية القلبية بعد الحياة النفسانية، ثم يميتكم بالفناء فيه ، ثم يجمعكم اليه بالبقاء بعد الفناء ، والوجود الموهوب ، لتكونوا به معه .

« ولله ملك السماوات والأرض » لا مالك غيره في نظر الشهود « ويوم تقوم » القيامة الكبرى « يخسر » الذين يثبتون الغير، إذ كل ما سواه باطل ، ومن أثبته ، واحتجب به عنه مبطل .

« وَتَرَى كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَى إِلَى كِتَابِهَا أَلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ . هٰذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِٱلْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ . فَأَمَّا ٱلَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّالِحَاتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِي رَحْمَتِهِ ذٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْمُبِينُ . وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا أَفَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُتْلَى عَلَيْكُمْ فَٱسْتَكْبَرْتُمْ وَكُنْتُمْ قَوْماً مُجْرِمِينَ . وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ ٱللهِ حَقٌّ وَٱلسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُمْ مَّا نَدْرِي مَا ٱلسَّاعَةُ إِنْ نَّظُنُّ إِلاَّ ظَنّاً وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ . وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَّا كَانُوا بِهِ

يَسْتَهْزِءُونَ . وَقِيلَ ٱلْيَوْمَ نَنْسَاكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هٰذَا وَمَأْوَاكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُمْ مِّنْ نَّاصِرِينَ . ذٰلِكُمْ بِأَنَّكُمُ ٱتَّخَذْتُمْ آيَاتِ ٱللهِ هُزُوًا وَغَرَّتْكُمُ ٱلْحَيٰوةُ ٱلدُّنْيَا فَٱلْيَوْمَ لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ . فَلِلّٰهِ ٱلْحَمْدُ رَبِّ ٱلسَّمٰوَاتِ وَرَبِّ ٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ . وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَاءُ فِي ٱلسَّمٰوَاتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ » .

« وترى » يا موحّد « كل أمة جاثية » لا حراك بها ، إذ هي بنفسها ميتة غير قادرة ، كما قال : « إنك ميت وإنهم ميتون » أو تراها جاثية في الموقف الاول وقت البعث قبل الجزاء ، على حالها في النشأة الاولى عند الإجتنان ، وفيه سرّ « كل أمة تدعى الى كتابها » أي ، اللوح الذي اثبت فيه اعمالها ، وتجسدت صورها ، وانتقشت فيه على هيئة جسدانية ، فإن كتابة الأعمال إنما تكون في اربعة ألواح : احدها اللوح السفلي الذي يدعى اليه كل أمة ، ويعطى بيمين من كان سعيداً ، وشمال من كان شقياً . والثلاثة الأخرى : سماوية علوية أشير اليها فيما قبل ، وإنما قلنا : هذا الكتاب هو اللوح السفلي ، لأن الكلام ههنا في جزاء الأعمال ، لقوله : « اليوم تجزون ما كنتم تعملون » وقوله : « إنّا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون » والناسخون هم : الملكوت السماوية والأرضية جميعاً .

« فأما الذين آمنوا » الايمان الغيبي التقليدي ، او اليقيني العلمي « وعملوا »

ما صلح به حالهم في المعـاد الجسماني ، من ابواب البرّ « فيدخلهم ربهم في » رحمة ثواب الأعمال ، في جنة الأفعال .

« وأما الذين كفروا » احتجبوا عن الحق بالكفر الاصلي ، والانغماس في الهيئات الجرمانية المظلمة بالإجرام ، بدليل قوله : « اليوم ننساكم كما نسيتم لقاء يومكم هذا » أي، نترككم في العذاب كما تركتم العمل للقائي في يومكم هذا، لعدم اعترافكم ، او نجعلكم كالشيء المنسيّ المتروك بالخذلان في العذاب ، كما نسيتم لقاء يومكم هذا ، بنسيان العهد الأزلي .

« فلله الحمد » الكمال المطلق الحاصل للكل ، ببلوغ الاشياء الى غاياتها ، وحصولها على أجلّ مـا يمكن من كمالاتها « رب السماوات » مكمل الارواح ومدبّرهـــا « ورب الأرض » مدبّر الأجساد ومالكها ، ومصرّفها « رب العالمين » موجّه العـــالمين الى كمالاتهم بربوبيته إياهم « وله الكبرياء » أي ، الاستعلاء ، ونهاية الترفع والكبر على كل شيء ، وغاية العلوّ والعظمة باستغنائه عنه ، وافتقاره اليه، فكل يحمده بإظهار كماله، وجميع صفاته بلسان حاله ، ويكبّره بتغيّره وإمكانه ، وانخراطه في سلك المخلوقات المحتاجة اليـــه ، الفانية بالذات ، القاصرة عن سائر الكمالات . غير ما اختص بـــه « وهو العزيز » القوي ، القاهر لكل شيء بتأثيره فيه ، وإجباره على مـا هو عليه « الحكيم » المرتب لإستعداد كل شيء بلطف تدبيره ، المهيء لقبوله لما أراد منه من صفاته ، بدقيق صنعته ، وخفيّ حكمته .

سورة الأحقاف

بسم الله الرحمن الرحيم

حم. تَنزِيلُ ٱلْكِتَابِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ. مَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَاتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُنذِرُوا مُعْرِضُونَ. قُلْ أَرَأَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي ٱلسَّمَٰوَاتِ ٱئْتُونِي بِكِتَابٍ مِّن قَبْلِ هَٰذَا أَوْ أَثَارَةٍ مِّنْ عِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ. وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ. وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ. وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ. أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَاهُ قُلْ إِنِ ٱفْتَرَيْتُهُ فَلَا تَمْلِكُونَ لِي مِنَ

ٱللَّهِ شَيْئاً هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ كَفَى بِهِ شَهِيداً بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ . قُلْ مَا كُنْتُ بِدْعاً مِّنَ ٱلرُّسُلِ وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ . قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ ٱللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى مِثْلِهِ فَآمَنَ وَٱسْتَكْبَرْتُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلظَّالِمِينَ . وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَا إِلَيْهِ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ فَسَيَقُولُونَ هَذَا إِفْكٌ قَدِيمٌ . وَمِنْ قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَى إِمَاماً وَرَحْمَةً وَهَذَا كِتَابٌ مُّصَدِّقٌ لِّسَاناً عَرَبِيًّا لِّيُنْذِرَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا وَبُشْرَى لِلْمُحْسِنِينَ » .

« ما خلقنا السماوات والأرض وما بينهما إلا بالحق » أي، بالوجود المطلق، الثابت، الأحدي، الصمدي، الذي يتقوّم به كل شيء ، أو بالعدل الذي هو ظلّ الوحدة ، المنتظم به كل كثرة ، كما قال : (بالعدل قامت السماوات والأرض) « و » بتقدير « أجل مسمى » أي ، كمال معيّن ، ينتهي به كمال الوجود ، وهو القيامة الكبرى ، بظهور المهدي ، وبروز الواحد القهار ، بالوجود الأحدي ، الذي يفنى عنده كل شيء ، كما كان في الأزل « والذين كفروا » بالإحتجاب عن الحق « عما أنذروا » من أمر هذه القيامة « معرضون » .

« قلْ أرأيتم مـــا تدعون من دون الله » تسمونه ، وتثبتون له وجوداً وتأثيراً ، أي شيء كان « أروني » ما تأثيره في شيء أرضيّ بالإستقلال ، او شيء سماوي بالشركة « ائتوني » على ذلك بدليل نقليّ من كتاب سابق ، او عقليّ من علم متقن « إن كنتم صادقين ». « ومن أضلّ ممن يدعوا من دون الله» شيئاً ، أي شيء كان، كدعاء الموالي للسادة مثلا ، إذ لا يستجيب له احداً ، إلا الله .

« واذا حشر الناس كانوا لهم أعداء » لأن عبادة اهل الدنيـــا لسادتهم ، وخدمتهم إياهم ، لا تكون إلا لغرض نفساني، وكذا استعباد الموالي لخدمهم؛ فـــإذا ارتفعت الأغراض ، وزالت العلل والأسباب ، كانوا لهم أعداء ، وأنكروا عبادتهم، يقولون : (ما خدمتمونا ولكن خدمتم أنفسكم) كما قيل في تفسير قوله : « الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو » .

« إنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَـــا ٱللهُ ثُمَّ ٱسْتَقَامُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ . أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ ٱلْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَـــا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ . وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهاً وَوَضَعَتْهُ كُرْهاً وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَٰثُونَ شَهْراً حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَـالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحاً تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ » .

« إن الذين قالوا ربنا الله » أي، تجرّدوا عن العلائق، ورفضوا العوائق، وانقطعوا الى الله عن كل ما سواه، وزجموا البصر عن طغواه، فصدقاً « قالوا ربنا الله » إذ لو بقيت منهم بقايا ، ولم يأمنوا التلوينات في عرضة الفناء ، لم يقولوا صادقين : « ربنا الله » . « ثم استقاموا » بالتحقيق بـه في العمل ، والتحفظ به في مراعـاة آداب الحضرة عن الزلل والخطل ، بحيث لم ينبض منهم عرق ، ولم يتحرك منهم شعرة إلا بالله ، ولله « فـلا خوف عليهم » إذ لا حجاب، ولا عقاب « ولا هم يحزنون » إذ لا مرغوب إلا وهو حاصل لهم، فلم يفت منهم شيء ، ولا يفوت ، كما قيل : إن في الله عزاء لكل مصيبة ، ودركاً عن كل ما فات « أولئك أصحاب الجنة » المطلقة ، الشاملة للجنـان كلها « خالدين فيها جزاء بما كانوا يعملون » في حال السلوك حتى الوصول .

« حتى اذا بلغ أشدّه وبلغ اربعين سنة » لـمـا كانت النفس ممنوّة بتدبير البدن ، لتوقف استكمالها عليه، مشغولة عن كمالها به في أول النشأة، لم تنفتح بصيرتها ، ولم يصف إدراكها ، ولم يتبين رشدها ، إلاّ وقت بلوغ النكاح ، كما قال في اليتامى : « حتى اذا بلغوا النكاح فإن آنستم منهم رشداً فادفعوا اليهم أموالهم » وذلك هو الأشدّ الصوري . ألا ترى أن الطبيعـة من وقت الطفولة الى هذا الحدّ لا تتفرغ الى تحصيل مادة النوع عن ايرادها ما يزيد في الأقطار من الغـــذاء ؟ زائداً على بدل المتحلل من البدن لضعف الاعضاء ، وشدّة الاحتياج الى النمو والتصلب ؟ فالنفس حينئذ منغمسة في البدن ، مستعملة للطبيعة في ذلك العمل ، ذاهلة عن كمالها الى هذا الأجل .

فلما قربت الآلات من حدّ كمالها ، ووصلت الى مـا يصلح لاستعمالها في تصرفاتها ، وانتقص الاحتياج الى ما يزيد في أقطارها ، تفرغت الطبيعة الى ذخيرة مادة النوع من الشخص لاستغنائها بكمال الشخص عن مادته، فتفرغت

النفس الى تحصيل كالها ، فانفتحت بصيرة عقلهـــا ، وظهرت أنوار فطرتها واستعدادها ، وتنبّهت عن نومهـا في مهدها ، وتيقظت عن سنّة غفلتها ، وتفطّنت لقدس جوهرها ، وطلبت مركزها وغايتها ، لأمرين : صلاحيـة الآلات للإستعمال في الاستكمال ، وفراغها عن تخصيص البدن بالإقبـــال ، لقلّة الأشغال .

لكنها ما دامت سنّ النمو باقية، وزيادة الآلات في القوة والشدة ممكنة، ما توجهت بالكلية الى الجهة العلوية ، وما تجرّدت لتحصيل الكمالات العقلية، والمطالب القدسية ، للإشتغال المذكور، وإن قلّ . وذلك، الى منتهى الثلثين من السن، كما تبين في علم الطب . فلمـــا جاوزتها وأخذت في سن الوقوف ، أقبلت الى عالمها ، وأشرقت أنوار فطرتها ، فاشتدت في طلب كالها ، لوقوع الفراغ لها اليها ، فأخذ كافل الأيتام الحقيقية الذي هو روح القدس ، أن آنس رشدها في دفع أموالها ، التي هي : الحقائق ، والمعـارف ، والعلوم . والحكم اليهـــا لبلوغها ، نكاح الغواني من المفارقات القدسية ، والنورانيات الجبروتية ؛ وذلك، وقت سيرها في صفات الله الى ذات الله حتى الفناء التام، بالإستغراق في عين الجمع لإمكان السير في أفعاله من وقت الأشد الصوري الى أشدّ ، هذا الأشد المعنوي الذي نهايته الأربعون تقريباً ؛ ولهـــذا قيل : (الصوفي بعد الاربعين أبد) إذ لم يستمد بالتوجه والطلب والسير في الأفعال بالتزكية لقبول تلك الاموال والتصرّف فيها ، فلم يأنس روح القدس منـــه الرشد فلم يدفع اليه ، واذا تمّ سيره في الله عند ذلك الأشد بالفناء فيــه كان وقت البقاء بعد الفناء ، وأوان الإستقامة في العمل ؛ وأشار اليهـــا بقوله : « رب أوزعني » ولهذا ، لم يبعث نبي قط إلا بعد الاربعين ، سوى عيسى ، ويحيى ، ومع ذلك ، وقفا في بعض السماوات .

ولما كانت النِعَم أوابد يجب تقييدها بالشكر ، استوزع الشكر على نعمة الكمال الحاصل ، المسبوق بالنِعَم الغير المتناهية لمحافظتها ، لئلا يحتجب برؤية الفناء ، فيترك الطاعة تبرّماً لحاله ، واتكالاً على كماله ، فإن آفة مقام الفناء رؤية الفناء ، والمبتلي بها يقع في التلوين ، ويحرم نعمة التمكين .

ولهذا قال عليه السلام: (أفلا أكون عبداً شكوراً) فطلب محافظة نعمة الهداية والكمال عليه ، بإيقافه على الطاعات التي هي شكر نعمته التي أنعم بها عليه ، وعلى والديه اللذين همـا السبب القريب لوجوده ، إذ لو لم يكن فيهما خير وخلق حسن ، وسرّ صالح ، لم يظهر عليه ذلك الكمال ، لأنه سرّهما ؛ ولهذا وجب الإحسان ، والدعاء بالوالدين ، ولهما .

« وأن أعمل صالحـاً » بتكميل المستعدين ، فإن الواجب على الكامل أولاً محافظة كماله ، ثم تكميل المستكملين ، إذ العمل إنما هو من الأمور النسبية ، فربما كان صالحاً بالنسبة الى احد، سيئاً بالنسبة الى غيره ، كما قال: (حسنات الأبرار سيئات المقرّبين) ولهذا ، قال: « وأصلح لي في ذرّيتي » أي، أولادي الحقيقية ، سواء كانوا صلبية، او لا . لأن عمله الصالح ، الذي هو التكميل، وتربية المريدين ، لا ينجع إلا بعـــد تهيىء استعدادهم ، والصلاح في اعمالهم وأحوالهم . وذلك ، من فيضه الأقدس ؛ ولو لم يكن هـذا الصلاح والقبول التـــام ، الذي لا يكون إلا من عند الله ، لما كان للإصلاح ، والتكميل ، والإرشاد أثر ، كما قال : « إنك لا تهدي من أحببت وهمـاً » أي ، محافظة الكمال بالشكر بالقيام بحق الملهم بالطاعات ، والتكميل بالإرشاد ملاك العمل في الإستقامة ، ووظيفة المتحقق بالوجود الحقاني في مقام البقاء .

« إني تبت اليك » من ذنب رؤية الفناء ، وهذه التوبة هي التي تاب بهـا

موسى عليه السلام ، عند الإفاقة ، كما قال تعالى : « فلما أفاق قال سبحانك تبت اليك وإني من المسلمين » المنقادين ، المستسلمين في سلك العبـاد ، لمكان الإستقامة .

« أُولَٰئِكَ ٱلَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَـا عَمِلُوا وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّئَاتِهِمْ فِي أَصْحَابِ ٱلْجَنَّةِ وَعْدَ ٱلصِّدْقِ ٱلَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ . وَٱلَّذِي قَالَ لِوَالِدَيْهِ أُفٍّ لَّكُمَا أَتَعِدَانِنِي أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَتِ ٱلْقُرُونُ مِن قَبْلِي وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ ٱللَّهَ وَيْلَكَ آمِنْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَٰذَا إِلَّآ أَسَاطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ . أُولَٰئِكَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ » .

« أولئك » الموصوفون بتلك التوبـة والإستقامة هم « الذين نتقبّل عنهم أحسن مـا عملوا » بظهور آثار تربيتهم ، وحسن هدايتهم في مريديهم ؛ لأن التكميل أحسن أعمالهم . ألا ترى أن كل من لم يثبت على طريق المتـابعة ، ولم يتشدّد في حفظ السنـّة من الكمال ، لم يكن له اتباع ، ولم يقم منه كامل ، لخلله في الإستقامة ، واتكاله على حاله من الكرامة ؟ وذلك ، علامـة عدم قبول عمله الصالح ؛ وهؤلاء لما قاموا بشكر نعمة الكمال قُبل عملهم .

« ونتجاوز عن سيئاتهم » التي هي بقايا صفاتهم وذواتهم ، بالمحو الكلي ،

والطمس الحقيقي في مقام التمكين ، فلا يقعون في ذنب رؤية الفناء ، ولا تلوين ظهور الأنية والأنانية ، « في أصحاب الجنة » المطلقة « وعد الصدق الذي كانوا يوعدون » حيث قال : « ألحقنا بهم ذرّياتهم وما ألتناهم من عملهم من شيء » .

« وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِّمَّا عَمِلُوا وَلِيُوَفِّيَهُمْ أَعْمَالَهُمْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ . وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى ٱلنَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنْيَا وَٱسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا فَٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَفْسُقُونَ . وَٱذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنْذَرَ قَوْمَهُ بِٱلْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَتِ ٱلنُّذُرُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا ٱللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ . قَالُوا أَجِئْتَنَا لِتَأْفِكَنَا عَنْ آلِهَتِنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ ٱلصَّادِقِينَ . قَالَ إِنَّمَا ٱلْعِلْمُ عِنْدَ ٱللَّهِ وَأُبَلِّغُكُمْ مَّا أُرْسِلْتُ بِهِ وَلَـٰكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْماً تَجْهَلُونَ . فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضاً مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا هَـٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا بَلْ هُوَ مَا ٱسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ . تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا

لَا يُرَى إِلَّا مَسَاكِنُهُمْ كَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلْقَوْمَ ٱلْمُجْرِمِينَ . وَلَقَدْ مَكَّنَّاهُمْ فِيمَا إِنْ مَكَّنَّاكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعاً وَأَبْصَاراً وَأَفْئِدَةً فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَارُهُمْ وَلَا أَفْئِدَتُهُمْ مِّنْ شَيْءٍ إِذْ كَانُوا يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ ٱللَّهِ وَحَاقَ بِهِمْ مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ . وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُمْ مِّنَ ٱلْقُرَىٰ وَصَرَّفْنَا ٱلْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ . فَلَوْلَا نَصَرَهُمُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا مِنْ دُونِ ٱللَّهِ قُرْبَاناً آلِهَةً بَلْ ضَلُّوا عَنْهُمْ وَذَٰلِكَ إِفْكُهُمْ وَمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ » .

« ولكلٍ درجات » لمـــا ذكر السابقين وعقبهم بذكر من يقابلهم من المطرودين الذين حقّ عليهم القول، وبين أن الفريق الاول في عداد السعداء، والفريق الثاني، من جملة الأشقياء . تناول الكلام الاصناف السبعة المذكورة في اول الكتاب للتصريح بذكر الخمسة الباقية، فقال : « ولكلٍ درجات مما عملوا » أي، ولكل صنف من أصناف الناس درجات من جزاء أعمالهم من أعلى عليين الى أسفل سافلين، وغلب الدرجات على الدركات . بل لكل احد من كل صنف رتبة ومقام، وموقع قدم من إحدى الجنان، او طبقات النيران « أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا » أنكر عليهم إذهاب جميع الحظوظ في لذّات الدنيا، لأن لكل أحد بحسب استعداده الأول كمالاً ونقصاً يقـابله، بحسب كل واحدة من النشأتين طيّبات، وحظوظ تناسب كلا كماليه، فمن أقبل بوجهه على طيبات الدنيا وحظوظها والإستمتاع بها، وأعرض بقلبه عن

طيبات الأخرى ولذّاتها ، حرم الثانية أصلاً ، لانغماسه في الامور الظلمانية ، واحتجابه عن المطالب النورانية .

كما قال تعالى : « فمنهم من يقول ربنا آتنا في الدنيا وما له في الآخرة من خلاق » وذلك ، معنى قوله : « أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا » لأن حظوظ الأخروية التي تقتضيها هويته ذهبت في هذه ، فكأن ما زاد في النهار نقص من الليل ، وأما من أقبل بوجهه الى الأخرى وتنزه عن هذه بالزهد والتقوى ، ورغب في المعارف الحقيقية ، والحقائق الإلهية ، واللذات العلوية ، والأنوار القدسية ، التي هي الطيّبات بالحقيقة ، فقد أوتي منهـــا حظه ، ولم ينقص من حظوظه العاجلة على قياس الاول؛ بل وفّر منها نصيبه، كما قال: « من كان يريد حرث الآخرة نزد له في حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وما له في الآخرة من نصيب » وذلك ، لأن الإستغراق في عـــالم القدس ، والتوجّه الى جناب الحق، يورث النفس قوة وقدرة تؤثر بها في عالم الحسّ ، فكيف اذا اتصلت بمنبع القوى والقدر ؟

أما ترى أنّ عالم الملكوت مؤثر في عالم الملك ، متصرّف فيه ، قاهر له، بإذن الله تعالى ، وتسخيره ، والإنهاك في عـــالم الحس يخمد قوة الفطرة ، ويطفىء نور القلب ؛ فـلا تبقى له قدرة ، ولا قوّة ، ولا تأثير في شيء ، وكيف وقد تأثرت عما من شأنه التأثر المحض ، تسخرت لما من شأنه التسخر الصرف ، والإنفعال المطلق ؟ ولهذا قيل : (الدنيا كالظلّ تتبع من أعرض عنها ، وتفوت من أقبل اليهـا) . قال أمير المؤمنين رضي الله عنه : (من أقبل اليها فاتته ، ومن أعرض عنها أتته).

« فاليوم يجزون عذاب الهون » أي ، الذلة والصغار ، لملازمتكم بالطبع

للجهة السفلية ، وتوجّهكم بالعشق الى المطالب الدنية ؛ فأنتم اخترتم الدناءة ، والإنقهار بالتجبر والاستكبار . وذلك ، معنى قوله: « بما كنتم تستكبرون » أي ، في مقام النفس باستيلاء القوّة الغضبية ، التي شأنهـــا الإستكبار « في الأرض بغـير الحق » اذ لو تجرّدوا عن الهيئات الغضبية والشهوية ، وترفعوا عن الصفات النفسية ، ونضوا جلابيب الأنية والأنانية ، لاستكبروا بالحق في السماء والأرض ، ولكان تكبرهم كبرياء الله ، كما قال الصادق عليه السلام ، لمن قال له : (فيك كل فضيلة وكمال ، إلا أنك متكبر ، لا والله بل انخلعت عن كبري ، فخلع عليّ كبرياء الله) أو مـــا هذا معناه ، فهذا هو التكبر بالحق « وبمـا كنتم تفسقون » باستيلاء القوة الشهوانية التي خاصيّتها الفسق والفساد .

« وَإِذْ صَرَفْنَـــا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنْصِتُوا فَلَمَّـا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِمْ مُّنْذِرِينَ » .

« وإذ صرفنـــا اليك نفراً من الجن » الجن نفوس أرضيّة تجسدت في أبدان لطيفة ، مركبة من لطائف العناصر ، سماهـا حكماء الفرس الصور المعلقة ، ولكونها أرضية متجسّدة في أبدان عنصرية ، ومشاركتها الأنس في ذلك ، سميا ثقلين . وكما أمكن الناس التهدي بالقرآن أمكنهم .

وحكاياتهم من المحققين وغيرهم ، أكثر من أن يمكن ردّ الجميع ، وأوضح من أن يقبل التأويل ، وإن شئت التطبيق فاسمع ، « وإذ صرفنا اليك نفراً من جنّ » القوى الروحانية من العقل ، والفكر ، والمتخيلة ، والوهم ؛ حال

القراءة في الصلاة . أي أملنام نحوك ، واتبعنام سترك ، بالإقبال بهم اليك، وصرفهم عن جانب النفس والطبيعة بتطويقهم إياك ، وتسخيرهم لـك حتى يجتمع همك ، ولا يتوزّع قلبـــك ، ولا يتشوش بالك ، بحركاتهم في وقت حضورك ، عند طلوع فجر نور القدس « يستمعون القرآن » الوارد اليك من العالم القدسي .

« فلمّا حضروه » أي ، حضروا العقل القرآنيّ ، الجامع للكمالات عند ظهور النور الفرقانيّ عليك « قالوا أنصتوا » أي ، سكتوا وسكت بعضهم بعضاً عن كلامهم الخاص بهم ؛ مثـل الأحاديث النفسانية ، والتصورات ، والهواجس ، والوساوس ، والخواطر ، والحركات الفكرية ، والإنتقـــالات التخيّلية ، والقول ههنـــا حاليّ ، كما ذكر غير مرّة . اذ لو لم يسكنوا ، وينصتوا مستمعين لما يفيض عليهم من الواردات القدسية ، لم يبق من الوارد أثر ، بل لم يكن يتلقى الغيب ، ولا ورود المعنى القدسي ، ولا تلاوة الكلام الإلهيّ كما ينبغي ، ولهذا قـــال : « انّ ناشئة الليل هي أشدّ وطأ وأقوم قيلا » ولأمر ما ، كان مبدأ الوحي منامات صادقة ، وذلك ، كون هذه القوى ساكنة متعطلة عند النوم ، حتى قوي على عزلها عن أشغالها، وتعطيلها في اليقظة .

« فلما قضى » أي ، الوارد المعنوي ، والنازل القدسي الكشفيّ « ولوا الى قومهم » القوى النفسية والطبيعية ، ينذروهم عقـاب الطغيان والعدوان على القلب ، بالتأثير فيهم بالملكات الفاضلة ، وإفاضات الهيئـات النورية ، المستفادة من المعـنى القدسي النازل ، ويمنعونهم الإستيلاء على القلب بالتسخير، والإرتياض .

« قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَاباً أُنزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ . يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ ٱللهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرْ لَكُمْ مِّنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُمْ مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ . وَمَنْ لَّا يُجِبْ دَاعِيَ ٱللهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءُ أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ . أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ ٱللهَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمٰوَاتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ ٱلْمَوْتَى بَلَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ . وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى ٱلنَّارِ أَلَيْسَ هٰذَا بِٱلْحَقِّ قَالُوا بَلَى وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ . فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُوا ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّنْ نَّهَارٍ بَلَاغٌ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْفَاسِقُونَ » .

« قالوا يا قومنا انا سمعنا كتاباً أنزل من بعد موسى » أي ، ما تأثرنا بمثل هذا التأثر النوري في الوجود المحمّدي ، إلا في زمن موسى ، ومن بعده الى هذا الزمان، ما تلقينا هذا المعنى،لأن عيسى عليه السلام، ما تمّ معراجه، وما بلغ حاله حال النبيّين المذكورين موسى ومحمد ، في الإنخراط في سلك

القدس في حياته ، ومشايعة جميع قواه لسرّه ، ومـــا كمل فناؤه ليتحقق جميع قواه بالوجود الحقاني . ولذلك ، بقي في السماء الرابعة ، واحتجب فيها بخلافها ، وسيتبع الملة المحمّدية بعد النزول ليتم حاله « مصدّقاً لما بين يديه » لكونه مطابقاً له في الهداية الى التوحيد والإستقامة ، كما أشير اليــه بقوله : « يهدي الى الحق والى طريق مستقيم » .

« يا قومنا أجيبوا داعي الله » بمطاوعة القلب فيالتوجه الى الله، والتأدب بأدابـــه ، والإستسلام لاحكامه ، والإنقياد لأوامره ونواهيه في طاعته « وآمنوا بــه » بالتنوّر بنوره ، والإنخراط في سلك عبادته « يغفر لكم من ذنوبكم » الهيئات الرذائل ، والميـــل الى الجهات السفلية ، بمتابعة الهوى ، وحجب الصفات النفسانية دون التعلقات البدنية، والشواغل الطبيعية لامتناع تجريدها عن المادة . ولهذا المعنى أورد من التبعيضية «ويجركم من عذاب أليم» بسبب النزوع ، والإنجذاب الى اللذات والشهوات ، مـع الحرمان لفقدان الآلات ، وما قال بعض المفسّرين : (ان الجن لا ثواب لهم ، وإنما اسلامهم يدفع عقابهم) في تفسير الآية ان ثبت ، إشارة الى ان هذه القوى البدنية لا حظ لهــا من المعاني الكلية العقلية ، والهيئات النورية ، واللذات القدسية . لكن انقيادها ومطاوعتها للسّر يدفع آلامها الحسية ، والنزوعية، والله أعلم.

سُورَةُ مُحَمَّد

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

« ٱلَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ ٱللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ. وَٱلَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ. ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا ٱتَّبَعُوا ٱلْبَاطِلَ وَأَنَّ ٱلَّذِينَ آمَنُوا ٱتَّبَعُوا ٱلْحَقَّ مِنْ رَبِّهِمْ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَالَهُمْ. فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ حَتَّى إِذَا أَثْخَنْتُمُوهُمْ فَشُدُّوا ٱلْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّى تَضَعَ ٱلْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ذَٰلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ ٱللَّهُ لَٱنْتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَٰكِنْ لِيَبْلُوَا بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ وَٱلَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ. سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ. وَيُدْخِلُهُمُ ٱلْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ . يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَنْصُرُوا

ٱللهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ . وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعْسًا لَّهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ . ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنزَلَ ٱللهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ . أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ دَمَّرَ ٱللهُ عَلَيْهِمْ وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَالُهَا . ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللهَ مَوْلَى ٱلَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ ٱلْكَافِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ . إِنَّ ٱللهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَارُ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ ٱلْأَنْعَامُ وَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ . وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِّن قَرْيَتِكَ ٱلَّتِي أَخْرَجَتْكَ أَهْلَكْنَاهُمْ فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ . أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ كَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ وَٱتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ » .

تطبيق « الذين كفروا » على القوى النفسانية المانعة عن السلوك في سبيل الله « والذين آمنوا » على الروحانية المعاونة الى آخر الكلام، ظاهر مما سبق فلا نكرر .

« مَثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِي وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِّن مَّاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا

مِنْ كُلِّ ٱلثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّنْ رَّبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي ٱلنَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيماً فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ . وَمِنْهُمْ مَّنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّى إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا ٱلْعِلْمَ مَاذَا قَالَ آنِفاً أُولَٰئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَٱتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ . وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدىً وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ . فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلاَّ ٱلسَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا فَأَنَّى لَهُمْ إِذَا جَاءَتْهُمْ ذِكْرَاهُمْ » .

« مثل الجنة » أي ، صفة الجنة المطلقة المتناولة للجنان كلهـا « التي وعد المتقون » من الاصناف الخمسة المذكورة غير مرة « فيها أنهار من ماء غير اسن » أي ، اصناف من العلوم ، والمعارف الحقيقية ، التي تحيا بهـا القلوب ، وتروى بهـا الغرائز ، كما تحيا بالماء الارض ، وتروى الأحياء . غير اسن : غير متغيّر بشوائب الوهميات ، والتشكيكات ، واختلاف الإعتقادات الفاسدة ، والعادات . وهي للمتقين المجتنبين من الصفات النفسانية ، الواصلين الى مقام القلب .

« وأنهار من ابن لم يتغيّر طعمه » أي ، من علوم نافعة متعلقة بالأفعال والأخـلاق ، مخصوصة بالناقصين المستعدين ، الصالحين للرياضة والسلوك في منازل النفس قبل الوصول الى مقام القلب ، بالإتقاء عن المعاصي والرزائل ، كعلوم الشرائع والحكمة العملية ، التي هي بمثابـة اللبن المخصوص بالأطفال

الناقصين ، لم يتغيّر طعمه بشوب الأهواء والبدع، واختلافات أهل المذاهب، وتعصّبات أهل الملل ، والنحل .

« وأنهار من خمر » أي ، أصناف من محبة الصفات والذات « لذة » أي، لذيذة « للشاربين » الكاملين ، البالغين الى مقـــام مشاهدة حسن تجليات الصفات ، وشهود جمـــال الذات ، العاشقين المشتاقين الى الجمال المطلق ، في مقام الروح ، والإستغراق في عين الجمع ، من المتقين عن صفاتهم ، وذواتهم .

« وأنهـــار من عسل » أي ، حلاوات الواردات القدسية ، والبوارق النورية ، والـــلذات الوجدانية في الاحوال ، والمقامات للسالكين الواجدين للأذواق ، والمريدين المتوجهين الى الكمال قبل الوصول الى مقـام المحبة ، من الذين اتقوا الفضول . فإن الآكلين للعسل أكثر من الشاربين للخمر ، وليس كل من ذاق حلاوة العسل ذاق لذة الخمر ، دون السكر .

« ولهم فيها من كل الثمرات » أي ، أنواع اللذات من تجلّيات الأفعال، والصفات والذات بأسرها ، كما قال الشاعر :

وكلّ لذيذة قـــد نلت منه   سوى ملذوذ وجدي بالعذاب

لأن شهود المعذب ، وتجلّي صفة القهر ، له لذة خاصّة بمن ذاقها، يعرفها من يعرفها ، وينكرها من ينكرهـا ، « ومغفرة من ربهم » بستر هيئات المعاصي ، وتكفير سيّئات الرّذائل لأصحاب الألبان ، ثم بستر الأفعـال أيضاً لأصحاب الميـاه ، ثم بمحو الصفات لأصحاب العسل ، وبعض أصحاب « الخمر » ثم بطمس ذنوب الأحوال والمقامات ، وإفنـاء البقيات ، وإخفاء ظهورها بالأنوار ، والتجليات لأهل الفواكه والثمرات ، ثم بإفنـاء الذات ،

بالاستغراق في جمـــع الأحدية ، والاستهلاك في عين الهوية لشراب الخمور الصرفة ، وكلّهم أصناف المتقين « كمن هو خالد » كمن هو في مقابلتهم في دركات جحيم الطبيعة ، وشرب حميم الهوى .

« فَٱعْلَمْ أَنَّــهُ لَا إِلٰهَ إِلاَّ ٱللهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَاتِ وَٱللهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ . وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ آمَنُوا لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ فَإِذَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ مُّحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا ٱلْقِتَالُ رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ ٱلْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ فَأَوْلَى لَهُمْ . طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَعْرُوفٌ فَإِذَا عَزَمَ ٱلْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا ٱللهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ . فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ . أُولٰئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَى أَبْصَارَهُمْ . أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا . إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِهِمْ مِّنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْهُدَى ٱلشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَى لَهُمْ . ذٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ ٱللهُ سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ ٱلْأَمْرِ وَٱللهُ يَعْلَمُ أَسْرَارَهُمْ » .

« فاعلم أنه لا إله إلا الله » أي ، حصل علم اليقين في التوحيد ، ثم اسلك طريقه ؛ اذ الإستغفار الذي هو صورة السلوك مسبوق بالإيمان العلميّ دون الظني ، لأنّ من لم يرزق ثبات الإيمان لم يمكنه السلوك ، والثبات لا يكون إلا باليقين ، اذ الإعتقاد التقليدي يمكن تغيّره . وكل حجاب ذنب ، سواء كان بالهيئات البدنية ، أو الصفات النفسانية ، أو القلبية ، أو الأنية ، كما قيل : (وجودك ذنب لا يقاس به ذنب) . فالأمر بالعلم ههنا ، هو الحث على شهود الوحدة ، وبالإستغفار لذنبه ، هو التحريض على التنصل عن ذات ظهور البقية ، والأنانيـة « وللمؤمنين » بتكميلهم ، وإرشادهم ، ودعوتهم الى الحق ، وهدايتهم الى سلوك طريق التوحيد . وهذا وأمثاله مما يدلّ على أن أكثر سلوكه في الله إنما كان بعد البعثة ، والنبوّة .

« والله يعلم متقلّبكم » انتقالاتهم في السلوك من رتبـة الى رتبة ، ومن حال الى حال « ومثواكم » ومقامكم ، الذي أنتم فيه، فيفيض عليكم الأنوار ، وينزل الإمداد على حسبها .

« فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ . ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ ٱللَّهَ وَكَرِهُوا رِضْوَٰنَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ . أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَن لَّن يُخْرِجَ ٱللَّهُ أَضْغَٰنَهُمْ . وَلَوْ نَشَآءُ لَأَرَيْنَٰكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَٰهُمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ ٱلْقَوْلِ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَٰلَكُمْ » .

« فكيف اذا توفتهم الملائكة » توفي الملائكة مخصوص بالقاطنين في مقام النفس ، المنخرطين في سلك الملكوت الأرضية ، أي ما حيلتهم ؟ أو كيف يعملون اذا توفتهم الملائكة الأرضية بقبض أرواحهم على الصفة المؤلمة المؤذية من جهتهم ، بالحجب عن الأنوار القدسية من وجوههم ، والمنع عما يميلون اليه من اللذات الحسية من أدبارهم ؟ اذ وجه النفس هو الجهة التي تلي القلب . والضرب فيه هو الإيلام من جهته بالحجب عن أنواره ، وما فيه قرّة العين تجليات الصفات . والدبر : هو الجهة التي تلي البدن . والضرب فيه : هو التعذيب من جهته بالحجز عن الجهة السفلية ، واللذات الحسية التي انجذبت اليها بالميل الطبيعي ، والهوى ، والحجب عنها بأخذ الآلات الموصلة اليها منهم .

« ذلك » أي ، ذلك الضرب والإيلام من الجهتين بسبب « أنهم اتبعوا ما أسخط الله » من الإنهماك في المعاصي ، والشهوات البدنية المبعدة عن جنابه ، فاستحقوا الضرب في الأدبار « وكرهوا رضوانه » الذي هو الإنسلاخ عن صفاتهم ، للإتصاف بصفاته ، والتوجه الى جنابه الموجب لمقام الرضا والقرب ، فاستحقوا الضرب في الوجوه .

« أم حسب الذين في قلوبهم مرض » لما كانت سراية هيئات النفس الى البدن أسرع من تعدّي هيئات البدن الى النفس ، لكونها من الملكوت التي من شأنها التأثير ، وكون البدن من عالم الملك ، الذي من شأنه الإنفعال ، لم يمكن إخفاء الأحوال النفسانية ، كما ترى من ظهور هيئات الغضب ، والمساءة ، والمسرّة على وجوه أصحابها ، لكن الجهل الذي هو من أصعب أمراض القلوب ، يغرّ صاحبه ويعميه ، فيحسب أنّ ما في قلبه من الغلّ ، والحقد ، والحسد يخفيه ، والله يظهرها على صفات وجهه في فلتات لسانه ، كما قال النبي

عليه السلام : (ما أضمر أحد شيئاً إلا وأظهره الله في فلتات لسانه وصفحات وجهه) وذلك ، معنى قوله : « فلعرفتهم بسيماهم » .

« ولتعرفنـّهم في لحن القول » لهذا قيل : (لو بات أحد على معصية أو طاعة في مطمورة وراء سبعين باباً مغلقة لأصبح الناس يتقاولون بها لظهورها في سيماه ، وحركاته ، وسكناته ، وشهادة ملكاته بها) .

« وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ ٱلْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَٱلصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَا أَخْبَارَكُمْ . إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ ٱللهِ وَشَاقُّوا ٱلرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْهُدَى لَنْ يَضُرُّوا ٱللهَ شَيْئاً وَسَيُحْبِطُ أَعْمَالَهُمْ . يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا ٱللهَ وَأَطِيعُوا ٱلرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ . إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ ٱللهِ ثُمَّ مَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يَغْفِرَ ٱللهُ لَهُمْ . فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى ٱلسَّلْمِ وَأَنْتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ وَٱللهُ مَعَكُمْ وَلَنْ يَتِرَكُمْ أَعْمَالَكُمْ . إِنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا يُؤْتِكُمْ أُجُورَكُمْ وَلَا يَسْئَلْكُمْ أَمْوَالَكُمْ . إِنْ يَسْئَلْكُمُوهَا فَيُحْفِكُمْ تَبْخَلُوا وَيُخْرِجْ أَضْغَانَكُمْ . هَا أَنْتُمْ هٰؤُلَاءِ تُدْعَوْنَ لِتُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ ٱللهِ فَمِنْكُمْ مَنْ يَبْخَلُ وَمَنْ

يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَنْ نَفْسِهِ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنتُمُ الْفُقَرَاءُ وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْماً غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ » .

« ولنبلونكم حتى نعلم » علم الله تعالى قسمان: سابق على معلوماته اجمالاً، في لوح القضاء ، وتفصيلاً في لوح القدر . وتابع إياها في المظاهر التفصيلية ، من النفوس البشرية ، والنفوس السماوية الجزئية . فمعنى حتى نعلم : حتى يظهر علمنا التفصيلي في المظاهر الملكوتية ، والانسية ، التي يثبت بهـــا الجزاء ، والله أعلم .

سورة الفتح

بسم الله الرحمن الرحيم

« إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحاً مُبِيناً . لِيَغْفِرَ لَكَ ٱللهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطاً مُسْتَقِيماً . وَيَنْصُرَكَ ٱللهُ نَصْراً عَزِيزًا » .

« إنّا فتحنا لك فتحاً مبيناً » فتوح رسول ﷺ ، ثلاثة :

أوّلها : الفتح القريب ، المشار اليه بقوله : فجعل من دون ذلك فتحاً قريباً ، وهو فتح باب القلب بالترقي عن مقام النفس ، وذلك ، بالمكاشفات الغيبية ، والأنوار اليقينية ، وقد شاركه في ذلك أكثر المؤمنين ، كما أشار اليه بقوله : « وأخرى تحبونها نصرٌ من الله وفتح قريب » وقوله : « فأنزل السّكينة عليهم وأثابهم فتحاً قريباً » ويلزمه البشارة بالأنوار الملكوتية ، والتجليات الصفاتية ، كما قال : « وبشّر المؤمنين » وحصول المعارف اليقينية ، وكشوف الحقائق القدسية ، المشار اليها بقوله : « ومغانم كثيرة تأخذونها » .

وثانيها : الفتح المبين ، بظهور أنوار الروح ، وترقي القلب الى مقـامه ، وحينئذ تترقى النفس الى مقام القلب ، فتستتر صفاتها اللازمة إياها ، السابقة على فتح القلب من الهيئات المظلمة ، بالأنوار القلبية ، وتلتفي بالكلية، وذلك، معنى قوله : « ليغفر لك الله مـا تقدّم من ذنبك » وكذا الحادثة المتأخرة عنه ، من الهيئات النورانية المكتسبة بالتنوّر بالأنوار القلبية ، التي تظهر بهـا في التلوينات ، وتخفي حالها ، وهي الذنوب المشار اليها بقوله: « وما تأخر » ولا تلتفي هذه بالفتح القريب ، وإن انتفت الأولى به ، لأن مقـام القلب لا يتمّ ، ولا يكمل إلا بعد الترقي الى مقام الروح ، واستيلاء أنواره على القلب ، فيظهر تلوين القلب حينئذ ، وينتفي تلوين النفس ، الذي كان في مقام القلب بالكلية ، وتنقطع مادّته ، ويحصل في هذا الفتح مغانم المشاهدات الروحية ، والمسامرات السرية .

وثالثها : الفتح المطلق ، المشار اليه بقوله : « اذا جاء نصر الله والفتح » وهو فتح باب الوحدة بالفنـــاء المطلق ، والإستغراق في عين الجمع بالشهود الذاتي ، وظهور النور الأحديّ . فهذا الفتح المذكور ههنـا هو المتوسّط يترتب عليه ، أمور أربعة : المغفرة المذكورة ، وإتمــام النعمة الصفاتية ، والمشاهدات الجماليـة والجلالية بكمال مقام القلب ، كما ذكر ، والهداية الى طريق الوحدة الذاتية ، بالسلوك في الصفات ، وانخراق حجبهـا النورية ، وانكشاف غيومها الرقيقة حتى الوصول الى فناء الآنيّة ، والنصرة العزيزة بالوجود الموهوب ، والتأييد الحقاني الموروث بعد الفناء .

« هُوَ ٱلَّذِي أَنْزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَاناً مَّعَ إِيمَانِهِمْ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمٰوَاتِ وَٱلْأَرْضِ

وَكَانَ ٱللهُ عَلِيماً حَكِيماً . لِيُدْخِلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَكَانَ ذَٰلِكَ عِنْدَ ٱللهِ فَوْزاً عَظِيماً » .

« هو الذي أنزل السكينة » السكينة ، نور في القلب ، يسكن بـه الى شاهده ويطمئن ، وهو من مبادىء عين اليقين بعد علم اليقين ، كأنه وجدان يقيني معه لذة ، وسرور « ليزدادوا إيماناً » وجدانياً ، ذوقياً ، عينياً « مع إيمانهم » العلي .

« ولله جنود السموات » من الأنوار القدسية ، والإمدادات الروحانية ، والأرض من الصفـات النفسانية ، والملكوت الأرضية ، كالقوى البشرية ، وغيرها ، يغلب بعضها على بعض بمقتضى مشيئته ، كما غلب الملكوت السماوية الروحية على الأرضية النفسية في قلوبهم ، بإنزال السكينة ، وغلب الأرضية على السماوية في قلوب أعدائهم ، فوقعوا في الشك ، والريبة « وكان الله عليما » بسرائرهم ، ومقتضيات استعداداتهم ، وصفـــات فطرة الفريق الأول ، وكدورة نفوس الفريق الثاني « حكيماً » بما يفعل من التغليب على مقتضى الحكمة ، والصواب .

« ليدخل المؤمنين والمؤمنات » بإنزال السكينة « جنـــات » الصفات الجارية من تحتها أنهـار علوم التوكل والرضا ، والمعرفة ، وأمثالها من علوم الأحوال ، والمقامات ، والحقائق ، والمعارف « ويكفّر عنهم سيئاتهم » من صفات النفوس « وكان ذلك عند الله فوزاً » بنيل درجات المقربين « عظيماً » بالنسبة الى جنات الأفعال .

« وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَافِقِينَ وَٱلْمُنَافِقَاتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَاتِ ٱلظَّانِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ ٱلسَّوْءِ وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا . وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمٰوَاتِ وَٱلْأَرْضِ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيماً . إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا . لِتُؤْمِنُوا بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً . إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيماً . سَيَقُولُ لَكَ ٱلْمُخَلَّفُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا فَٱسْتَغْفِرْ لَنَا يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِمْ مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ لَكُمْ مِّنَ ٱللَّهِ شَيْئاً إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرّاً أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعاً بَلْ كَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا . بَلْ ظَنَنْتُمْ أَنْ لَّنْ يَنْقَلِبَ ٱلرَّسُولُ وَٱلْمُؤْمِنُونَ إِلَى أَهْلِيهِمْ أَبَداً وَزُيِّنَ ذٰلِكَ فِي قُلُوبِكُمْ وَظَنَنْتُمْ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ وَكُنْتُمْ قَوْماً بُورًا . وَمَنْ لَّمْ يُؤْمِنْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَعِيرًا . وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمٰوَاتِ وَٱلْأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُوراً رَّحِيماً .

سَيَقُولُ ٱلْمُخَلَّفُونَ إِذَا ٱنطَلَقْتُمْ إِلَىٰ مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا كَلَامَ ٱللَّهِ قُل لَّن تَتَّبِعُونَا كَذَٰلِكُمْ قَالَ ٱللَّهُ مِن قَبْلُ فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا بَلْ كَانُوا لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلاً . قُل لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ فَإِن تُطِيعُوا يُؤْتِكُمُ ٱللَّهُ أَجْرًا حَسَناً وَإِن تَتَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُم مِّن قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَاباً أَلِيماً . لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَارُ وَمَن يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ عَذَاباً أَلِيماً » .

« ويعذّب المنافقين والمنافقات » المبطلين لاستعداداتهم ، المكدّرين لصفائها بأفعالهم ، وملكاتهم « والمشركين والمشركات » المردودين ، المطرودين عن جناب الحق من الأشقياء ، الذين لا يمكنهم موافقة المؤمنين ظاهراً ، لما بينهم من التضادّ الحقيقي ، والتباغض الذاتي الأصليّ بحسب الفطرة « الظانّين بالله ظنّ السوء » لمكان الشك والإرتياب ، وظلمة نفوسهم بالإحتجاب « وعليهم دائرة السوء » بالتعذيب في الدنيا بأنواع الوقائع ، كالقتل ، والإماتة ، والإذلال « وغضب الله عليهم » بالقهر ، والحجب « ولعنهم » بالطرد ، والإبعاد في الآخرة « وأعدّ لهم » أنواع العذاب .

« ولله جنود السموات » كرّرها ليفيد تغليب الجنود الأرضية على السماوية، في المنافقين والمشركين ، بعكس ما فعل بالمؤمنين ، وبدّل « عليماً » بقوله : « عزيزاً » ليفيد معنى القهر والقمع ، لأن العلم من باب اللطف ، والعزة من باب القهر .

« إن الذين يبايعونك » هذه المبايعة ، هي نتيجة العهد السابق المأخوذ ميثاقه على العباد في بدء الفطرة ، وإنما كانت مبايعته مبايعة الله ، لأن النبي قد يفنى عن وجوده ، ويحقق الله في ذاته ، وصفاته ، وأفعاله ، فكل ما صدر عنه ونسب اليه ، فقد صدر عن الله ، ونسب اليه ؛ فبايعته مبايعة الله تعالى . وإنما قلنا أنها نتيجة ميثاق الفطرة ، اذ لو لم تكن جنسية ، ومناسبة أصلية بينهم وبينه ، لما وجدت هذه البيعة لانتفاء الإلفة والمحبة المقتضية لها، بانتفاء الجنسية ، فهي دليل سلامة فطرتهم ، وبقائها على صفائهـا الأصلي « يد الله » الظاهرة في مظهر رسوله؛ الذي هو اسمه الأعظم « فوق أيديهم » أي ، قدرته البارزة في يد الرسول فوق قدرتهم البـارزة في صور أيديهم ، فيضرّهم عند النكث ، وينفعهم عند الوفـاء « فمن نكث » العهد بتكدير صفاء فطرته ، والإحتجاب بهيئات نشأته ، وتغليب ظلمة صفات نفسه على نور قلبه ، الموجب لمخالفة العهد « فإنما ينكث على نفسه » أي ، يعود ضرر نكثه عليه دون غيره ، لسقوطه عن الفطرة الأصلية ، واحتجابه في الظلمات البدنية ، وحرمانه عن اللذات الروحانية ، وتعذبه بالآلام النفسانية ، وهذا هو النفاق الحقيقي .

« ومن أوفى » بالمحافظة على نور فطرته « فسيؤتيه أجراً عظيما » بأنوار تجليات الصفات ، ولذات المشاهدات ، ولهـذا سميت هذه البيعة بيعة الرضوان . اذ الرضا هو فناء الإرادة في إرادته تعالى ، وهو كمال فنـاء الصفات .

« لَقَدْ رَضِيَ اللهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحاً قَرِيباً . وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا وَكَانَ اللهُ عَزِيزًا حَكِيماً . وَعَدَكُمُ اللهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هٰذِهِ وَكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنْكُمْ وَلِتَكُونَ آيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَاطاً مُسْتَقِيماً . وَأُخْرَى لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ اللهُ بِهَا وَكَانَ اللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا . وَلَوْ قَاتَلَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوَلَّوُا الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيّاً وَلَا نَصِيرًا . سُنَّةَ اللهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللهِ تَبْدِيلاً . وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا . هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَالْهَدْيَ مَعْكُوفاً أَنْ يَبْلُغَ مَحِلَّهُ وَلَوْلَا رِجَالٌ مُؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ مُؤْمِنَاتٌ لَمْ تَعْلَمُوهُمْ أَنْ تَطَؤُهُمْ فَتُصِيبَكُمْ مِنْهُمْ مَعَرَّةٌ بِغَيْرِ عِلْمٍ لِيُدْخِلَ اللهُ فِي رَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَاباً أَلِيماً . إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَنْزَلَ اللهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ

وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَى وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا
وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً . لَقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّؤْيَا
بِٱلْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِنْ شَاءَ ٱللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ
رُؤُسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ
دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحاً قَرِيباً . هُوَ ٱلَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِٱلْهُدَى وَدِينِ
ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَى بِٱللَّهِ شَهِيدًا . مُحَمَّدٌ رَسُولُ
ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعاً
سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَاناً سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ
أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي ٱلتَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي ٱلْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ
أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ
لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّالِحَاتِ
مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيماً » .

ولتحقيق هذا الثواب لإطلاع الله تعالى على صفاء فطرتهم ، قال : « لقد رضي الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة » فعلم مـــا في قلوبهم من الصدق ، والعزيمة على الوفاء بالعهد ، وحفظ النور المذكور « فأنزل السكينة عليهم » بتلألؤ نور التجـلي الصفاتي ، الذي هو نور كمالي على نور ذاتي ، فحصل لهم اليقين « وأثابهم » الفتح المذكور ، فحصلوا على مقام الرضا ،

ورضوا عنه بما أعطاهم من الثواب ، ولو لم يسبق رضا الله عنهم لمـــا رضوا « ومغانم كثيرة » من علوم الصفات ، والأسماء« يأخذونها وكان الله عزيزاً » حيث كانت قدرته فوق قدرتهم « حكيماً » حيث خبأ في صورة هذا القهر الجلي ، معنى هذا اللطف الخفي ، اذ ظاهر قوله : « يد الله فوق أيديهم » قهر ووعيد حصل منه ، معنى قوله : « لقـد رضي الله عن المؤمنين » الذي هو لطف محض ..

« وعدكم الله مغانم كثيرة تأخذونها » من علوم توحيد الذات ، « فجعل لكم هـذه وكف أيدي » ناس صفاتكم عنكم « ولتكون آية » دالة شاهدة « للمؤمنين » على توحيد الذات « ويهديكم » سلوك صراطه بعد العلم بـــه « وأخرى » من علومه تعالى، التي هي عين ذاته بعد فنائكم فيه، وتحققكم به حال البقاء بعد الفناء « لم تقدروا عليها » إذ لا تكون إلّا له « قـد أحاط الله بها » دون من سواه « وكان الله على كل شيء » من معلوماته « قديراً » والله أعلم .

سورة الحجرات

بسم الله الرحمن الرحيم

« يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِ وَٱتَّقُوا ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ . يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ . إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُولَئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمْتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ . إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ ٱلْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ . وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ » .

« يا أيها الذين آمنوا لا تقدّموا بين يدي الله ورسوله » طلب الجمع بين أدبي الظاهر والباطن من اهل الحضور ، ونهى عن التقدمة المطلقة في الحضرة الإلهية ، والحضرة النبوية المتناولة للتقدّم في الاقوال ، والأفعال ، وحديث النفس ، والظهور بالصفات ، والذات ، ولحضرة كل اسم من اسماء الله تعالى أدب يجب مراعاته على من تجلى الله له بـه ، ولكل مقام وحال أدب يجب على صاحبه محافظته .

فالتقدمة بـين يدي الله في مقام الفناء هي الظهور بالانانية في حضرة الذات ، وفي مقـام المحو الظهور بصفة تقابل الصفة التي تشاهد تجلّيها في حضرة الأسماء ، كالظهور بإرادته في مقـام الرضا ، ومشاهدة الإرادة في حضرة تجلّي اسم المريد ، والظهور بعلمه بالإعتراض في مقام التسليم بحضرة العليم ، وبالتجلّد في مقـام العجز ، ومشاهدة القادر ، وتحديث النفس في مقام المراقبة ، وشهود المتكلم ، وبالفعل في مقـام التوكل ، والإنسلاخ عن الأفعال في حضرة الفعال ، وهذه كلها اخلال بأدب الباطن مع الله تعالى .

وأما الإخلال بأدب الظاهر معه فكترك العزائم الى الرخص ، والإقدام على الفضول المباحة من الأقوال ، والأفعال ، وأمثالها .

وأما التقدمة بين يدي الرسول بإخلال أدب الظاهر ، فهو كالتقدم عليه في الكلام ، والمشي ورفع الصوت ، والنداء مـن وراء الحجرات ، والجلوس معـه ، واللبث عنده ، للإستئناس بالحديث ، والدخول عليه ، والإنصراف عنه بغير الإستئذان ، وأمثاله .

وأما إخلال أدب الباطن معه فكالطمع في أن يطيعه الرسول في أمر وظن السوء في حقه ، وأمثال ذلك .

وأمـا المخالفات التي تتعلق بالأوامر والنواهي ، والإقدام على الشيء قبل معرفة حكم الله تعالى وحكم الرسول فيه ، فهي من سوء أدب اهـل الغيبة ، لا الحضور الذي نحن فيه .

« واتقوا الله » في هذه التقدّمات كلها ، فإن من اتقى الله حق تقاته لا يصدر عنه أمثال هـذه التقدّمات ، في المواقع المذكورة « ان الله سميع » للتقدّمات القوليـة في باب أدب الظاهر ، ولأحاديث النفس في باب أدب الباطن « عليم » بالفعليات ، والوصفيات ، وبظهور البقيات .

« يَا أَيُّهَـا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْماً بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ . وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَكِنَّ اللهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَـانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ . فَضْلاً مِنَ اللهِ وَنِعْمَةً وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ » .

« واعلموا أن فيكم رسول الله » الآية . لما كان تمني المؤمن طاعة الرسول إياه معرباً عن ظهور نفسه بصفاته ، محتجباً عن فضل الرسول وكماله ، وذلك لا يكون إلا لضعف الايمان ، وكدورة القلب بهوى النفس ، واستيلاء النفس على القلب بالميل الى الشهوات ، واللذات لغلبة الهوى عليها ، أورد لفظة :

ولكن ، بين قوله : « لو يطيعكم » ، وبين قوله : « الله حبّب اليكم الايمان » لصفاء الروح ، وبقاء الفطرة على النور الأصلي « وزيّنه في قلوبكم » بإشراق انوار الروح على القلب وتنويرها إياه ، واستعدادها للإلهامات الملكية المفيدة ، للاستسلام والانقياد لأحكامه « وكرّه اليكم الكفر » أي ، الاحتجاب عن الدين « والفسوق » أي ، الميل الى اتباع الشهوات بالهوى ، ومتابعة الشيطان بالعصيان ، لتنوّر النفس بنور القلب وانقيادها له ، واستفادتها ملكة العصمة بالاستسلام لأمره .

والعصمة هيئة نورية في النفس يمتنع معها الإقدام على المعاصي ، كل ذلك لقوة الروح واستيلائه على القلب ، والنفس بنوره الفطري ، كما أن أضداد ذلك في الذين تمنوا طاعة الرسول إياهم لقوة النفس واستيلائها على القلب ، وحجبها إياه عن نور الروح « أولئك » الموصوفون بمحبة الايمان وتزيّنه في قلوبهم ، وكراهتهم المعاصي « هم الراشدون » الثابتون على الصراط المستقيم دون من يخالفهم « فضلاً من الله » بعنايته بهم في الأزل ، المقتضية للهداية الروحانية الاستعدادية ، المستتبعة لهذه الكمالات في الأبد « ونعمة » بتوفية إياهم للعمل بمقتضى تلك الهداية الأصلية ، وإعانته بإفاضة الكمالات المناسبة لاستعداداتهم ، حتى اكتسبوا ملكة العصمة ، الموجبة لكراهة المعصية « والله عليم » بأحوال استعداداتهم « حكيم » يفيض عليها ما يليق بها ، ويناسبها بحكمته .

« وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَى فَقَاتِلُوا ٱلَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ ٱللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ

وَأَقْسِطُوا إِنَّ ٱللهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ . إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَٱتَّقُوا ٱللهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ . يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِّنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِٱلْأَلْقَابِ بِئْسَ ٱلِاسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَانِ وَمَنْ لَّمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ ٱلظَّالِمُونَ . يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا ٱجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبْ بَّعْضُكُمْ بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَٱتَّقُوا ٱللهَ إِنَّ ٱللهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ » .

« وإن طائفتان من المؤمنين » الى آخره . الاقتتال لا يكون إلا للميل الى الدنيا ، والركون الى الهوى ، والانجذاب الى الجهة السفلية ، والتوجّه الى المطالب الجزئية . والاصلاح إنما يكون من لوازم العدالة في النفس التي هي ظلّ المحبة ، التي هي ظلّ الوحدة ؛ فلذلك ، أمر المؤمنون الموحدون بالاصلاح بينهما على تقدير بغيهما ، والقتال مع الباغية على تقدير بغي « إحداهما » حتى ترجع ، لكون الباغية مضادّة للحق ، دافعة له ؛ كما خرج عمار رضي الله عنه ، مع كبره وشيخوخته ، في قتال أصحاب معاوية ، ليُعلِم بذلك أنهم الفئة الباغية .

وقيد الاصلاح في القسم الثاني ، وهو أن الباغية إحداهما بالعدل ؛ لأن بغي الطرفين يوغر الصدور ، ويهيّج النفوس على الظلم ، فنهاهم عن ذلك ، إذ الاصلاح إنما يكون فضيلة معتبرة ، اذا لم يكن بالنفس بل بالقلب على مقتضى العدالة المحضة لإزالة الجور، لا لغرض آخر . كالحماية والحمية ، ورعاية المصلحة الدنيوية ، وغير ذلك . ولذلك ، قال: « إن الله يحب المقسطين » أي، المحبة الالهية ، إنما تترتب على العدالة .

فالاصلاح اذا لم يكن عن عدالة لم يكن عن محبة ، واذا لم يكن عن محبة فلا يحبهم الله،لوجوب اقتضاء محبة الله إياهم محبتهم له العدالة،ومحبة المؤمنين . فلو أحبهم لأحبّوه ، كما قال : « يحبهم ويحبّونه » ولو أحبّوه ، لأحبّوا المؤمنين ولزموا العدالة .

ثم بيّن أن الايمان الذي أقلّ مرتبته للتوحيد والعمل ، يقتضي الأخوة الحقيقية بين المؤمنين، للمناسبة الأصلية، والقرابة الفطرية التي تزيد على القرابة الصورية ، والنسبة الولادية بما لا يقاس لاقتضائه المحبة القلبية اللازمة للاتصال الروحاني ، في عين جمع الوحدة ، لا المحبة النفسانية المسببة عن التناسب في اللحمة ، فلا أقلّ من الإصلاح الذي هو من لوازم العدالة ، وإحدى خصالها، إذ لو لم يبعدوا عن الفطرة ، ولم يتكدروا بغواشي النشأة ، لم يتقاتلوا ، ولم يتخالفوا ، فوجب على اهل الصفاء ، بمقتضى الرحمة والرأفة، والشفقة اللازمة للأخوة الحقيقية ، لإصلاح بينهما ، وإعادتهما الى الصفاء .

« واتقوا الله » في تكدّر الفطرة ، والبعد عن النور الأصلي ، بمقتضيات النشأة، والرضا بالمفسدة، وترك الإصلاح اضعف المحبة ، الدالّ على الإحتجاب عن الوحدة « لعلكم ترحمون » بإفاضة نور الكمال، المناسب لصفاء الإستعداد،

والمناهي المذكورة بعدها . الى قوله : « إن أكرمكم عند الله أتقاكم » كلها من باب الظلم المقابل للعدالة اللازمة للإيمان التوحيدي .

« يَا أَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّنْ ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ ٱللهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ ٱللهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ . قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَـٰكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِنْ تُطِيعُوا ٱللهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُمْ مِّنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئاً إِنَّ ٱللهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ » .

قوله : « إن أكرمكم عند الله اتقاكم » معناه : لا كرامة بالنسب لتساوي الكل في البشرية ، المنتسبة الى ذكر وأنثى . والإمتياز بالشعوب والقبائل ، إنما يكون لأجل التعارف بالإنتساب ، لا للتفاخر . فإنه من الرذائل . والكرامة لا تكون إلا بالإجتناب عن الرذائل الذي هو اصل التقوى . ثم كلما كانت التقوى أزيد رتبة كان صاحبها أكرم عند الله وأجلّ قدراً ، فالمتقي عن المناهي الشرعية التي هي الذنوب في عرف ظاهر الشرع أكرم من الفاجر، وعن الرذائل الخلقية كالجهل، والبخل، والشره ، والحرص، والجبن ، أكرم من المتجنب عن المعاصي الموصوف بها ، وعن نسبة التأثير والفعل الى الغير بالتوكل . ومشاهدة أفعال الحق أكرم من الفاضل المتدرب بالفضائل الخلقية ، المعتدّ بتأثير الغير ، المحجوب برؤية افعال الخلق عن تجليات افعال

الحق، وعن الحجب الصفاتية ، بالإنسلاخ عنها في مقام الرضا ، ومحو الصفات أكرم من المتوكل في مقـــام توحيد الأفعال ، المحجوب بالصفات عن تجليات صفـــات الحق ، وعن وجود الخصوص . أي ، آنيته التي هي أصل الذنوب بالفنـــاء ، أكرم الجميع « إن الله عليم » بمراتب تقواكم « خبير » بتفاضلكم .

« إنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ آمَنُوا بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ ٱلصَّادِقُونَ . قُلْ أَتُعَلِّمُونَ ٱللَّهَ بِدِينِكُمْ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمٰوَاتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ . يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَّا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُمْ بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ . إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمٰوَاتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ » .

« إنما المؤمنون » الى آخره . لمـــا فرق بين الإيمان والإسلام ، وبين أن الإيمان باطني قلبي ، والإسلام ظاهري بدني ، أشار الى الإيمان المعتبر الحقيقي ، وهو اليقين الثابت في القلب ، المستقر الذي لا إرتياب معه ، لا الذي يكون على سبيل الخطرات . فالمؤمنون هم الموقنون الذين غلبت ملكة اليقين قلوبهم على نفوسهم ، ونورتها بأنوارها ، فتأصلت فيها ملكة القلوب ، حتى تأثرت

بها الجوارح ، فلم يمكنها إلا الجري بحكمها ، والتسخر لهيئتها ، وذلك معنى قوله: « وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله » بعد نفي الإرتياب عنهم. لأن بذل المال والنفس في طريق الحق ، هو مقتضى اليقين الراسخ ، وأثره في الظاهر« أولئك هم الصادقون » في الإيمان، لظهور أثر الصدق على جوارحهم، وتصديق أفعالهم أقوالهم ، بخلاف المدعين المذكورين .

سورة ق

بسم الله الرحمن الرحيم

« قٓ . وَٱلْقُرْآنِ ٱلْمَجِيدِ . بَلْ عَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُّنْذِرٌ مِّنْهُمْ فَقَالَ ٱلْكَافِرُونَ هٰذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ . ءَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَاباً ذٰلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ . قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنْقُصُ ٱلْأَرْضُ مِنْهُمْ وَعِنْدَنَا كِتَابٌ حَفِيظٌ . بَلْ كَذَّبُوا بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَّرِيجٍ . أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى ٱلسَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ . وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ . تَبْصِرَةً وَذِكْرَى لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ . وَنَزَّلْنَا مِنَ ٱلسَّمَاءِ مَاءً مُّبَارَكاً فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ ٱلْحَصِيدِ . وَٱلنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ . رِّزْقاً لِّلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَّيْتاً كَذٰلِكَ ٱلْخُرُوجُ . كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ

نُوحٍ وَأَصْحَابُ ٱلرَّسِّ وَثَمُودُ. وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَانُ لُوطٍ. وَأَصْحَابُ ٱلْأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍ كُلٌّ كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ».

« ق » إشارة الى القلب المحمدي ، الذي هو العرش الإلهي ، المحيط بالكل . كما أنّ « ص » إشارة الى صورته على ما رمز اليه ابن عبّاس في قوله : (« ص » جبل بمكة كان عليه عرش الرحمن حين لا ليل ولا نهار) ولكونه عرش الرحمن ، قال : (قلب المؤمن عرش الله) وقال : (لا يسعني أرضي ، ولا سمائي ، ويسعني قلب عبدي المؤمن) .

قيل : « ق » جبل محيط بالعالم ، وراءه العنقاء لإحاطته بالكل ، وكونه حجاب الرب ، لا يعرفه من لم يصل الى مقام القلب . وإنما يطلع عليه من طلع هذا الجبل ، أقسم به وبالقرآن المجيد . أي ، العقل القرآني الكامل فيه ، الذي هو الاستعداد الأولي الجامع لتفاصيل الوجود كله ؛ فإذا برز وصار الى الفعل كان عقلاً فرقانياً ، ولا يخفى مجده وشرفه بهذا المعنى. او القرآن المجيد النازل عليه الذي هو بعينه الفرقان البارز ، الذي أشرنا اليه ، جمعهما في القسم لتناسبهما .

وجواب القسم محذوف كما في « ص » وغيرها من السوَر. وهو أنه الحق ، أو أنه لمعجز مدلول عليه ، بقوله : « بل عجبوا » الى آخره .

« أَفَعَيِينَا بِٱلْخَلْقِ ٱلْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ . وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ » .

وبقوله : « أفعيينا بالخلق الأول » أي ، ما اهتدينا الى إبداع الحقائق ، وإيجاد الأشياء الأولية ، كالأرواح والسماوات وأمثالها ، بل اعترفوا بذلك ، إنما هم في شبهة والتباس من خلق حادث يتجدد كل وقت ، لبس عليهم الشيطان حتى قالوا : « وما يهلكنا إلا الدهر » ونسبوا التأثير الى الزمان ، واحتجبوا عن معنى قوله: « كل يوم فيها شأن » ولو عرفوا الله حق معرفته، وكان اعترافهم بإيجاده للخلق الأول عن علم ويقين ، لشاهدوا الخلق الجديد في كل آن ،فلم ينكروا البعث،وكانوا عباداً مخلصين ليس للشيطان عليهم سلطان.

«ونحن أقرب اليه من حبل الوريد» تمثيل للقرب المعنوي بالصورة الحسّية المشاهدة ، وإنما كان أقرب مع عدم المسافة بين الجزء المتصل به وبينه ، لأن اتصال الجزء بالشيء يشهد بالبينونة والإثنينية الرافعة للاتحاد الحقيقي،ومعيته وقربه من عبده ليس كذلك، فإن هويته وحقيقته المندرجة في هويته وتحققه، ليست غيره . بل أن وجود المخصوص المعين ، إنما هو بعين حقيقته التي هي الوجود من حيث هو وجود ، ولولاه لكان عدماً صرفاً ، ولا شيئاً محضاً . فحبل غاية القرب الصوري . أي ، الاتصال بالجزئية الذي لا اتصال أشد منه في الأجسام ، مع كونه سبب حياة الشخص ، هذا أتمّ منه لبقائه .

ثم بيّن أقربيته لينتفي القرب بمعنى الاتصال والمقارنة،كما قال امير المؤمنين عليه السلام : (هو مع كل شيء) لا بمقارنة . إذ الشيء به ذلك الشيء ، وبدونه ليس شيئاً ، حتى يقارنه .

« إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ . مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ . وَجَاءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ » .

« إذ يتلقّى المتلقّيان » أي ، يعلم حديث نفسه، الذي يوسوس به نفسه وقت تلقّي المتلقّيين مع كونه أقرب اليه منهما ، وإنما تلقيهما للحجة عليه ، وإثبات الأقوال والأعمال في الصحائف النورية للجزاء .

والمتلقي القاعد عن اليمين هو القوة العاقلة العملية المنتقشة بصور الأعمال الخيرية ، المرتسمة بالأقوال الحسنة الصائبة ، وإنما قعد عن يمينه ، لأن اليمين هي الجهة القوية الشريفة المباركة ، وهي جهات النفس التي تلي الحق .

والمتلقي القاعد عن الشمال هو القوة المتخيلة التي تنتقش بصور الأعمال البشرية البهيمية ، والسبُبعيّة ، والآراء الشيطانية الوهمية ، والأقوال الخبيثة الفاسدة . وإنما قعد عن الشمال لأن الشمال هي الجهة الضعيفة الخسيسة المشؤمة وهي التي تلي البدن ، ولأن الفطرة الإنسانية خيرة بالذات ، لكونها من عالم الأنوار مقتضية بذاتها ، وغريزتها الخيرات والشرور .

إنما هي أمور عرضت لها من جهة البدن وآلاته وهيئاته، يستولي صاحب اليمين على صاحب الشمال، فكلما صدرت منه حسنة كتبها له في الحال ، وإن صدرت منه سيئة منع صاحب الشمال عن كتابتها في الحال انتظاراً للتسبيح . أي ، التنزيه عن الغواشي البدنية ، والهيئات الطبيعية ، بالرجوع الى مقرّه الأصلي وسنخه الحقيقي ، وحاله الغريزي ، لينمحي أثر ذلك، الأمر العارضي بالنور الأصلي والإستغفار . أي ، التنوّر بالأنوار الروحية ، والتوجه الى الحضرة الإلهية لينمحي أثر تلك الظلمة العرضية بالنور الوارد . كما قال عليه الصلاة والسلام : (كاتب الحسنات على يمين الرجل ، وكاتب السيئات على يساره ، وكاتب الحسنات أمين على كاتب السيئات ، فإذا عمل حسنة كتبها

ملك اليمين عشر ، وإذا عمل سيئة قال صاحب اليمين لصاحب اليسار : دعه سبع ساعات لعله يسبح أو يستغفر) .

« وجاءت سكرة الموت » أي ، شدّته الحيرة ، الشاغلة للحواس ، المذهلة للعقل « بالحق » بحقيقة الأمر الذي غفل عنه من أحوال الآخرة ، والثواب ، والعقاب. أي ، أحضرت السكرة التي منعت المحتضر عن الإدراكات الخارجية أحواله الباطنية ، وأظهرت عليه « ذلك ما كنت » أيها المحتضر «منه تحيد» أي ، تميل الى الأمور الظاهرة ، وتذهل عنها .

« وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْوَعِيدِ . وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ . لَّقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ . وَقَالَ قَرِينُهُ هَٰذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ . أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ . مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُّرِيبٍ . ٱلَّذِي جَعَلَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِي ٱلْعَذَابِ ٱلشَّدِيدِ » .

« ونفخ في الصور » للإحياء ، أي ، أحيا كل منهم في صورة تناسبه في الآخرة « ذلك » النفخ ، وقت تحقق « الوعيد » بشهود ما قدّم من الأعمال وما أخّر « وجاءت كل نفس معها سائق » من عمله « وشهيد » من عمله . لأن كل أحد ينجذب الى محل نظره ، وما اختار بعلمه ، والميل الذي يسوقه الى ذلك ، الشيء إنما نشأ من شعوره بذلك ، الشيء وحكمه ، بملايمته له سواء كان أمراً سفلياً جسمانياً بعثه عليه هواه ، وأغراه عليه وهمه وقواه ، أو

أمراً علوياً روحانياً بعثه عليه عقله ، ومحبته الروحانية ، وحرّضه عليه قلبه وفطرته الأصلية ، فالعـــلم الغالب عليه سائقه الى معلومه ، وشاهده بالميل الغالب عليه ، والحب الراسخ فيه ، والعمل المكتوب في صحيفته يشهد عليه بظهوره على صور أعضائه ، وجوارحه . وينطق عليه كتابه بالحق ، وجوارحه بهيئات أعضائه المتشكلة بأعماله .

« لقد كنت في غفلة من هذا » لاحتجابك بالحس والمحسوسات . وذهولك عنـه ، لاشتغالك بالظاهر عن الباطن « فكشفنا عنك » بالموت « غطاءك » المادي الجسماني الذي احتجبت به « فبصرك اليوم حديد » أي ، إدراكك لما ذهلت عنه ، ولم تصدّق بوجوده ، يقيناً قوي تعاينه .

« وقـــال قرينه » من شيطان الوهم الذي غرّه بالظواهر ، وحجبه عن البواطن « هذا ما لدي » مهيأ لجهنم ، أي ظهر تسخير الوهم إياه في التوجه الى الجهة السفلية ، وانـه ملكه ، واستعبده في طلب اللذات البدنية ، حتى هيأه لجهنم في قعر الطبيعة « ألقيا في جهنم » الخطاب للسائق والشهيد ، اللذين يوبقانه ، ويلقيانه ، ويهلكانه في أسفل غياهب مهواة الهيولى الجسمانية ، وغيابة جبّ الطبيعة الظلمانية ، في نيران الحرمان أو لمالك والمراد بتثنية الفاعل كأنما قال الق لاستيلائه عليهم في الأبعاد والإلقاء الى الجهة السفلية .

ويقوّي الأول انـه عدّد الرذائل الموبقة التي أوجبت استحقاقهم لعذاب جهنم ، ووقوعهم في نيران الجحيم ، وبيّن انهـــا من باب العلم ، والعمل ، والكفران . ومنع الخير كلاهما من افراط القوّة البهيمية الشهوانية ، لإنها كما في لذّاتها ، واستعمالها نعم الله تعالى في غير مواضعها ، من المعاصي والإحتجاب عن المنعم بها ، ومن حقها أن تذكره ، وتبعث على شكره ، وشدة حرصها ومكالبتها عليها ، لفرط ولوعها بها ، فتمنعها عن مستحقيها .

وذكرهما على بناء المبالغة ليدلّ على رسوخ الرذيلتين فيه ، وغلبتهما عليه ، وتعمقه فيهما ، الموجب للسقوط عن رتبة الفطرة في قعر بئر الطبيعة ، والمتواد والإعتداء ، كلاهمـــا من إفراط القوة الغضبية واستيلائها لفرط الشيطنة ، والخروج عن حدّ العدالة ، والأربعة من باب فساد العمل ، والريب ، والشرك ، كلاهما من نقصان القوة النطقية ، وسقوطها عن الفطرة ، بتفريطها في جنب الله وقصورها عن حدّ القوة العاقلة ، وذلك ، من باب فساد العلم .

« قَالَ قَرِينُهُ رَبَّنَا مَا أَطْغَيْتُهُ وَلَـٰكِن كَانَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ . قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم بِالْوَعِيدِ . مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ . يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ » .

« قال قرينه ربنا ما أطغيته » هـــذه المقاولات كلها معنوية مثلت على سبيل التخييل والتصوير لاستحكام المعنى في القلب عنـــد ارتسام مثاله في الخيـــال ، فادعاء الكافر الإطغاء على الشيطان وإنكار الشيطان إياه ، عبارة عن التنازع ، والتجاذب الواقع بين قوتيه الوهمية والعقلية . بل بين كل اثنتين متضادّتين من قوّاه كالغضبية ، والشهوية مثلاً . ولهذا قال : « لا تختصموا » ولما كان الأمران في وجوده ، هما : العقلية ، والوهمية . كان اصل التخاصم بينهما .

وكذا يقع التخاصم بـين كل متحاورين متخاوضين في أمر لتوقع نفع او لذة ، يتوافقان ما دام مطلوبهما حاصلاً ، فـــإذا حرما او وقعا بسعيهما في خسران وعذاب ، تدارءا او نسب كل منهما التسبب في ذلـــك الى الآخر ،

لاحتجابها عن التوحيد ، وتبرّي كل منهما عن ذنبه لحبة نفسه . ولذلـك ، قال حارثة رضي الله عنه للنبي عليه السلام : (ورأيت أهـــل النار يتماورون) [1] .

وصوّب عليه السلام ، قوله : (وقول الشيطان مـا أطغيته ولكن كان في ضلال بعيد) كقوله : (إن الله وعدكم وعد الحق ، ووعدتكم فأخلفتكم ، وما كان لي عليكم من سلطان إلا أن دعوتكم فاستجبتم لي ، فــلا تلوموني ، ولوموا أنفسكم) لأنـــه لو لم يكن في ضلال عن طريق التوحيد بعيد عن الفطرة الاصلية ، بالتوجه الى الجهـــة السفلية ، والتغشي بالغواشي المظلمة الطبيعية ، لم يقبل وسوسة الشيطان ، وقبل الهام الملك .

فالذنب إنما يكون عليه بالإحتجاب عن نور الفطرة ، واكتساب الجنسية مع الشيطان في الظلمة ، والنهي عن الإختصام ليس المراد به انتهاؤهما بـــل عدم فائدته والإستماع اليه ، كأنه قال : (اختصام مسموع عندي) .

وقد ثبت وصحّ تقديم الوعيد حيث أمكن انتفاعكم به لسلامة الآلات ، وبقاء الإستعداد . فـــلم تنتفعوا به ، ولم ترفعوا لذلك رأساً حتى ترسخت الهيئات المظلمة في نفسكم ، ورانت على قلوبـــكم ، وتحقق الحجاب ، وحق القول بالعذاب . فـ « مـا يبدّل القول لديّ » ، حينئذ لوجوب العذاب حال وقوعـــه « وما أنا بظلام » حيث وهبت الإستعداد ، وأنبأت على الكمال المناسب له ، وهديتكم الى طريق اكتسابه . بـــل أنتم الظلامون أنفسكم

---

(١) قوله يتعاورون : هكذا في النسخ ، وليحرز الحديث .

باكتساب ما ينافيه ، وأضاعة الإستعداد بوضع النور في الظلمة ، واستبدال ما يفنى بما يبقى .

« يوم نقول لجهنم هل امتلأت » أي يوم يتكاثر اهل النار حتى تستبعد الزيادة عليهم ، ولا تنتقص سعتها بهم ، ولا يسكن كلبها .

وفي الحديث : (لا تزال جهنم يلقى فيها وتقول : هل من مزيد . حتى يضع رب العزة فيها قدمه فتقول قط قط بعزتك وكرمك) أي ، لا يزال الخلق يميلون الى الطبيعة بالشهوة والحرص ، والطبيعة باقية على حالها جاذبة لما يناسبها ، قابلة لصورها الملائمة لها ، ملقية لما قبلت الى أسفل الدركات ، الى ما لا يتناهى حتى يصل اليها أثر نور الكمال ، الوارد على القلب فتتنور به ، وتنتهي عن فعلها .

وعبر عن تشعشع النور الإلهي من القلب على النفس بقدم رب العزة القوي على قهرها ومنعها عن فعلها ، واجبارها على موافقة القلب ، فتقول : (قطني قطني) .

« وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ . هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ . مَّنْ خَشِيَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ . ٱدْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُلُودِ . لَهُم مَّا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ . وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُم بَطْشًا فَنَقَّبُوا فِي ٱلْبِلَادِ هَلْ مِن مَّحِيصٍ » .

« وأزلفت الجنة » أي ، جنة الصفات للذين اتقوا صفات النفس ، بدليل قوله : « من خشي الرحمن بالغيب » لأن الخشية تختص بتجلي العظمة ؛ ولقوله : « غير بعيد » أي ، مكاناً غير بعيد ، لكون جنة الصفات أقرب من جنة الذات في الرتبة دون الظهور ، إذ الذات أقرب في الظهور ، لأن في عالم الأنوار كل ما كان أبعد في العلو والمرتبة من الشيء كان أقرب اليه في الظهور لشدة نوريّته .

ولقوله : « هذا ما توعدون لكلّ أواب » أي ، رجاع الى الله بفناء الصفات « حفيظ » أي ، محافظ على صفاء فطرته ونوره الأصلي ، كي لا يتكدّر بظلمة النفس من اتصف بالخشية ، وصارت الخشية مقامه عند تجلي الحق في صفة الرحمة الرحمانية . إذ هي أعظم صفاته لدلالتها على إفاضة جميع الخيرات ، والكمالات الظاهرة على الكل ؛ وهي جلائل النعم وعظائمها « بالغيب » أي ، في حالة كونه غائباً عن شهود الذات . إذ المحتجب بتجلي الصفات غائب عن جمال الذات .

« وجاء بقلب منيب » الى الله عن ذنوب صفات النفس في معارج صفات الحق ، دون الساكن في مقام الخشية الذي لا يقصد التوقي « أدخلوها » بسلامة ، عن عيوب صفات النفس ، آمنين عن تلوينها « لهم ما يشاؤن فيها » من نعم التجليات الصفاتية وأنوارها ، بحسب الإرادة « ولدينا مزيد » من نور تجلي الذات ، الذي لا يخطر على قلوبهم .

« وكم أهلكنا » قبل هؤلاء المتقين بالإفناء والإحراق ، بسبحات تجلي الذات « من قرن هم أشد منهم بطشاً » أي ، اولياء أقوى منهم في صفات نفوسهم ، لأن الإستعداد كلما كان أقوى كانت صفات النفس في البداية أقوى

« فنقبوا في البـلاد » أي ، مفاوز الصفات ، ومقاماتها « هل من محيص » عن الفناء بالإحتجاب ببعضها ، والتواري بهـا ، عند اشراق أنوار سبحات الوجه الباقي ، وكيف المحيص ؟ ولا تبقى صفة هناك ، فضلاً عن تواريه بها.

« إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ . وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ . فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ ٱلْغُرُوبِ . وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَٰرَ ٱلسُّجُودِ . وَٱسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ ٱلْمُنَـادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ . يَوْمَ يَسْمَعُونَ ٱلصَّيْحَةَ بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُرُوجِ » .

« إن في ذلك » المعنى المذكور ، لتذكيراً « لمن كان له قلب » كامـل ، بالغ في الترقي ، الى حـد كماله « او ألقى السمع » في مقام النفس الى القلب لفهم المعاني والمكاشفات ، للترقي ، وهو حاضر بقلبه متوجه اليـه مفيض لنوره ، مترق الى مقامه .

« ولقد خلقنا السموات والأرض ومـا بينهما في ستة ايام » أي ، ست جهـات ان فسرنا السموات والأرض على الظاهر ، وإن اولنا السموات بالأرواح ، والأرض بالجسم ، فهي صور الممكنات . ألست مـن الجبروت ، والملكوت ، والملـك ؟ التي هي مجموع الجواهر ، والإضافيات ، والكميات ،

والكيفيات التي هي بجموع الأعراض ، فهذه الستة تحصر المخلوقات بأسرها ، والستة الآلاف المذكورة التي هي مدة دور الخفاء ، على ما ذكر في الأعراف.

« فاصبر على ما يقولون » بالنظر إليهم بالفناء ، وعدم تأثير أقوالهم بالإنسلاخ عن الأفعال ، وحبس النفس عن الظهور بأفعالها ، ان لم تحبسها عن الظهور بصفاتها « وسبّح بحمد ربك » بالتجريد عن صفات النفس ، حامداً لربك بالإتصاف بصفاته ، وإبراز كمالاته المكتوبة فيك ، في مقام القلب ؛ « قبل طلوع » شمس الروح ، ومقام المشاهدة ، « وقبل غروبها » بالفناء في أحدية الذات .

« ومن الليل » أي ، في بعض أوقات ظلمة التلوين ، فنزهه عن صفات المخلوقين ، بالتجرّد عن الصفة الظاهرة بالتلوين « وإدبار السجود » وفي أعقاب كل فناء ، فإن عقيب فناء الأفعال يجب الإحتراز عن تلوين النفس ، وعقيب الفناء عن الصفات يجب التنزه عن تلوين القلب ، وعقيب فناء الذات يجب التقدس عن ظهور الانانية « واستمع يوم يناد » الله بنفسه من أقرب الأماكن اليك ، كما نادى موسى من شجرة نفسه ، يوم يسمع أهل القيامة الكبرى صيحة القهر ، والإفناء « بالحق » من الحق « ذلك يوم الخروج » من وجوداتهم .

« إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا ٱلْمَصِيرُ . يَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعاً ذَٰلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ . نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ فَذَكِّرْ بِٱلْقُرْآنِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ » .

«إنّا نحن نحيي ونميت» أي، شأننا الإحياء والإماتة، نحيي اولاً بالنفس، ثم نميت عنها ، ثم نحيي بالقلب ، ثم نميت عنـه ، ثم نحيي بالروح ، ثم نميت عنه بالفناء « وإلينا المصير » بالبقاء بعد الفناء ، بل في كل فنـــاء إذ لا غير يصيرون اليه « يوم تشقق » ارض البدن « عنهم سراعاً » الى ما يجانسهم من الخلق « ذلك حشر علينا يسير» نحشرهم مع من يتولونه بالمحبة بانجذابهم اليه، دفعة بلا كلفة من احد .

« نحن أعلم بما يقولون » لإحاطة علمنا بهم ، وتقدمه عليهم، وعلى اقوالهم « وما أنت عليهم بجبار » تجبرهم على خلاف ما اقتضى استعدادهم وحالهم التي هم عليها . إنمـــا أنت مذكـّر ، فاصبر بشهود ذلك ، مني ، واحبس النفس عن الظهور بالتلوين ، « وذكـّر » بالقرآن ، بما نزل عليك من العقل الجـامع بجميع المراتب « مَنْ » يتأثر بالتذكير فـ «يخاف وعيد» لكونه قابلاً للوعظ، مجانساً لك في الاستعداد ، قريباً مني دون المردودين ، الذين لا يتأثرون به . والله تعالى أعلم .

سُورَةُ الذَّارِيَاتِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

« وَٱلذَّارِيَاتِ ذَرْواً . فَٱلْحَامِلَاتِ وِقْراً . فَٱلْجَارِيَاتِ يُسْرًا . فَٱلْمُقَسِّمَاتِ أَمْرًا . إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ . وَإِنَّ ٱلدِّينَ لَوَاقِعٌ . وَٱلسَّمَاءِ ذَاتِ ٱلْحُبُكِ . إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُخْتَلِفٍ . يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ . قُتِلَ ٱلْخَرَّاصُونَ . ٱلَّذِينَ هُمْ فِي غَمْرَةٍ سَاهُونَ . يَسْئَلُونَ أَيَّانَ يَوْمُ ٱلدِّينِ . يَوْمَ هُمْ عَلَى ٱلنَّارِ يُفْتَنُونَ . ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ هَٰذَا ٱلَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ » .

« والذاريات ذرواً » أي ، النفحات الإلهية ، والنسائم القدسية ، التي تذروا غبار الهيئات الظلمانية ، وتراب الصفات النفسانية « ذرواً » « فالحاملات » اي، الواردات النورانية ، التي تحمل أوقار الحقائق اليقينية ، والعلوم الكشفية الحقيقية ، التي لها ثقل في الميزان، لبقائها دون التي تخفّ من

الأمور الفـــانية الى قلوب اهل العرفان ، والنفوس القابلة المستعدة ، الحاملة لتلك الحقائق ، والمعاني .

« فالجاريات يسراً » أي،النفوس التي تجري في ميادين المعاملات، ومنازل القربات بواسطة تلك النفحات ، والواردات يسراً ، بلا كلفة . كما المحرومين عن ذلك ، او القلوب التي تجري في أبحر الصفات بتلك النفحـــات يسراً ، فالمقسمات « امراً » أي ، الملائكة المقربين من اهل الجبروت، والملكوت التي تقسم لكل واحـــدة قسطاً من السعادة ، والرزق الحقيقي على حسب الاستعدادات .

« إنما توعَدون » من حـــال القيامة الكبرى ، وحصول الكمال المطلق « لصادق وإن الدين » أي ، الجزاء الذي هو الفيض الوارد بحسب السعي في السلوك ، والعمل المعدّ للقبول ، أو الحرمان ، والتعذّب بالحجاب ، والتأذي بالهيئات المؤذية المظلمة ، بسبب الركون الى الطبيعـة « لواقع » ، كما قـــال : « والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنـــا » وقال : « كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون، كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون ثم إنهم لصالوا الجحيم » أقسم بالمعـــدات ، والقوابل ، والمفيضات . على أن مقتضى اجتماعهـا واجب الوقوع .

« والسماء » أي ، الروح « ذات » الطرائق من الصفات ، فإن من كل صفة طريقنا الى سماء الروح يصل اليها ، من يسلكها ؛ وكل مقام وحال باباً اليها « إنكم لفي قول مختلف » من حديث النفس ، وشجونه المتنوعة المانعة عن اتحـــاد الوجهة في السلوك ، او الاعتقادات الفاسدة ، والمذاهب الباطلة المانعة، عن الكمال من أنواع الجهل المركب « يؤفك عنه » أي،بسبب ذلك، القول المختلف الذي هو حديث النفس، او الاعتقاد الفاسد « من أفك » أي،

المحجوب المحكوم عليه في القضاء السابق بسوء الخاتمة دون غيره ، او يصرف عما توعدون من الكمال من صرف بالشقاوة الأزلية في علم الله .

« قتل الخرّاصون » أي ، لعن الكذابون بالأقوال المختلفة « الذين هم في غمرة » أي ، جهل يغمرهم ، غافلون عن الكمال ، والجزاء « يسئلون أيان يوم الدين » لبعدهم عن ذلك ، المعنى ، واستبعادهم لذلك ، وتعجّبهم منه ، لمكان الاحتجاب . أي ، متى ، وقوع هذا الأمر المستبعد « يوم هم » أي ، يقع يوم هم يعذّبون على نار الحرمان ، في ظلمات الهيئات ، بفساد الأبدان ، والوقوع في الهلاك والخسران ، مقولاً لهم « ذوقوا فتنتكم » أي ، عذابكم « الذي كنتم بـه تستعجلون » بالإنهماك في اللذات البدنية ، واستئثار الحظوظ العاجلة ، والكمالات البهيمية ، والسّبْعية .

« إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ . آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ . كَانُوا قَلِيلاً مِّنَ ٱللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ . وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ . وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَٱلْمَحْرُومِ . وَفِي ٱلْأَرْضِ آيَاتٌ لِّلْمُوقِنِينَ . وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ . وَفِي ٱلسَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ . فَوَرَبِّ ٱلسَّمَاءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنْطِقُونَ . هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ ٱلْمُكْرَمِينَ . إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَاماً قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُّنْكَرُونَ . فَرَاغَ إِلَىٰ أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ . فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ . فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا

تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ . فَأَقْبَلَتِ ٱمْرَأَتُهُ فِي صَرَّةٍ فَصَكَّتْ
وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ . قَالُوا كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ إِنَّهُ هُوَ
ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ . قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا ٱلْمُرْسَلُونَ . قَالُوا إِنَّا
أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ . لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن طِينٍ .
مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ . فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ
ٱلْمُؤْمِنِينَ . فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ ٱلْمُسْلِمِينَ . وَتَرَكْنَا
فِيهَا آيَةً لِّلَّذِينَ يَخَافُونَ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ . وَفِي مُوسَىٰ إِذْ أَرْسَلْنَاهُ
إِلَىٰ فِرْعَوْنَ بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ . فَتَوَلَّىٰ بِرُكْنِهِ وَقَالَ سَاحِرٌ أَوْ
مَجْنُونٌ . فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي ٱلْيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٌ . وَفِي
عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلرِّيحَ ٱلْعَقِيمَ . مَا تَذَرُ مِن شَيْءٍ أَتَتْ
عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَٱلرَّمِيمِ . وَفِي ثَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُوا حَتَّىٰ
حِينٍ . فَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّاعِقَةُ وَهُمْ يَنظُرُونَ .
فَمَا ٱسْتَطَاعُوا مِن قِيَامٍ وَمَا كَانُوا مُنتَصِرِينَ . وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن
قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ . وَٱلسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا
لَمُوسِعُونَ . وَٱلْأَرْضَ فَرَشْنَاهَا فَنِعْمَ ٱلْمَاهِدُونَ . وَمِن كُلِّ
شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ » .

« إن المتقين » الذين تجرّدوا عن هيئـــات الطبيعة ، وصفات النفس في جنات الصفات وعلومها « آخذين » أي ، قابلين « ما آتاهم ربهم » من أنوار تجليات الصفات ، راضين بها « إنهم كانوا قبل ذلك » أي ، قبل الوصول الى مقام تجليات الصفات «محسنين» بشهود الأفعال في مقام العبادات والمعاملات، كما قال عليه السلام : (الإحسان ان تعبد الله كأنك تراه) .

« كانوا قليلاً » من ليل الإحتجاب في مقام النفس، ما يغفلون عن السلوك « وبالأسحار » أي ، أوقات طلوع أنوار التجليات ، وانقشاع ظلمة صفات النفس « هم يستغفرون » يطلبون التنوّر بالأنوار ، وتستر صفات النفس ، وهيئات السوء بها، ومحوها « وفي أموالهم » أي ، علومهم الحقيقية، والنافعة « حق للسائل » أي ، المستعد ، الطالب « المحروم » القاصر الإستعداد ، أو المحجوب عن نور فطرته بالغواشي البدنية ، والرسوم العـــادية بإفاضة العلوم الحقيقية ، والمعارف اليقينية على الأول ، والعلوم النافعة الباعثة على الرياضة ، والمجاهدة على الثاني .

« وفي الأرض » أي، ظاهر البدن « آيات » من ظواهر الأسماء، والصفات الإلهية « للموقنين » الذين يشاهدون صفة الله في مظاهرها « وفي أنفسكم » من أنوار تجلياتها « أفلا تبصرون » وفي سماء الروح «رزقكم» المعنوي من العلوم ، كما في سماء العـــالم رزقكم الصوري « وما توعدون » من الأنوار، وأحوال القيامة الكبرى .

« إنه الحق » أي ، ما ذكر من آيات الارض ، الأنفس ، وجوه الرزق ، وما وعد في السماء حق « مثل » نطقكم ، فإنه صفة من صفات المتكلم الحقيقي ظهر على لسانكم ، وفي أرض أبدانكم ، وتجلى بها المتكلم الحقيقي على قلوبكم . إن حضرتم، وشهدتم ، ونزل بها الرزق المعنوي الذي يندرج في صورة الألفاظ

من سماء روحكم عليكم ، إن كان نطقاً حقيقياً ، لا صوتاً كأصوات الحيوانات ، فإنه لا يسمى نطقاً إلا مجازاً ، وحصل به كالكم ، وأشرق نوره عليكم اتهتدوا به الى أحوال الآخرة .

وأما حديث ضيف ابراهيم وما نزلوا به فقد مرّ تحقيقه في سورة هود .

« فَفِرُّوا إِلَى ٱللَّهِ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ . وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهاً آخَرَ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ . كَذَٰلِكَ مَا أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ . أَتَوَاصَوْا بِهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ . فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَا أَنتَ بِمَلُومٍ . وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ . وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ . مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ . إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ . فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذَنُوباً مِّثْلَ ذَنُوبِ أَصْحَابِهِمْ فَلَا يَسْتَعْجِلُونِ . فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا مِن يَوْمِهِمُ ٱلَّذِي يُوعَدُونَ » .

« ففرّوا الى الله » أي ، انقطعوا اليه ، واستضيئوا بنوره ، واستمدّوا من فيضه في محاربة النفس والشيطان ، وتخلصوا إليه من عدوانهما وطغيانهما ، ولا تلتفتوا الى غيره . ولا تثبتوا لما سواه وجوداً ، أو تأثيراً ، فيستولي عليكم

الشيطان ، ويسوّل عليكم طاعته وعبادته ، ولا تجعلوا معه بهوى النفس معبوداً ، كالنفس وما تهواه ، فتشركوا وتحتجبوا به عنه ، فتهلكوا .

« وما خلقت » جن النفوس ، وإنس الأبدان، أو الثقلين المشهورين «إلا» ليظهر عليهم صفاتي ، وكالاتي فيعرفوني ، ثم يعبدوني ، إذ العبادة بقدر المعرفة . ومن لم يعرف لم يعبد، كما قال العارف المحقق عليه السلام: (لا أعبد رباً لم أره) أي ، لم أخلقهم ليحتجبوا بوجوداتهم وصفاتهم عني ، فيجعلوا أنفسهم آلهة معبودة غيري، أو يحتجبوا بخلقي، وما تهوى أنفسهم ، فيجعلوه إلهاً غيري ، ويعبدوه .

« وما أريد منهم من رزق » أي ، خلقتهم بأن احتجبت بهم بذاتي وصفاتي ، ليظهروا ويتخلّقوا بخلقي فيحتجبوا بي ، ويستتروا بفناء الأفعال والصفات، ولا ينسبوا الرزق والإطعام والتأثير الى أنفسهم، لظهورها بالأفعال والصفات ، وانتحال أفعالي وصفاتي لها بالكذب ، والطغيان « إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين » أي ، ذاته الموصوفة بجميع الصفات ، هي مصدر الأفعال اللطيفة كالرزق والقهرية ، كالتأثير في الأشياء دون غيره .

« فإن للذين ظلموا » بنسبة الفعل ، والتأثير الى الغير من مخلوقاته ، سواء كان ذلك ، الغير أنفسهم ، أو غيرهم نصيباً وافراً من عذاب الله ، مثل نصيب نظائرهم من المحجوبين بالصفات « فلا يستعجلون » في الإستمتاع بأفعالهم « فويل للذين كفروا » أي، حجبوا عن الحق، في أي مرتبة كانت، بأي شيء كان « من يومهم الذي يوعدون » في القيامة الصغرى ، والله أعلم .

سورة الطور

بسم الله الرحمن الرحيم

« وَٱلطُّورِ . وَكِتَابٍ مَّسْطُورٍ . فِي رَقٍّ مَّنشُورٍ . وَٱلْبَيْتِ ٱلْمَعْمُورِ . وَٱلسَّقْفِ ٱلْمَرْفُوعِ . وَٱلْبَحْرِ ٱلْمَسْجُورِ . إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ . مَّا لَهُ مِن دَافِعٍ . يَوْمَ تَمُورُ ٱلسَّمَاءُ مَوْرًا . وَتَسِيرُ ٱلْجِبَالُ سَيْرًا » .

« والطور » الطور هو الجبل الذي كلم عليه موسى، وهو الدماغ الانساني الذي هو مظهر العقل والنطق ، اقسم به لشرفه وكرامته ، ولكون الفلك الأعظم الذي هو محدّد الجهات بالنسبة الى العالم بمثابـــة الدماغ بالنسبة الى الانسان ، يمكن أن يكون إشارة اليه ، وأقسم بـه لشرفه ، وكونه مظهر الأمر الإلهي ، ومحـل القضاء الأزلي . والكتاب المسطور ، هو صورة الكل على ما هو عليه من النظام المعلوم ، المنتقش في لوح القضاء ، الذي هو الروح الأعظم ، المشار اليه ههنا بالرق المنشور ، وتنكيرهما للتعظيم .

« والبيت المعمور » هو قلب العالم ، أي ، النفس الناطقة الكلية ، وهو

لوح القدر . وعمرانه كثرة اطافة الملكوت به « والسقف المرفوع » هو السماء الدنيـا التي تنزل الصور والأحكام من لوح القدر ، الذي هو اللوح المحفوظ اليه ، ثم تظهر في عالم الشهادة ، بحلولها في المواد ، وهو لوح المحو ، والإثبات بمثابة محل الخيال في الانسان « والبحر المسجور » هو الهيولى المملوءة بالصور التي يظهر عليها جميع ما أثبت في الألواح المذكورة .

« إن عذاب ربك لواقع » بظهور القيامة الصغرى ، وعلى التأويل الأول وهو تأويـــل الطور بالدماغ يكون الكتاب المسطور إشارة الى المعلومات المركوزه في الروح الإنساني المسماة بالعقـل القرآني . والروح : هو الرق المنشور ، ونشوره ظهوره وانبثاثه في البدن . والبيت المعمور : هو القلب الإنساني . والسقف المرفوع : هو مصعد الخيال ، المنتقش ، بالصور الجزئية . والبحر المسجور : هو مادة البدن المملوءة بالصور . والله أعلم .

« يوم تمور السماء موراً » أي ، تضطرب الروح ، وتجيء وتذهب عنـد السكرات ، ومفارقة البدن « وتسير الجبال » أي ، تذهب العظام ، وترم ، وتصير هباء منبثاً .

« فَوَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ . ٱلَّذِينَ هُمْ فِي خَوْضٍ يَلْعَبُونَ . يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا . هَٰذِهِ ٱلنَّارُ ٱلَّتِي كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ . أَفَسِحْرٌ هَـٰذَآ أَمْ أَنتُمْ لَا تُبْصِرُونَ . إِصْلَوْهَا فَٱصْبِرُوٓا أَوْ لَا تَصْبِرُوا سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ . إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي جَنَّـٰتٍ

وَنَعِيمٍ . فَاكِهِينَ بِمَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ وَوَقَاهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ . كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئاً بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ . مُتَّكِئِينَ عَلَى سُرُرٍ مَصْفُوفَةٍ وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ . وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ . وَأَمْدَدْنَاهُمْ بِفَاكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ . يَتَنَازَعُونَ فِيهَا كَأْساً لَا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ » .

« فويل يومئذ للمكذبين » الذين احتجبوا بالدنيا عن الآخرة ، فكذّبوا بالجزاء « الذين » يخوضون في باطل اللذات الحسية ، والإعتقادات الفاسدة ، والأقوال المزخرفة ، ويتعمّقون في اللعب الذي هو الحياة الدنيا ، وزينتها السريعة الزوال « يوم يدعون » أي ، يجرّون ، ويسحبون بالعنف « الى نار » الحرمان والآلام في قعر بئر الطبيعة الفاسقة المنحوسة ، في سلاسل التعلقات ، وإغلال الهيئات الجرمانية .

« ان المتقين » الذين اتقوا الرذائل ، وصفات النفوس « في جنات » من جنات الصفات ، ولذة ، وذوق ، وتنعم فيها « فاكهين » متلذّذين « بما أتاهم ربهم » من أنوار التجليات ، ومعارف الوجدانيات ، والكشفيات « ووقاهم ربهم عذاب » جحيم الطبيعيات ، والإحتجاب بالبهيميات ، والسُبُعيات ، من الهيئات .

« كلوا » من أرزاق الحكم ، والعلوم الحقيقية التي هي قوت القلوب

« واشربوا » من مياه العلوم النافعة ، وخمور العشق والمحبة أكلا هنيئاً « وشرباً » هنيئاً ، سائغاً غير ذي غصة « بما كنتم تعملون » بسبب أعمالكم في الزهد ، والعبادة ، والمجاهدة ، والرياضة « متكئين على سرر » أي ، مراتب ، ومقامات « مصفوفة » مترتبة ، كالتسليم ، والتوكل ، والرضا . او متقابلة تتساوى في مقاماتهم ، كقوله : « اخوانا على سرر متقابلين » .

« وزوّجناهم بحور عين » أي ، قرناهم بما في درجاتهم من الصور المقدسة ، والجواهر المجرّدة من الروحانيات ، التي لا حسن وراء حسنها « وأمددناهم بفاكهة » من الواردات اللذيذة ، والمواجيد الذوقية ، والإشراقات البهيجة « ولحم » من العلوم المقوّية للقلوب ، والحكم المحيية لها « مما يشتهون » أي ، يشتاقون اليه بمقتضى استعداداتهم ، وأحوالهم « يتنازعون » يتعاطون ، ويتعاورون في مباحثاتهم ، ومحاوراتهم ، ومذاكراتهم « كأساً » خمراً لذيذاً من المعارف ، والعشقيات ، والذوقيات « لا لغو فيها » بسقط الحديث ، والهذيان ، والكلام بما لا طائل تحته « ولا تأثيم » ولا قول يأثم به صاحبه ، وينسب الى الاثم . كالغيبة والفواحش ، والشتم ، والأكاذيب .

« وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَكْنُونٌ . وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ . قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ . فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَانَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ . إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ ٱلْبَرُّ ٱلرَّحِيمُ . فَذَكِّرْ فَمَا أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ . أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ

ٱلْمَنُونِ . قُلْ تَرَبَّصُوا فَإِنِّي مَعَكُمْ مِّنَ ٱلْمُتَرَبِّصِينَ . أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَامُهُمْ بِهَٰذَا أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ . أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ بَلْ لَّا يُؤْمِنُونَ . فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ . أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَالِقُونَ . أَمْ خَلَقُوا ٱلسَّمٰوَاتِ وَٱلْأَرْضَ بَل لَّا يُوقِنُونَ . أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ ٱلْمُصَيْطِرُونَ . أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُمْ بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ . أَمْ لَهُ ٱلْبَنَاتُ وَلَكُمُ ٱلْبَنُونَ . أَمْ تَسْئَلُهُمْ أَجْرًا فَهُمْ مِّنْ مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ . أَمْ عِنْدَهُمُ ٱلْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ . أَمْ يُرِيدُونَ كَيْداً فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا هُمُ ٱلْمَكِيدُونَ . أَمْ لَهُمْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللهِ سُبْحَانَ ٱللهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ . وَإِنْ يَرَوْا كِسْفاً مِّنَ ٱلسَّمَاءِ سَاقِطًا يَقُولُوا سَحَابٌ مَّرْكُومٌ . فَذَرْهُمْ حَتَّىٰ يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ ٱلَّذِي فِيهِ يُصْعَقُونَ . يَوْمَ لَا يُغْنِي عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئاً وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ . وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَاباً دُونَ ذَٰلِكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ . وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ . وَمِنَ ٱللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَارَ ٱلنُّجُومِ » .

« ويطوف عليهم غلمـان لهم » من الملكوت الروحانية . أي ، تخدمهم الروحانيات . او اهل الإرادة ، وصفاء الإستعداد ، من الأحداث الطالبين « كأنهم » لفرط صفائهم ، ونوريتهم « لؤلؤ مكنون » محفوظ من تغيّرات هوى النفس ، وغبار الطبائع ، مخزون من ملامسة ذوي العقـائد الرديئة ، والعـادات المذمومة « وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون » عن بداياتهم ، وأحوال رياضاتهم في عالم النفس ، ومأوى الحسّ ، الذي هو الدنيا .

« قـالوا إنّا كنا قبل » أي ، قبل الوصول الى فضاء القلب ، وروح الروح في الآخرة « في أهلنا » من القوى البدنية ،وصفات النفس « مشفقين » وَجِلين من ذكر الله ،خائفين من العقاب «فمنّ الله علينا » بتجليات الصفات، ونِعَم المكاشفات « ووقانا عذاب » سموم هوى النفس ،وجحيم الطبيعة « إنّا كنا من » قبل هذا المقام « ندعوه » نذكره ، ونعبده « إنـه هو البرّ » المحسن ، بمن دعاه بإفاضة العلم ، والتحقيق « الرحيم » لمن عبده ، وخـافه بالهداية ، والتوفيق .

« واصبر » بمنع النفس عن الظهور بالإعتراض على الحكم « فإنك بأعيننا » فإنا نراك ونرقبك ، فاحترز عن ذنب ظهور النفس بحضورنا « وسبّح » نزّه الله ، بالتجرّد عن ملابس صفات النفس ، حامداً لربك بإظهـار كمالاتك التي هي صفاته « حين تقوم » في القيامة الوسطى ، عن نوم غفلة مقـام النفس ، بالرجوع الى الفطرة « ومن الليل » ومن بعض اوقات الظلمة ، عنـد التلوين بظهور صفة من صفاتها « فسبّحه » بالتجرّد عنهـا ، والتنوّر بنور الروح « وإدبار » نجوم الصفات ، وغيبتهـا بظهور نور شمس الذات ، وطلوع فجر بداية المشاهدة . والله تعالى أعلم .

سورة النجم

بسم الله الرحمن الرحيم

« وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَى . مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى. وَمَا يَنْطِقُ عَنِ ٱلْهَوَى. إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى. عَلَّمَهُ شَدِيدُ ٱلْقُوَى . ذُو مِرَّةٍ فَاْسْتَوَى . وَهُوَ بِٱلأُفُقِ ٱلأَعْلَى. ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى. فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى » .

« والنجم اذا هوى » أقسم بالنفس المحمدية اذا فنيت ، وغربت عن محل الظهور ، وسقطت عن درجة الإعتبار في الظهور ، والحضور « ما ضلّ صاحبكم » بالوقوف مع النفس ، والإنحراف عن المقصد الأقصى ، بالميل لها « وما غوى » بالإحتجاب بالصفات ، والوقوف معها في مقام القلب « وما ينطق عن الهوى » بظهور صفة النفس في التلوين « إن هو إلا وحي يوحى » اليه من وقت وصوله الى أفق القلب الذي هو سماء الروح ، الى انتهائه الى الأفق الأعلى ، الذي هو نهاية مقام الروح ، المبين .

« علّمه » روح القدس ، الذي هو « شديد القوى » قاهر لما تحته من المراتب ، مؤثر فيها تأثيراً قوياً « ذو مِرّة » ذو متانة وأحكام في علمه ، لا يمكن تغيّره ، ونسيانه « فاستوى » فاستقام على صورته الذاتية ، والنبي بالأفق الأعلى، لأنه حين كون النبي بالأفق المبين لا ينزل على صورته لاستحالة تشكل الروح المجرّد في مقام القلب ، إلا بصورة تناسب الصورَ المتمثلة في مقامه .

ولهذا كان يتمثل بصورة (دحية الكلبي). وكان من احسن الناس صورة، وأحبهم الى رسول الله ﷺ، إذ لو لم يتمثل بصورة يمكن انطباعها في الصدر لم يفهم القلب كلامه ، ولم يرَ صورته . وأما صورته الحقيقية التي جبل عليها، فلم تظهر للنبي عليه السلام إلا مرتين : عند عروجه الى الحضرة الأحدية ، ووصوله بمقام الروح في الترقي . وعند نزوله عنها ، ورجوعه الى المقام الأول عند سدرة المنتهى ، في التدلي .

« ثم دنا » رسول الله ﷺ ، الى الله ، وترقى عن مقام جبريل بالفناء في الوحدة ، والترقي عن مقام الروح . وفي هذا المقام قال جبريل عليه السلام : (لو دنوت أنملة لاحترقت) إذ وراء مقامه ليس إلا الفناء في الذات ، والاحتراق بالسبحات « فتدلى » أي ، مال الى الجهة الأنسية بالرجوع من الحق الى الخلق ، حال البقاء بعد الفناء ، والوجود الموهوب الحقاني « فكان قاب قوسين » أي ، كان عليه السلام ، مقدار دائرة الوجود الشاملة للكل ، المنقسمة بخط موهوم الى قوسين ، باعتبار الحق والخلق، والإعتبار هو الخط الموهوم ، القاسم للدائرة الى نصفين .

فاعتبار البداية والتداني يكون الخلق هو القوس الأول ، الحاجب للهوية في أعيان المخلوقات وصورها، والحق هو النصف الأخير الذي يقرب منه شيئاً

فشيئاً ، وينمحي ويفنى فيه . وباعتبار النهاية ، والتدلي ، فالحق هو القوس الأول الثابت على حاله أزلاً وأبـداً ، والخلق هو القوس الأخير الذي يحدث بعد الفنـاء بالوجود الجديد ، الذي وهب له « أو أدنى » من مقدار القوسين بارتفاع الإثنينية الفاصلة ، الموهمة لاتصال أحـد القوسين بالآخر ، وتحقق الوحدة الحقيقية في عين الكثرة. بحيث تضمحل الكثرة فيها ، وتبقى الدائرة غير منقسمة بالحقيقة ، أحدية الذات ، والصفات .

« فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ . مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ . أَفَتُمَٰرُونَهُ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ . وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ . عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ . عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰ » .

« فأوحى الى عبده » في مقام الوحده ، بلا واسطة جبريل عليه السلام ، « ما أوحى » من الأسرار الإلهية التي لا يجوز كشفها لصاحب النبوّة « ما كذّب الفؤاد ما رأى » في مقام الجمع . والفؤاد : هو القلب المترقي الى مقام الروح في الشهود ، المشاهد للذات مع جميع الصفات ، الموجود بالوجود الحقاني. وهذا الجمع هو جمع الوجود لا جمع الوحدة ، الذي لا فؤاد فيه ، ولا عبـد لفناء الكل فيها ، المسمى باصطلاحهم عين جمع الذات . وأما هـذا الجمع ، فيسمى الوجه الباقي . أي ، الذات الموجودة مع جميع الصفات .

« أفتمارونه » أفتخاصمونها على شيء لا تفهمونه ، ولا يمكنكم معرفتـه وتصوّره ، فكيف يمكنكم إقامة الحجة عليه ؟ وإنمـا المخاصمة حيث يمكن تصوّر الأمر المختلف فيه . ثم الإحتجاج عليه بالنفي والإثبـات ، فحيث لا تصوّر ، فلا مخاصمة حقيقية .

« ولقد رآه » أي ، جبريل في صورته الحقيقية « نزلة أخرى » عند الرجوع عن الحق ، والنزول الى مقام الروح « عند سدرة المنتهى » قيل : هي شجرة في السماء السابعة ، ينتهي إليها علم الملائكة ، ولا يعلم أحد ما وراءها ، وهي نهاية مراتب الجنة ، تأوي إليها أرواح الشهداء . فهي الروح الأعظم الذي لا تعين وراءها ولا مرتبة ، ولا شيء فوقها إلا الهوية المحضة .

فلهذا نزل عندها وقت الرجوع عن الفناء المحض ، الى البقاء ، ورأى عندها جبريل عليه السلام ،على صورته التي جبل عليها . «عندها جنة المأوى» التي تأوي إليها أرواح المقرّبين .

« إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَى . مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَى . لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَى . أَفَرَأَيْتُمُ ٱللَّاتَ وَٱلْعُزَّى . وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَى . أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَى . تِلْكَ إِذاً قِسْمَةٌ ضِيزَى . إِنْ هِيَ إِلاَّ أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم مَّا أَنزَلَ ٱللهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ إِن يَتَّبِعُونَ إِلاَّ ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَى . أَمْ لِلْإِنسَانِ مَا تَمَنَّى . فَلِلَّهِ ٱلْآخِرَةُ وَٱلْأُولَى . وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي ٱلسَّمَوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئاً إِلاَّ مِن بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللهُ لِمَن يَشَاءُ وَيَرْضَى . إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ لَيُسَمُّونَ

ٱلْمَلٰئِكَةَ تَسْمِيَةَ ٱلْأُنْثَى . وَمَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ
إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْئاً . فَأَعْرِضْ
عَنْ مَّنْ تَوَلَّى عَنْ ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا ٱلْحَيٰوةَ ٱلدُّنْيَا .
ذٰلِكَ مَبْلَغُهُمْ مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ
سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱهْتَدَى . وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمٰوٰتِ
وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ لِيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَسَاؤُا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ
ٱلَّذِينَ أَحْسَنُوا بِٱلْحُسْنَى . ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ
ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَاحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ ٱلْمَغْفِرَةِ
هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَإِذْ أَنْتُمْ
أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ
بِمَنِ ٱتَّقَى » .

« إذ يغشى السدرة » من جلال الله وعظمته « ما يغشى » لأنه ﷺ كان يراها عند تحققه بالوجود الحقاني بعين الله ، فرأى الحق متجلياً في صورتها ، فقد غشي السدرة من التجلي الإلهي ما سترها وأفناها ، فرآها بعين الفناء لم يحتجب بها ، وبصورتها ولا بجبريل ، وحقيقته عن الحق ، ولهذا قال : « ما زاغ البصر » بالإلتفات الى الغير ، ورؤيته « وما طغى » بالنظر الى نفسه ، واحتجابه بالإنانية « لقد رأى من آيات ربه الكبرى » أي ، الصفة الرحمانية ، الذي يندرج فيها جميع الصفات بتجليته تعالى فيها ، بل حضرة

الأسم الأعظم ، الذي هو الذات مع جميع الصفات ، المعبّر عنه بلفظة الله في عين جمع الوجود ، بحيث لم يحتجب عن الذات بالصفات ، ولا بالصفات عن الذات .

« وكم من ملك في السماوات » الى آخر الآية . الشفاعة من الملائكة : هي إفاضة الأنوار ، والإمداد على المستشفع عنـــد استفاضة بالتوسل بالشفيع ، الذي هو الوسيلة والواسطة المناسبة بينهما ، واتصال فعلي . هذا شفاعتهم في حق النفوس البشرية ، لا تكون إلا إذا كانت مستعدة في الأصل قابلة لفيض الملكوت . ثم تزكوا عن الهيئات البشرية ، والغواشي الطبيعية بالتوجـه الى جناب القدس ، والتجرّد عن ملابس الحسّ ، ومواد الرجس ، فتستفيض من نورها ، وتستمد من فيضها ، وتتصل بها ، وتنخرط في سلكها ، فتتقرّب الى الله بواسطتها . فالإستعداد القابل الأصلي ، هو الأذن في الشفاعة ، والرضا بهـــا هو الزكاء ، والصفاء الحاصل بالسعي والإجتهاد . فإذا اجتمعا حصلت الشفاعة ، وإن لم يكن الإستعداد في الأصل أو كان ، وقـد تغيّر بالعلائق ، والغواشي . ولم تبق على صفائها ، فلم يكن أذن ، ولا رضا من الله ، فـــلا شفاعة .

فقوله : « لا تغني شفاعتهم شيئاً » معناه عدم الشفاعة لا وجودها ، وعدم إغنائها ، لاستحالة ذلك ، في عالم الملكوت ، فهو كقوله : (ولا ترى الضب بها ينجحر) .

« أَفَرَأَيْتَ ٱلَّذِي تَوَلَّى . وَأَعْطَى قَلِيلاً وَأَكْدَى . أَعِنْدَهُ عِلْمُ ٱلْغَيْبِ فَهُوَ يَرَى . أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَى . وَإِبْرَاهِيمَ ٱلَّذِي وَفَّى . أَلاَّ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ

أُخرَى . وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلاَّ مَا سَعَى . وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى . ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَى . وَأَنَّ إِلَى رَبِّكَ الْمُنْتَهَى . وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى . وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا . وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى . مِنْ نُطْفَةٍ إِذَا تُمْنَى . وَأَنَّ عَلَيْهِ النَّشْأَةَ الْأُخْرَى . وَأَنَّهُ هُوَ أَغْنَى وَأَقْنَى . وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشِّعْرَى . وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَاداً الْأُولَى . وَثَمُودَ فَمَا أَبْقَى . وَقَوْمَ نُوحٍ مِنْ قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَى . وَالْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَى . فَغَشَّاهَا مَا غَشَّى . فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكَ تَتَمَارَى . هٰذَا نَذِيرٌ مِنَ النُّذُرِ الْأُولَى . أَزِفَتِ الْآزِفَةُ . لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ . أَفَمِنْ هٰذَا الْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ . وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ . وَأَنْتُمْ سَامِدُونَ . فَاسْجُدُوا لِلَّهِ وَاعْبُدُوا ».

« وإبراهيم الذي وفّى » حق الله عليه، بتسليم الوجود اليه، حال الفناء، في التوحيد ، بالقيام بأمر العبودية ، وتبليغ الرسالة والنبوّة ، في مقـــام الاستقامة . او أتمّ الكلمات التي ابتلاه الله بها ، وهي ما ذكر من الصفات ، وقرىء . وفى مخففاً . اي، بعهده المأخوذ ميثاقه عليه في اول الفطرة بـأن ثبت عليه حق بلغ مقام التوحيد المشار اليه ، بقوله : « وجهت وجهي للذي

فطر السماوات والأرض » . « ألا تزر وازرة أخرى » لأن العقاب يترتب على هيئـــات مظلمة ، رسخت في النفس ، بتكرار الأفاعيل ، والأقاويل السيئة ، التي هي الذنوب . وكذلك ، الثواب انما يترتب على أضدادها ، من هيئات الفضائل ، كما قال تعالى : « وأن ليس للانسان إلا ما سعى » بخلاف الحظوظ العاجلة ، المقسومة للقدرة . وإن كانت تلك ايضاً مستندة الى قضاء من الله وقدر ، لكن المعتبر، هو السبب القريب الموجب لكل منها .

« النشأة الأخرى » تقع على أمور ثلاثة : الأول : إعـــادة الأرواح الى الأجساد للحساب ، والجزاء المرتب على اعمال الخير والشر ، بالمصير الى النار ، أو جنة الأفعال . والثاني : هو العَود الى الفطرة الأولى ، والرجوع الى مقام القلب . والثالث : هو العَود الى الوجود الموهوب الحقاني بعد الفناء التام .

والأول : لا بدّ لكل احد منه سواء كانت الأجساد نورانية او ظلمانية دون الباقين « أزفت الأزفة » إن حملت على القيامة الصغرى ، فقربها ظاهر ، والكاشفة أما المبينة لوقتها او الدافعة ، وإن حملت على الكبرى فقربهـا من وجهين : أحدهما القرب المعنوي ، لأنها اقرب شيء الى كل احـد ، لكونه في عين الوحدة ، وإن كان هو بعيداً عنها لغفلته ، وعدم شعوره بها .

والثـــاني : إن وجود محمد وبعثته عليه السلام ، مقدمة دور الظهور ، وأحد اشراطه . ولهذا قال: (بعثت أنا والساعة كهاتين) وجمع بين السبابة والوسطى . وتظهر بوجود المهدي عليه السلام، «ليس لها من دون الله كاشفة» أي ، نفس مبينة ، لامتناع وجود غيره ، وعلمه عندهـا « فاسجدوا لله » بالفناء « واعبدوا » بالبقاء بعده . والله أعلم .

سورة القمر

بسم الله الرحمن الرحيم

« إِقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ . وَإِن يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ . وَكَذَّبُوا وَٱتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقِرٌّ . وَلَقَدْ جَاءَهُم مِّنَ ٱلْأَنبَاءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ . حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ فَمَا تُغْنِ ٱلنُّذُرُ . فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ ٱلدَّاعِ إِلَى شَيْءٍ نُّكُرٍ . خُشَّعاً أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ » .

« اقتربت الساعة وانشق القمر » إنما كان انشقاق القمر آية قرب القيامة الكبرى ، لأن القمر إشارة الى القلب ، لكونه ذا وجهين : وجـه مظلم يلي النفس ، وآخر منوّر يلي الروح . ولإستفادته النور من الروح كاستفادة القمر النور من الشمس، وانفلاقه بتأثير نور الروح فيه ، وظهور شمسه من مغربها . أي، بروزها من حجاب القلب بعد كونها فيه علامة قرب الفناء في الوحدة ،

لكونه مقام المشاهدة المؤدية الى الشهود الذاتي ، وإن حملت على دور الظهور الذي هو زمان المهدي المبعوث في نسمها .

فانشقاق القمر انفلاقه عن ظهور محمـــد عليه السلام ، لظهوره في دور القمر ، وإن حملت على الصُغرى ، فالقمر هو البدن ، لاستفادته نور الشعور والحياة من شمس الروح، وظلمته في نفسه، ويقوّيه قوله: « يوم يدع الدّاع » أي ، يظهر مقتضى الموت، ويدعو موجبه الى شيء ، منكر فظيع ، تكرهه النفوس « خشعاً أبصارهم » من الذلة ، والعجز ، والمسكنة ، والحرمان « يخرجون » من أجداث الأبدان «كأنهم جراد منتشر» شبهها بالجراد لكثرة النفوس المفارقة ، وذلتها ، وضعفها ، وحرصها ، وتهالكها على حضرة الذات الحسية ، والشهوات الطبيعية ، وميلها الى الجهة السفلية . كما شبهها بالفراش، لتهالكها الى نور الحياة .

وعلى الأول ، يوم يدعو داعي الروح والقلب ، النفوس الى شيء منكر ، عندها من ترك الحظوظ العاجلة ، واللذات البدنية والحسية ، الذي هو الموت الإرادي ، بالرياضة ، ومشايعة السرّ في التوجّه الى جنـــاب الحق ، خشعاً أبصارهم ذليلة منكسرة ، لقهر الداعي لها ، واستيلائه عليها . يخرجون من أجداث الأبــدان بالتجرّد والإنخلاع عنها ، كأنهم جراد لضعفها وطيرانها في شعاع نور شمس الروح .

« مُهْطِعِينَ إِلَى ٱلدَّاعِ يَقُولُ ٱلْكَافِرُونَ هَـٰذَا يَوْمٌ عَسِرٌ . كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَٱزْدُجِرَ . فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَٱنْتَصِرْ .

فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ ٱلسَّمَاءِ بِمَاءٍ مُّنْهَمِرٍ . وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُوناً فَٱلْتَقَى ٱلْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ . وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ . تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِّمَنْ كَانَ كُفِرَ . وَلَقَدْ تَرَكْنَاهَا آيَةً فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ . فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ . وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ » .

« مهطعين الى الداع » على كلا التأويلين ، لانقيادها طوعاً وكرهاً « يقول الكافرون » أي المحجوبون عن الدين ، او الحق « هذا يوم عسر » لنزوعهم الى اللذات والشهوات الحسّية ، وشوقهم اليها وضراوتهم بها ، فإما غير المحجوب فأيسر شيء عليه الموت الطبيعي ، والإرادي جميعاً «ففتحنا ابواب» سماء العقل ، بعلم منصب الى العالم السفلي بقوة ، أي ، نكسنا عقولهم بالميل الى الدنيا ، والاشتغال بتدابير الأمور الجزئية ، وترتيب اللذات الحسّية ، والإنهماك في امر المعاش ، وصرف عملها فيه ، ووقوفها معها ، واحتجابها بها عن الأمور الأخروية ، المؤدي الى هلاكهم . فهو كقوله : « وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها » .

« وفجرنا » ارض النفس « عيوناً » علوماً جزئية حسّية، متعلقة بكسب الحطام وجمعه ، والتلذذ به ، والترّفه فيه ، كأن نفوسهم كلها ذلك التدبير ، لشدة انجذابها اليها ، وحرصها فيها « فالتقى » العلمان في طلب الدنيا وجذبها « على أمر قد » قدّره لله تعالى ؛ وهو اهلاكهم بسبب التورّط في الشهوات بالجهل

وحملنا نوحاً على شريعة ذات اعمال، وعلوم ترتبط بها الاعمال ، او احكام ومعاقـــد تستند اليها الأحكام « تجري بأعيننا » أي تنفذ على حفظ منا في لجة جهلهم الغالب الغامر إياهم ، فـلا يغلبها جهلهم فيبطلها « جزاء » لنوح عليه السلام ، الذي كان نعمة مكفورة من قومه بـأن لم يعرفوه فيطيعوه ، ويعظموه فينجوا به . بل أنكروه فعصوه ، فهلكوا بسببه .

« ولقد تركناها » أي ، آثار تلك الشريعة ، والدعوة الى يومنا هـــذا « آية » بيّنة ، لمن يعتبر بها « فهل من » متعظ ، فإن طريق الحق واحد ، والأنبياء كلهم متوافقون في اصول الشرائع .

« كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ . إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحاً صَرْصَراً فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُسْتَمِرٍّ . تَنْزِعُ ٱلنَّـــاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ . فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ . وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ . كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِٱلنُّذُرِ . فَقَالُوا أَبَشَرًا مِنَّـا وَاحِداً نَتَّبِعُهُ إِنَّا إِذاً لَفِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ . ءَأُلْقِيَ ٱلذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ . سَيَعْلَمُونَ غَداً مَنِ ٱلْكَذَّابُ ٱلْأَشِرُ . إِنَّا مُرْسِلُوا ٱلنَّاقَةِ فِتْنَةً لَهُمْ فَٱرْتَقِبْهُمْ وَٱصْطَبِرْ . وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ ٱلْمَـاءَ قِسْمَةٌ بَيْنَهُمْ كُلُّ شِرْبٍ مُحْتَضَرٌ . فَنَادَوْا صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَى فَعَقَرَ . فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ . إِنَّا أَرْسَلْنَـا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاحِـدَةً فَكَانُوا كَهَشِيمِ ٱلْمُحْتَظِرِ .

وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُّدَّكِرٍ . كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ بِٱلنُّذُرِ . إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِباً إِلاَّ آلَ لُوطٍ نَّجَّيْنَاهُمْ بِسَحَرٍ . نِّعْمَةً مِّنْ عِنْدِنَا كَذَٰلِكَ نَجْزِي مَنْ شَكَرَ . وَلَقَدْ أَنْذَرَهُمْ بَطْشَتَنَا فَتَمَارَوْا بِٱلنُّذُرِ . وَلَقَدْ رَاوَدُوهُ عَنْ ضَيْفِهِ فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِ . وَلَقَدْ صَبَّحَهُمْ بُكْرَةً عَذَابٌ مُّسْتَقِرٌّ . فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِ . وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُّدَّكِرٍ . وَلَقَدْ جَاءَ آلَ فِرْعَوْنَ ٱلنُّذُرُ . كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَاهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُّقْتَدِرٍ . أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِّنْ أُولَٰئِكُمْ أَمْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ فِي ٱلزُّبُرِ . أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُّنْتَصِرٌ . سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ . بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَٱلسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ . إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ . يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي ٱلنَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ » .

« فكيف كان عذابي » لقومه ، بإهلاكهم في ورطة الجهل ، وحرمان الحياة الحقيقية ، واللذة السرمدية ، ، وأنذاري على لسان نوح عليه السلام .

ووجه آخر ، وهو تأول فتح السماء بإنزال الرحمة ، والوحي على نوح . أي ، فتحنا أبواب سماء روح نوح بعلم كلي منصب بقوة شامل لجميع الجزئيات ، وفجرنا أرض نفسه عيوناً . أي ، علوماً جزئية كأنه نفسه كلها

علوم . فالتقى العلمان بانضمامها ، فسارت قياسات وآراء صحيحة ، بنى عليها شريعته المؤسسة على العمليات والنظريات ، فحملناه عليها بالعمل بهـا ، والإستقامة فيها فنجا فيها ، وبقي قومـه في ورطة الجهل ، فغرقوا في تيار بحر الهيولى ، وأموال الجهالات ، وهلكوا .

« إنا مرسلوا » ناقة نفسه ، ابتلاء « لهم » ليتميز المستعد القابل السعيد ، من الجاهل المنكر الشقي « فارتقبهم » لتنظر نجـاة الأوّل ، وهلاك الثاني « واصطبر » على دعوتهم « ونبّئهم أن » ماء العلم « قسمة بينهم » لهـا علم الروح الفائض عليها ، ولهم علم النفس ، أي لها المعقولات ، ولهم المحسوسات « كلّ شرب محتضر » هي تحضر شربها بالتوجـه الى الروح ، وقبول العلوم الحقيقية والنافعة منها ، وهم يحضرون شربهم بالأوى الى منبع الخيال والوهم ، وتلقي الوهميات ، والخياليات منه .

« بل الساعة موعدهم » أي ، القيـامة الصُغرى ، ووقوعهم في العذاب الأبدي بزوال الاستعداد ، وقلب الوجود الى أسفل ، وهي أشدّ وأمرّ من عذاب القتل ، والهزيمة .

« انّ المجرمين » الذين أجرموا بكسب الهيئات المظلمة الرديئة الجسمانية « في ضلال » عن طريق الحق ، لِعمى قلوبهم بظلمة صفات نفوسهم «وسُعُر» أي ، جنون ، ولـه ، لاحتجاب عقولهم عن نور الحق بشوائب الوهم ، وحيرتها في الباطل ، « يوم يسحبون في النار على وجوههم » بحشرها في صور وجوهها الى الأرض ، وتسخيرها في قهر الملكوت الأرضية ، فيقهرهـا في أنواع العذاب ، ويعذبها بنيران الحرمان ، يقـال لهم « ذوقوا مسّ سقر » .

« إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ . وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ . وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا أَشْيَاعَكُمْ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ . وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ . وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُسْتَطَرٌ . إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ . فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ » .

« وما أمرنا إلا كلمة واحدة » أي ، تعلّق المشيئة الأزلية الموجبة لوجود كل شيء في زمان معيّن على وجه معلوم ثابت في لوح القدرية ، المسمّى في الشرع كن ، فيجب وجوده في ذلك الزمان ، على ذلك الوجه ، دفعه « في الزُّبر » أي ، ألواح النفوس .

« إن المتقين » على الاطلاق « في جنّات » من مراتب الجنان الثلاث ، عالية رفيعة « ونهر » علوم ، مرتبة بحسب مراتب الجنان المذكورة « في مقعد صدق » أي ، خير ، وأيّ خير هو مقام الوحدة « عند مليك » في حضرة الأسماء حال البقاء بعد الفناء ، ومقام الفرق بين الذات والصفات ، كائنين بالذات في مقعد صدق ، وبالصفات عند مليك مدبر مملكة الوجود، على حسب الحكمة، ومقتضى العناية ، على أحسن وجه، وأتمّ نظام «مقتدر» يقدر على تصريف جميع ما في ملكه على حكم مشيئته ، وتسخيره على مقتضى إرادته ، لا يمنع عليه شيء .

سورة الرحمن

بسم الله الرحمن الرحيم

« ٱلرَّحْمٰنُ . عَلَّمَ ٱلْقُرْآنَ . خَلَقَ ٱلْإِنسَانَ . عَلَّمَهُ ٱلْبَيَـانَ . ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ . وَٱلنَّجْمُ وَٱلشَّجَرُ يَسْجُدَانِ . وَٱلسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلْمِيزَانَ . أَلَّا تَطْغَوْا فِي ٱلْمِيزَانِ . وَأَقِيمُوا ٱلْوَزْنَ بِٱلْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا ٱلْمِيزَانَ » .

« الرحمن » إسم خاص من أسماء الله تعالى ، باعتبار إفاضة أصول النعم كلها من الأعيان ، وكمالاتها الأولية بحسب البداية . وإنمـا أورد ههنا لعموم وصفيته الشاملة للأوصاف التي تحت معناه في المبدئية ، ليسند اليـه الأصول المختلفة الواردة بعده .

« علّم القرآن » أي ، الاستعداد الكامل الانساني ، المسمّى بالعقـل القرآني ، الجامع للأشياء كلها ، حقائقها وأوصافها ، وأحكامها ، الى غير

ذلك ، مما يمكن وجوده ، ويمتنع بابداعه في الفطرة الانسانية وركزه فيها ، ولأن ظهوره وبروزه الى الفعل بتفصيل ما جمع فيه ، وصيرورته فرقاناً ، إنما تكون بحسب النهاية ، ما ذكر الفرقان ، كما ذكره في قوله : « تبارك الذي نزّل الفرقان » لأنه من باب الرحمة الرحيمية ، لا الرحمانية .

« خلق الانسان » أي ، لما أبدع فطرته ، وأودع العقل القرآني فيها ، أبرزه في هذه النشأة ، بخلقه في هذه الصورة العجيبة « علّمه البيان » أي ، النطق المميز إياه عن جميع ما سواه من المخلوقات ، ليخبر به عمّا في باطنه من العقل القرآني .

« الشمس والقمر » أي ، الروح والقلب يجريان فيه ، ويسيران بحساب . أيّ قدر معلوم من منازلهما ومراتبهما ، مضبوط لا يجاوز أحدهما قدره ، ومرتبته التي عينت له ، فلكل منهما كمالات ، ومراتب محدودة القدر ، معلومة الغاية ، تنتهي اليهما « والنجم » أي ، النفس الحيوانية النورانية بالشعور الحسّي ، في ليل الجسم « والشجر » أي ، النفس النباتية ، المنمية له « يسجدان » بتوجههما الى أرض الجسد ، ووضع جبهتهما عليهما بالميل والإقبال الكلي نحوها ، لتربيتها وإنمائها ، وتكميلها .

« والسماء » أي ، سماء العقل « رفعها » الى محلّ شمس الروح ، وقمر القلب « ووضع » أي ، خفض ميزان العدل الى أرض النفس والبدن ، فإن العدالة هيئة نفسانية لولاها لما حصلت الفضيلة الإنسانية ، ومنه الإعتدال في البدن ، الذي لو لم يكن لما وجد ، ولم يبق ، ولما استقام أمر الدين والدنيا بالعدل ، واستتب كمال النفس والبدن به ، بحيث لولاه لفسدا . أمر بمراعاته

ومحافظته قبل تعديد الأصول بتمامها لشدة العناية به ، وفرط الإهتمام بأمره ، فوسط بينه وبين قوله : « والأرض وضعهـا للأنام » قوله : « ألا تطغوا في الميزان » بالإفراط عن حدّ الفضيلة والاعتدال ، فيلزم الجور الموجب للفساد « وأقيموا الوزن بالقسط » بالإستقامة في الطريقة ، وملازمة حدّ الفضيلة ، ونقطة الاعتدال في جميع الأمور ، وكل القوى « ولا تخسروا الميزان » بالتفريط عن حد الفضيلة ، قال بعض الحكماء : (العدل ميزان الله تعـالى ، وضعه للخلق ، ونصبه للحق) .

« وَٱلْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ . فِيهَا فَاكِهَةٌ وَٱلنَّخْلُ ذَاتُ ٱلْأَكْمَامِ . وَٱلْحَبُّ ذُو ٱلْعَصْفِ وَٱلرَّيْحَانِ . فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ . خَلَقَ ٱلْإِنسَانَ مِن صَلْصَالٍ كَٱلْفَخَّارِ . وَخَلَقَ ٱلْجَانَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ . فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ . رَبُّ ٱلْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ ٱلْمَغْرِبَيْنِ . فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ » .

« والأرض » أي ، أرض البدن « وضعها » لهـــذه المخلوقات المذكورة « فيها فاكهة » أي ، مـا تفيد اللذّات الحسّية ، من إدراكات الحواسّ ، والمحسوسات . « والنخل » أي ، القوى المثمرة للذات الخياليـة والوهمية ، الباسقة من أرض الجسد ، في هوى النفس « ذات الأكمام » أي ، غلف اللواحق المادية « والحبّ » أي ، القوة المغذّية التي منها لذة الذوق ، والأكل ، والشرب « ذو العصف » أي ، الشعّب ، والأوراق الكثيرة المنبسطة على

أرض البدن ، من الجاذبة ، والماسكة ، والهاضمة ، والدافعة ، والمغيرة ، والمصورة الملازمة للبدن ، المقتضية لخواصها وأفعالها ، وما تعدّها وتهيئها ، وتصلحها ، لحفظ القوّة ، والإنماء ممّا يصير ، بدل مـــا يتحلل ، ويزيد في الأقطار « والرّيحــان » أي ، المولدة الموجبة لذة الوقاع ، التي هي أطيب اللذات الجسمانية ، واسلاف البذر بتوليد مـــادة النوع « فبأيّ آلاء ربّكما تكذّبان » من هذه النعم المعدودة ، أيها الظاهريون والباطنيون من الثقلين ، أبالنعم الظاهرة أم الباطنة ؟

« خلق الإنسان » أي ، ظــاهره ، وجسده الذي يؤنس ، أي يبصر « من صلصال » من أكثف جواهر العناصر المختلطة ، الذي تغلب عليــه الأرضية ، واليبس « كالفخّار » الصلب الذي يناسب جوهر العظم ، الذي هو أساس البدن ، ودعامته « وخلق الجانّ » أي ، باطنه ، وروحه الحيوانيّ ، الذي هو مستور عن الحس ، وهو أبو الجن ، أي أصل القوى الحيوانيــة ، التي أقواها ، وأشرفهــا الوهم . أي الشيطان المسمّى إبليس ، الذي هو من ذرّيته « من مارج » من لهب لطيف صاف « من نار » أي ، من ألطف جواهر العناصر المختلطة ، الذي يغلب عليه الجوهر الناري ، والحرّ . والمارج : هو اللهب الذي فيه اضطراب هذه الروح دائمة الاضطراب ، والتحرك .

« ربّ المشرقين وربّ المغربين » أي ، مشرقي الظاهر والباطن ومغربيهما ، بإشراق نور الوجود المطلق على ماهيات الأجساد الظاهرة ، وغروبه فيهــا باحتجابه بماهياتها وتعيّنها به ، فله في ربوبيته لكل موجود شروق بإيجاده بنور الوجود ، وظهوره بـــه ، وغروب باختفائه فيه ، وتستره به ، يربّيه بهما .

« مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ . بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ . فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ . يَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ . فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ . وَلَهُ ٱلْجَوَارِ ٱلْمُنشَآتُ فِي ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَامِ . فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ . كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ . وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَالِ وَٱلْإِكْرَامِ . فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ . يَسْئَلُهُ مَن فِي ٱلسَّمٰوَاتِ وَٱلْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ . فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ . سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ . فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ » .

« مرج البحرين » بحر الهيولى الجسمانية ، الذي هو الملح الأجاج ، وبحر الروح المجرّد ، الذي هو العذب الفرات « يلتقيان » في الوجود الانساني « بينهما برزخ » هو النفس الحيوانية ، التي ليست في صفاء الأرواح المجرّدة ولطافتها ، ولا في كدورة الأجساد الهيولانية وكثافتها « لا يبغيان » لا يتجاوز حدّهما حده ، فيغلب على الآخر بخاصيته ، فلا الروح يجرّد البدن ويمزج به ويجعله من جنسه ، ولا البدن يجمّد الروح ويجعله مادياً .

سبحان خالق الخلق ، القادر على ما يشاء ، « يخرج منهما » بتركيبهما ، والتقائهما لؤلؤ العلوم الكلّية ، ومرجان العلوم الجزئية . أي لؤلؤ الحقائق ، والمعارف ، ومرجان العلوم النافعة ، كالأخلاق ، والشرائع .

« وله الجوار » أي ، أوضاع الشريعة ، ومقامات الطريقة ، التي يركبها السالكون ، السائرون الى الله في لجّة هذا البحر المريح ، فينجون، ويعبرون الى المقصد ، وتشبيهها بالأعلام ، إشارة الى شهرتها ، وكونها معروفة كما تسمّى شعائر الله ، ومعالم الدين « المنشئات » أي ، المرفوعات ، الشرع ، وشرعها ، الأشواق ، والإرادات التي تجري عند ارتفاعها ، وتعلقها بالعالم العلوي بقوّة رياح النفحات الإلهية ، سفينة الشريعة والطريقة ، براكبها الى مقصد الكمال الحقيقي ، الذي هو الفناء في الله .

ولهذا قال عقيبه : « كلّ من عليهـــا فان » أي ، كل من على الجواري السائرة واصل الى الحق بالفناء فيه ، أو كل من على أرض الجسد من الأعيان المفصّلة كالروح ، والعقل ، والقلب ، والنفس ومنازلها، ومقاماتها ومراتبها. فان عند الوصول الى المقصود « ويبقى وجه ربك » الباقي ، بعد فناء الخلق. أي ذاته ، مع جميع صفاته « ذو الجلال » أي ، العظمة، والعلوّ بالاحتجاب بالحجب النورانية ، والظلمانية ، والظهور بصفة القهر ، والسلطنة«والاكرام» بالقرب والدنوّ في صور تجلّيات الصفات ، وعنـــد ظهور الذات بصفة اللطف ، والرحمة .

« يسأله من السموات » من أهل الملكوت، والجبروت « ومن في الأرض » من الجنّ والانس ، والمراد يسأله كل شيء ، فغلب العقلاء ، وأتى بلفظ من أي كل شيء يسأله بلسان الاستعداد ، والافتقاد دائماً .

« كلّ يوم هو في شأن » بإفاضة مـــا يناسب كل استعداد ويستحقه ، فله كل وقت خلق شأن ، بإفاضة مـــا يستحقه ويستأهله باستعداده ، فمن استعدّ بالتصفية ، والتزكية للكمالات الخيرية ، والأنوار يفيضهـــا عليه مع

حصول الاستعداد ؛ ومن استعد بتكدير جوهر نفسه بالهيئات المظلمة ، والرذائل ، ولوث العقائد الفاسدة ، والخبائث للشرور والمكاره ، وأنواع الآلام والمصائب ، والعذاب والوبال ، يفيضها عليه مع حصول الاستعداد . وهذا معنى قوله : « سنفرغ لكم آية الثقلان » لأنه تهديد ، وزجر عن الأمور التي بها يستحق العقاب ، وسُميا ثقلين لكونهما سفليين ، مائلين الى أرض الجسم .

« يَا مَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنْسِ إِنِ ٱسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ ٱلسَّمٰوَاتِ وَٱلْأَرْضِ فَٱنْفُذُوا لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ . فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ . يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِنْ نَارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنْتَصِرَانِ . فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ . فَإِذَا ٱنْشَقَّتِ ٱلسَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَٱلدِّهَانِ . فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ . فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْئَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ . فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ » .

« يا معشر الجن والإنس » أي ، الباطنيين ، والظاهريين « إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والأرض » بالتجرّد عن الهيئات الجسمانية ، والتعلقات البدنية « فانفذوا » لتنخرطوا في سلك النفوس الملكية ، والأرواح الجبروتية ، وتصلوا الى الحضرة الإلهية « لا تنفذون إلا بسلطان » بحجة بيّنة ، هي التوحيد والتجريد ، والتفريد بالعلم والعمل ، والفناء في الله .

« يرسل عليكما شواظ من نار » أي ، يمنعكما عن النفوذ من أقطارهما ، والترقي من أطوارهما ، لهب صاف عن ممازجة الدخـان . أي سلطان الوهم وأحكامه ومدركاته ، بإرساله الوهميات الى حيز العقل ، والقلب ، وممانعته إياهما عن الترقي دائماً « ونحاس » دخـــان ، أي هيئة ظلمانية ترسلها النفس الحيوانية بالميل الى الهوى والشهوات، فالشواظ مانع من جهة العلم، والنحاس من جهة العمل « فلا تنتصران » فلا تمتنعان عنهما ، وتغلبان عليهما، فتنفذان إلا بتوفيق الله ، وسلطان التوحيد .

« فإذا انشقت السماء » أي ، السماء الدنيـا ، وهي النفس الحيوانية . وانشقاقها : انفلاتهـا عن الروح عند زهوقه . إذ الروح الإنسانيّ نسبته الى النفس الحيوانية كنسبته الى البدن ، فكما أنّ حيـاة البدن بالنفس فحياتها بالروح ، فتنشقُ عنه عند زهوقه بمفارقة البدن« فكانت وردة »أي، حمراء، لأن لونها متوسط بين لون الروح المجرّد ، وبين لون البدن . ولون الروح أبيض لنوريّته وإدراكه اللذات ، ولون البدن أسود لظلمته ، وعدم شعوره باللذات ، والمتوسط بين الأبيض والأسود هو الأحمر ، وإنما وصفها في سورة البقرة بالصفرة ، وههنا بالحمرة ، لأن هناك وقت الحياة والصفاء ، وغلبـة النورية عليها ، وطراوة الاستعداد . وههنـا وقت الممات والتكدّر ، وغلبة الظلمة عليها ، وزوال الاستعداد « كالدهان » كدهن الزيت في لونه، ولطافته، وذوبانه لصيرورتها الى الفناء ، والزوال .

« فيومئذ لا يُسئل عن ذنبه انس » من الظاهريين « ولا جان » من الباطنيين ، لانجذاب كل الى مقرّه ، ومركزه ، وموطنـه ، الذي يقتضيه حاله ؛ وما هو الغالب عليه باستعداده الأصليّ ، أو العارضي الراسخ الغالب.

وأمّـــا الوقف ، والسؤال المشار اليه في قوله : « وقفوهم أنهم مسئولون » ونظائره .

ففي مواطن أخر من اليوم الطويل ، الذي كان مقداره خمسين ألف سنة ، وهو في حـال عدم غلبة إحدى الجهتين ، واستيلاء أحد الأمرين . ففي زمان غلبة النور الأصلي، وبقاء الاستعداد الفطري، أو حصول الكمال، والترقي في الصفات ، وفي وقت استيلاء الهيئات الظلمانية ، وترسخ الغواشي الجسمانية ، وزوال الاستعداد الأصلي بحصول الرين ، لا يسئلون . وفي وقت عدم رسوخ تلك الهيئات الى حدّ الرين ، وبقائهـا في القلب مانعة حاجزة إياها عن الرجوع الى مقرّها، يوقفون ويسئلون ؛ حتى يعذبوا بحسب سيئاتهم على قدر رسوخها .

وقد يكون هذا الموطن قبل الموطن الأول في ذلك اليوم على الأمر الأكثر كما ذكر . وقد يكون بعده . وذلك ، عند حبط الأعمال ، وغلبـة الأمر العارضي ، واستيلائه على الذاتي الى حد إبطال الاستعداد بالكلّية ، فيدافعه الاستعداد الأصلي قليلا قليلا ، ويتجلى بصور التعذبات ، والبليّـات شيئاً فشيئاً ، حتى يتساوى الأمران ، كتبرّد المـــاء المسخّن حين بلوغه الى كونه فاتراً .

فهذا الشخص مطرود في أوّل الأمر ، عند قرب الاستعداد الى الزوال . ثم قد يوقف ، ويسئل عن قرب رجوع الاستعداد الى الحالة الأولى ، وإمكان اتصاله بالملكوت . وأما الأشقياء المردودون المخلّدون في العذاب، والسّعداء المقرّبون الذين يدخلون الجنة بغير حساب ، فلا يُسئلون قطّ ، ولا يوقفون للسؤال ، فقوله : « وقفوهم انهم مسئولون » ونظـــائره . مخصوص ببعض المعذبين ، وهم الأشقياء الذين عاقبتهم النجاة من العذاب .

« يُعْرَفُ ٱلْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ فَيُؤْخَذُ بِٱلنَّوَاصِي وَٱلْأَقْدَامِ . فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ . هٰذِهِ جَهَنَّمُ ٱلَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا ٱلْمُجْرِمُونَ . يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ آنٍ . فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ . وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ . فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ . ذَوَاتَا أَفْنَانٍ . فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ » .

« يعرف المجرمون » الذين غلبت عليهم الصفات الجرمانية ، باكتساب الرذائل ، ورسوخها « بسيماهم » أي ، بعلامـــات تلك الهيئات الظاهرة ، الغالبة عليهم « فيؤخذ بالنواصي » فيعذّبون من فوق ، ويحجبون ويحبسون ، مقيّدين أسراء من جهة رذيلة الجهل المركّب ، ورسوخ الاعتقادات الفاسدة « والأقدام » أي ، يعذبون من أسفل ، ويجرّون ويسحبون على وجوههم ، ويردّون الى قعر جهنم ، كما قيل: (يهوي أحدهم فيها سبعين خريفاً) لرسوخ الهيئات البدنية ، والرذائل العملية ، من إفراط الحرص ، والشره ، والبخل ، والطمع ، وارتكاب الفواحش ، والآثام من قبيل الشهوة ، والغضب .

« هذه جهنم » قعر بئر أسفل سافلين، من الطبيعة الجسمانية « يطوفون بينها وبينهم حميم » قد انتهى حرّه وإحراقه من الجهل المركب ، ولهذا قيل: (يصبّ من فوق رؤوسهم الحميم) لأن العذاب المستحق من جهة العمل ، هو نار جهنم من تحت ، والمستحق من جهة العلم هو الحميم ، من فوق .

« ولمن خاف مقام ربه » أي ، خاف قيامه على نفسه ، بكونه رقيباً ،

حافظاً مهيمناً عليه ، كما قال : « أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت » أو خاف ربه ، كما يقال : (خدمت حضرة فلان) أي نفسه « جنتان » احداهما جنة النفس ، والثانية جنة القلب . لأن الخوف من صفات النفس ومنازلها ، عند تنوّرهـا بنور القلب « ذواتا أفنان » لتفنن شعبهما من القوى والصفات المورقة للأعمال والأخلاق ، المثمرة للعلوم والأحوال . فإن الأفنان هي : المغصنات التي تشعبت عن فروع الشجر ، عليها الأوراق ، والثمار.

« فِيهِمَا عَيْنَـانِ تَجْرِيَانِ . فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ . فِيهِمَا مِنْ كُلِّ فَاكِهَةٍ زَوْجَانِ . فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ . مُتَّكِئِينَ عَلَى فُرُشٍ بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ وَجَنَـا ٱلْجَنَّتَيْنِ دَانٍ . فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ . فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ ٱلطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ . فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ . كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ وَٱلْمَرْجَانُ . فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ » .

« فيهما عينان » من الإدراكات الجزئية ، والكلّية « تجريان » اليهما من جنة الروح ، تنبتان فيهما ثمرات المدركات ، وتجليات الصفات « فيهما من كل فاكهة » من مدركاتهـا اللذيذة « زوجان » أي ، صنفان : صنف جزئي ، معروف مألوف . وصنف كليّ ، غريب . لأن كل ما يدركه القلب من المعاني الكلية فله صورة جزئية في النفس ، وبالعكس .

« متكئين على فُرش » هي مراتب كمالاتها ، ومقاماتهـا « بطائنها من

استبرق » أي ، جهتها التي تلي السفل ، أعني النفس ، من هيئات الأعمال الصالحة ، من فضائل الأخلاق ، ومكارم الصفات ، ومحاسن الملكات ، وظهائرها ، التي تلي الروح ، من سندس تجليات الأنوار ، ولطائف المواهب والأحوال الحاصلة ، من مكاشفات العلوم والمعارف، كما هو في سورة الدخان.

« وجنا الجنتين » ثمراتها ، ومدركاتها « دان » قريب ، كلما شاؤا حيث كانوا ، على أي وضع كانوا ، قياماً أو قعوداً ، أو على جنوبهم أدركوها ، واجتنوها. ونبت في الحال مكانها أخرى،من جنسها، كما ذكر في وصفها «فيهن قاصرات الطرف » مما يتصلون بها من النفوس الملكوتية ، التي في مراتبها وما تحتها ، سماوية كانت أو أرضية ، مزكاة صافية مطهرة ، لا يجاوز نظرها مراتبهم، ولا تطلب كمالاً وراء كمالاتهم، لكون استعداداتها مساوية لاستعدادهم أو أنقص منها ، وإلا جاوزت جناتهم ، وارتفعت عن درجاتهم ، فلم تكن قاصرات الطرف ، ولم تقنع بوصالهم ، ولذّات معاشراتهم ، ومباشراتهم.

« لم يطمثن انس قبلهم » من النفوس البشرية لاختصاصها بهم في النشأة ، ولتقدّس ذواتها، وامتناع اتصال النفوس المنغمسة في الأبدان بها « ولا جان » من القوى الوهمية ، والنفوس الأرضية المحجوبة بالهيئات السفلية « كأنهنّ الياقوت والمرجان » شبّهت اللواتي في جنة النفس من الحُور بالياقوت ، لكون الياقوت مع حسنه ، وصفائه ، ورونقه ، وبهائه ، ذا لون أحمر يناسب لون النفس ، واللواتي في جنة القلب بالمرجان لغاية بياضه، ونوريّته . وقيل صغار الدرّ أصفى وأبيض من كبارها .

« هَلْ جَزَاءُ ٱلْإِحْسَانِ إِلاَّ ٱلْإِحْسَانُ . فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ . وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّتَانِ . فَبِأَيِّ آلَاءِ

رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ . مُدْهَامَّتَانِ . فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ . فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ . فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ . فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ . فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ . فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حِسَانٌ . فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ . حُورٌ مَقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ . فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ . لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ . فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ » .

« هل جزاء الإحسان » في العمل ، وهو العبادة مع الحضور ، « إلا الإحسان » في الثواب بحصول الكمال ، والوصول الى الجنتين المذكورتين ، « ومن دونهما » أي ، من وراءهما من مكان قريب منهما ، كما تقول : (دونك الأسد) لا من دونهما ، بالنسبة الى اصحابهما ، فيكون بمعنى قدامهما . بل بمعنى بعدهما ، او من غيرهما كقوله : « انكم وما تعبدون من دون الله » . « جنتان » للمقرّبين السابقين جنة الروح ، وجنة الذات ، في عين الجمع عند الشهود الذاتي بعد المشاهدة في مقام الروح .

« مدهامتان » أي ، في غاية البهجة ، والحسن ، والنضارة « فيهما عينان نضّاختان » أي ، علم توحيد الذات ، وتوحيد الصفات . أعني علم الفناء ، وعلم المشاهدة ، فإنهما ينبعان فيهما . بل العلمان المذكوران الجاريان في الجنتين المذكورتين منبعهما من هاتين الجنتين ، ينبعان منهما ، ويجريان الى تينك « فيهما فاكهة » وأي ، فاكهة . فاكهة لا يعلم كنهها ، ولا يعرف قدرها ،

من أنواع المشاهدات ، والأنوار والتجلّيات ، والسُّبحات «ونخل» أي ، ما فيه طعام ، وتفكه . وهو مشاهدة الأنوار ، وتجلّيات الجمال ، والجلال في مقام الروح ، وجنته مع بقاء نوى الأنية المتقوتة منها ، المتلذذة بهـا «ورمان» أي ، ما فيه تفكه ، ودواء في مقام الجمع ، وجنة الذات . أي الشهود الذاتي بالفناء المحض الذي لا أنية فيـه ، فتطعم بل اللذة الصرفة ، ودواء مرض ظهور البقية بالتلوين ، فإن في الرمان صورة الجمـع مكنونة في قشر الصورة الانسانية .

«فيهن خيرات حسان» أي ، أنوار محضة ، وسبحات صرفة لا شائبة للشر ، والإمكان فيها حسان من تجليات الجمال ، والجلال ، ومحاسن الصفات «حور مقصورات في الخيام» أي ، مخدّرات في حضرات الأسماء . بـل حضرة الوحدة ، والأحدية . لا تبرز منها بالإنكشاف لمن دونهـا ، وليس وراءها حد ومرتبة ترتقي اليها ، وتنظر الى ما فوقها ، فهي مقصورة فيها .

«مُتَّكِئِينَ عَلَى رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ . فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ . تَبَـارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ» .

«متكئين على رفرف خضر» الرفرف : نوع من الثياب عريض لطيف ، في غاية اللطافة . والمراد نور الذات الذي هو في غاية البهجة ، واللطافة . او نور الصفات حـال البقاء بعد الفناء ، والاستناد الى صمدية الوجود المطلق ، والتحقق به «وعبقري حسان» العبقري في اللغة : ثوب غريب منسوب الى عبقر ، تزعم العرب انه بلد الجن . أي ، الوجود الموهوب الحقاني ، الغريب

الموصوف بصفاته المتجلية في غاية الحسن ، الذي هو منسوب الى عالم الغيب بل غيب الغيب الذي لا يعلم احد أين هو .

« تبارك » أي ، تعالى . وتعاظم « اسم ربك » أي ، الاسم الأعظم ، الذي بـه تزيد وترتقي مرتبة السالكين من البداية الى النهاية ، حتى الوصول اليه ، والفوز بـه « ذي الجلال والإكرام » أي ، الجلال في صورة الجمال ، والجمال في صورة الجلال اللذان لا يحجب احدهما عن الآخر عند البقاء بعد الفناء للمحبوبين المحبين السابقين الى غاية الدرجات ، بخلاف الجلال والإكرام المذكورين قبل . فإنهما هناك يحجب احدهما عن الآخر ، لعدم تحقق الفاني بالوجود الحقاني ، والرجوع الى تفاصيل الصفات ، وشهودهما في عين الجمع .

سورة الواقعة

بسم الله الرحمن الرحيم

« إِذَا وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ . لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ . خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ . إِذَا رُجَّتِ ٱلْأَرْضُ رَجًّا . وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسًّا . فَكَانَتْ هَبَاءً مُّنبَثًّا . وَكُنتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَٰثَةً . فَأَصْحَابُ ٱلْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ ٱلْمَيْمَنَةِ . وَأَصْحَابُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ مَا أَصْحَابُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ . وَٱلسَّابِقُونَ ٱلسَّابِقُونَ . أُولَٰئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ . فِي جَنَّاتِ ٱلنَّعِيمِ . ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ . وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ » .

« إذا وقعت الواقعة » أي القيامة الصغرى « ليس لوقعتها » نفس تكذب على الله . أن البعث ، وأحوال الآخرة ، لا تكون . لأن كل نفس تشاهد أحوالها من السعادة ، والشقاوة ، خافضة رافعة ، تخفض الأشقياء الى الدركات ، وترفع السعداء الى الدرجات .

« إذا رجت » أي ، حركت ، وزلزلت أرض البدن بمفارقة الروح ، تحريكاً يخرج به جميع ما فيها ، وينهدم معه جميع اعضائه « وبست » أي ، فتتت جبال العظام ، بصيرورتها رميماً ورفاتاً ، او سيقت وأذهبت حتى صارت « هباء منبثاً وكنتم أزواجاً ثلاثة » السعداء الذين هم الأبرار ، والصلحاء من الناس . والأشقياء الذين هم الأشرار والمفسدون من الناس . وإنما سمي الأولون اصحاب الميمنة ، لكونهم أهل اليمن والبركة . او لكونهم متوجهين الى افضل الجهتين ، وأقواهما التي هي الجهة العليا ، وعالم القدس وسمي الآخرون اصحاب المشأمة ، لكونهم أهل الشؤم والنحوسة ، او لكونهم متوجهين الى ارزل الجهتين وأضعفهما ، التي هي الجهة السفلى ، وعالم الحس .

« والسابقون » الموحدون الذين سبقوا الفريقين وجاوزوا العالمين بالفناء في الله . « السابقون » أي ، الذين لا يمكن مدحهم ، والزيادة على اوصافهم « اولئك المقربون » حال التحقق بالوجود الحقاني بعد الفناء « في جنات النعيم » من جميع مراتب الجنان « ثلة » أي ، جماعة كثيرة « من الاولين » أي ، المحبوبين الذين هم أهل الصف الاول من صفوف الارواح ، أهل العناية الاولى في الأزل « وقليل من الآخرين » أي ، المحبين الذين تتأخر مرتبتهم عن مرتبة المحبوبين أهل الصف الثاني . ووصفوا بالقليل لأن المحب قلما يدركه شاء ، والمحبوب ويبلغ غايته في الكمال ، بل اكثرهم في جنات الصفات واقفين في درجات السعداء ، والمحبوبون كلهم في جنة الذات بالغين أقصى الغايات .

ولهذا قال رسول الله ﷺ : (الثلتان جميعاً من أمتي) أي ، ليس الأولون من أمم المتقدمين والآخرون من امته عليه السلام ، بل العكس

أولى ، او ثلة من اوائل هـــذه الأمة الذين شاهدوا النبي وادركوا طراوة الوحي في زمانه، او قاربوا زمانه وشاهدوا من صحبه من التابعين والآخرون هم الذين طال عليهم الأمد فقست قلوبهم في آخر دور الدعوة ، وقرب زمان خروج المهدي عليه السلام ، لا الذين هم في زمانه ، فـإن السابقين في زمانه اكثر ، لكونهم اصحاب القيامة الكبرى ، وأهل الكشف ، والظهور .

« عَلى سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ . مُّتَّكِئِينَ عَلَيْهَا مُتَقَابِلِينَ . يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ . بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّنْ مَّعِينٍ . لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنْزِفُونَ . وَفَاكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ . وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ . وَحُورٌ عِينٌ . كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ . جَزَاءً بِمَـــا كَانُوا يَعْمَلُونَ » .

« على سرر موضونة » أي ، متواصلة متراصفة من الوجودات الموهوبـة الحقانية المخصوصة بكل احد منهم ، كقوله عليـه السلام : (على منابر من نور) او على مراتب الصفات « متكئين عليها » متظاهرين فيها لكونها من مقاماتهم « متقابلين » متساوين في الرتب ، لا حجاب بينهم أصلاً في عـــين الوحدة ، لتحققهم بالذات ، وتخيّرهم في الظهور بأي صفة من الصفات شاؤا يجمعهم المحبـــة الذاتية ، لا يحتجبون بالصفات عن الذات ، ولا بالذات عن الصفات .

« يطوف عليهم ولدان مخلّدون » تخدمهم قواهم الروحانية الدائمة بدولة

ذواتهم ، او الأحداث المستعدّون من أهـــل الإرادة ، المتصلون بهم بفرط الإرادة، كما قال: (بإيمان ألحقنا بهم ذرياتهم او الملكوت السماوية) «بأكواب وأباريق » من خمور الإرادة ، والمعرفـــة ، والمحبة ، والعشق ، والذوق ، ومياهِ الحكم ، والعلوم .

« لا يصدّعون عنها » أي ، كلها لذة لا ألم معها ولا خمـــار ، لكونهم واصلين واجدين لذة برد اليقين ، ، شاربين الشراب الكافوري . فـإن محبة الوصول خالصة عـن ألم الشوق ، وخوف الفقدان « ولا ينزفون » لا يذهب تمييزهم وعقلهم بالسكر ، ولا يطفحون لكونهم أهل الصحو ، غـير محجوبين بالذات عن الصفات فيلحقهم السكر ، ويغلب عليهم الحال .

« وفاكهة » من مواجيدهم ، وكشفياتهم الذوقية « ممـــا يتخيّرون » يأخذون خيره ، لأنهم واجدون جميعها فيختارون أصفاها وأبهاها ، وأشرفها وأسناها « ولحم طير مما يشتهون » من لطائف الحكم ، ودقائق المعاني المقوية لهم « وحور عين » من تجليات الصفات ، ومجرّدات الجبروت ، ومـــا في مراتبهم من الأرواح المجرّدة « كأمثال اللؤلؤ » الرطب في صفائها ، ونوريتها « المكنون » في الأصداف ، او المخزون لكونهـا في بطنان الغيب وخزائنه مستورة عن الأغيار من أهل الظاهر « جزاء بمـــا كانوا يعملون » في حال الإستقامة من الأعمال الإلهية المقصودة لذاتها ، المقارنة لجزائها . او بما كانوا يعملون في حال السلوك من اعمال التزكية ، والتصفية .

« لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْواً وَلَا تَأْثِيماً . إِلَّا قِيلاً سَلَاماً سَلَاماً . وَأَصْحَابُ ٱلْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ ٱلْيَمِينِ .

فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ . وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ . وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ . وَمَاءٍ مَّسْكُوبٍ . وَفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ . لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ . وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ . إِنَّا أَنشَأْنَاهُنَّ إِنشَاءً . فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَاراً . عُرُباً أَتْرَاباً . لِّأَصْحَابِ الْيَمِينِ . ثُلَّةٌ مِّنَ الْأَوَّلِينَ . وَثُلَّةٌ مِّنَ الْآخِرِينَ » .

« لا يسمعون فيها لغواً » هذياناً وكلاماً غير مفيد لمعنى ، لكونهم أهل التحقيق متأدّبين بين يدي الله بآداب الروحانيين « ولا تأثيما » من الفواحش التي يؤثم بها صاحبها، كالغيبة، والكذب، وأمثالهما « إلا قيلا سلاماً سلاماً » أي ، قولاً هو سلام في نفسه ، منزّه عن النقائص ، مبرّأ عن الفضول والزوائد ، وقولاً يفيد سلامة السامع من العيوب ، والنقائص ، ويوجب سروره وكرامته ، ويبين كماله وبهجته، لكون كلامهم كله معارف وحقائق، وتحايا ولطائف ، على اختلاف وجهي الاعراب .

« وأصحاب اليمين ما أصحاب اليمين » أي ، هم شرفاء عظماء كرماء ، يتعجب من أوصافهم في السعادة « في سدر مخضود » أي ، في جنة النفس المخضودة عن شوك تضادّ القوى والطبائع ، وتنازع الأهواء والدواعي لتجرّدها عن هيئات صفاتها بنور الروح والقلب ، أو موقرة بثمار الحسنات والهيئات الصالحات على اختلاف التفسيرين .

« وطلح منضود » أي ، في جنة القلب. لأن الطلح شجرة الموز ، وثمرتها حلوة دسمة لذيذة لا نوى لها ، كمدركات القلب ومعانيه ، المجرّدة عن المواد

والهيئات الجرمية ، بخلاف السّدر التي هي شجرة النبق الكثيرة النوى ، كمدركات النفس الجزئية المقرونة باللواحق المادية، والهيئات الجرمية، منضود نضّد ثمره من أسفله الى أعلاه ، لا ساق بارزة لها ، لكثرة تكوّن مدركاته، غير متناهية الكثرة« وظلّ ممدود »من نور الروح المروّح« وماء مسكوب » أي ، علم يرشح عليهم ، ويسكب من عالم الروح . وإنما سكب سكباً ، ولم يجرِ جرياناً ، لقلة علوم السّعداء ، بالنسبة الى أعمالهم . اذ تقل علومهم الروحانية من المواجيد ، والمعارف ، والتوحيديات ، والذوقيات ، وإن كثرت علومهم النافعة .

« وفاكهة كثيرة » من المدركات الجزئية ، والكلية اللذيذة ، كالمحسوسات والمخيلات ، والموهمات ، والمعاني الكلية القلبية « لا مقطوعة » لكونها غير متناهية « ولا ممنوعة » لكونها اختيارية كلما شاؤا ، أين شاؤا وجدوها « وفرش مرفوعة » من فضائل الأخلاق ، والهيئات النورانية النفسية المكتسبة من الأعمال الحسنة ، رفعت عن مرتبة الهيئات البدنية ، والجهة السفلية الى حيز الصدر الذي هو الجهة العليا من النفس المتصلة بالقلب ، أو حور من النسوان ، أي الملكوت المتصلة بهم المساوية في المرتبة على اختلاف التفسيرين .

« إنا أنشأناهن إنشاء » عجيباً نورانياً مجرّدة عن الموادّ ، مطهّرة عن أدناس الطبائع ، وألواث العناصر « فجعلناهن أبكاراً » أي ، لم تتأثر بملامسة الأمور الطبيعية ، ومباشرة الطبيعيّين الظاهرين من أهل العادة ، والمخالطين للمادة من النفوس « عُرُباً » متحببة اليهم محبوبة لصفائها وحسن جوهرها ، ودوام اتصالها بهم « أتراباً » لكونها في درجة واحدة متساوية المراتب ، أزلية الجواهر « ثلة من الأولين » لأن المحبوبين يدخلون

على أصحاب اليمين جناتهم عند التداني والترقي في الدرجات ، وعند التدلي والرجوع الى الصفات فيختلطون بهم ، وينخرطون في سلكهم « وثلة من الآخرين » لأن المحبين أكثرهم أصحاب اليمين واقفون مع الصفات دون محبة الذات ، وإن فسرنا الأولين والآخرين بأوائل الأمة المحمدية وأواخرها ، فظاهر لكثرة أصحاب اليمين في أواخرهم أيضاً دون السابقين .

« وَأَصْحَابُ ٱلشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ ٱلشِّمَالِ . فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ . وَظِلٍّ مِّنْ يَحْمُومٍ . لَّا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ . إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَٰلِكَ مُتْرَفِينَ . وَكَانُوا يُصِرُّونَ عَلَى ٱلْحِنثِ ٱلْعَظِيمِ . وَكَانُوا يَقُولُونَ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَاباً وَعِظَاماً ءَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ . أَوَآبَاؤُنَا ٱلْأَوَّلُونَ . قُلْ إِنَّ ٱلْأَوَّلِينَ وَٱلْآخِرِينَ . لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ . ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا ٱلضَّالُّونَ ٱلْمُكَذِّبُونَ . لَآكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ . فَمَالِئُونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ . فَشَارِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْحَمِيمِ . فَشَارِبُونَ شُرْبَ ٱلْهِيمِ . هَٰذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ ٱلدِّينِ . نَحْنُ خَلَقْنَاكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ . أَفَرَأَيْتُم مَّا تُمْنُونَ . ءَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ ٱلْخَالِقُونَ . نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ ٱلْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ . عَلَىٰ أَن نُّبَدِّلَ

أَمْثَالَكُمْ وَنُنْشِئَكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ . وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُولَى فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ . أَفَرَأَيْتُمْ مَّا تَحْرُثُونَ . ءَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّارِعُونَ . لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَاماً فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ . إِنَّا لَمُغْرَمُونَ . بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ . أَفَرَأَيْتُمُ ٱلْمَاءَ ٱلَّذِي تَشْرَبُونَ . ءَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ ٱلْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنْزِلُونَ . لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجاً فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ . أَفَرَأَيْتُمُ ٱلنَّارَ ٱلَّتِي تُورُونَ . ءَأَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنْشِئُونَ » .

« وأصحاب الشمال مـا أصحاب الشمال » أي ، هم الذين يتعجب من أحوالهم وصفاتهم في الشقاوة والنحوسة ، والهوان ، والخساسة في « سموم » من الأهواء المردية ، والهيئات الفاسقة المؤذية « وحميم » من العلوم الباطلة ، والعقـائد الفاسدة « وظل من يحموم » من هيئات النفوس المسودة بالصفات المظلمة ، والهيئات السود الرديئة ، لأن اليحموم دخان أسود بهيم « لا بارد ولا كريم » أي ، ليس له صفتا الظل الذي يأوي اليـه الناس من الروح ، ونفع من يأوي اليه بالراحـة ، بل له إيذاء ، وإيلام ، وضرّ ، بإيصال التعب ، واللهب ، والكرب .

« انهم كانوا قبل ذلك مترفين » منهمكين في اللذات والشهوات، منغمسين في الأمور الطبيعية ، والغواشي البدنية ، فبذلك اكتسبوا هـذه الهيئات

الموبقة ، والتبعات المهلكة ، « وكانوا يصرون على الحنث العظيم » مـن الأقاويل الباطلة ، والعقائد الفاسدة ، التي استحقوا بهـا العذاب المخلد ، والعقاب المؤبد « وكانوا يقولون » أي ، من جملة عقائدهم إنكار البعث .

« الضالون المكذبون » أي ، الجاهلون المصرّون على جهالاتهم ، وإنكار مـا يخالف عقائدهم الباطلة من الحق « لآكلون من شجر من زقوم » أي ، من نفس المتعبّدة اللذات والشهوات منغمسة فيها ، منجذبة الى السفليات من الطبيعيات لتعوّدكم بهـا ، وبفوائدها ، « فمالؤن منها » ومن ثمراتها الوبية البشعة المحرقة ، التي هي الهيئات المنافية للكمال ، الموجبة للوبال « البطون » لشدة حرصكم ونهمكم ، وضراوتكم بها لشرهكم ، وسقمكم .

« فشاربون عليه من الحميم » من الوهميات الباطلة ، والشبهات الكاذبة ، التي هي من باب الجهل المورّط في المهالك ، والمعاطب ، المسيغ لتلك الأعمال الشيطانية ، والأعمال البهيمية ، الظلمانية « فشاربون شرب الهيم » أي ، التي بها الهيام من الإبل ، وهو داء لا ريّ معه لشدة شغفكم وكلبكم بها .

« نحن خلقناكم » بإظهاركم بوجودنا ، وظهورنا في صوركم « فلولا تصدّقون أفرأيتم مـا تمنون أأنتم تخلقونه » بإفاضة الصورة الانسانية عليه « أم نحن الخالقون » . « أفرأيتم ما تحرثون أأنتم تزرعونه » بإنزال الصور النوعية عليه « أم نحن الزارعون » أفرأيتم مـاء العلم الذي تشربونه بتعطش استعدادكم « أأنتم أنزلتموه » من مزن العقل الهيولاني « أم نحن المنزلون لو نشاء جعلناه أجاجا » بصرفه في تدابير المعاش ، وترتيب الحياة الدنيا « فلولا تشكرون أفرأيتم » نار المعاني القدسية « التي تورون » بقدح زناد الفكر « أأنتم أنشأتم شجرتها » أي ، القوة الفكرية « أم نحن المنشئون » ؟

« نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكِرَةً وَمَتَاعاً لِلْمُقْوِينَ . فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ . فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ . وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ . إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ . فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ . لا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ . تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ . أَفَبِهَذَا الْحَدِيثِ أَنْتُمْ مُدْهِنُونَ . وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ . فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ . وَأَنْتُمْ حِينَئِذٍ تَنْظُرُونَ . وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لَا تُبْصِرُونَ . فَلَوْلَا إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ . تَرْجِعُونَهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ » .

« نحن جعلناها تذكرة » تذكيراً للعهد الأزلي في العالم القدسي « ومتاعاً » للذين لأزاد لهم في السلوك من العلم، والعمل « فلا أقسم بمواقع النجوم » أي، اوقات اتصال النفس المحمّدية المقدّسة بروح القدس. وهي اوقات وقوع نجوم القرآن اليه ، فيا لها أوقاتاً شريفة ، وإتصالات نورية . او مساقط النجوم، وهي اوقات غيبته عن الحواس، وأفول حواسه في مغرب الجسد عند تعطيلها بانغماس سره في الغيب ، وانخراطه في سلك القدس . بل غيبته في الحق ، واستغراقه في الوحدة .

« وانه لقسم لو تعلمون عظيم » وأنى يعلمون ، وأين هم، وعلم ذلك « انه لقرآن كريم » أي ، علم مجموع له كرم وشرف قديم ، وقدر رفيع « في

كتاب مكنون » هو قلبه المكنون في الغيب عن الحواس ، وما عدا المقرّبين من الملائكة المطهرين ، لأن العقل القرآني مودع فيـه ، كما قال عيسى عليه السلام : (لا تقولوا العلم في السماء من ينزل بـه ، ولا في تخوم الارض من يصعد به ، ولا من وراء البحار من يعبر ويأتي به . بل العلم مجعول في قلوبكم تأدبوا بين يدي الله بآداب الروحانيين يظهر عليكم) . او الروح الاول الذي هو محل القضاء ، ومأوى الروح المحمّدي ، بل هو « لا يمسه إلا المطهرون » من الارواح المجرّدة المطهرة عن دنس الطبائع ، ولوث تعلق المواد « تنزيل من رب العالمين » لأن علمـــه ظهر على المظهر المحمّدي ، فهو منزل منه على مدرجته منجماً .

« أفبهذا الحديث أنتم مدهنون » متهاونون ولا تبالون به ، ولا تتصلبون في القيام بحقه ، وفهم معناه ، كمن يلين جانبه ، ويداهن في الأمر تساهلاً ، وتهاوناً به « وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون » أي ، قوتكم القلبي ، ورزقكم الحقيقي تكذيبه لاحتجابكم بعلومكم ، وإنكاركم ما ليس من جنسه ، كإنكار رجل جاهل ما يخالف اعتقاده، كان علمه نفس تكذيبه. او رزقكم الصوري أي ، لمداومتكم على التكذيب ، كأنكم تجعلون التكذيب غــــذاؤكم كما تقول للمواظب على الكذب: (الكذب غذاؤه).

« فلولا اذا بلغت الحلقوم » أي فلولا ترجعون الروح عند بلوغها الحلقوم « إن كنتم صادقين » في انكم غــير مسوسين ، مربوبين ، مقهورين يعني انكم مجبرون ، عاجزون تحت قهر الربوبية . وإلا لأمكنكم دفع ما تكرهون أشد الكراهية ، وهو الموت .

« فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ . فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ . وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ ٱلْيَمِينِ . فَسَلَامٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَابِ ٱلْيَمِينِ . وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ ٱلْمُكَذِّبِينَ ٱلضَّالِّينَ . فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ . وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ . إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ ٱلْيَقِينِ . فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ » .

« فأمّا إن كان من المقرّبين » من جملة الأصناف الثلاثة ، فـــله روح الوصول الى جنة الذات ، وريحان جنة الصفات وتجلياتها البهيجة المبهجة ، وجنة نعيم الأفعال ولذاتها« وأما إن كان »من السعداء والأبرار ، فله السرور والحبور بلقاء أصحاب اليمين ، وتحيتهم إياه بسلامة الفطرة ، والنجـاة من العذاب ، والبراءة عن نقائص صفات النفوس في جنة الصفات « وأما إن كان » من الأشقيـــاء والمعاندين للسابقين ، المنكرين لكمالاتهم ، المحجوبين بالجهل المركب ، فلهم عذاب هيئات الإعتقادات الفاسدة ، وظلمات الجهالات الموحشة من فوق ، المشار اليـه بقوله : « فنزل من حميم » وعذاب الهيئات البدنية ، وتبعات سيئاتهم العملية من تحت ، المشار اليه بقوله : « وتصليه جحيم انّ هذا » المذكور من أحوال الفرق الثلاث ، وعواقبهم « لهو » حقية الأمر ، وجليّة الحال من معاينة أهل القيامة الكبرى ، المتحققين بالحق في يقينهم ، وعيانهم ، والله تعالى أعلم .

سورة الحديد

بسم الله الرحمن الرحيم

« سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَاتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ . لَهُ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَاتِ وَٱلْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ . هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّاهِرُ وَٱلْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ » .

« سبّح لله ما في السموات والأرض » أظهر كل موجود تنزيهه عن الإمكان ، وقبول الفناء بوجوده الإضافي ، وثباته « وهو العزيز » القويّ ، الذي يقهرها ويجبرها « الحكيم » الذي يرتب كمالاتها ، وعن العجز بحدوثه وتغيره ، وعن جميع النقائص بإظهار كمالات كل موجود ، ونظامها على ترتيب حكمي .

« هو الأول » الذي يبتدىء منه الوجود الإضافي باعتبار إظهاره « والآخر » الذي ينتهي اليه باعتبار إمكانه ، وانتهاء احتياجه اليه ، فكل شيء به يوجد ، وفيه يفنى ، فهو أوّله وآخره في حالة واحدة ، باعتبارين « والظاهر »

في مظاهر الأكوان بصفاته ، وأفعاله « والباطن » باحتجابه بماهياته وبذاته « وهو بكل شيء عليم » لأن عين ماهيته صورة من صور معلوماته . اذ صور الأشياء كلها في اللوح المحفوظ ، وهو يعلم اللوح مع تلك الصور بعين ماهية اللوح المنقش بتلك الصور ، فعلمه بها عين علمه بذاته .

« هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمٰوَاتِ وَٱلْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَى عَلَى ٱلْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ ٱلسَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ . لَهُ مُلْكُ ٱلسَّمٰوَاتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ . يُولِجُ ٱللَّيْلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱللَّيْلِ وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ » .

« خلق السموات والأرض في ستة أيام » من الأيام الإلهية ، أي الآلات الستة التي هي من زمان آدم ، الى زمان محمد عليهما السلام ، جميع مدّة دور الخفاء ، أي احتجب بها فظهر الخلق دونه ، اذ الخلق احتجاب الحق بالأشياء ، وهذا الزمان زمان الاحتجاب ، كما ذكر في الأعراف « ثم استوى » على عرش القلب المحمدي ، بالظهور في جميع الصفات غير محتجب بعضها ببعض ، ولا الذات بالصفات ، ولا الصفات بالذات . بل استوت كلها في الظهور في اليوم السابع ، أو في صور المراتب الست من الجواهر ، والأعراض

المذكورة في « ق » ثم استوى على عرش الروح الأعظم ، بالتأثير في جميع الأشياء في الصورة الرحمانية بالسوية ، والظهور باسم الرحمن .

« يعلم ما يلج في » أرض العالم الجسماني من الصور النوعية لأنهـا صور معلوماته « وما يخرج منها » من الارواح التي تفارقها ، والصور التي تزايلها عند الفناء والفساد ، وهي التي تنزل من السماء ، وتعرج فيها ، أو ما ينزل من سماء الروح من العلوم ، والانوار الفائضة على القلب ، وما يعرج فيها من الكليات المنتزعة من الجزئيات المحسوسة ، وهيئات الاعمال المزكية « وهو معكم أينما كنتم » لوجودكم به ، وظهوره في مظاهركم « والله بما تعملون بصير » لسبق علمه به ، وكونه منقوشاً في أربعة ألواح في عالم ملكوته ، بحضرته .

« يولج » ليل الغفلة في نهار الحضور « ويولج » نهار الحضور في ليل الغفلة ، ويستر الجمال بالجلال ، ويحجب الجلال بالجمال . « وهو عليم » بمـا أودع الصدور من أسراره ، ودقائق الغفلة والحضور وحكمتها ، واطائف التستر والتجلي وفائدتهما ، لا يعلمها إلا هو .

« آمِنُوا بِٱللهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفِقُوا مِمَّـا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ فَٱلَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَأَنْفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ . وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِٱللهِ وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا بِرَبِّكُمْ وَقَدْ أَخَذَ مِيثَاقَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ . هُوَ ٱلَّذِي يُنَزِّلُ عَلَى عَبْدِهِ آيَاتٍ بَيِّنَـاتٍ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ ٱلظُّلُمَاتِ إِلَى ٱلنُّورِ وَإِنَّ ٱللهَ بِكُمْ لَرَؤُوفٌ رَحِيمٌ . وَمَـا

لَكُمْ أَلاَّ تُنفِقُوا فِي سَبِيلِ ٱللهِ وَلِلهِ مِيرَاثُ ٱلسَّمٰوَاتِ وَٱلأَرْضِ لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولٰئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلاًّ وَعَدَ ٱللهُ ٱلْحُسْنَى وَٱللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ . مَّن ذَا ٱلَّذِي يُقْرِضُ ٱللهَ قَرْضاً حَسَناً فَيُضَاعِفَهُ لَهُ وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ . يَوْمَ تَرَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِم بُشْرَاكُمُ ٱلْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ » .

« آمنوا بالله » الايمان اليقيني بتوحيد الافعــال « ورسوله » أي ، لا تحتجبوا بأفعال الحق في ايمانكم بتوحيد الافعال عن افعال الخلق ، فتقعوا في الجبر وحرمان الأجر . بل شاهدوا أفعال الحق بالايمان به جمعاً في مظاهر التفاصيل ، بحكم الشرع ليحصل لكم التوكل ، ويسهل عليكم الإنفاق من مال الله الذي هو في أيديكم ، وجعلكم مستخلفين فيه بتمكينكم ، وإقداركم على التصرف فيه بحكم الشرع . اذ الاموال كلهـــا لله ، واختصاص نسبة التصرف انمـــا هو بحكمه في شريعته « فالذين آمنوا منكم » بشهود الافعال « وأنفقوا » عن مقام التوكل ، « لهم أجر كبير » في جنة الافعال .

« وما لكم لا تؤمنون بالله » وقد اعتضد السببان : الداخلي والخارجي ، الموجب اجتماعهما للايمان إيجاباً ذاتياً . أما الخارجي ، فدعوة الرسول الذي

هو السبب الفاعلي . وأما الداخلي ، فأخذ الميثاق الأزلي ، وهو الاستعداد الفطري الذي السبب القابلي ، وقوة الاستدلال « إن كنتم مؤمنين » بالقوة أي ، إن بقي نور الفطرة والايمان الازلي فيكم .

« هو الذي ينزل على عبده آيات بينات » من بيان تجليات الافعال ، والصفات ، والذات « ليخرجكم من » ظلمات صفات النفس والهيئات البدنية المستفادة من الحس ، الى تنوّر القلب ، ومن ظلمات صفات القلب الى نور الروح ، ومن ظلمات وجوداتكم ، وانياتكم الى نور الدين ، وهي الظلمات المشار اليها بقوله : « ظلمات ثلاث بعضها فوق بعض » « وان الله بكم لرؤف رحيم » يدفع آفة النقصان عنكم بهبة الاستعداد ، وتوفيق الهداية الى إزالة الحجب ببعث الرسول وتعليمه اياكم ، « رحيم » باضافة الكمالات مع حصول القبول بتزكية النفوس ، وتصفية الاستعدادات .

« لا يستوي منكم من أنفق قبل الفتح وقاتل » أي ، بذلوا أموالهم وأنفسهم قبل الفتح المطلق ، الذي كان لرسول الله ﷺ ، بالمعراج التامّ ، والوصول الى حضرة الوحدة « أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد » لقوّة استعدادهم ، وشدّة أنوار باطنهم الأصلية ، عرفوه وألفوه بتسامّ الروح . وظهرت عليهم كمالاتهم من غير واسطة تأثيره فيهم ، وهم الذين غلبت عليهم القوة القدسية التي يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسّه نار .

« وأمّا الذين أنفقوا من بعد » فلضعف استعداداتهم ، وقلة نوريتها ، احتاجوا الى قوة تأثيره فيهم ، وإخراج كمالاتهم الى الفعل « وكلا وعد الله » المثوبة « الحسنى » لحصول اليقين ، وظهور الكمال ، كيف كان مع تفاوت الدرجات ، بما لا تحصى ، اذ الآخرون هم الذين جازوا الكمال الخلقي في مقام

النفس ، الذين أقرضوا الله أموالهم رغبـــة في الإضعاف من الثواب ، وكرامة الأجر .

والأولون هم السابقون الذين تجرّدوا عنها ابتغاء مرضاة الله ، تثبيتاً من انفسهم في طريق الحق ، فهم المؤمنون الذين « يسعى نورهم بـــين أيديهم » لكونهم على الصراط المستقيم ، متوجهين الى وجـه الله بتوحيد الذات ، والمتأخرون هم الذين يسعى نورهم بأيمانهم ، لكونهم اصحاب اليمين من المؤمنين والمؤمنات ، الكائنين في مقـــام القلب ، واليقين « بُشراكم اليوم » خطاب لكلا الفريقين ، مع تغليب السابقين ، لذكر الجنات الثلاث ، ووصف الفوز بالعظم ؛ اذ عظم الفوز إنما هو للفرقة الثالثة . وأمـــا فوز من دونهم من اصحاب الجنتين ، فموصوف بالكبير والكريم .

« يَوْمَ يَقُولُ ٱلْمُنَافِقُونَ وَٱلْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ قِيـــلَ ٱرْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَٱلْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَّهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ . يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُنْ مَّعَكُمْ قَـــالُوا بَلَى وَلَـٰكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَٱرْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ ٱلْأَمَانِيُّ حَتَّىٰ جَاءَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَغَرَّكُمْ بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ . فَٱلْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنْكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا مَأْوَاكُمُ ٱلنَّـــارُ هِيَ مَوْلَاكُمْ

وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ . أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَٱلَّذِينَ أُوتُوا ٱلْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ . إِعْلَمُوا أَنَّ ٱللهَ يُحْيِي ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ » .

« يوم يقول المنافقون والمنافقات » أي ، المستعدّون الاقوياء الاستعداد ، والضعفاء المحجوبون بصفات النفوس وهيئات الأبدان ، المنغمسون في ظلمات الطبائع ، وغسق الآثام ، الذين قد بقي فيهم مسكة من نور الفطرة . ولم تنطف بالكليّة ، يشتاقون به الى نور الكمال الحاصل لفريق المؤمنين ، ويلتمسونه ويطلبونه في حسرات وزفرات عند بروزهم عن حجاب البدن بالموت ، وظهور الحرمان محبوسين ، واقفين في حضيض النقصان ، متندّمين عند تبين الخسران ، والمؤمنون يمرّون كالبرق الخاطف ، لا يلتفتون اليهم « انظرونا نقتبس من نوركم » بجنسية الاستعداد ، وظاهر الاسلام .

« قيل ارجعوا وراءكم » الى الدنيا ، ومحل الكسب . فإن النور إنما يكتسب بالآلات البدنية ، والقوى الجسمانية من الحواس الظاهرة والباطنة ، بالأعمال الحسنة ، والعلوم الحقة « فضرب بينهم بسور » هو البرزخ الهيولاني الذي يحتجبون به على حسب اقتضاء هيئاتهم الظلمانية « له باب » هو القلب إذ لا يطلع من عالم القدس على عالم الرجس ، إلا من طريق القلب « باطنه »

وهو عالم القدس « فيه الرحمة » أي ، النور ، والروح ، والريحان ، وجنة النعيم من المراتب المذكورة « وظاهره » الذي يلي النفس ، وهو عالم الرجس ومقر تلك النفوس المظلمة من الاشقياء « من قبله » أي ، من جهته « العذاب » الذي يستحقونه بحسب هيئاتهم وتنوعها .

وهذا الباب لا مفتح له من جهة ظاهره ، الذي الى الاشقياء ، بل هو مسدود مغلق ، لا ينفتح أبداً . وأما من جهة باطنه ، فكلما شاء اهل الجنة من السابقين انفتح لهم ، فاطلعوا على اهل النار وتعذباتهم . ويدخلون عليهم فينطفيء لهب النار من نورهم ، بل يحرق نورهم النار بالنسبة اليهم دون الجهنميين ، فتقول جهنم : (جزيا مؤمن فإن نورك اطفأ لهبي) .

« ألم نكن معكم » في الفطرة الاولى ، وعين جمع الصفات ؟ « قالوا بلى ولكنكم فتنتم انفسكم » ابتليتموها باللذات الحسية والشهوات البدنية ، والصفات البهيمية ، والسبعية « وتربصتم » باستيلاء التخيلات من الآمال والأماني الغالبة بدواعي الحسد ، والطمع « وارتبتم » باستيلاء الوهميات على المعقولات ، وغلبة الاوهام على العقول « وغرتكم الاماني » بدواعي الوهم ، ومقتضى التخيل « حتى جاء أمر الله » من الموت وحصول العقاب « اعلموا أن الله يحيي الارض بعد موتها » تمثيل لتأثير الذكر في القلوب وأحيائها .

« إِنَّ ٱلْمُصَّدِّقِينَ وَٱلْمُصَّدِّقَاتِ وَأَقْرَضُوا ٱللَّهَ قَرْضاً حَسَناً يُضَاعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ . وَٱلَّذِينَ آمَنُوا بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَٰئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَ وَٱلشُّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ

لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ ٱلْجَحِيمِ . إِعْلَمُوا أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي ٱلْأَمْوَالِ وَٱلْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَاماً وَفِي ٱلْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ ٱلْغُرُورِ ».

« إن المصدّقين والمصدّقات » من المؤمنين بالغيب في مقام النفس لقوله : « ولهم أجر كريم والذين آمنوا بالله ورسله » من أهل الإيقان في مقام القلب لقوله : « لهم أجرهم » أي ، من جنة النفس ، ونورهم من جنة القلب بتجلي الصفات « اولئك هم الصديقون » بقوّة اليقين « والشهداء » أهل الحضور والمراقبة ، والذين حجبوا عن الذات والصفات في مقابلتهم . أي ، ليسوا من أهل الإيمان بالغيب ، ولا من أهل الايقان « اولئك اصحاب » جحيم الطبيعة .

« سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّنْ رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ ٱلسَّمَاءِ وَٱلْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ . مَا أَصَابَ مِنْ مُّصِيبَةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا

فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ.
لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ
وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ. ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ
ٱلنَّاسَ بِٱلْبُخْلِ وَمَنْ يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ».

« سابقوا الى مغفرة من ربكم » لما حقر الحياة الحسية النفسية الفانية ، وصوّرها في صورة الخضراء السريعة الانقضاء ، دعاهم الى الحياة العقلية القلبية الباقية ، فقال : « سابقوا الى مغفرة من ربكم » أي ، تستر صفات النفس بنور القلب « وجنة عرضها » العالم الجسماني بأسره ، لإحاطة القلب به وبصوره . او نفرهم عن الحياة البشرية ، ودعاهم الى الحياة الإلهية . أي ، سابقوا الى مغفرة تستر ذواتكم ووجوداتكم التي هي أصل الذنب العظيم بنور ذاته ، وجنة عرضها سموات الأرواح وأرض الاجساد بأمرها أي الوجود المطلق كله ، الشامل للوجودات الاضافية بأجمعها « أعدّت للذين آمنوا بالله ورسله » الايمان العلمي اليقيني على الاول ، والايمان العيني والحقي على الثاني .

« ما أصاب من مصيبة » من الحوادث الخارجية ، والبدنية ، والنفسانية « إلا في كتاب » هو القلب الكلي ، المسمى باللوح المحفوظ . لتعلموا علماً يقيناً انه ليس من لكسبكم وحفظكم ، وحذركم وحراستكم فيما أتاكم مدخل وتأثير ، ولا لعجزكم وإهمالكم وغفلتكم وقلة حيلتكم ، وعدم احترازكم ، واحتفاظكم فيما فاتكم مدخل . فلا تحزنوا على فوات خير ، ونزول شر ، ولا تفرحوا بوصول خير وزوال شر ، إذ كلها مقدّرة «إن الله لا يحب كل مختال» أي ، متبختر من شدة الفرح ، بما آتاه « فخور » به لعدم يقينه ، وبعده

عن الحق بحب الدنيا ، وانجذابه الى الجهة السفلية بمنافاته للحضرة الإلهية واحتجابه بالظلمات عن النور .

« الذين يبخلون » لشدة محبة المال « ويأمرون الناس بالبخل » لاستيلاء الرذيلة عليهم « ومن يتولّ » أي ، يعرض عن الله بالتوجه الى العالم السفلي والجوهر ، الفاسق الظلماني « فإن الله هو الغني » عنه لاستغنائه بذاته «الحميد» لاستقلاله بكماله . أي يخذله ، ويمهله .

« لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ . وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحاً وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ فَمِنْهُمْ مُهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ . ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِمْ بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ » .

« لقد أرسلنا رسلنا بالبينات » بالمعارف والحكم «وأنزلنا معهم الكتاب» أي ، الكتابة « والميزان » أي ، العدل ، لأنه آلته « وأنزلنا الحديد» أي ، السيف ، لأنه مادته وهي الأمور التي بها يتم الكمال النوعي ، وينضبط النظام الكلي المؤدي الى صلاح المعاش ، والمعاد . إذ الأصل المعتبر ، والمبدأ الاول ، هو العلم والحكمة ، والاصل المعوّل عليه في العمل ، والاستقامة في طريق الكمال هو العدل . ثم لا ينضبط النظام ولا يتمشى صلاح الكل ، إلا بالسيف والقلم اللذان يتم بهما أمر السياسة .

فالأربعة هي أركان كال النوع ، وصلاح الجمهور . ويجوز أن تكون البينات إشارة الى المعارف والحقائق النظرية ، والكتاب : إشارة الى الشريعة والحكم العملية . والميزان : الى العمل بالعدل والسوية . والحديد : الى القهر ودفع شرور البرية . وقيل البينات : العلوم الحقيقية . والثلاثة الباقية هي : النواميس الثلاثة المشهورة المذكورة في الكتب الحكمية . أي الشرع ، والدينار ، المعدّل للأشياء في المعاوضات والملك .

وأياً ما كان فهي الامور المتضمنة للكمال الشخصي والنوعي في الدارين ، إذ لا يحصل كال الشخص إلا بالعلم والعمل ، ولا كال النوع إلا بالسيف والقلم . أما الاول فظاهر . وأما الثاني فلأن الانسان مدني بالطبع يحتاج الى التعامل والتعاون لا تمكن معيشته إلا بالاجتماع . والنفوس إما خيرة احرار بالطبع منقادة للشرع . وإما شريرة عبيد بالطبع آبية للشرع . فالاولى يكفيها في السلوك طريق الكمال . والعمل بالعدالة اللطف وسياسة الشرع . والثانية لا بد لها من القهر وسياسة الملك .

« يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ. لِئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ».

« يا أيها الذين آمنوا » الايمان اليقيني « اتقوا الله » بالتجرّد عن صفاتكم والتنزه عن ذواتكم « وآمنوا برسوله » بالاستقامة في اعمالكم وأحوالكم على طريق المتابعة « يؤتكم كفلين من رحمته » في جنة النفس « ويجعل لكم نوراً » من أنوار الروح ، وتجليات الصفات في مقام القلب « تمشون به » تسيرون به في الصفات « ويغفر لكم » ذنوب ذواتكم « والله غفور » بإفناء البقيات « رحيم » بهبة الوجودات الحقانية بعد فناء الأنيات .

« لئلا يعلم أهل الكتاب » أي ، المحجوبون بالرين عن الحق ، او بطريق الضلالة ودين الباطل ، عن الصراط المستقيم ، ودين الحق « ألا يقدرون على شيء من فضل الله » لأنه موهوب لا يمكن اكتسابه « وأن الفضل بيد الله » أي ، في تصرفه ، وتحت ملكه ، وقدرته « يؤتيه من يشاء » موهبة لا كسباً منه « والله ذو الفضل العظيم » الذي هو نهاية الكمال، والله تعالى أعلم .

سورة المجادلة

بسم الله الرحمن الرحيم

« قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ. ٱلَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَائِهِم مَّا هُنَّ أُمَّهَاتِهِمْ إِنْ أُمَّهَاتُهُمْ إِلَّا ٱللَّائِي وَلَدْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنكَرًا مِّنَ ٱلْقَوْلِ وَزُورًا وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ. وَٱلَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِن نِّسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَاسَّا ذَٰلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ . فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِن قَبْلِ أَن يَتَمَاسَّا فَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا ذَٰلِكَ لِتُؤْمِنُوا بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ . إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَادُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُ كُبِتُوا كَمَا كُبِتَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ

وَقَدْ أَنْزَلْنَـــا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ . يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا أَحْصَاهُ ٱللهُ وَنَسُوهُ وَٱللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ . أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللهَ يَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمٰوَاتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ مَـــا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلٰثَةٍ إِلاَّ هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلاَّ هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِنْ ذٰلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلاَّ هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ ٱلْقِيٰمَةِ إِنَّ ٱللهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ » .

« يوم يبعثهم الله » بإقامتهم عن مراقد الأبدان « فينبئهم بمـــا عملوا » لانتقاش صور أعمالهم في ألواح نفوسهم « أحصاه الله » بإثباتـه في الكتب الأربعة المذكورة « ونسوه » لذهولهم عنـــه باشتغالهم باللذات الحسية ، وانهماكهم في الشواغل البدنية « والله على كل شيء شهيد » حاضر معه رقيب.

« ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم » لا بالعدد والمقارنة ، بـل بامتيازهم عنه بتعيُّناتهم ، واحتجابهم عنـه بماهياتهم ، وأنيّاتهم ، وافتراقهم منه بالإمكان اللازم لماهياتهم ، وهوياتهم ، وتحققهم بوجوبه اللازم لذاتـــه ، واتصاله بهـــم بهويته المندرجة في هوياتهم ، وظهوره في مظاهرهم ، وتستره بماهياتهم ، ووجوداتهم المشخصة ، وإقامتها بعين وجوده ، وإيجابهم بوجوبه . فبهذه الاعتبارات هو رابع معهم ، ولو اعتبرت الحقيقة لكان عينهم . ولهذا قيل : (لولا الاعتبارات لارتفعت الحكمة) وقال أمير المؤمنين عليه السلام: (العلم نقطة كثرها الجاهلون) .

« أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نُهُوا عَنِ ٱلنَّجْوَى ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَيَتَنَاجَوْنَ بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَتِ ٱلرَّسُولِ وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ ٱللَّهُ وَيَقُولُونَ فِي أَنفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا ٱللَّهُ بِمَا نَقُولُ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ . يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَنَاجَيْتُمْ فَلَا تَتَنَاجَوْا بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَتِ ٱلرَّسُولِ وَتَنَاجَوْا بِٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَى وَٱتَّقُوا ٱللَّهَ ٱلَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ . إِنَّمَا ٱلنَّجْوَى مِنَ ٱلشَّيْطَانِ لِيَحْزُنَ ٱلَّذِينَ آمَنُوا وَلَيْسَ بِضَارِّهِمْ شَيْئاً إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ . يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي ٱلْمَجَالِسِ فَٱفْسَحُوا يَفْسَحِ ٱللَّهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُوا فَٱنشُزُوا يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا ٱلْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ » .

« ألم ترَ الى الذين نهوا عن النجوى » إنما نهوا لأن التناجي اتصال واتحاد بين اثنين في أمر يختص بهما، لا يشاركهما فيه ثالث . وللنفوس عند الاجتماع،

والاتصال تعاضد ، يتقوّى ، ويتأيّد بعضها ببعض ، فيما هو سبب الاجتماع لخاصّية الهيئة الاجتماعية التي لا توجد في الأفراد. فإذا كانت شريرة يتناجون في الشر ، ويزداد فيهم الشر ، ويقوى فيهم المعنى الذي يتناجون به ، بالاتصال والاجتماع . ولهـــذا ، ورد بعد النهي « ويتناجون بالإثم » الذي هو رذيلة القوى البهيمية «والعدوان» الذي هو رذيلة القوى الغضبية «ومعصية الرسول» التي هي رذيلة القوة النطقية ، بالجهـل وغلبة الشيطنة .

ألا ترى كيف نهى المؤمنين بعـــد هذه الآية عن التناجي بهذه الرذائل المذكورة ، وأمرهم بالتناجي بالخيرات ، ليتقووا بالهيئة الاجتماعية ، ويزدادوا فيها ، فقـال : « وتناجوا بالبر » أي ، الفضائل ، التي هي أضداد تلك الرذائل من الصالحات ، والحسنات ، المخصوصة بكل واحدة من القوى الثلاث « والتقوى » أي ، الاجتناب عن أجناس الرذائل المذكورة « واتقوا الله » في صفات نفوسكم « الذي اليه تحشرون » بالقرب منه ، عند التجرّد منها .

« فافسحوا يفسح الله لكم » أي ، أفسحوا من ضيق التنافس في الجـاه والنخوة ، فإنـه من الهيئات النفسانية ، واستيلاء القوة السّبْعية ، وركود النفس في ظلمة الأنية ، واحتجابها عن الانوار القلبيـة والروحية . فتنزهوا عنهـــا ، يفسح الله لكم بالتجريد عن الهيئات البدنية ، والإمداد بالانوار ، فتنشرح صدوركم ، وتنفسح ، ويتسع مكانكم في فضاء عالم القدس .

« يرفع الله الذين آمنوا منكم » الايمان اليقيني « والذين أوتوا العلم » أي ، علم آفات النفس ودقائق الهوى ، وعلم التنزه منها بالتجريد « درجات » من الصفات القلبية ، والمراتب الملكوتية ، والجبروتية ، في عالم الأنوار « والله بما تعملون خبير » فيجازيكم ويعاقبكم بتلك الهيئات .

« يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً ذَٰلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَأَطْهَرُ فَإِنْ لَّمْ تَجِدُوا فَإِنَّ ٱللهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ . ءَأَشْفَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ ٱللهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا ٱلصَّلَوٰةَ وَآتُوا ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُوا ٱللهَ وَرَسُولَهُ وَٱللهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ » .

« إذا ناجيتم الرسول فقدّموا بين يدي نجواكم صدقة » لأن الاتصال بالرسول في أمر خاص لا يكون إلا لقرب روحاني ، أو مناسبة قلبية ، أو جنسية نفسانية ، وأياً ما كان وجبت الصدقة ..

أما الأول والثاني ، فيجب فيهما تقديم الإنسلاخ عن الافعال والصفات ، والتجرد عن الخارجيات من الاسباب والاموال ، وقطع التعلقـــات المسمى بالترك ، ثم محو الآثار ، والهيئات الباقية منها في النفس ، المسمى بالتجريد عندهم . ثم قطع النظر عن أفعاله وصفاته ، والترقي الى مقام الروح في الاول ، والى مقام القلب في الثاني ، حتى يصفو له مقام التناجي الروحي مع النبي في الأسرار الإلهية ، والمسارّة القلبية في الامور الكشفية . ولهذا قال ابن عمر رضي الله عنهما : (كان لعليّ عليه السلام ، ثلاث : لو كانت لي واحدة منهن كانت أحبّ إليّ من حمر النعم ، تزويجه فاطمة ، وإعطاؤه الراية يوم خيبر ، وآية النجوى) .

وأما الثالث ، فيجب فيه تقديم الخيرات ببذل الاموال شكراً لتلك النعمة حتى تبقى وتزيد .

« فإن لم تجدوا » في الاولين للتخلف عن المقامين بالوقوف مع النفس ، وفي الثالث لشح النفس والفقر « فإن الله غفور » للصفات النفسانية بأنوار صفاته « رحيم » بإفاضة أنوار التجليات ، والمشاهدات ، والمعارف ، والمكاشفات الموجبة لوجدان تلك الصدقة في الأولين. أو غفور لرذيلة الشح ، وكربة الفقر « رحيم » بالتوفيق لاكتساب الفضيلة وتيسيرها ، وإعطاء المال في الثالث . وكذا الإشفاق ، والتوبة إنما يكونان لما ذكر .

ثم أمر بما يزيل التخلف المذكور ، ورذيلة الشح ، وشدة الفقر ، اذ بصلاة الحضور ، والمراقبة في مقام القلب يحصل الاول ، وبزكاة الترك ، والتجريد يحصل الثاني ، وبطاعة الله ورسوله في الاعمال الخيرية يحصل الثالث . لأن الخير عادة ، وببركة الطاعة ينتفي الفقر ، لحصول الاستغناء بالله ، قال الله تعالى : « من أصلح أمر آخرته أصلح الله أمر دنياه ».

« أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْماً غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ مَّا هُمْ مِّنكُمْ وَلَا مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى ٱلْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ . أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ عَذَاباً شَدِيداً إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ . إِتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ . لَّن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْئاً أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ .

يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللهُ جَمِيعاً فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلى شَيْءٍ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الكَاذِبُونَ . إِسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنْسَاهُمْ ذِكْرَ اللهِ أُولئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الخَاسِرُونَ . إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللهَ وَرَسُولَهُ أُولئِكَ فِي الأَذَلِّينَ . كَتَبَ اللهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ . لَا تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولئِكَ حِزْبُ اللهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللهِ هُمُ المُفْلِحُونَ » .

« ألم ترَ الى الذين تولوا قوماً غضب الله عليهم ما هم منكم ولا منهم » لأن الموالاة لا تكون ثابتة حقيقة إلا مع الجنسية والمناسبة ، فإن كانت وجب إزالتها ، وإلا وجب الإحتراز من سرايتها بالصحبة ، والموالاة . وإنما تمكن الموالاة مع عدمها اذا كانت بسبب خارجي من نفع أو لذة زالت بزواله ، وإلا لما أمكنت . ولهذا نفى الموالاة الحقيقية بينهم بنفي موجبها ، فقال : « ما هم منكم » إنما هي محض النفاق .

« استحوذ عليهم الشيطان » أي ، الوهم « فأنساهم ذكر الله » بتسويل اللذات الحسية ، والشهوات البدنية لهم ، وتزيين الدنيا وزبرجها في أعينهم « لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر » الايمان اليقيني « يوادّون من حادّ الله ورسوله ولو كانوا آباءهم » الى آخره . لأن المحبة امر روحاني ، فإذا أيقنوا وعرفوا الحق وأهله ، غلبت قلوبهم وأرواحهم نفوسهم وأشباحهم ، فنسخت المحبة الروحانية والمناسبة الحقيقية بينهم وبين الحق وأهله ، المحبة الطبيعية المستندة الى القرابة واتصال اللحمة ، لأن الاتصال الروحاني أشد وأقوى ، وألذّ ، وأصفى من الطبيعي .

« كتب في قلوبهم الايمان » بالكشف واليقين المذكر للعهد الاول الكاشف عنه « وأيّدهم بروح منه » لاتصالهم بعالم القدس ، أو بنور تجلي الذات « ويدخلهم جنات » من الجنات الثلاث « تجري من تحتها » أنهار علوم التوحيد ، والتشريع « رضي الله عنهم » بمحو صفاتهم بصفاته ، بنور التجلي « ورضوا عنه » بالاتصال بصفاته « أولئك حزب الله » السابقون ، الذين لا يلتفتون الى غيره ، ولا يثبتونه « هم المفلحون » الفائزون بالكمال المطلق .

سُورَةُ الحَشْرِ

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

« سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمٰوَاتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ . هُوَ ٱلَّذِي أَخْرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ ٱلْحَشْرِ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللهِ فَأَتَاهُمُ ٱللهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي ٱلْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي ٱلْأَبْصَارِ . وَلَوْلَا أَنْ كَتَبَ ٱللهُ عَلَيْهِمُ ٱلْجَلَاءَ لَعَذَّبَهُمْ فِي ٱلدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي ٱلْآخِرَةِ عَذَابُ ٱلنَّارِ . ذٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا ٱللهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِّ ٱللهَ فَإِنَّ ٱللهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ . مَا قَطَعْتُمْ مِّنْ لِينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَى أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ ٱللهِ وَلِيُخْزِيَ ٱلْفَاسِقِينَ . وَمَا أَفَاءَ ٱللهُ عَلَى رَسُولِهِ

مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَكِنَّ ٱللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَٱللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ » .

« وقذف في قلوبهم الرعب » أي ، نظر بنظر القهر اليهم ، فتأثروا به لاستحقاقهم لذلك ، ومخالفة الحبيب ، ومشاقته ، ومضادته ، ولوجود الشك في قلوبهم ، وكونهم على غير بصيرة من أمرهم وبيّنة من ربهم . اذ لو كانوا أهل يقين ما وقع الرعب في قلوبهم ، ولعرفوا رسول الله بنور اليقين ، وآمنوا به فلم يخالفوه .

« مَا أَفَاءَ ٱللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي ٱلْقُرْبَى وَٱلْيَتَامَى وَٱلْمَسَاكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ ٱلْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ وَمَا آتَاكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَٱنْتَهُوا وَٱتَّقُوا ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ . لِلْفُقَرَاءِ ٱلْمُهَاجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَاناً وَيَنْصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ ٱلصَّادِقُونَ . وَٱلَّذِينَ تَبَوَّؤُا ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ » .

« وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا » لأنه متحقق بالله ، فكلّ ما أمر به فهو أمر الله ، وما نهى عنه نهي الله ، لقوله : « وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى » . « للفقراء المهاجرين » أي ، التاركين المجردين ، المهاجرين عن مقام النفس « الذين أخرجوا » أي ، أخرجهم الله ، اذ لو خرجوا بنفوسهم لاحتجبوا بهـا ، وبرؤية الترك والتجريد ، فوقعوا في مقـام النفس مع حجاب العجب ، الذي هو أشدّ من الذنب « من ديارهم وأموالهم » من مواطنهم ومألوفاتهم ، أي صفـات نفوسهم ، ومعلوماتهم « يبتغون فضلاً من الله » من العلوم والفضائل الخلقية « ورضواناً » من الاحوال والمواهب السنيّة ، من انوار تجليـات الصفات « وينصرون الله ورسوله » ببذل النفوس لقوة اليقـين « أولئك هم الصادقون » في الايمان اليقيني ، لتصديق أعمالهم دعواهم ، إذ علامة وجدان اليقين ظهور أثره على الجوارح ، بحيث لا تمكن حركاتها إلا على مقتضى شاهدهم من العلم .

« والذين تبوؤا الدار والايمـان » أي ، المقر الأصلي الذي هو الفطرة الاولى ، والعهد الاول الذي هو محل الايمـان وموطنه ، ولهذا قرنه به . فإن النفس موطن الغربة « من قبلهم » أي ، من قبل هجرة المهاجرين من دار الغربة التي هي النفس اليها ، لأن هذه الدار هي الدار الاصلية المتقدمة على ديارهم . ولهذا قال عليه السلام : (حبّ الوطن من الايمان) .

فهم الذين لم يسقطوا عن الفطرة ، ولم يحتجبوا بحجاب النفس في النشأة . وبقوا على صفائها بخلاف الأولين الذين تكدّروا ، أو تغيروا . ثم رجعوا الى الصفاء بالسّير ، والسلوك « يحبون من هـاجر اليهم » لوجود الجنسية في الصفاء ، وتحقق المناسبة الاصلية ، والقرابة الحقيقية بالوفاء ، وتذكر العهد السابق بالموافقة في الدين ، والاخاء .

« ولا يجدون في صدورهم حاجة ممـــا » أوتي المهاجرون من الحظوظ لسلامة قلوبهم عن آفات النفوس ، وطهارتها عـن دواعي الحرص ، وتنزهها عن محبــة الحظوظ ، وتيقنها بالاقسام « ويؤثرون على انفسهم » لتجرّدهم وتوجههم الى جناب القدس ، وترفعهم عن مواد الرجس ، وكون الفضيلة لهم امراً ذاتياً باقتضاء الفطرة ، وفرط محبــة الاخوان بالحقيقة ، والأعوان في الطريقة . « ولو كان بهـم خصاصة » فتقديمهم اصحابهم على أنفسهم لمكان الفتوّة ، وكمال المروءة ، ولقوّة التوحيد ، والاحتراز عــن حظ النفس ، وخوف الرجوع الى المطالب الجزئية بعد وجدان الذوق من المطالب الكلية « ومن يوق شح نفسه » بعصمة الله وكلأته ، فــإن النفس مأوى كل شر ، ووصف رديء ، وموطن كل رجس ، وخلق دنيء ، والشح مــن غرائزها المعجونة في طينتها ، لملازمتها الجهة السفلية ، ومحبتها الحظوظ الجزئية ، فلا ينتفي منها إلا عند انتفائها . ولكن المعصوم من تلك الآفات والشرور من عصمه الله « فاولئك هم المفلحون » بالكمالات القلبية .

« وَٱلَّذِينَ جَاءُو مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلاًّ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُفٌ رَحِيمٌ . أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَداً أَبَداً وَإِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ . لَئِنْ أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِنْ قُوتِلُوا

لَا يَنْصُرُونَهُمْ وَلَئِنْ نَصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ ٱلْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنْصَرُونَ . لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِّنَ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ . لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ . كَمَثَلِ ٱلَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَرِيبًا ذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ » .

« والذين جاؤا من » بعد الذين هاجروا الى الفطرة . أي اخذوا في السلوك وقطع منازل النفس ، متضرعين قائلين بلسان الافتقار . « ربنا اغفر لنا » هيئات الرذائل وصفات النفوس بأنوار القلوب « ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان » ذنوب التلوينات ، بظهور تلك الصفات ، والضلالة بعد الهدى « ولا تجعل في قلوبنا غلا » بالاحتجاب بالهيئات السبعية ، والشيطانية ، ورسوخها في قلوبنا « ربنا انك غفور » تستر تلك الهيئات بأنوار الصفات « رحيم » بإفاضة الكمالات ، وإراءة التجليات .

«لأنتم اشد رهبة في صدورهم من الله» لاحتجابهم بالخلق عن الحق بسبب جهلهم بالله ، وعدم معرفتهم له ، إذ لو عرفوه لعلموا ان لا مؤثر غيره ، وشعروا بعظمته وقدرته ، فلم يبق عظم الخلق ، ولا أثرهم وقدرهم عندهم ، كما قال امير المؤمنين عليه السلام : (عظم الخالق عندك يصغر المخلوق في عينك) .

« بأسهم بينهم شديد » لكونهم غير مقهورين هناك بقهر الله ، ولا واقعاً ظل قهر الرسول وهيبته ، وعكس نور تأييده ، وتنوّر نفسه بالاتصال بعالم القدس ، عليهم « تحسبهم جميعاً » لاتفاقهم في الظاهر «وقلوبهم شتى» لانتفاء الجمعية الحقيقية بنور التوحيد عنها ، وتجاذب دواعيها لتفنن تعلقاتها بالامور السفلية ، وتفرقها عن الحق بالباطل ، لاحتجابها بالكثرة عن الوحدة « ذلك بأنهم قوم لا يعقلون » فيختارون طريق التوحيد العلمي ، ويلتحون عـــن السبل المتفرقة الوهمية . فـــإن طريق العقل واحد ، وطرق شيطان الوهم متفرقة ، وتشلت القلوب يوهن العزائم ، ويضعف القوي .

« كَمَثَلِ ٱلشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلإِنْسَانِ ٱكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنْكَ إِنِّي أَخَافُ ٱللهَ رَبَّ ٱلْعَالَمِينَ . فَكَانَ عَاقِبَتَهُمَا أَنَّهُمَا فِي ٱلنَّـــارِ خَالِدَيْنِ فِيهَا وَذٰلِكَ جَزَاؤُا ٱلظَّالِمِينَ . يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا ٱتَّقُوا ٱللهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَٱتَّقُوا ٱللهَ إِنَّ ٱللهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ » .

« كمثل الشيطان » أي ، مثل اخوانهم المنافقين في اغوائهم ، كمثـــل الشيطان . أي ، الوهم الانساني ، إذ زين للانسان حال كونـــه على الفطرة اللذات الحسية ، والشهوات البدنية ، وحرّضه على مخالفـــة العقل بالهوى ، والاحتجاب بالطبيعة ، ليقع في الردى. فلما احتجب بها عن الحق، وانغمس في ظلمة النفس ، تبرّأ منه بإدراك المعاني دونـــه ، والتقرب الى جناب الحق بالترقي الى الأفق العقلي ، والاطلاع على بعض الصفات الإلهيـــة ، واستشعار

الخوف بإدراك آثار العظمة والقدرة ، وأنوار الربوبية . فكان عاقبتهما أنهما في النار ، لكونهما جسمانيين ملازمين للطبيعة ، ونيرانهما المتفننة ، وآلامها المتنوعة « وذلك جزاء الظالمين » الذين وضعوا العبادة غير موضعها ، فعبدوا صنم الهوى ، وطاغوت البدن ، واتخذوا آلهتهم أهواءهم .

« يا أيها الذين آمنوا » الايمان الغبي التقليدي « اتقوا الله » في اجتناب المعاصي والسيئات والرذائل ، واكتساب الحسنات ، والطاعات والفضائل ، « ولتنظر نفس ما قدمت لغد » لما بعد الموت من الصالحات « واتقوا الله » في الاحتجاب بالاعراض ، والأغراض ، وتوسيط الحق للمشتهيات « ان الله خبير » بأعمالكم ونياتكم ، فيجازيكم بحسبها ، قال عليه السلام : (لكل امرى ما نوى) أو آمنوا الايمان التحقيقي ، اتقوا الله في الاحتجاب عنه بأفعالكم وصفاتكم . « ولتنظر نفس ما قدمت لغد » من محقرات الاعمال والصفات ، فإنها حجب حاجزة، ووسائل مردودة مذمومة . « واتقوا الله » في البقيات والتلوينات « فإن الله خبير بما تعملون » بنفوسكم ، وما تعملون به لا بنفوسكم .

« وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ أُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ . لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ . لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ » .

« ولا تكونوا كالذين نسوا الله » بالاحتجاب بالشهوات الجسمانيـــة ، والاشتغــال باللذات النفسانية « فأنساهم أنفسهم » حتى حسبوها ، البدن وتركيبه ومزاجه ، فذهلوا عن الجوهرة القدسية ، والفطرية النورية « أولئك هم الفاسقون » الذين خرجوا عن الدين القيّم ، الذي هو فطرة الله التي فطر الناس عليهـــا ، وخانوا ، وغدروا ، وجاسوا ، ونبذوا عهد الله ، وراء ظهورهم ، فخسروا .

« لا يستوي » الناسون الغادرون، الذين هم « أصحاب النار » والمؤمنون المتحققون ، المتقون الموفون بعهدهم ، الذين هم « أصحاب الجنـة أصحاب الجنة هم الفائزون » والخاسرون لفرط غفلتهم ، وذهاب تمييزهم ، كأنهم لا يفرّقون بين الجنة والنـار ، وإلا لعلموا بمقتضى تمييزهم « على جبل » أي ، قلوبهم أقسى من الحجر في عدم التأثر والقبول ، إذ الكلام الإلهي بلـغ من التأثير ما لا إمكان للزيادة وراءه ، حتى لو فرض إنزاله على جبل لتأثر منه بالخشوع ، والانصداع .

« هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَادَةِ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ . هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَامُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ ٱللَّهِ عَمَّـــا يُشْرِكُونَ . هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَالِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ لَهُ ٱلْأَسْمَاءُ ٱلْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَاتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ » .

« هو الله الذي لا إله إلا هو ». لما كان الإسلام مبنياً على الجمع والتفصيل كثر تكرارهما في المثاني . أي لا إله في الوجود إلا هو ، فجمع ثم فصل ، بقوله : « عالم الغيب والشهادة » والعلم مبدأ التفصيل . اذ عالميته هي تميز الحقائق ، وأعيان الماهيات في عين الجمع ، أي صور الماهيات في عالم الغيب عن عالميته ، ووجوداتها في عالم الشهادة ، هي بعينها ظهرت في مظاهر محسوسة ، لا بمعنى الانتقال ، بل بمعنى الظهور والبطون ، كظهور الصورة المعلومة على القرطاس بالكتابة .

فكل ما ظهر فمن علمه السابق ظهر « الرحمن » بإفاضة وجودات الماهيات وصورها النوعية على المظاهر ، باعتبار البداية « الرحيم » بإفاضة كمالاتها في النهاية .

ثم كرّر التوحيد الذاتي باعتبار الجمع، لينبه على ان هذه الكثرة المعتبرة باعتبار تفاصيل الصفات ، لأننا في وحدته الذاتية، كالإضافيات، والسلبيات المعدودة بعده « الملك » أي ، الغنى المطلق ، الذي يحتاج اليه كل شيء ، المدبّر للكل في ترتيب النظام الحكمي ، الذي لا يمكن كون أتم وأكمل منه « القدوس » المجرد عن المادة ، وشوائب الإمكان في جميع صفاته ، فلا يكون شيء من صفاته بالقوة ، وفي وقت دون وقت . « السلام » أي المبرأ عن النقائص ، كالعجز « المؤمن » لأهل اليقين ، بانزال السكينة « المهيمن » الحافظ لمن أمنه على حالة الامن من كل مخوف« العزيز » القوي، الذي يغلب ، ولا يغلب.« الجبار » الذي يجبر كل أحد على ما أراد « المتكبر » المتعالي عن أن يصل اليه غيره ، ويقارنه في الوجود .

« سبحان الله عما يشركون » باثبات الغير الخالق، المقدر المظاهر على

حسب ما أراد ظهوره من أسمائه وصفاته « البادىء » المفصل ، المميز بعضها عن بعض ، بالهيئات المتميزة في عين ذاته « المصور » لصورة تفاصيل مظاهر صفاته « له » هذه « الاسماء الحسنى » الظاهرة في صور المخلوقات، المصورة الباطنة ، في صور المبدعات ، المغيبة ، ليسبح ذاته على لسان أسمائه وصفاته، والله أعلم .

سورة الممتحنة

بسم الله الرحمن الرحيم

«يا أيُّها ٱلَّذينَ آمنُوا لَا تتَّخِذُوا عدُوِّي وَعدُوَّكُمْ أوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إلَيْهِمْ بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفرُوا بِمَا جاءكُمْ مِّنَ ٱلْحَقِّ يُخْرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإيَّاكُمْ أنْ تُؤْمِنُوا بِٱللهِ رَبِّكُمْ إنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَاداً فِي سَبِيلِي وَٱبْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إلَيْهِمْ بِٱلْمَوَدَّةِ وَأنَا أعْلَمُ بِمَا أخْفَيْتُمْ وَمَا أعْلَنْتُمْ وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ ٱلسَّبِيلِ. إنْ يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أعْدَاءً وَيَبْسُطُوا إلَيْكُمْ أيْدِيَهُمْ وَألْسِنَتَهُمْ بِٱلسُّوءِ وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ».

عدو الله، هو الذي خالف عهده، وأعرض بقلبه عن جنابه، فبالضرورة يكون مشركاً بمحبة الغير، وعدو الكل موحِّد ينفي الغير، لكون كل منهما

في عدوة حينئذ ولهذا ، قال : « عدوي وعدوكم » وأشار الى كون الموالاة بينهما عرضياً لا ذاتياً بقوله : « تلقون اليهم بالمودّة » .

ثم بيّن امتناع كونه ذاتياً ببيان المنافاة الذاتية بينهما ، وعدم المناسبة والجنسية من جميع الوجوه ، بقوله : « وقد كفروا » الى آخره . ثم أشار الى أن وقوعها لا يكون إلا عند الجنسية ، وحدوث الميل الى الشرك . فإن وقعت ، فلا بدّ منهما ، بقوله : « ومن يفعله منكم فقد ضلّ سواء السبيل » أي ، طريق الوحدة .

« لَنْ تَنْفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ
يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ . قَدْ كَانَتْ لَكُمْ
أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ
إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ
وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا
بِاللَّهِ وَحْدَهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ
وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا
وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ . رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً
لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَاغْفِرْ لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ .
لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ
وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَمَنْ يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ .

ثم أشار إلى أن الغرضية لا يجوز أن يختارها أهل التحقيق ، لأن السبب الموجب لها أمور فانية لا يبقى نفعها إلا في الدنيا ، والعاقل يجب ان يختار الأمور الباقية دون الفانية ، بقوله : « لن تنفعكم أرحامكم ولا اولادكم » أي ، لن تنفع لكن لاختيارتم موالاة العدو الحقيقي لأجله « فلأن القيامة الصغرى مفارقة بينكم تفريقاً أبدياً ، لعدم الاتصال الحقيقي الباقي بعد الموت بينكم .

وهذا معنى قوله : « يوم القيامة يفصل بينكم » أي ، يفصل الله بينكم وبين أرحامكم وأولادكم ، كما قال : « يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه » ثم علمهم طريق التوحيد بالتأسي بالموحد الحقيقي السابق ابراهيم النبي عليه السلام ، وأصحابه « لأستغفرن لك » أي ، لأطلبن لك الغفران بمحو صفاتك ، وسيئات أعمالك ، بالنور الإلهي « وما املك » إلا الطلب ، وأما وجود ذلك فأمر متعلق بمشيئة الله وعنايته ، كما قال : « انك لا تهدي من احببت ، ولكن الله يهدي من يشاء » .

أي « ربنا عليك توكلنا » بالخروج عن أفعالنا بشهود أفعالك « واليك أنبنا » بمحو صفاتنا بمطالعة صفاتك « واليك المصير » بفناء ذواتنا ووجوداتنا في ذاتك وهو التوحيد التام « ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا » أي ، إنا لا نخافهم ولا نرى لهم تأثيراً ولا وجوداً ، ولكنا نعوذ بعفوك من عقابك حتى لا تعاقبنا بهم ، ولا تبلينا بأيديهم ، بسبب ما فرط منا من السيئات ، والظهور بالصفات « واغفر لنا » ذنوب تفريطاتنا بالعفو ، لا بالعقوبة « انك انت العزيز » القوي على إعقابنا بهم ، وعلى رفعهم عنا ، وقمعهم وقهرهم « الحكيم » لا يفعل احد الأمرين ولا يختاره ، إلا بمقتضى الحكمة . ثم كرر وجوب التأسي بإبراهيم وأصحابه ، وأثبته لمن كان في بداية التوحيد في مقام الرجاء ، وتوقع الكمال

« عَسَى ٱللَّهُ أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ عَادَيْتُمْ مِّنْهُمْ مَّوَدَّةً وَٱللَّهُ قَدِيرٌ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ. لَّا يَنْهَاكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِّنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ . إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِّنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوْهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ ٱلظَّالِمُونَ . يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَٱمْتَحِنُوهُنَّ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى ٱلْكُفَّارِ لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ وَآتُوهُمْ مَّا أَنْفَقُوا وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ ٱلْكَوَافِرِ وَسْئَلُوا مَا أَنْفَقْتُمْ وَلْيَسْئَلُوا مَا أَنْفَقُوا ذَٰلِكُمْ حُكْمُ ٱللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ . وَإِنْ فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِّنْ أَزْوَاجِكُمْ إِلَى ٱلْكُفَّارِ فَعَاقَبْتُمْ فَآتُوا ٱلَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَاجُهُمْ مِّثْلَ مَا أَنْفَقُوا وَٱتَّقُوا ٱللَّهَ ٱلَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ . يَا أَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ ٱلْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَى أَنْ لَّا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ شَيْئاً وَلَا يَسْرِقْنَ

وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُنَّ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ. يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْماً غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُوا مِنَ ٱلْآخِرَةِ كَمَا يَئِسَ ٱلْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ ٱلْقُبُورِ ».

« عسى الله ان يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم مودّة » برفع موجب العداوة الذي هو الكفر ، إذ الاحتجاب ليس أمراً فطرياً بل الإيمان بمقتضى الفطرة الاصلية والتحاب ، وإنما حدث الكفر عند الاحتجاب بالنشأة والانغمار في الغواشي الطبيعية .

« والله » قادر على رفعها ، وإذا ارتفعت ظهرت المودّة الحقيقية بنور الوحدة الذاتية ، ومقتضى الاخوة الإيمانية « والله غفور » يستر تلك الهيئات المظلمة الحاجبة بنور صفاته « رحيم » يرحم اهل النقصان ، فيجبره بإفاضة كمالاته « ان الله يحب المقسطين » لأن العدالة ، هي ظل المحبة ، والمحبة ظل الوحدة . فما ظهرت العدالة في مظهر إلا وقد تعلقت محبة الله به اولاً ، إذ لا ظل بغير الذات . والله تعالى أعلم .

سورة الصف

بسم الله الرحمن الرحيم

« سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ . يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ . كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ »

« يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون » من لوازم الإيمان الحقيقي الصدق وثبات العزيمة ، إذ خلوص الفطرة عن شوائب النشأة يقتضيها ، وقوله : « لم تقولون ما لا تفعلون » يحتمل الكذب وخلف الوعد ، فمن ادعى الايمان وجب عليه الاجتناب عنهما بحكم الايمان وإلا فلا حقيقة لايمانه . ولهذا قال : « كبر مقتاً عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون » لأن الكذب ينافي المروءة التي هي من مبادىء الإيمان فضلاً عن كماله ، إذ الإيمان الاصلي هو الرجوع الى الفطرة الاولى ، والدين القيم . وهي تستلزم اجناس الفضائل بجميع انواعها التي اقل درجاتها العفة المقتضية للمروءة ، والكاذب لا مروءة له فلا ايمان له حقيقة

وإنما قلنا لا مروءة له ، لأن النطق هو الاخبار المقيد للغير المعنى المدلول عليه باللفظ . والانسان خاصته التي تميزه عن غيره هي النطق. فإذا لم يطابق الاخبار لم تحصل فائدة النطق ، فخرج صاحبه عن الانسانية وقد أفاد ما لم يطابق من اعتقاد وقوع غـــير الواقع ، فدخل في حد الشيطنة . فاستحق المقت الكبير عند الله بإضاعة استمداده ، واكتساب ما ينافيه من اضداده .

وكذا الخُلف لأنه قريب من الكذب ، ولأن صدق العزم وثباتـــه من لوازم الشجاعـــة التي هي إحدى الفضائل اللازمة لسلامة الفطرة ، وأول درجاتها . فإذا انتفت انتفى الايمان الاصلى بانتفـاء ملزومه ، فثبت المقت من الله .

« إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَّرْصُوصٌ . وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِي وَقَدْ تَعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلْفَاسِقِينَ . وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ مُّصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوْرَاةِ وَمُبَشِّراً بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي ٱسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِٱلْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ . وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَىٰ إِلَى ٱلْإِسْلَامِ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلظَّالِمِينَ .

يُرِيدُونَ لِيُطْفِؤُا نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ
كَرِهَ ٱلْكَافِرُونَ . هُوَ ٱلَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِٱلْهُدَى وَدِينِ
ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ » .

« إن الله يحبّ الذين يقاتلون في سبيله صفاً » لأن بذل النفس في سبيل الله لا يكون إلا عند خلوص النفس في محبة الله ، إذ المرء إنما يحب كل ما يحب من دون الله لنفسه ، فأصل الشرك ومحبة الأنداد محبة النفس ، فإذا سمح بالنفس كان غير محب لنفسه ، وإذا لم يحب نفسه فبالضرورة لم يحب شيئاً من الدنيا ، واذ كان بذله للنفس في الله وفي سبيله لا للنفس ، كما قال : « ترك الدنيا للدنيا » كانت محبة الله في قلبه راجحة على محبة كل شيء ، فكان من الذين قال فيهم : « والذين آمنوا أشدّ حباً لله » واذا كانوا كذلك ، يلزم محبة الله إياهم ، لقوله : « يحبهم ويحبونه » .

وبالحقيقة لا تكون محبة الله إلا منه « فلما زاغوا » عن مقتضى علمهم لفرط الهوى ، وحب الدنيا « أزاغ الله قلوبهم » عن طريق الهدي ، وحجبهم عن نور الكمال ، لإقبالهم على الجهة السفلية ، وميلهم عن مقتضى الفطرة الأصلية « والله لا يهدي القوم الفاسقين » الخارجين عن مقتضى الفطرة التي هي الدين القيّم الى نور الكمال ، لزوال الاستعداد ، وعدم القابل .

« ومن أظلم ممن افترى على الله الكذب » اذ رضع نوره في الظلمة ، وصرف بضاعة البقاء ، أي الاستعداد الفطري في متاع الفناء ، مع وجود الداعي الخارجي الذي هو النبيّ ، الى الاسلام الذي هو مقتضى ذلك ، النور الاصلي

« والله لا يهدي » الموصوفين بهذه الصفة الى النور الكمالي ، أي نور ذاته وسبحات وجهه ، لما ذكر في الفاسقين .

« يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ . تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ . يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ . وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ » .

« يا أيها الذين آمنوا » الايمان التقليدي ، لأن التجارة المنجية من العذاب الأليم التي دعاهم اليها ، إنما تكون للمحتجبين عن نور الله ، بصفات النفوس وهيئاتها « تؤمنون بالله ورسوله » تحقيقاً ، ويقيناً استدلالياً « و » بعد صحة الإستدلال ، وقوة اليقين « تجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم » لأن بذل المال والنفس في سبيل الله لا يكون إلا عن يقين « ذلكم خير لكم »لأنهما ستصيران الى الفناء ، فإذا بعتموهما بالباقيات من اللذات المستعلية عليهما كان خيراً لكم « إن كنتم تعلمون » علماً يقينياً .

« يغفر لكم » ذنوب سيئات أعمالكم، وهيئات نفوسكم المظلمة « ويدخلكم جنات » من جنــــات النفوس ، لأنهم كانوا تاجرين بإذلين الأنفس والأموال

للأعواض ، عاملين بقوله : « انّ الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة » . « تجري من تحتها » أنهار علوم التوكل ، وتوحيد الافعال، وعلوم الشرائع ، والأخلاق « ومساكن طيبة » كمقام التوكل ، وسائل منازل النفوس ، ومقاماتها « ذلك الفوز العظيم » بالنسبة الى من له هذه المقامات ، في تلك الجنات ، لا العظيم المطلق .

« وأخرى تحبونها » وتجارة أخرى أربح منها وأجلّ ، محبوبة اليكم ، هي « نصر من الله » بالتأييد الملكوتي ، والكشف النوري « وفتح قريب » بالوصول الى مقام القلب ومطالعة تجليات الصفات ، وحصول مقام الرضا . وإنما قال: « تحبونها » لأن المحبة الحقيقية لا تكون إلا بعد الوصول الى مقام القلب ، وإنما سماها تجارة لاستبدالهم صفات الله تعالى مكان صفاتهم .

« يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ ٱللّٰهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى ٱللّٰهِ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ ٱللّٰهِ فَآمَنَتْ طَائِفَةٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرَتْ طَائِفَةٌ فَأَيَّدْنَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا عَلَى عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ » .

الحواريون هم الذين خلصوا عن ظلمة النفوس ، وسواد الهيئات الطبيعية بالوصول الى مقام القلب، وتنوّروا بنور الفطرة الاصلية ، فابيضت وجوههم الحقيقية بالتصفية « من أنصاري الى الله » أي ، من معي متوجهاً الى نصرة الله بالسلوك في صفاته« قال الحواريّون »الصافون « نحن أنصار الله » ننصره،

باظهار كالات صفاته في مظاهرنا ، فسلكوا في صفاته ، وأظهروا أنوارهـا ، حتى بلغوا الكمال القلبي ، والتكميل بالتأثير .

« فآمنت طائفة » بهم ، وبتأثير صحبتهم ، لقبول استعداداتهم « وكفرت طائفـــة » لاحتجابهم بصفاتهم « فأيدنا الذين آمنوا على عدوهم » بالتأييد النوري « فأصبحوا ظاهرين » غالبين عليهم بالحجج النيرة ، والبراهين الواضحة. والله تعالى أعلم .

سورة الجمعة

بسم الله الرحمن الرحيم

« يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمٰوَاتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ٱلْمَلِكِ ٱلْقُدُّوسِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ . هُوَ ٱلَّذِي بَعَثَ فِي ٱلْأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَابَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ . وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ . ذٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ . مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُوا ٱلتَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَاراً بِئْسَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلظَّالِمِينَ . قُلْ يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ هَادُوا إِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُا ٱلْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ . وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَداً بِمَا قَدَّمَتْ

أَيْدِيهِمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ بِٱلظَّالِمِينَ . قُلْ إِنَّ ٱلْمَوْتَ ٱلَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ . يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَوٰةِ مِنْ يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ ٱللَّهِ وَذَرُوا ٱلْبَيْعَ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ » .

« إذا نودي للصلوة من يوم الجمعة » كل وضع لا تطلع العقول البشرية على سببه ، فهو من طور وراء العقل المشوب بالوهم ، لامتناع وقوع التخصيص من غير مخصص ، كوضع حروف التهجّي ، وأيام الاسابيع . بل وضع اللغات كلها ، فإن في كل بقعة من بقاع الارض لغة لا شك في أن أول التكلم بها أمر توقيفي اقتضاه استعداد خاص باجتماع أمور سفلية وعلوية ، لا يمكننا ضبطها

ولو قلنا بالإصطلاح ، لكان لا يخلو أيضاً من سبب يوجب الاصطلاح على ذلك الوضع المخصوص . فأيام الاسبوع ، وضعت بإزاء الأيام الإلهية ، التي هي مدة الدنيا ، وقد اشتهر فيما بين الناس ، في جميع الأعصار ، أن مدة الدنيا سبعة آلاف سنة ، على عدد الكواكب السبعة . فكل ألف سنة ، يوم من أيام الله ، لقوله : « وانّ يوماً عند ربك كألف سنة مما تعدّون » .

وتقيّد مدة الدنيا بالسبعة ، هو أن جميع مدة دور الخفاء المطلق ستة آلاف سنة ، ويبتدىء الظهور في السابع ، مع ظهور محمد عليه السلام ، كما قال : « بعثت أنا والساعة كهاتين » وجمع بين السبابة والوسطى . ويزداد

الى تمام سبعة آلاف سنة ، من لدن آدم عليه السلام ، أول الأنبياء الى زمان المهدي عليه السلام .

وينقضي الخفاء بالظهور التامّ لقيام الساعة ، ووقوع القيامة الكبرى . وعند ذلك ، يظهر فناء الخلق ، والبعث ، والنشور ، والحساب . ويتميّز أهل النار ، وأهل الجنة ، ويرى عرش الله بارزاً ، كما حكي حارثة رضي الله عنه ، عن شهوده ، وهي في الآخرة . فالستة منها : هي التي خلق فيها السموات والارض ، لأن الخلق حجاب الحق ، فمعنى خلق : اختفى بهما فأظهرهما ، وبطن .

واليوم السابع ، هو يوم الجمع وزمان الإستواء على العرش ، بالظهور في جميع الصفات. وابتداء يوم القيامة، الذي طلع فجره ببعثة نبيّنا محمد ﷺ ، وعلى آله . فالمحمديون أهل الجمعة ، ومحمد صاحبها ، وخاتم النبيين . وإنما سمّي يوم الجمع ، لأنه وقت الظهور في صورة الاسم الأعظم لجميع الصفات ، ووقت استوائه في الظهور بجميعها ، بحيث لا يختلف بالظهور والخفاء . ولهذا السر ندبت الصلاة يوم الجمعة وقت الإستواء ، وكرهت في سائر الايام .

ويسمّى هذا الظهور عين الجمع ، لاجتماع الكل فيه . ولهذا المعنى سميت الجمعة جمعة ، واتفق أهل الملل كلها من اليهود وغيرهم ، أن الله فرغ من خلق السموات والارض في اليوم السابع ، إلا أن اليهود ، قالوا : (أنه السبت وابتداء الخلق من الأحد) وعلى ما أوّلنا يكون هو يوم الجمعة . وكون الاحد ابتداء الخلق ، مؤوّل بأن أحدية الذات منشأ الكثرة ، وإن جعلنا الاحد أوّل الايام ووقت ابتداء الخلق ، كان دور النبوة دور الخفاء .

وفي السادس ابتداء الظهور ، وازداد في الخواص حتى ينتهي الى تمام

الظهور ، وارتفاع الخفاء في آخره عند خروج المهدي ، ويعم الظهور في السابع الذي هو السبت .

ولما كان هذا اليوم ، أي يوم الجمعة موضوعاً بإزاء هذا المعنى ، ندب الناس فيه الى الفراغ من الأشغال الدنيوية التي هي حجب كلها ، والحضور ، والاجتماع في الصلاة ؛ وأوجب السعي الى ذكر الله فيه ، وترك البيع ، لكي تتظاهر النفوس بهيئة الاجتماع في صلاة الحضور ، المعد للوصول الى حضرة الجمع ، عسى أن يتذكر أحدهم بالفراغ عن الأشغال الدنيوية التجرد عن الحجب الخلقية ، وبالسعي الى ذكر الله السلوك في طريقه ، والصلاة مع الاجتماع الوصول الى حضرة الجمع، فيفلح. « ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون » سر ذلك ، وحقيقته .

« فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُوا فِي ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُوا مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَٱذْكُرُوا ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ . وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا ٱنفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا قُلْ مَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ ٱللَّهْوِ وَمِنَ ٱلتِّجَارَةِ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلرَّازِقِينَ » .

« فإذا قضيت الصلوة فانتشروا » الأمر بالانتشار « في الارض » وابتغاء الفضل بعد انقضاء الصلاة ، إشارة الى الرجوع الى التفصيل بعد الفناء في الجمع بالصلاة الحقيقية . فإن الوقوف مع الجمع حجاب الحق عن الخلق ، وبالذات عن الصفات ، فالإنتشار هو التقلب في الصفات حال البقاء بعد الفناء

بالوجود الحقاني، والسير بالله في الخلق، وابتغاء فضل الله، هو طلب حظوظ تجليات الأسماء والصفات، والرجوع الى مقام ارض النفس، وتوفية حظوظها بالحق.

« واذكروا الله كثيراً » أي، احضروا الوحدة الجمعية الذاتية في صورة الكثرة الصفاتية، بحيث لم تحتجبوا بالكثرة عن الوحدة فتضلوا بعد الهداية ولازموا طريق الاستقامة في توفية حقوق الحق والخلق معاً، ومراعاة الجمع والتفصيل جميعاً « لعلكم تفلحون » بالفلاح الأعظم الذي هو حكمة وضع الجمعية.

« وإذا رأوا تجارة او لهواً » الى آخره. أي، أين هم وهذا المعنى؟ وأنى لهم هذه المعاملة؟ لقد بعدوا فذهلوا، واحتجبوا فلهوا ؟! « قل ما عند الله خير » أي، ان لم تربأ فطرتكم بهمتكم الى هذا المعنى، فاعملوا للأعواض الباقية عند الله، فإنها خير من الأمور الفانية التي عندكم، وفوّضوا أمر الرزق اليه بالتوكل، فإن الله « هو خير الرازقين ». والله تعالى أعلم.

سورة المنافقون

بسم الله الرحمن الرحيم

« إِذَا جَاءَكَ ٱلْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ . ٱتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ ٱللَّهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ » .

« المنافقون » هم المتذبذبون الذين يجذبهم الاستعداد الأصلي الى نور الإيمان والاستعداد العارضي الذي حدث برسوخ الهيئات الطبيعية ، والعادات الرديئة الى الكفر .

وإنما هم كاذبون في شهادة الرسالة . لأن الحقيقة معنى الرسالة لا يعلمها إلا الله ، والراسخون في العلم الذين يعرفون الله ، ويعرفون بمعرفته رسول الله ، فإن معرفة الرسول لا تمكن إلا بعد معرفة الله ، وبقدر العلم بالله يعرف الرسول . فلا يعلمه حقيقة إلا من انسلخ عن علمه وصار عالماً بعلم الله ، وهم محجوبون عن الله بحجب ذواتهم وصفاتهم ، وقد اطفأوا نور استعداداتهم

بالغواشي البدنية ، والهيئات الظلمانية، فأنى يعرفون رسول الله حق يشهدوا برسالته .

« ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ . وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُسَنَّدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ . وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ . سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ . هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنْفِقُوا عَلَىٰ مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّىٰ يَنْفَضُّوا وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ . يَقُولُونَ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ » .

« ذلك » بسبب « أنهم آمنوا » بالله بحسب بقية نور الفطرة، والاستعداد « ثم كفروا » أي ، ستروا ذلك النور بحجب الرذائل ، وصفات نفوسهم

« فطبع على قلوبهم » برسوخ تلك الهيئات ، وحصول الرين من المكسوبات ، فحجبوا عن ربهم بالكلية « فهم لا يفقهون » معنى الرسالة ، ولا علم التوحيد والدين .

« وإذا رأيتهم تعجبك أجسامهم » لأن التناسب في أشكالهم ، وحسن مناظرهم ، ورواءهم ، وكمال صباحتهم ، ووسامتهم ، دلّ على استعدادهم من جهة الفراسة ، ونمّ بنور فطرهم . ولهذا سمع رسول الله ﷺ ، لقولهم واستمع الى كلامهم ، فـــإن الصباحة وحسن المنظر لا يكون إلا من صفاء الفطرة في الأصل .

ولمـــا رأى غلبة الرين على قلوبهم ، وانطفاء نور استعدادهم ، وأبطال الهيئات البدنية العارضية خواصهم الأصلية ، أيس منهم وتعجب من حالهم ، بقوله : « أنى يؤفكون » أي ، يصرفون عن النور الى الظلمة ، وعن الحق الى الباطل .

وروي عن بعض الحكماء : انه رأى غلاماً حسناً وجهه، فاستنطقه اظنه ذكاءه وفطنته ، فما وجد عنده معنى ، فقال : (مـــا أحسن هذا البيت لو كان فيه ساكن) وهذا معنى قوله : « كأنهم خشب مسنّدة » أي ، اجرام خالية عن الارواح لا نفع فيها ولا ثمر ، كالأخشاب المسنّدة الى الجدران عند الجفاف، وزوال الروح النامية عنها، فهم في زوال استعداد الحياة الحقيقية ، والروح الانساني بمثابتها « يحسبون كل صيحة عليهم هم العدو » لأن الشجاعة إنما تكون من اليقين ، واليقين من نور الفطرة ، وصفاء القلب . وهم منغمسون في ظلمات صفات النفوس ، محتجبون باللذات والشهوات ، اهـــل الشك والإرتياب ، فلذلك ، غلبهم الجبن والخور ، فأحذرهم فقد بطل استعدادهم فلا يهتدون بنورك ، ولا تؤثر فيهم صحبتك .

« لوّوا رؤسهم » لضراوتهم بالأمور الظلمانية ، واعتيادهم بالكمالات البهيمية ، والسبُعية ، فلا يألفون النور ، ولا يشتاقون اليه ، ولا الى الكمالات الانسانية ، لمسخ الصورة الذاتية « ورأيتهم يصدّون » يعرضون لانجذابهم الى الجهة السفلية والزخارف الدنيوية ، فلا ميل في طباعهم الى الجهة العلوية ، والمعاني الأخروية « وهم مستكبرون » لغلبة الشيطنة ، واستيلاء القوة الوهمية ، واحتجابهم بالأنانية ، وقصور الخيرية « لن يغفر الله لهم » لرسوخ الهيئات الظلمانية فيهم ، وزوال قبول استعداداتهم للهداية لفسقهم ، وخروجهم عن دين الفطرة القيم .

« يقولون لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا » لاحتجابهم بأفعالهم عن رؤية فعل الله ، وبما في أيديهم عما في خزائن الله ، فيتوهمون الانفاق منهم لجهلهم ، وكذا توهموا العزة والقدرة لأنفسهم ، لاحتجابهم بصفاتهم عن صفات الله ، فقالوا : « ليخرجنّ الاعزّ منها الأذلّ » ولم يشعروا ان العزّة ، والقوّة ، والقدرة ، كلها أنوار ذات الله تعالى ، وصفاته اللازمة لذاته ، فبقدر القرب منه ، والفناء فيه ، والمحو في صفاته ، تظهر على المظاهر الانسانية . ولا أقرب اليه من رسول الله ﷺ ، ثم المؤمنين المحققين الموقنين . فلا أعزّ منه عليه السلام ، من جميع الخلق ، ثم الذين يلونه من المؤمنين « ولكن المنافقين لا يعلمون » لمكان احتجابهم وشدة ارتيابهم ، ولقد قيض من نفس من تكلم بهذا الكلام من اخرجه وحبسه ، ولم يدعه يدخل المدينة حتى أقرّ بأنّ العزة لله ، ولرسوله ، وللمؤمنين .

روي ان القائل لذلك ، هو عبد الله بن أبي . فلما رجعوا الى المدينة سل ابنه السيف ومنع أباه من الدخول ، فلم يزل حبيساً في يده ، حتى أذن له رسول الله ﷺ ، وشهد هو بعزة الله ورسوله والمؤمنين

« يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ ٱللهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذٰلِكَ فَأُولٰئِكَ هُمُ ٱلْخَاسِرُونَ . وَأَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ إِنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ فَيَقُولُ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ ٱلصَّالِحِينَ . وَلَنْ يُؤَخِّرَ ٱللهُ نَفْساً إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَٱللهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ » .

« لا تلهكم أموالكم ولا اولادكم عن ذكر الله » ان صدقتم في الإيمان ، فإن قضية الإيمان غلبة حب الله على محبة كل شيء ، فلا تكن محبتهم ومحبة الدنيا من شدة التعلق بهم ، وبالأموال غالبة في قلوبكم على محبة الله ، فتحتجبوا بهم عنه ، فتصيروا الى النار ، فتخسروا نور الاستعداد الفطري ، بإضاعته فيما يفنى سريعاً ، وتجرّدوا الاموال بأنفاقها وقت الصحة ، والاحتياج اليها ليكون فضيلة في انفسكم وهيئة نورية لها .

فإن الإنفاق إنما ينفع إذا كان عن ملكة السخاء ، وهيئة التجرّد في النفس . فأما عند حضور الموت ، فالمال للوارث لا له ، فلا ينفعه انفاقه ، وليس له إلا التحسّر ، والتندّم ، وتمني التأخير في الأجل بالجهل ، فإنه لو كان صادقاً في دعوى الإيمان ، وموقنا بالآخرة لتيقن ان الموت ضروري . وأنه مقدّر في وقت معين قدّره الله فيه بحكمته ، فلا يمكن تأخره . « والله خبير » بأعمالكم ونياتكم ، فلا ينفع الانفاق في ذلك الوقت ، ولا تمني التأخير في الأجل ووعد التصدق والصلاح ، لعلمه بأنه ليس عن ملكة السخاء

ولا عن التجرّد ، والزكاء ، بـل من غاية البخل وحب المال . كأنه يحسب انه يذهب به معه ، وبأن ذلك التمني والوعد محض الكذب ومحبة العاجلة ، لوجود الهيئة المنافيـة للتصدّق ، والصلاح في النفس ، والميل الى الدنيا ، كما قال الله تعالى : « ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وأنهم لكاذبون ». والله أعلم .

سورة التغابن

بسم الله الرحمن الرحيم

«يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمٰوَاتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ لَهُ ٱلْمُلْكُ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ. هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُمْ مُؤْمِنٌ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ. خَلَقَ ٱلسَّمٰوَاتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ. يَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمٰوَاتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ. أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَبْلُ فَذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ. ذٰلِكَ بِأَنَّهُ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَاتِ فَقَالُوا أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا فَكَفَرُوا وَتَوَلَّوا وَّٱسْتَغْنَى ٱللَّهُ وَٱللَّهُ غَنِيٌّ حَمِيدٌ. زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا أَن لَّن يُبْعَثُوا قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذٰلِكَ

عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ. فَآمِنُوا بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ وَٱلنُّورِ ٱلَّذِي أَنزَلْنَا وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ».

« فقالوا أبشر يهدوننا » لما حجبوا بصفات نفوسهم عن النور الذي هو به يفضل عليهم بما لا يقاس ، ولم يجدوا منه إلا البشرية انكروا هدايته ، فإن كل عارف لا يعرف معروفه إلا بالمعنى الذي فيه ، فلا يوجد النور الكمالي إلا بالنور الفطري ، ولا يعرف الكمال إلا الكامل .

ولهذا قيل: (لا يعرف الله غير الله) وكل طالب وجد مطلوبه بوجه ما ، دالاً لما أمكن به التوجه نحوه ، وكذا كل مصدّق بشيء فانه واجد للمعنى المصدق به ، بما في نفسه من ذلك المعنى .

فلمّا لم يكن فيهم شيء من النور الفطري أصلاً لم يعرفوا منه الكمال فأنكروه ، ولم يعرفوا من الحق شيئاً ، فيحدث فيهم طلب ، فيحتاجوا الى الهداية ، فأنكروا الهداية « فكفروا » مطلقاً ، أي حجبوا عن الحق ، والدين ، والرسول ، وأعرضوا بالتوجه الى ما وجدوا من المحسوسات عن المعقول « و » قد « استغنى الله » بكماله ، لأنه واجد كماله مشاهد لذاته ، عرفوا أو لم يعرفوا « والله غنيّ » بذاته عن إيمانهم ، لا يتوقف كمال من كمالاته عليهم ، ولا على معرفتهم له « حميد » كامل في نفسه بكمالاته الظاهرة في مظاهر ذرات الوجود ، خصوصاً على أوليائه ، وإن لم يظهر عليهم . أي إن لم يبصروه ، وإن لم يحمدوه بتلك الكمالات لاحتجابهم عنها ، فهو حميد من كل موجود بكماله المخصوص به .

« يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ ٱلْجَمْعِ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلتَّغَابُنِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِٱللهِ وَيَعْمَلْ صَالِحاً يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ. وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ ٱلنَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ. مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلاَّ بِإِذْنِ ٱللهِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِٱللهِ يَهْدِ قَلْبَهُ وَٱللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ. وَأَطِيعُوا ٱللهَ وَأَطِيعُوا ٱلرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا ٱلْبَلَاغُ ٱلْمُبِينُ. ٱللهُ لَا إِلَٰهَ إِلاَّ هُوَ وَعَلَى ٱللهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ».

« ذلك يوم التغابن » أي ، ليس التغابن في الأمور الدنيوية ، فإنها أمور فانية سريعة الزوال ، ضرورية الفناء ، لا يبقى شيء منها لأحد . فإن فات شيء من ذلك ، أو أفاته أحد ، ولو كان حياته ، فإنما فات ، أو أفيت ما لزم فواته ضرورة فلا غبن ، ولا حيف حقيقة . وإنما الغبن ، والتغابن في إفاتة شيء لو لم يفته لبقي دائماً ، وانتفع به صاحبه سرمداً ، وهو النور الكمالي ، والاستعدادي ، فتظهر الحسرة . والتغابن هناك في إضاعة الربح ، ورأس المال في تجارة الفوز والنجاة، كما قال: « فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين » .

فمن أضاع استعداده ونور فطرته كان مغبوناً مطلقاً ، كمن أخذ نوره

وبقي في الظلمة ، ومن بقي نور فطرته ، ولم يكتسب الكمال اللائق بـه الذي يقتضيه استعداده ، او اكتسب منه شيئـاً ، ولم يبلغ غايته ، كان مغبوناً بالنسبة الى الكامل التام . فكأنما ظفر ذلك الكامل بمقامه ومرامه ، وبقي هذا متحيراً في نقصانه .

« ومن يؤمن بالله » بحسب نور استعداده « ويعمل صالحاً »بمقتضى إيمانه، فإن العمل إنما يكون بقدر النظر « يكفّر عنه سيئاته » التي اتقى الله فيها بعمله ، « ويدخله جنات » على حسب درجات أعماله .

فإن آمن تقليداً واجتنب المعاصي ، وعمل بالطاعات ، يكفر عنه سيئات ذنوبه ، ويدخله جنات النفس ، على حسب درجات عمله ، وتقواه .

وإن آمن تحقيقـــاً ، واجتنب صفاته ، وعمل بالسلوك في صفات الله ومرضاته ، يكفر عنه سيئات صفات نفسه ، ويدخله جنـات القلب ، على قدر مراتبه في الأعمال ، والمقامات .

وإن آمن إيماناً عينياً وعمل بالمشاهدة، واتقى الله وجوده ، يدخله جنات الروح بتكفير سيئات وجود قلبه ، وصفاته .

وإن آمن ايماناً حقيقياً واتقى في آنيته ، ورؤية فنائه ، يكفر عنـه سيئات بقيّته وتلوينه بظهور أنائيته ، ويدخله جنات الذات .

« والذين كفروا » حجبوا في مقابلة المؤمنين ، ومراتبهم « أولئك أصحاب » نار الطبقة ، التي حجبوا بهـا ، معذبين « ما أصاب من مصيبة » من هذه المصائب الحاجبة، وغيرها « إلا بإذن الله » أي ، بتقديره ومشيئته، على مقتضى حكمته « ومن يؤمن بالله » أحد الايمانات المذكورة « يهدِ قلبه »

الى العمل بمقتضى ايمانه ، حتى يجد كمال مطلوبه الذي آمن بـه ، ويصل الى محلّ نظره «والله بكل شيء عليم » فيعلم مراتب ايمانكم، وسرائر قلوبكم، وأحوال أعمالكم وآفاتها ، وخلوصها من الآفات .

« وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول » على حسب معرفتكم بالله وبالرسول، فإن اكثر التخلف من الكمال ، والوقوع في الخسران والنقصان ، إنمـا يقع من التقصير في العمل ، وخور القدم ، لا من عدم النظر .

« يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَٱحْذَرُوهُمْ وَإِنْ تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ ٱللهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ . إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَٱللهُ عِنْـــدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ . فَٱتَّقُوا ٱللهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ وَٱسْمَعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنْفِقُوا خَيْرًا لِّأَنْفُسِكُمْ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ . إِنْ تُقْرِضُوا ٱللهَ قَرْضاً حَسَناً يُضَاعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَٱللهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ . عَالِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَادَةِ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ » .

« انّ من أزواجكم وأولادكم » أي، بعضهم لاحتجابكم بهم، ووقوفكم معهم بالمحبة ، وشدة العلاقة. فتشركونهم بالله في المحبة بالتساوي في المحبتين، وتعبدونهم من دون الله بإيثارهم عليه« فاحذروهم » أي، احفظوا انفسكم عن محبتهم، وشدة التعلق بهم ، والاحتجاب . وعاقبوهم عند التماسهم ذلك،

أي إيثار حقوقهم على حقوق الله في كل شيء ، من المحبة ، وغيرهـا « وان تعفوا » بالمدارات « وتصفحوا » عن جرائمهم بالحلم « وتغفروا » جناياتهم بالرحمة ، فلا ذنب ولا حرج إنما الذنب في الاحتجاب بهم ، وإفراط المحبة ، وشدة التعلق ، لا في مراعاة العدالة والفضيلة ، ومعاشرتهم بحسن الخلق ، فإنـــه مندوب ، بل اتصاف بصفات الله « فإنّ الله غفور رحيم » فعليكم التخلق بأخلاقه .

« إنما أموالكم وأولادكم فتنة » إبتلاء ، وامتحـــان من الله إياكم « والله عنده أجر عظيم » لمن صبر في مقام الابتلاء ، وراعى حق الله فيه ، وتدارك ما قصر مما يجب لهم عليه ، فأساء الخلق ، وخالف أمر الله بمـا أمسك من المال وجمع ، ومنع حق الله ، فارتكب رذيلة البخل والعصيان ، وما أفرط في محبتهم ومراعاتهم ، فأضاع حق الله واحتجب بهم ، وكذا في محبة المال فوضع في المقت والخسران ، ومـــا أسرف فيه وأنفقه في المعاصي ، فكفر بنعمة الله ، وقعد عن القيام بشكرها . وإن أصاب مالاً وولداً موافقـاً شكر ، وما بطر من شدة الفرح . وما استغنى فطغى ، وإن فاته شيء من ذلك ، صبر وما جزع من شدة الحزن ، فهلك وغوى .

« فاتقوا الله » في هذه المخالفات ، والآفات في موضع البليّات « مـا استطعتم » بحسب مقامكم ووسعكم ، عـلى قدر حالكم ومرتبتكم « واسمعوا وأطيعوا » أي ، افهموا هذه الأوامر واعملوا بها ، « وأنفقوا » أموالكم التي ابتلاكم الله بهـــا في مراضيه ، واتوا خيراً لكم ، أي اقصدوا في الاموال والاولاد ، ما هو خير لكم « ومن يوق » بعصمة الله هذه الرذيلة ، المعجونة في طينة النفس « فأولئك هم المفلحون » الفائزون بمقـــام القلب ، وثواب الفضيلة .

سورة الطلاق

بسم الله الرحمن الرحيم

« يا أيها النبي إذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن وأحصوا العدة واتقوا الله ربكم لا تخرجوهن من بيوتهن ولا يخرجن إلا أن يأتين بفاحشة مبينة وتلك حدود الله ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه لا تدري لعل الله يحدث بعد ذلك أمرا . فإذا بلغن أجلهن فأمسكوهن بمعروف أو فارقوهن بمعروف وأشهدوا ذوي عدل منكم وأقيموا الشهادة لله ذلكم يوعظ به من كان يؤمن بالله واليوم الآخر ومن يتق الله يجعل له مخرجا . ويرزقه من حيث لا يحتسب ومن يتوكل على الله فهو حسبه إن الله بالغ أمره قد جعل الله لكل شيء قدرا . واللائي يئسن من المحيض من نسائكم إن ارتبتم فعدتهن

ثَلٰثَةُ أَشْهُرٍ وَٱللَّٰٓـِٔي لَمْ يَحِضْنَ وَأُولَاتُ ٱلْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مِنْ أَمْرِهِۦ يُسْرًا » .

« ومن يتق الله » بحسب مقتضى مقامه ، واجتنب ذنب حاله « يجعل له مخرجاً » من ضيق المقام والمكاسب ، الى سعة روح الحال والمواهب ، فمن يتقيه في معاصيه يجعل له مخرجاً من مضايق الهيئات المظلمة ، وعقوبات نيران الطبيعة « ويرزقه » ثواب جنة النفس ، وأنوار الفضائل ، من عالم الغيب « من حيث لا يحتسب » لعدم وقوفه منها ، ومن يتقيه في أفعال نفسه يجعل له مخرجاً الى مقام التوكل ، ويرزقه تجليات الأفعال من حيث لا يحتسب ، ومن يتقيه في صفات نفسه يجعل له مخرجاً الى مقام الرضا ، ويرزقه روح اليقين ، وثمرات تجليات الصفات الإلهية في جنة القلب من حيث لا يحتسب ، لعدم شعوره بها .

ومن يتقيه في وجوده والتنزه عنه ، يجعل له مخرجاً من ضيق انائيته الى فسحة الوجود المطلق ، ويرزقه الوجود الموهوب من حيث لا يحتسب ، ولا يخطر بباله « ومن يتوكل على الله » بقطع النظر عن الوسائل ، والإنقطاع اليه من الوسايط « فهو حسبه » كافيه يوصل اليه ما قدّر له ، ويسوق اليه ما قسم لأجله من انصبة الدنيا والآخرة .

« إن الله بالغ امره » أي ، يبلغ ما أراد من امره ، لا مانع له ، ولا عائق . فمن تيقن ذلك ما خاف احداً ولا رجا ، وفوّض امره اليه ، ونجا « قد جعل الله لكل شيء قدراً » أي ، عين لكل امر حدّاً معيناً ووقتاً معيناً في الأزل ، لا يزيد بسعي ساع ، ولا ينقص بمنع مانع ، وتقصير مقصر . ولا يتأخر عن وقته ، ولا يتقدم عليه ، والمتيقن لهذا الشاهد له متوكل

بالحقيقة (ومن يتق الله) في مراعاات وقتـــه ، والاجتناب عن ذنب حاله « يجعل له » من امر سلوكه « يسراً » أي ، متى راعى آداب مقامـــه ، واجتلب ذنوب حاله في المواطن ، تيسر له الترقي منه الى اعلى .

« ذَٰلِكَ أَمْرُ ٱللَّهِ أَنزَلَهُ إِلَيْكُمْ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا . أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم مِّن وُجْدِكُمْ وَلَا تُضَارُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا عَلَيْهِنَّ وَإِن كُنَّ أُولَاتِ حَمْلٍ فَأَنفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّىٰ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَأْتَمِرُوا بَيْنَكُم بِمَعْرُوفٍ وَإِن تَعَاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُ أُخْرَىٰ . لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنفِقْ مِمَّا آتَاهُ ٱللَّهُ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا . وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ فَحَاسَبْنَاهَا حِسَاباً شَدِيداً وَعَذَّبْنَاهَا عَذَاباً نُّكْرًا . فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَاقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا . أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ عَذَاباً شَدِيدًا فَٱتَّقُوا ٱللَّهَ يَا أُولِي ٱلْأَلْبَابِ ٱلَّذِينَ آمَنُوا قَدْ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا . رَّسُولاً يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آيَاتِ ٱللَّهِ مُبَيِّنَاتٍ لِّيُخْرِجَ ٱلَّذِينَ

آمَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّالِحَاتِ مِنَ ٱلظُّلُمَاتِ إِلَى ٱلنُّورِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِٱللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحاً يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا قَدْ أَحْسَنَ ٱللَّهُ لَهُ رِزْقاً. ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمٰوَاتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ ٱللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْماً » .

« ذلك » اليسر المرتب على التقوى في كل مرتبة « امر الله » وشأنه المخصوص به ، وهو التوفيق على حسب الإستعداد ، والفيض بقدر القبول « أنزله اليكم » ثم كرر المبالغة تفصيل ما اجمل ، فقال : « ومن يتق الله يكفر عنه سيئاته » أي، موانعه ، وهيئات نفسه الحاجبة عن الفيض، المانعة للمزيد « ويعظم له أجراً » بإفاضة ما يناسب حاله ، بحسب القبول ، والإستعداد الجديد من الكمال .

« فاتقوا الله يا اولى الالباب » أي ، اعتبروا بحال الامم الماضين من المنكرين المعاندين ، وما نزل بهم من العذاب والوبال . فاتقوا الله في اوامره ونواهيه ، ان خلصت عقولكم من شوب الوهم ، فإن اللب هو العقل الخالص من شوائب الوهم ، وذلك بخلوص القلب من شوائب صفات النفس، والرجوع الى الفطرة. وإذا خلص العقل من الوهم ، والقلب من النفس ، كان الإيمان يقينياً .

فلذلك ، وصفهم بالذين آمنوا ، أي الإيمان التحقيقي « قد أنزل الله اليكم

ذكراً » أي، فرقاناً مشتملاً على ذكر الذات، والصفات، والأسماء والأفعال، والمعاد « رسولاً » أي ، روح القدس الذي أنزله بـــه ، فأبدل منه بدل الإشتمال ، لأن انزال الذكر هو انزاله بالإتصال بالروح النبوي ، وإلقاء المعاني في القلب .

« يتلوا عليكم آيات الله » أي، يجلي عليكم صفاته ، ويكشف لكم توحيدها « مبينات » متجليات ، او تجليـــات لأنوار الذات « ليخرج الذين آمنوا » الإيمـان اليقيني من ظلمات صفات القلب الى نور الروح ، ومقام المشاهدة . « ومن يؤمن بالله » الإيمـان العيني بالمشاهدة « ويعمل صالحاً » بالسير في الله بالله « يدخله جنات » من مشاهدات تجليات صفاتـــه ، ومطالعات أنوارها « تجري من تحتها » أنهار علوم توحيد الافعال ، والصفات ، والذات « قـد أحسن الله له رزقاً » من تلك العلوم .

« الله الذي خلق سبع سموات ومن الارض مثلهن » إن أخذنا السموات بمعناها الظاهر فالأراضي السبعة هي طبقات العناصر المشهورة ، فإنها قوابل بالنسبة الى المؤثرات ، فهي أرضها التي تنزل عليها منها الصور الكائنة ، وهي النار الصرفـة . والطبقة الممتزجة من النار والهواء ، المسماة كرة الأثير التي تتولد فيها الشهب ، وذوات الأذناب ، والذوائب وغيرها ، وطبقة الزمهرير، وطبقة النسيم، وطبقة الصعيد، والماء المشمولة للنسيم، الشاملة للطبقة الطينية، التي هي السادسة . وطبقة الارض الصرفـــة عند المركز ، وإن حملناها على مراتب الغيوب السبعة المذكورة من غيب القوي ، والنفس، والعقل، والسر، والروح ، والخفاء ، وغيب الغيوب . أي عـــين جمع الذات ، فالأرضون : هي الأعضاء السبعة المشهورة « يتنزل » امر الله بالإيجاد، والتكوين، وترتيب النظام ، والتكميل « بينهن » والله تعالى أعلم .

سورة التحريم

بسم الله الرحمن الرحيم

« يا أَيُّها ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ ٱللهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ وَٱللهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ . قَدْ فَرَضَ ٱللهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ وَٱللهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ . وَإِذْ أَسَرَّ ٱلنَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثاً فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ ٱللهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنْبَأَكَ هَـٰذَا قَالَ نَبَّأَنِيَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْخَبِيرُ . إِنْ تَتُوبَا إِلَى ٱللهِ فَقَـدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ ٱللهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمَلَٰئِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ . عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبْدِلَهُ أَزْوَاجاً خَيْرًا مِّنْكُنَّ مُسْلِمَاتٍ مُّؤْمِنَاتٍ قَانِتَاتٍ تَائِبَاتٍ عَابِدَاتٍ سَائِحَاتٍ ثَيِّبَاتٍ وَأَبْكَاراً . يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ

وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ . يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَعْتَذِرُوا ٱلْيَوْمَ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ».

« قوا أنفسكم وأهليكم ناراً » الأهل بالحقيقة ، هو الذي بينه وبين الرجل تعلق روحاني واتصال عشقي ، سواء أتصل بـه اتصالاً جسمانياً اولاً . وكل ما تعلق به تعلقاً عشقياً فبالضرورة يكون معه في الدنيا والآخرة ، فوجب عليه وقايته ، وحفظه من النار ، كوقاية نفسه . فإنه زكى نفسه عن الهيئات الظلمانية ، وفيه ميل ومحبة لبعض النفوس المنغمسة فيها ، لم يزكها بالحقيقة . لأنه بتلك المحبة تجذب اليها ، فيكون معها في الهاوية ، محجوباً بهـا ، سواء هي قواها الطبيعية الداخلة في تركيبه ، او نفوس انسانية منتكسة في عـالم الطبيعة خارجة عن ذاته . ولهذا يجب على الصادق محبة الاصفياء والأولياء ، ليحشر معهم . فإن المرء يحشر مع من أحبّ .

« ناراً وقودها الناس والحجارة » أي ، نار مخصوصة من بين النيران بأن لا تتقد إلا بالناس والحجارة ، لكونها ناراً روحانية من صفات قهر الله تعالى ، مستولية على النفوس المرتبطة بالأمور السفلية ، المقترنـــة بالاجرام الجاسية الارضية ، بسلسلة المحبة الروحانية .

فلما قرنت تلك النفوس أنفسها بها حباً وهوى ، حشرت معها في الهاوية « عليها » أي ، يلي امرها « ملائكة غلاظ » أعزاء جافية غلاظ الاجرام ، وهي القوى السماوية ، والملكوت الفعـــالة في الأمور الارضية ، التي هي روحانيات الكواكب السبعة ، والبروج الاثنا عشر المشار اليها بالزبانية التسعة

عشر ، غير مالك الذي هو الطبيعة الجسمانية الموكلة بالعالم السفلي ، وجميع القوى والملكوت المؤثرة في الأجسام ، التي لو تجرّدت هذه النفوس الانسانية ترقت من مراتبها ، واتصلت بعالم الجبروت ، وصارت مؤثرة في هذه القوى الملكوتية ، ولكنها لما انغمست في الأمور البدنية ، وقرنت أنفسها بالاجرام الهيولانية المعبر عنها بالحجارة ، صارت متأثرة منها ، محبوسة في اسرها ، معذبة بأيديها « شداد » أي ، أقوياء ، لا لين ولا رأفة ، ولا رحمة فيهم ، لأنهم مجبولون على القهر ، لا لذة لهم إلا فيه .

« لا يعصون الله ما أمرهم » لتسخرهم وانقيادهم لأمره ، وطاعتهم وإذعانهم له ، لأنهم وإن كانوا قهارين مؤثرين بالنسبة الى ما تحتهم من اجرام هذا العالم وقواها ، فإنهم مقهورون متأثرون بالنسبة الى الحضرة الإلهية . ولو لم يكن انقيادهم للأمر الإلهي طبعاً، لما كان لهم تأثير في هذا العالم « ويفعلون ما يؤمرون » لدوام تأثيرهم ، وعدم تناهي قواهم ، وقدهم « لا تعتذروا اليوم » إذ ليس بعد خراب البدن ورسوخ الهيئات إلا الجزاء على الاعمال ، لامتناع الاستكمال ثمة .

« يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى ٱللهِ تَوْبَةً نَصُوحاً عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُخْزِي ٱللهُ ٱلنَّبِيَّ وَٱلَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَٱغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَى كُلِّ

شَيْءٍ قَدِيرٌ . يَا أَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَاهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَافِقِينَ
وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ » .

« يا أيها الذين آمنوا توبوا الى الله » بالرجوع اليه في كل حال من احوالكم فـإن مراتب التوبة كمراتب التقوى ، فكما ان اول مراتب التقوى هو الإجتناب عن المنهيات الشرعية ، وآخرها الإتقـاء عن الانانية ، والبقية فكذلك ، التوبة اولهـا الرجوع عن المعاصي ، وآخرها الرجوع عن ذنب الوجود ، الذي هو من امهات الكبائر عند أهل التحقيق « توبـة نصوحا » أي ، توبة ترقع الخروق ، وترتق الفتوق ، وتصلح الفاسد ، وتسد الخلل . فإن خلل كل مقام وفساده ونقصانه ، لا ينسدّ ، ولا ينصلح ، ولا ينجبر إلا عند التوبة عنه بالترقي الى مـا هو فوقه . فإذا تاب عنه بالترقي ، وبرز عن حجاب رؤية ذلك المقام ، انجبر نقصه ، وتمّ وهو من النصح بمعنى الخياطة ، او توبـة خالصة عن شوب الميل الى المقام الذي تاب عنه ، والنظر اليه بعدم الإلتفات ، وقطع النظر عنه من النصوح ، بمعنى الخلوص .

« عسى ربكم أن يكفـر عنكم سيئاتكم » من ذنوب المقـام الذي تبتم اليه عنه وحجبه وآفاته ، والنظر اليه . او الإعتداد به ، والميل اليه ورؤيته ، او التلوين الذي يحدث بعد الترقي عنه ، كالتلوين بظهور النفس في مقام القلب وبظهور القلب في مقام الروح ، وبظهور الانانية في مقام الوحدة « ويدخلكم جنات » مترتبة على مراتب التوبة .

« يوم لا يخزي الله النبي والذين آمنوا معـه » بظهور الحجاب في مقام القرب « نورهم يسعى بين أيديهم » أي ، الذي لهم بحسب النظر ، والكمال

العلمي « وبإيمانهم » أي ، الذي لهم بحسب العمل وكماله ، إذ النور العلمي من منبع الوحدة، والعملي من جانب القلب الذي هو يمين النفس، او نور السابقين منهم ، يسعى بين أيديهم ، ونور الأبرار منهم يسعى بإيمانهم .

« يقولون ربنا أتمم لنا نورنا » أي يعوذون بـه ، ويلوذون الى جنابه ، من ظهور البقية . فإنها ظلمة في شهودهم ، فيطلبون إدامة النور بالفناء المحض او أدم علينا هذا الكمال بوجودك ، ودوام إشراق سبحات وجهك ، يقولون ذلـــك ، عن فرط الاشتياق مع الشهود ، كقوله : (ويبكي ان دنوا خوف الفراق) او يقول بعضهم ،وهم الذين لم يصلوا الى الشهود الذاتي: «واغفر لنا» ظهور البقايا بعد الفناء ، او وجود الاثبات قبله .

« جاهـــد الكفار والمنافقين » للمضادة الحقيقية بينك وبينهم « واغلظ عليهم » لقوّتك بالله منبع القوى والقـــدر ، ومعدن القهر والعزة ، عسى ان تنكسر صلابتهم ، وتلين شكيمتهم ، وعريكتهم ، فتنقهر نفوسهم ، وتذلّ وتخضع، فتنفعل عن النور القهري ، وتهتدي فتكون صورة القهر عين اللطف « ومأواهم جهنم وبئس المصير » ما دام هم هم ، أي ما داموا على صفتهم ، او دائماً ابداً لزوال استعدادهم ، او عدمه .

« ضَرَبَ ٱللهُ مَثَلاً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ ٱللهِ شَيْئاً وَقِيلَ ٱدْخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّاخِلِينَ . وَضَرَبَ ٱللهُ مَثَلاً لِّلَّذِينَ آمَنُوا

ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ٱبْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتاً فِي ٱلْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّالِمِينَ. وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَانَ ٱلَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَانِتِينَ ».

ثم بين ان الوصل الطبيعية ، والإتصالات الصورية، غير معتبرة في الأمور الاخروية . بل المحبة الحقيقية ، والإتصالات الروحانية ، هي المؤثرة فحسب والصورية التي بحسب اللحمة الطبيعية ، والخلطة والمعاشرة ، لا يبقى لها أثر فيما بعد الموت ، ولا تكون إلا في الدنيا بالتمثيلين المذكورين .

وإن المعتبر في استحقاق الكرامة عند الله هو العمل الصالح ، والاعتقاد الحق ، كإحصان مريم ، وتصديقها بكلمات ربهــا ، وطاعتها المعدّة إياها لقبول نفخ روح الله فيها ، وقــد يلوح بينهما ان النفس الخائنة التي لا تفي بطاعــة الروح والقلب ، ولا بحسن معاشرتها ، ولا تطيعهما بامتثال اوامرهما ونواهيهما ، ولا تحفظ اسرارهما ، وتبيح مخالفتهما ، وتسير بسير الإباحــة ، باستراق كلمــة التوحيد ، والطغيان بانتحال الكمال داخله في نار الحرمان ، وجحيم الهجران مــع المحجوبين ، ولا تغني هداية الروح او القلب عنها شيئاً من الاغناء في باب العذاب ، وان أغنت عنها في باب الخلود .

وإن القلب المقهور تحت استيلاء النفس الأمّارة الفرعونية الطالب للخلاص بالإلتجاء الى الحق ، الذي قويت قوة محبــة الله لصفائه ، وضعفت

قوة قهره للنفس والشيطان لعجزه ، وضعفه ، لا يبقى في العـذاب مخلّداً ، ويخلص الى النجاة ، ويبقى في النعيم سرمداً . وأن تعذب بمجاورتها حيناً ، وتألم بأفعالها برهة .

وإن النفس المتزينة بفضيلة العفة المشار اليها بأحصان الفرج هي القابـلة لفيض روح القدس ، الحامـلة بعيسى القلب ، المتنوّرة بنور الروح ، المصدقة بكلمات الرب ، من العقائـد الحكمية ، والشرائع الإلهية المطيعة لله ، مطلقاً علماً ، وعملاً سراً وجهراً . المنخرطة في سلك التوحيد جمعاً وتفصيلاً ، باطناً وظاهراً . والله تعالى أعلم .

سورة الملك

بسم الله الرحمن الرحيم

« تَبَارَكَ ٱلَّذِي بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ . ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ » .

« تبارك الذي بيده الملك » الملك عـالم الأجسام ، كما أن الملكوت عالم النفوس ، ولذلك ، وصف ذاته باعتبار تصريفه عـالم الملك بحسب مشيئته بالتبارك الذي هو غـاية العظمة ، ونهاية الإزدياد في العلو والبركة ، وباعتبار تسخيره عـالم الملكوت بمقتضى إرادته بالتسبيح الذي هو التنزيه ، كقوله : « فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيء » كلاً بمـا يناسبه ، لأن العظمة والإزدياد والبركة تناسب الاجسام ، والتنزه يناسب المجرّدات عن المـادة ، فمعنى تبارك تعالى وتعاظم الذي يتصرف في عالم الملك بيد قدرته ، لا يتصرف فيه غيره ، فبيده كل ما وجد من الأجسام لا بيد غيره ، يصرّفها كما يشاء .

« وهو » القادر على كل ما عدم من الممكنات ، يوجدها على ما يشاء . فإن

قرينة القدرة تخص الشيء بالممكن، إذ تعلق القدرة به فيقال : (انه مقدوره) لأنه ممكن «الذي خلق الموت والحياة» الموت والحياة من باب العدم والملكة ؛ فإن الحياة هي الاحساس والحركة الارادية ، ولو اضطرارية كالتنفس ، والموت عدم ذلك ، عما من شأنه أن يكون له ، وعدم الملكة ليس عدماً محضاً بل فيه شائبة الوجود ، والألم يعتبر فيه المحل القابل للأمر الوجودي .

فلذلك ، صح تعلق الخلق بـه كتعلقه بالحياة ، وجعل الغرض من خلقها بـلاء الانسان في حسن العمل وقبحه ، أي العلم التابع للمعلوم الذي يترتب عليه الجزاء ، وهو العلم الذي يظهر على المظاهر الانسانية بعد وقوع المعلوم ، فإنـه ليس إلا علم الله الكامن في الغيب ، الظاهر بظهور المعلوم ، لأن الحياة هي التي يتمكن بها على الاعمال . والموت هو الداعي الى حسن العمل الباعث عليه ، وبه يظهر آثار الاعمال كما ان الحياة يظهر بهـا اصولها ، وبها تتفاضل النفوس في الدرجات ، وتتفاوت في الهلاك والنجات ، وقدم الموت على الحياة لأن الموت في عالم الملك ذاتي ، والحياة عرضية « وهو العزيز » الغالب، الذي يقهر من اساء العمل « الغفور » الذي يستر بنور صفاته من احسن .

« ٱلَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمٰوَاتٍ طِبَاقاً مَّا تَرَىٰ فِي خَلْقِ ٱلرَّحْمٰنِ مِنْ تَفَاوُتٍ فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِنْ فُطُورٍ . ثُمَّ ٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ ٱلْبَصَرُ خَاسِئاً وَهُوَ حَسِيرٌ . وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَاءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُوماً لِلشَّيَاطِينِ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ ٱلسَّعِيرِ » .

«الذي خلق سبع سماوات طباقاً» نهاية كمال عالم الملك في خلق السماوات. لا ترى أحكم خلقاً، وأحسن نظاماً، وطباقاً منها، وأضاف خلقها الى الرحمن لأنهـا من أصول النعم الظاهرة، ومبادىء سائر النعم الدنيوية، وسلب التفاوت عنها لبساطتها واستدارتها، ومطابقة بعضها بعضاً، وحسن انتظامها وتناسبها؛ ونفي الفطور لامتناع خرقها، والتئامها.

وإنما قال: «ثم أرجع البصر كرّتين» لأن تكرار النظر وتجوال الفكر، مما يفيد تحقق الحقائق، واذا كان ذلك فيها عند طلب الخروق، والشقوق لا يفيد إلا الخسوء والحسور، تحقق الامتناع. ومـا أتعب من طلب وجود الممتنع.

«ولقد زيّنا السماء الدنيا» من السماوات المعنوية. أي، العقل الانساني «بمصابيح» الحجج والبيّنات «وجعلناها رجوماً» لشياطين الوهم، والخيال «واعتدنا لهم عذاب» سعير الإحتجاب في قعر الطبيعة، والهويّ في هاوية العالم الجسماني، والبرزخ الغاسق الظلماني، او السماء المحسوسة التي هي أقرب الينا من السماء العقلية، بمصابيح الكواكب.

وجعلناها بحيث ترجم بهـا النفوس البعيدة عن عالم النور، والظلمة جواهرها، بملازمة الغواسق الجسمانية المخالفة بجواهرهـا الخبيثة عن الجواهر المقدسة، التي غلبت عليهـا ظلمة الكون وشدّة الرين، وتكدرت بمباشرة الشهوات الطبيعيـة، وتلوثت بألواث التعلقات الجسمانية، وامتزجت بهـا، فترسخت فيهـا الهيئات المظلمة، وتغيّرت عن طباعها، فتأثرت بتأثيرات الأجرام العلوية، كلما اشتاقت بسنخها الى عالمهـا، رجمتها روحانيات الكواكب وطردتها الى جحيم العالم السفلي، وألزمتها بمجاورة الهياكل المناسبة

لهيئاتها ، وملازمة البرازخ ، المشاكلة لطباعها ، وألفتهـا في عذاب تضادّ الطبائع ، وسعير استيلاء طبائع تلك الغواسق .

« وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَـذَابُ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ . إِذَا أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا وَهِيَ تَفُورُ . تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ ٱلْغَيْظِ كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ . قَالُوا بَلَى قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَـا مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ . وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ ٱلسَّعِيرِ . فَٱعْتَرَفُوا بِذَنْبِهِمْ فَسُحْقًا لِأَصْحَابِ ٱلسَّعِيرِ . إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِٱلْغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ . وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ ٱجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ . أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ » .

« وللذين » حجبوا عن ربهم عامة سواء الشياطين الذين هم في غـاية البعد والمنافـات ، وقوة الشر ، وغيرهم من الضعفاء ، المحجوبين ، الذين ليسوا في غاية الشرارة « عذاب جهنم » أي ، العالم السفلي ، الغاسق المضادّ بطبعه لعالم النور « وبئس المصير » ذلك ، المهوي ، المظلم ، المهين ، المحرق .

« إذا ألقوا فيها سمعوا » لأهلها الأصوات المنكرة ، المنافيـة لأصوات

الأناسي،والروحانيين،أو لأنفسهم، فإنهم يصطرخون فيها بأصوات الحيوانات القبيحة المنظر، المنكرة الصوت « وهي تفور » تغلي عليهم،وتستولي، وتعلو.

« تكاد تميّز من الغيظ » أي ، تتفارق أجزاؤها من شدة غلبة التضادّ عليها ، وشدة مضادّتها لجواهر النفوس ، ولعمري أن شدة منافرة الطباع بعضها بعضاً ، تستلزم شدة العداوة والبغض المقتضية لشدة الغيظ والحنق ، فتلك المهواة لشدة منافاتها بالطبع لعالم النور والجوهر المجرّد ، وأصل فطرة النفس يشتد غيظها عليها ، وتحرقها بنار غضبها ، أعاذنا الله من ذلك .

والخزنة ، هم النفوس الارضية والسماوية ، الموكلة بعالم الطبيعة السفلية . وسؤالهم اعتراضهم ومنعهم إياها عن النفوذ من الجحيم بحجة تكذيب الرّسل، ومنافات عقائدها ، لمـــا جاءت به ، ومعاندتها إياهم ، وعدم معرفتها بالله وكلامه ، وصممها عن الحق وانتفاء سماعها ، وعـدم عقلها عن الله معارفه ، وآياته ، ودلائل توحيده وبيّناته ، فإنهم لو سمعوا ، وعقلوا ، لعرفوا الحق ، وأطاعوا فنجوا ، وخلصوا الى عالم النور وجوار الحق ، فما كانوا في أصحاب السعير .

« إن للذين يخشون ربهم » بتصوّر عظمته غائبين عن شهود الصفاتي في مقام النفس، بتصديق الاعتقاد «لهم مغفرة» من صفات النفس « وأجر كبير» من أنوار القلب، وجنة الصفات. أو الذين يخشون ربهم بمطالعة صفات العظمة في مقام القلب، غائبين عن الشهود الذاتي لهم مغفرة من صفات القلب ، وأجر كبير من أنوار الروح ، وجنة الذات « إنه عليم بذات الصدور » لكون تلك السرائر عين علمه ، فكيف لا يعلم ضمائرها من خلقها وسوّاها وجعلها مرائي اسرازه ؟ « وهو اللطيف » الباطن علمه فيها ، النافذ في غيوبها « الخبير » بما

ظهر من إحوالها . أي المحيط ببواطن ما خلق وظواهره ، بل هو « هو » بالحقيقة باطناً وظاهراً لا فرق إلا بالوجوب ، والإمكان، والإطلاق، والتقييد واحتجاب الهوية بالهذية ، والحقيقة بالشخصية .

« هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولاً فَٱمْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ . ءَأَمِنْتُمْ مَنْ فِي ٱلسَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ . أَمْ أَمِنْتُمْ مَنْ فِي ٱلسَّمَاءِ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِباً فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ . وَلَقَدْ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ . أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى ٱلطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَافَّاتٍ وَيَقْبِضْنَ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلاَّ ٱلرَّحْمٰنُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ » .

« هو الذي جعل لكم » ارض النفس « ذلولاً فامشوا » بأقدام الفطرة في أعالي صفاتها ، وأعز أطرافها وجهاتها، وأقهروها مذللة « وكلوا من رزقه » الذي ينال من جهتها . أي العلم المأخوذ من الحس . وهو الأكل من تحت لأرجل المشار اليه بقوله : « لا كلوا من فوقهم ومن تحت ارجلهم » « وإليه لنشور » بالعروج الى مقام الولاية ، وحضرت الجمع .

« أأمنتم » الذي قهر سلطانه سماء الروح ، وبهر نوره شمس العقل بالتأثير التنوير . « أن يخسف بكم » ارض النفس ، بأن يحركها ويقلبها عليكم ، تقهركم وتستولي عليكم ، فتذهب بنوركم وتهلككم ، وتجعلكم اسفل سافلين

« فإذا هي » تضطرب عالية طياشة ، لا قرار لها طمأنينة بالسكينة ، لما في طباعها من الطيش ، والإضطراب « ام أمنتم » ذلك العالي القهار « أن يرسل عليكم » حاصب صفات النفس ولذاتها ، وشهواتها المستعملية بريح الهوى على القلب ، في جو الأماني والآمال ، فيهلككم هلاك المكذبين ، الذين تحركت نفوسهم بقهر من الله فاحتجبوا بظلماتها عن نور هداية الرسل ، فخسفوا ومسخوا وكان من حالهم ما يتعجب منه ، وعاينوا ما انذروا به من المنكر الفظيع .

« اولم يروا الى » طير المعارف ، والحقائق ، والإشراقات النورية ، والمعاني القدسية « فوقهم » في سماء الروح « صافات » أنفسهن مترتبة متناسقة فيها « ويقبضن » عن النزول الى القلب « ما يمسكهن إلا الرحمن » المسوّي للاستعداد ، المهيء لقبولها المودع إياها فيها ، المرتب لها بسعة رحمته الواسعة الشاملة لكل ما خلق وقدر ، المعطية كل شيء خلقه ، وما يرسلهن إلا الرحيم المفيض لكل ما قدّر من الكمال بحسب الإستعداد المظهر لكل ما دبر في الغيب من المعاني والصفات « انه بكل شيء بصير » في مكمن غيبه ، فيعطيه ما يليق به ، ويسوّيه بحسب مشيئته ، ويودع فيه ما يريده ، بمقتضى حكمته . ثم يهديه اليه بتوفيقه .

« أَمَّنْ هَـٰذَا ٱلَّذِي هُوَ جُندٌ لَّكُمْ يَنصُرُكُم مِّن دُونِ ٱلرَّحْمَـٰنِ إِنِ ٱلْكَافِرُونَ إِلَّا فِي غُرُورٍ . أَمَّنْ هَـٰذَا ٱلَّذِي يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ بَل لَّجُّوا فِي عُتُوٍّ وَنُفُورٍ . أَفَمَن يَمْشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِ أَهْدَىٰ أَمَّن يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ

صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ . قُلْ هُوَ ٱلَّذِي أَنشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَارَ وَٱلْأَفْئِدَةَ قَلِيلاً مَّا تَشْكُرُونَ . قُلْ هُوَ ٱلَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ . وَيَقُولُونَ مَتَى هٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ . قُلْ إِنَّمَا ٱلْعِلْمُ عِندَ ٱللهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ . فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سِيئَتْ وُجُوهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا وَقِيلَ هٰذَا ٱلَّذِي كُنتُم بِهِ تَدَّعُونَ . قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِيَ ٱللهُ وَمَن مَّعِيَ أَوْ رَحِمَنَا فَمَن يُجِيرُ ٱلْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ . قُلْ هُوَ ٱلرَّحْمٰنُ آمَنَّا بِهِ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ . قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَن يَأْتِيكُم بِمَاءٍ مَّعِينٍ » .

« أمّن هذا الذي هو جند لكم » أي ، من يشار اليه ممن يستعان به من الأغيار ، حتى الجوارح والآلات والقوى ، وكل ما ينسب اليه التأثير والمعونة من الوسايط ، فيقال : « هو جند لكم ينصركم من دون الرحمن » فيرسل ما امسك من النعم الباطنة والظاهرة . او يمسك مـــا ارسل من النعم المعنوية والصورية . او يحصل لكم ما منع ولم يقدّر لكم او يمنع ما اصابكم به ، وقدّر عليكم. «إن» المحجوبون الذين ستروا نور فطرتهم « إلا في غرور » بالوسايط .

« أمّن » يشار اليه منها ، فيقال : « هـــذا الذي يرزقكم إن امسك »

الرحمن « رزقـــه » المعنوي ، او الصوري « بل لجوا في عتو » أي ، عناد وطغيان لمضادّتهم الحق بالباطل الذي اقاموا عليـه ، ومنافاتهم النور بظلمة نفوسهم « ونفور » أي ، شراد ، لبعد طباعهم ونبوّها عنه .

« أفمن يمشي مكباً على وجهه » متنكساً بالتوجه الى الجهـــة السفلية ، ومحبته للملاذ الحسية ، وانجذابـــه الى الأمور الطبيعية « أهدى أمّن يمشي سوياً » منتصباً على صراط التوحيد ، الموصوف بالإستقامة التامة التي لا يبلغ كنهها ، ولا يقدّر قدرها . ولمـــا فرّق بين الفريقين الضالين ، والمهتدين الموحدين ، أشار الى توحيد الأفعال بقوله : « قل هو الذي أنشأكم » وذكر من افعاله الإبـــداء والإعادة . وبين ان المحجوبين مع اعترافهم بالإبداء منكرون للاعادة،فلا جرم يسوء وجوههم رؤية ما ينكرونه، ويعلوها الكآبة ويأتيهم من العذاب الأليم مـا لا يدخل تحت الوصف ، ولا يجيرهم منه مـا احتجبوا بـه من الحق ، ونسبوا التأثير اليه ، لعجزه وانتفاء قدرته ، ولا الرحمن . لأنهم لم يتكلوا علـيه برؤية جميع الأفعال منه ، ونفي التأثير عن الغير ، فلم يؤمنوا به الإيمان الحقيقي .

ولذلك عرّض بكفرهم وشركهم ، بقوله : « هو الرحمن آمنا به وعليه توكلنا » أي ، لم نتوكل على غـيره ، لأنا شاهدنا الحضرة الرحمانية التي تصدر عنها الأشياء كلها ، فمنعنا ذلـك الإيمان الحقيقي نسبة الفعل الى الغير ، فهو يجيرنا دونكم ، والله أعلم .

سورة القلم

بسم الله الرحمن الرحيم

« نٓ . وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ . مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ . وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ . وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ » .

«ن» هو النفس الكلية «والقلم» هو العقل الكلي . والأول من باب الكناية بالإكتفاء من الكلمة بأول حروفها . والثاني من باب التشبيه . إذ تنتقش في النفس صور الموجودات بتأثير العقل ، كما تنتقش الصور في اللوح بالقلم « وما يسطرون » من صور الأشياء وماهياتها ، وأحوالها المقدّرة على ما يقع عليها.

وفاعل ما يسطرون الكتبة من العقول المتوسطة ، والأرواح المقدسة ، وإن كان الكاتب في الحقيقة هو الله تعالى ، لكن لما كان في حضرة الأسماء ، نسب اليها مجازاً أقسم بهما ، وبما يصدر عنهما ، من مبادىء الوجود . وصور التقدير الإلهي ، ومبدأ أمره ، ومخزن غيبه لشرفهما ، وكونهما مشتملين على كل الوجود في أول مرتبة التأثير والتأثر ، ومناسبتها للمقسم عليه .

«ما أنت بنعمة ربك بمجنون» أي ، ما أنت بمستور العقل مختل الإدراك في حالة كونك منعماً عليك بنعمة الإطلاع على هذا المسطور بهما فإنه لا أعقل ممن أطلع على سر القدر ، وأحاط بحقائق الأشياء في نفس الأمر . « وإن لك لأجراً » من أنوار المشاهدات، والمكاشفات من هذين العالمين «غير» مقطوع، لكونه سرمدياً غير مادي فلا يتناهى، وهم ماديون محجوبون عنه، متضادون إياك في الحال والوجهة، فلهذا ينسبونك الى الجنون لانحصار عقولهم وأفكارهم في الماديات .

« وإنك لعلى خُلق عظيم » لكونك متخلقاً بأخلاق الله، متأيداً بالتأييد القدسي ، فلا تتأثر بمفترياتهم ، ولا تتأذى بمؤذياتهم ، إذ بالله تصبر لا بنفسك، كما قال : « وما صبرك إلا بالله » .

« فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ . بِأَيِّكُمُ ٱلْمَفْتُونُ . إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَـــدِينَ . فَلَا تُطِعِ ٱلْمُكَذِّبِينَ . وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ . وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ . هَمَّازٍ مَّشَّاءٍ بِنَمِيمٍ . مَّنَّـاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ . عُتُلٍّ بَعْـــدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ . أَن كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ . إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ . سَنَسِمُهُ عَلَى ٱلْخُرْطُومِ . إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ ٱلْجَنَّـةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ . وَلَا يَسْتَثْنُونَ . فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِّنْ رَّبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ . فَأَصْبَحَتْ

كَالصَّرِيمِ . فَتَنَادَوْا مُصْبِحِينَ . أَنِ اغْدُوا عَلَى حَرْثِكُمْ إِنْ كُنتُمْ صَارِمِينَ . فَانطَلَقُوا وَهُمْ يَتَخَافَتُونَ . أَن لَّا يَدْخُلَنَّهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُم مِّسْكِينٌ . وَغَدَوْا عَلَىٰ حَرْدٍ قَادِرِينَ . فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا إِنَّا لَضَالُّونَ . بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ . قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ . قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ . فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَلَاوَمُونَ . قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا طَاغِينَ . عَسَىٰ رَبُّنَا أَن يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِّنْهَا إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا رَاغِبُونَ . كَذَٰلِكَ الْعَذَابُ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ . إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ . أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ . مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ . أَمْ لَكُمْ كِتَابٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ . إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ . أَمْ لَكُمْ أَيْمَانٌ عَلَيْنَا بَالِغَةٌ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ . سَلْهُمْ أَيُّهُم بِذَٰلِكَ زَعِيمٌ . أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ فَلْيَأْتُوا بِشُرَكَائِهِمْ إِن كَانُوا صَادِقِينَ . يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ » .

« فستبصر ويبصرون » عند كشف الغطاء بالموت ، أيكم المجنون بالحقيقة؟ أأنت الذي كوشفت بأسرار القدر ، وأوتيت بجوامع الكلم ؟ أم هم الذين حجبوا عما في أنفسهم من آيات الله والعبر ، وفتنوا بعبادة الصنم ؟ « إن ربك هو أعلم بمن » جن في الحقيقة فـ « ضل عن سبيله » واحتجب عن الدين وبمن عقل فاهتدى اليه . أي ، لا يعلم أحد كنه جنونهم وضلالهم إلا الله لكونه في الغـــاية ، وكذا كنه اهتدائك واهتداء من اهتدى بهداك فلا توافقهم في الظاهر كما لا توافقهم في الباطن ، فإن موافقـة الظاهر أثر موافقة الباطن ، وكذا المخالفة . وإلا كان نفاقاً سريـع الزوال ، ومصانعة وشيكة الإنقضاء .

وأما هم فلانهما كهم في الرذائل وتعمقهم في التلوين ، والاختلاف ، لتشعب أهوائهم ، وتفرّق أمانيهم ، وميول قواهم وجهات نفوسهم يصانعون ويضمون تلك الرذيلة الى رذائلهم طمعاً في مداهنتك معهم ، ومصانعتك إياهم ، فـلا يفتننّك كثرة أموال من كان أغناهم ، وكثرة قومه وتبعه ، فتطيعه وتصانعه مع كـــثرة رذائله ، ودم على توافق الظاهر والباطن مستغنياً بالله مستظهراً به ، مصادقاً لمن صدقك ، مصافياً لمن وافقك ، مصاحباً لصعاليك المؤمنين الزاهدين في الدنيا .

« سنسمه على الخرطوم » أي ، نغيّر وجهه في القيامة الصغرى ، ونجعل آلة حرصه مشاكلاً لهيئة نفسه كخرطوم الفيل مثلاً ، ونبدّل أعزّ أعضائه بما فيه علامة غاية الذل لخسة نفسه المنجذبة الى ما في جهـة السفل ، الجاذبة لموادّ الرجس .

« يوم يكشف عن ساق » أي ، اذكر يوم يشتد الأمر ، وتتفاقم شدّته بحيث لا يمكن وصفها بمفارقـــة المألوفات البدنية ، والملاذّ الحسية ، وظهور

الأهوال ، والآلام النفسية بالهيئات الموحشة ، والصور المؤذية. « ويدعون » على لسان الملكوت للجنسية الأصلية ، والمناسبة الفطرية «الى» سجود الإذعان والإنقياد لقبول الانوار الإلهية ، والإشراقات السبوحية « فلا يستطيعون » الإنقياد والإذعان لقبولهـــا ، لزوال استعدادهم الاصلي بالهيئات المظلمة ، واحتجابهم بالغواشي الجسمانية ، والملابس الهيولانية .

« خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ . فَذَرْنِي وَمَنْ يُكَذِّبُ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ . وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ . أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ . أَمْ عِندَهُمُ ٱلْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ . فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلْحُوتِ إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ . لَّوْلَا أَن تَدَارَكَهُ نِعْمَةٌ مِّن رَّبِّهِ لَنُبِذَ بِٱلْعَرَاءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ . فَٱجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَجَعَلَهُ مِنَ ٱلصَّالِحِينَ . وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا ٱلذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ . وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ » .

« خاشعة أبصارهم » ذليلة ، متحيرة ، لذهاب قوّتهـا النورية ، وعدم قدرتها على النظر الى عـالم النور ، وبُعدها عن إدراك شعاع مفيد السرور « ترهقهم ذلـّة » الركون الى السفليات ، والركود الى خساسة الإنفعاليات ، وملازمة الطبيعيات « وقد كانوا يدعون » عند بقـاء الإستعداد ، ووجود الآلات « الى» سجود الإنقياد بتهيئة الإستعداد لقبول الإمداد من عالم الأنوار « وهم سالمون » الإستعداد ، متمكنون على أحراز السعادة في المعاد .

« فاصبر لحكم ربك » بسعادة من سعد ، وشقاوة من شقي ، ونجـاة من نجى ، وهلاك من هلك ، وهداية من اهتدى ، وضلال من ضلّ « ولا تكن كصاحب الحوت » في استيلاء صفات النفس عليه ، وغلبة الطيش والغضب ، والإحتجاب عن حكم الرب حق ردّ عن جناب القـدس الى مقر الطبع « فالتقمه » حوت الطبيعة السفلية في مقام النفس ، وابتلي بالإجتنان في بطن حوت الرحم .

« إذ نادى » ربه لقهر قومه وإهلاكهم ، لفرط الغضب عن مقام النفس ، لا بإذن الحق « وهو » ممتلىء غيظاً « لولا أن تداركه نعمـة » كاملة « من ربه » بالهداية الى الكمال ، لبقـاء سلامة الإستعداد ، وعدم رسوخ الهيئة الغضبية ، والتوبة عن فرطات النفس ، والتنصل عن صفاتها « لنبذ بالعراء » أي ، بظاهر عالم الحس ، وطرد من جناب القدس بالكلية ، وترك في وادي النفس « وهـو مذموم » موصوف بالرذائل ، مستحق للاذلال والخذلان ، محجوب عن الحق ، مبتلي بالحرمان .

ولكنه اجتباه « ربه » برحمته لمكان سلامة فطرته ، وبقاء نوره الأصلي ، فقرّبه اليه ، وجمعه الى ذاته بإلقاء كلمة التوحيد اليه ، وإيصاله الى مقـام الجمع « وجعله من الصالحين » لمقام النبوة بالإستقامة حال البقاء بعد الفنـاء ، في عين الجمع . والله تعالى أعلم .

سورة الحاقة

بسم الله الرحمن الرحيم

« أَلْحَاقَّةُ . مَا أَلْحَاقَّةُ . وَمَا أَدْرَاكَ مَا أَلْحَاقَّةُ . كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ . فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ . وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ . سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُوماً فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ . فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ » .

« الحاقة » هي الساعة الواجبة الوقوع ، التي لا ريب فيها أن أريد بها القيامة الصغرى ، أو التي تحقق فيها الامور . أي ، تعرف وتحقق، إن أريد بها الكبرى . والمعنى أن الساعة ما هي ؟ وما أعلمك أي شيء هي ؟ أي ، لا يعرف شدتها وهولها وما يظهر فيها من الاحوال على المعنى الاول ، أو لا يعرف حقيقتها ، وارتفاع شأنها ، وإثارة برهانها ، وما يبدو فيها أحد إلا

الله ، وكلتا القيامتين تفزع النـــاس وتهلكهم ، وتفنيهم وتستأصلهم بالشدة والقهر .

وأما تكذيبهم بالأولى فلإقبالهم من الدنيا وترك العمل لهـــا ، وغفلتهم وغرورهم بالحياة الحسية .

وأما بالثانية فلعدم وقوفهم عليها وإنكارهم لها ، واحتجابهم عنها ، وقد يطابق مثل المكذبين بمثل المفرطين. أي المقصرين والغالين بأن يقال : « فأما ثمود » وهم أهل الماء القليل . أي ، أهل العلم الظاهر ، المحجوبون عن العلوم الحقيقية « فأهلكوا بالطاغية » أي ، الحالة الكاشفة عن الباطن وعالم التجرّد التي تطغى على علومهم فتفنيها ، وهي خراب البدن .

« وأما عاد » الغالون المجاوزون حـــد الشرائع ، بالتزندق والإباحة في التوحيد «فأهلكوا بريح» هوى النفس الباردة بجمود الطبيعة ، وعدم حرارة الشوق والعشق العاتية . أي ، الشديدة الغالبة عليهم ، الذاهبة بهم في أودية الهلاك « سخّرها » الله «عليهم» في مراتب الغيوب السبعة ، التي هي لياليهم، لاحتجابهم عنها .

والصفات الثمانية الظاهرة لهم كالأيام ، وهي : الوجود، والحياة ، والعلم، والقدرة ، والإرادة ، والسمع ، والبصر ، والتكلم . أي ، على ما ظهر منهم وما بطن ، تقطعهم وتستأصلهم « فترى القوم فيها صرعى » موتى ، لا حياة حقيقية لهم لأنهم قائمون بالنفس لا بالله ، كما قال : « كأنهم خشب مسنّدة ». « كأنهم أعجاز نخل » أي ، أقوياء بحسب الصورة لا معنى فيهم ولا حياة ، ساقطون عن درجـة الاعتبار والوجود الحقيقي ، إذ لا يقومون بالله « فهل ترى لهم من باقية » أي ، بقاء ، او نفس باقية ، لأنهم فانون من أسرهم .

« وَجَاءَ فِرْعَوْنُ وَمَنْ قَبْلَهُ وَٱلْمُؤْتَفِكَاتُ بِٱلْخَاطِئَةِ . فَعَصَوْا رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَّابِيَةً . إِنَّا لَمَّا طَغَى ٱلْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي ٱلْجَارِيَةِ . لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ . فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ . وَحُمِلَتِ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً . فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ » .

« وجاء فرعون » النفس الأمّارة « ومن قبـــله » من قواها ، وأعوانها « والمؤتفكات » من القوى الروحانية المنقلبة عن طباعها بالميـل الى الظاهر ، والانقلاب عن المعقول الى المحسوس « بالخاطئة » بالخصلة التي هي خطأ. وهي المجاوزة عـــن البواطن الى الظواهر « فعصوا رسول ربهم » أي ، العقل ، الهادي الى الحق « فأخذهم » بالغرق في بحر الهيولى ، ورجفة اضطراب مزاج البدن ، وخرابه « أخذة » زائدة في الشدة .

« إنّا لما طغى » ماء طوفان الهيولى « حملناكم » في جارية الشريعة المركبة من الكمال العلمي والعملي « لنجعلها لكم تذكرة » لعالم القدس ، وحضرة الحق التي هي مقرّكم الأصلي ، ومأواكم الحقيقي « وتعيها اذن واعية » أي ، تحفظها إذن حافظة لما سمعت من الله في بدء الفطرة باقية على حالها الفطرية ، غير ناسية لعهده وتوحيده ، وما أودعها من اسراره بسماع اللغو في هذه النشأة وحفظ الباطل من الشيطان ، والاعراض عن جناب الرحمن . ولهذا لما نزلت قال النبي ﷺ ، لعـلي عليه السلام : (سألت الله أن يجعلها اذنك يا علي)

إذ هو الحافظ لتلك الاسرار كما قال: (ولدت على الفطرة وسبقت الى الإيمان والهجرة) .

« فإذا نفخ في الصور » هي النفخة الأولى التي للاماتة في القيامة الصغرى إذ يمنع حمله على الكبرى ، قوله : « فأما من أوتي كتابه بيمينه » وما بعده من التفصيل . وهـذا النفخ عبارة عن تأثير الروح القدسي بتوسط الروح الإسرافيلي ، الذي هو موكل بالحياة في الصورة الانسانية عند الموت لإزهاق الروح ، فيقبضه الروح العزرائيلي ، وهو تأثير في آن واحد . فلذلك وصفها بالوحدة .

« وحملت » ارض البدن ، وجبال الأعضاء « فـدكتا دكة واحدة » وجعلتا أجزاء عنصرية متفرّقة .

« وَٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ . وَٱلْمَلَكُ عَلَىٰ أَرْجَائِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ . يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ . فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ ٱقْرَؤُوا كِتَابِيَهْ . إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ . فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ . فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ . قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ . كُلُوا وَٱشْرَبُوا هَنِيئاً بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ » .

« وانشقت » سماء النفس الحيوانية ، وانقشعت لزهوق الروح بانفلاقها عنه « فهي يومئذ واهية » لا تقـدر على الفعل ، ولا تقوى على التحريك

والإدراك ، حالة الموت « والملك » أي ، القوى التي تمدّهـا وتأوي اليها ، وتعتمد عليها في الإدراك ، وتجتمع مدركاتها عندها . او تـدرك بواسطتها ، او تظهر بها مدركاتها « على ارجائها » أي ، جوانبها ، من الروح والقلب ، والعقل والجسم ، فافترقت عنها وتشعبت الى جهاتهـا الناشئة منها اولاً « ويحمل عرش ربـك » أي ، القلب الانساني « فوقهم يومئذ ثمانية » منهم هي: الأنوار القاهرة أرباب الأصنام العنصرية من الصور النوعية ، تحمله بالإجتماع من الطرفين ، العلوي والسفلي ، الفاعل والحامل ، عند البعث والنشور ، من كل طرف اربعة . ولهـذا قال النبي ﷺ : (هم اليوم اربعة فإذا كان يوم القيامة أيّدهم الله بأربعة آخرين فيكونون ثمانية) .

ولكون تلك الأملاك مختلفة الحقائق بحسب اختلاف أصنافها العنصرية ، قال بعضهم : (انهـا مختلفة الصور) ولكونها مستولية مستعلية على تلك الاجرام شبهت بالأوعال ، وقيـل هم على صور الأوعال تشبيهاً لإجرامها بالجبال ، ولكونها شاملة لتلك الاجرام ، بالغة الى أقصاها حيث ما بلغت ، قال بعضهم : (ثمانية املاك ارجلهم في تخوم الأرض السابعة ، والعرش فوق رؤسهم ، وهم مطرقون مسبحون) . والله أعلم بحقائق الأمور .

« يومئذ تعرضون » على الله بمـا في أنفسكم من هيئات الأعمال وصور الأفعال ، « لا تخفى منكم خافية فأما من أوتي كتابه » أي ، اللوح البدني الذي فيه صور أعماله « بيمينه » أي ، جانبه الأقوى الإلهي الذي هو العقل فيفرح به ، ويحب الاطلاع على احواله من الهيئات الحسنة ، وآثار السعادة . وهو معنى قوله : « هاؤم اقرؤا كتابيه اني ظننت » اني تيقّنت « اني ملاق حسابيه » لإيماني بالبعث ، والنشور ، والحساب ، والجزاء . « فهو في عيشة راضية » أي ، حياة حقيقية ، أبـدية سرمدية « في جنة » من جنان القلب

والروح « عاليــة قطوفها » من مدركات القلب والروح ، من المعاني والحقائق « دانية » كلما شاؤوا نالوها .

« وَأَمَّـا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ . وَلَمْ أَدْرِ مَـا حِسَابِيَهْ . يَا لَيْتَهَا كَانَتِ ٱلْقَاضِيَةَ . مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيَهْ . هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ . خُذُوهُ فَغُلُّوهُ . ثُمَّ ٱلْجَحِيمَ صَلُّوهُ . ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعاً فَٱسْلُكُوهُ . إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ ٱلْعَظِيمِ . وَلَا يَحُضُّ عَلَى طَعَـامِ ٱلْمِسْكِينِ . فَلَيْسَ لَهُ ٱلْيَوْمَ هَهُنَا حَمِيمٌ . وَلَا طَعَامٌ إِلاَّ مِنْ غِسْلِينٍ . لَّا يَأْكُلُهُ إِلاَّ ٱلْخَاطِؤُنَ . فَلَا أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ . وَمَا لَا تُبْصِرُونَ . إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ . وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلاً مَّـا تُؤْمِنُونَ . وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلاً مَّـا تَذَكَّرُونَ . تَنْزِيلٌ مِّنْ رَّبِّ ٱلْعَـــالَمِينَ . وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَـا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ . لَأَخَـذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ . ثُمَّ لَقَطَعْنَـا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ . فَمَـا مِنْكُمْ مِّنْ أَحَـدٍ عَنْهُ حَـاجِزِينَ . وَإِنَّهُ لَتَذْكِرَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ . وَإِنَّا لَنَعْـلَمُ أَنَّ مِنْكُمْ مُّكَذِّبِينَ . وَإِنَّهُ لَحَسْرَةٌ عَلَى ٱلْكَافِرِينَ . وَأَنَّهُ لَحَقُّ ٱلْيَقِينِ . فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ » .

« وأما من أوتي كتابه بشماله » أي ، جانبه الأضعف النفساني الحيواني فيتحسّر ، ويتندّم ، ويتوحش من تلك الصور والهيئات السمجة ، والقبائح التي نسيها ، وأحصاها الله ، ويتنفّر منها ، ويتمنى الموت عندها ، ويتيقن أن الذي صرف عمره فيه ، وأكبّ بوجهه عليه من المال والسلطنة والجاه ، ما كان ينفعه ، بل يضرّه . وهو معنى قوله : « يا ليتني لم أوتِ كتابيه » الى آخره .

ويُنادي على لسان العزة والقهر، الملكوت الموكل بعالم الكون والفساد من النفوس السماوية والأرضية ، أن « خذوه فغلّوه » أي ، قيّدوه بما يناسب هيئات نفسه من الصور، واحبسوه في سجين الطبيعة بما يمنع الحركات على وفق الإرادة من الاجرام « ثم » جحيم الحرمان ، ونيران الآلام « صلّوه ثم في سلسلة » الحوادث الغير المتناهية « فاسلكوه » ليتعذب بأنواع التعذيبات . والسبعون : في العرف عبارة عن الكثرة الغير المحصورة، لا العدد المعيّن.

« إنه كان لا يؤمن بالله » أي ، كل ذلك بسبب كفره ، واحتجابه عن الله ، وعظمته ، وشحه لمحبة المال « فليس له اليوم ههنا حميم » لاستيحاشه عن نفسه ، فكيف لا يستوحش غيره عنه وهو متنفّر عن كل أحد حتى عن نفسه ؟ « ولا طعام إلا من » غسالات أهل النار وصديدهم ، وقد شاهدناهم يأكلونها عياناً .

« فلا أقسم » بالظاهر والباطن من العالم الجسماني ، والروحاني الوجود كله ظاهراً وباطناً « وإنه لحق اليقين » أي ، محض اليقين ، وهو الكلام الوارد من عين الجمع . إذ لو نشأ من مقام القلب لكان علم اليقين ، ولو نشأ من مقام الروح لكان عين اليقين . فلما صدر من مقام الوحدة كان حق اليقين . أي ،

يقيناً حقاً صرفاً لا شوب له بالباطل ، الذي هو غيره ، نسب القول أولاً الى الرسول ، ثم الى الحق ، ليفيد التوحيد الذاتي .

ثم قـال : « فسبح باسم ربك العظيم » أي ، نزّه الله وجرّده عن شوب الغير بذاتك الذي هو اسمه الأعظم ، الحاوي الأسماء كلها ، بأن لا يظهر في شهودك تلوين من النفس أو القلب ، فتحتجب برؤية الاثنينية أو الأنانيـة ، وإلا كنت مشبهاً لا مسبحاً . والله تعالى أعلم .

سورة المعارج

بسم الله الرحمن الرحيم

« سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ . لِّلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ . مِّنَ ٱللَّهِ ذِي ٱلْمَعَارِجِ . تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ . فَٱصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلاً . إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيداً . وَنَرَاهُ قَرِيباً . يَوْمَ تَكُونُ ٱلسَّمَاءُ كَٱلْمُهْلِ . وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ . وَلَا يَسْئَلُ حَمِيمٌ حَمِيماً . يُبَصَّرُونَهُمْ يَوَدُّ ٱلْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ . وَصَاحِبَتِهِ وَأَخِيهِ . وَفَصِيلَتِهِ ٱلَّتِي تُؤْوِيهِ . وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنْجِيهِ » .

« ذي المعارج » أي ، المصاعد. وهي مراتب الترقي من مقام الطبائع الى مقام المعادن بالإعتدال . ثم الى مقام النبات . ثم الى الحيوان . ثم الى الانسان في مدارج الانتقالات المترتبـــة بعضها فوق بعض . ثم في منازل السلوك ،

كالإنتباه ، واليقظة ، والتوبة ، والإنابة الى آخر ما أشار اليه أهل السلوك من منازل النفس، ومناهل القلب، ثم في مراتب الفناء في الأفعال، والصفات، الى الفناء في الذات مما لا يحصى كثرة . فإن له تعالى بإزاء كل صفة مصعداً بعد المصاعد المتقدمة على مقام الفناء في الصفات .

« تعرج الملائكة » من القوى الأرضية ، والسمائية في وجود الانسان « والروح » الانساني الى حضرته الذاتية ، الجامعة في القيامة الكبرى « في يوم كان مقـــداره خمسين ألف سنة » أي ، في الأدوار المتطاولة ، والدهور المتمادية من الأزل الى الأبد، لا المقدار المعين . ألا ترى الى قوله في مثل هـذا المقام في عروج الأمر ؟ ثم يعرج اليه في يوم كان مقداره ألف سنة ممـــا تعدّون .

«فاصبر صبراً جميلا» فإن العذاب يقع في هذه المدة المتطاولة «يوم يرونه» لاحتجابهم عنه « بعيداً ، ونراه قريباً » حاضراً واقعـاً ، يتوهمه المحجوبون متأخراً الى زمان منتظر . لغيبتهم عنه ، ونحن نراه حاضراً .

« يوم تكون سماء » النفس الحيوانية متذائبة متفانية « كالمهل » على مـا مرّ في قوله : « وردة كالدهان » ... « وتكون » جبال الأعضاء هباء منبثاً على اختلاف ألوانهـــا « كالعهن ولا يسئل حميم حميماً » لشدة الأمر وتفاقم الخطب ، وتشاغل كل احـد بما ابتلى بـه من هيئات نفسه ، وأهوال ما وقع فيه مع ترائيهم .

« كَلَّا إِنَّهَا لَظَى . نَزَّاعَةً لِلشَّوَى . تَدْعُوا مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّى . وَجَمَعَ فَأَوْعَى . إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعاً . إِذَا

مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعاً . وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعاً . إِلاَّ ٱلْمُصَلِّينَ .
ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلاَتِهِمْ دَائِمُونَ . وَٱلَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ
مَّعْلُومٌ . لِّلسَّائِلِ وَٱلْمَحْرُومِ » .

« كلا » ردع عن تمني الافتداء والإنجاء ، فإنـــه بهيئة اجرامه استحق عذابه ، وبمناسبة نفسه للجحيم انجرّ اليها . ألا ترى الى قوله : « تدعوا من أدبر وتوّلى »؟ فإن لظى نار الطبيعة السفلية ما استدعت إلا المدبر عن الحق، المعرض عن جناب القدس وعالم النور ، المقبل بوجهه الى معدن الظلمة، المؤثر بمحبته الجواهر الفاسقة السفلية المظلمة ، فانجـــذب بطبعه الى مواد النيران الطبيعية ، واستدعته وجذبته الى نفسها للجنسية، فاحترق بنارها الروحانية المستولية على الأفئدة . فكيف يمكن الانجاء منها وقد طلبها بداعي الطبع ، ودعاها بلسان الاستمداد ؟

« إن الانسان خلق هلوعـــاً » أي ، النفس بطبعها معدن الشر ومأوى الرجس ، لكونها من عالم الظلمات ، فمن مـــال اليها بقلبه ، واستولى عليه مقتضى جبلته وخلقته ، ناسب الأمور السفلية، واتصف بالرذائل التي أردؤها الجبن ، والبخل المشار اليهما بقوله : « إذا مسه الشر جزوعاً وإذا مسه الخير منوعاً » لمحبته البدن وما يلائمه ، وتسبب لشهواته ولذّاته . وإنما كانتا أردأ لجذبهما القلب الى اسفل مراتب الوجود ، قـــال النبي عليه الصلاة والسلام : (شر ما في الرجل شح هالع وجبن خالع) .

« إلا المصلين » أي، الانسان بمقتضى خلقته وطبيعة نفسه معدن الرذائل إلا الذين جاهدوا في الله حق جهاده ، وتجرّدوا عن ملابس النفس ، وتنزهوا

عن صفاتها ، من الواصلين الذين هم أهل الشهود الذاتي « الذين هم على صلواتهم دائمون » فـإن المشاهدة صلاة الروح ، غابوا في دوام مشاهدتهم عن النفس وصفاتها ، وعن كل ما سوى مشهودهم والمجرّدين الذين تجرّدوا عن اموالهم الصورية والمعنوية ، من العلوم النافعـة والحقيقية ، وفرّقوها على المستحق المستعد الطالب ، وعلى القاصر الممنوّ بالشواغل عن الطلب .

« وَٱلَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ . وَٱلَّذِينَ هُمْ مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِمْ مُّشْفِقُونَ . إِنَّ عَـذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ . وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ . إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ . فَمَنِ ٱبْتَغَى وَرَاءَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ . وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ . وَٱلَّذِينَ هُمْ بِشَهَادَاتِهِمْ قَائِمُونَ . وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ . أُولَٰئِكَ فِي جَنَّـاتٍ مُّكْرَمُونَ . فَمَالِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا قِبَلَكَ مُهْطِعِينَ . عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ عِزِينَ . أَيَطْمَعُ كُلُّ ٱمْرِىءٍ مِّنْهُمْ أَنْ يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ . كَلَّا إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِّمَّا يَعْلَمُونَ . فَلَا أُقْسِمُ بِرَبِّ ٱلْمَشَارِقِ وَٱلْمَغَارِبِ إِنَّا لَقَادِرُونَ . عَلَى أَنْ نُّبَدِّلَ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ .

فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّىٰ يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ ٱلَّذِي يُوعَدُونَ . يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ سِرَاعاً كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ . خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ » .

« والذين يصدّقون » من اهل اليقين البرهاني ، والاعتقاد الإيماني بأحوال الآخرة والمعاد ، وهم ارباب القلوب المتوسطون « والذين هم من عذاب ربهم مشفقون » أي ، اهـــل الخوف من المبتدئين في مقام النفس ، السائرين عنه بنور القلب لا الواقفين معــه ، او المشفقين من عذاب الحرمان والحجاب في مقام القلب من السالكين ، او في مقام المشاهدة من التلوين ، فإنه لا يؤمن الاحتجاب ما بقيت بقيته ، كما قال : « إن عذاب ربهم غير مأمون » .

« والذين هم لفروجهم حافظون » من اهـــل العفة ، وأرباب الفتوّة « والذين هم لأماناتهم » التي استودعوها بحسب الفطرة مــن المعارف العقلية « وعهدهم » الذي هو اخذ الله ميثاقه منهم في الأزل « راعون » أي، الذين سلمت فطرتهم ، ولم يدنسوها بالغواشي الطبيعية ، والأهواء النفسانية « والذين هم بشهاداتهم قائمون » أي ، يعملون بمقتضى شاهدهم من العلم ، فكل مــا شهدوه قاموا بحكمه ، وصدروا عن حكم شاهدهم لا غير .

« والذين هم على صلواتهم » أي، صلاة القلب ، وهي المراقبة «يحافظون» او صلاة النفس على الظاهر « اولئـــك في جنات مكرمون » على اختلاف طبقاتهم ، فالفرقـــة الأولى في جنات من الجنان الثلاث ، والمتوسطون من

ارباب القلوب في جنات مـن جنتين منها ، والباقون في جنات النفوس دون الباقيتين .

« فلا اقسم برب المشارق والمغارب » من الموجودات التي اوجدها بشروق نوره عليها وغروبه فيها بتمينه بها، او اعدمها بشروق نوره منها ، وأوجدها بغروبـه فيها « انا لقادرون على » أن نطلع نورنا منهم فنهلكهم ، ونجعله غاربا في آخرين « خـيراً منهم » فنوجدهم « يوم يخرجون » من اجداث الأبدان « سراعاً » الى مقار ما يناسب هيئاتهم من الصور . والله تعالى اعلم.

سورة نوح

بسم الله الرحمن الرحيم

« إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحاً إِلَى قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ . قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ . أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ . يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ . قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلاً وَنَهَارًا . فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلاَّ فِرَارًا . وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا . ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا . ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا . فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا . يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا . وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ

لَكُمْ جَنَّـــاتٍ وَيَجْعَلْ لَّكُمْ أَنْهَارًا . مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا . وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا » .

« أن اعبدوا » بالمجاهدة والرياضة في سبيله « واتقوه » بالتجرّد عما سواه حق صفاتكم ، وذواتكم « وأطيعون » بالاستقامة « يغفر » لكم ذنوب آثار أفعالكم ، وصفاتكم ، وذواتكم « ويؤخركم الى أجل » معين لا أجل بمده ، وهو الفنـاء في التوحيد « أن أجل الله » الذي هو توفّيه إياكم بذاته « إذا جاء لا يؤخّر » بوجود غيره ، بل يفنى كل ما عداه « لو كنتم تعلمون » .

« قـال رب إني دعوت قومي » في مقام الجمع ، بين الظلمة والنور ، الى التوحيد « فلم يزدهم دعائي إلا فراراً » لأنهم كانوا بدنيين ظاهريين لا يرون النور إلا للضوء الجسماني، ولا الوجود إلا للجواهر الجسمانية الغاسقة ، فينفروا عن إثبات نور مجرّد أنوارهم بالنسبة اليه ظلمات .

«وإني كلما دعوتهم لتغفر لهم» وتسترهم بنورك تصاموا عنه لعدم فهمهم ، وقصور استمدادهم أو زواله « واستغشوا ثيابهم » وتستروا بأبدانهم والتحفوا بها ، لشدة ميلهم اليها ، وتعلقهم بها ، واحتجابهم « وأصرّوا » على ذلك ، ولم يعزموا التجرّد « واستكبروا » لاستيلاء صفات نفوسهم ، واستعلاء غضبهم .

« ثم إني دعوتهم جهاراً » نزلت عن مقام التوحيـد ، ودعوتهم الى مقام العقل ، وعالم النور «ثم إني أعلنت لهم» بالمعقولات الظاهرة «وأسررت لهم» في مقام القلب بالأسرار الباطنية، ليتوصلوا اليها بالمعقولات « فقلت استغفروا ربكم » أي أطلبوا أن يستركم ربكم بنوره فتتنوّر قلوبكم ، وتكاشفوا بالحقائق الإلهية ، والأسرار الغيبية .

« يرسل » سماء الروح « عليكم مدراراً » بأمطار المواهب والأحوال « ويمددكم بأموال » المكاسب والمقامات « وبنين » التأييدات القدسية من عالم الملكوت « ويجعل لكم جنات » الصفات في مقام القلب ، وأنهار العلوم « ما لكم لا ترجون لله وقاراً » أي ، تعظيماً بوقركم بالترقي في الدرجات الى عالم الأنوار « وقد خلقكم أطواراً » كل طور أشرف مما قبله وكان حالكم فيه أحسن ، وشرفكم أزيد مما تقدمكم ، فما بالكم لا تقيسون الغيب على الشهادة ، والمعقول على المحسوس ، والمستقبل على الماضي ؟ فترتقون الى سماء الروح بسلم الشريعة ، والعلم ، والعمل ، كما ارتقيتم بسلم الطبيعة ، والحكمة ، والقدرة في أطوار الخلقة .

« أَلَمْ تَرَ كَيْفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبْعَ سَمٰوَاتٍ طِبَاقاً . وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُوراً وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجاً . وَٱللَّهُ أَنبَتَكُمْ مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتاً . ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجاً . وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ بِسَاطاً . لِّتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلاً فِجَاجاً . قَالَ نُوحٌ رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَٱتَّبَعُوا مَنْ لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلاَّ خَسَارًا . وَمَكَرُوا مَكْرًا كُبَّارًا . وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعاً وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْراً . وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيراً وَلَا تَزِدِ ٱلظَّالِمِينَ إِلاَّ ضَلَالاً » .

«ألم تروا كيف خلق الله سبع سماوات طباقاً» من مراتب الغيوب السبعة المذكورة ذات طباق بعضها فوق بعض . « وجعل » قمر القلب «فيهن نوراً» زائد نوره على نور النفس، ونجوم القوى « وجعل » شمس الروح « سراجاً » باهراً نوره « والله أنبتكم » من أرض البدن « نباتاً ثم يعيدكم فيها » بميلكم اليها ، وتلبسكم بشهواتها ولذاتهـــا ، وبهيئات نفوسكم الجسمانية ، وغواشيكم الهيولانية « ويخرجكم » بالبعث منه في مقام القلب عند الموت الارادي .

« والله جعل لكم » تلك « الارض بساطاً لتسلكوا منها » سبل الحواس « فجاجاً » خروقاً واسعة ، أو من جهتها سبل سماء الروح الى التوحيد . كما قال أمير المؤمنين عليه السلام : (سلوني عن طُرُق السماء فإني أعلم بهـا من طُرُق الارض) أراد الطـُرُق الموصلة الى الكمـال من المقامات والأحوال ، كالزهد والعبادة ، والتوكل والرضا ، وأمثال ذلك . ولهذا كان معراج النبي ﷺ ، بالبدن .

« واتبعوا من لم يزده ماله وولده إلا خساراً » من رؤسائهم المتبوعين أهل المال والجاه ، المحجوبين عن الحق ، الهالكين الذين خسروا نور استعدادهم بالإحتجاب بها ، وبالأولاد والأتبـــاع . أو المحجوبين بأموال العلوم الحاصلة بالعقل الشيطاني المشوب بالوهم ، ونتائج فكرهم المقتضية لمحبة البدن والمال .

« لا تذرنّ آلهتكم » أي ، معبوداتكم التي عكفتم بهواكم عليها من وُدّ البدن الذي عبدتموه بشهواتكم وأحببتموه ، وسواع النفس ، ويغوث الأهل ، ويعوق المال ، ونسرا الحرص .

« مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا لَهُمْ مِنْ دُونِ اللهِ أَنْصَارًا . وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا . إِنَّكَ إِنْ تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا . رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا » .

« مما خطيئاتهم » أي ، من اجل اعمالهم المخالفة للصواب « اغرقوا » في بحر الهيولى « فادخلوا نار » الطبيعه « انــك أن تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا إلا فاجراً كفاراً » ملّ عن دعوة قومه وضجر ، واستولى عليه الغضب ودعا ربه لتدمير قومه وقهرهم ، وحكم بظاهر الحال ان المحجوب الذي غلب عليه الكفر لا يلد إلا مثله ، فإن النطفة التي تنشأ من النفس الخبيثة المحجوبة وتتربى بهيئتها المظلمة لا تقبل إلا نفساً مثلها ، كالبذر الذي لا ينبت إلا من صنفه وسنخه ، وغفل ان الولد سر ابيه ، أي حاله الغالبة على الباطن .

فربما كان الكافر باقي الاستعداد ، صافي الفطرة ، نقيّ الأصل ، بحسب الاستعداد الفطري ، وقد استولى على ظاهره العادة ودين آبائــه وقومه الذين نشأ هو بينهم ، فدان بدينهم ظاهراً وقد سلم باطنه ، فيلد المؤمن على حاله النورية كولادة ابي ابراهيم إياه ، فــلا جرم تولد من تلك الهيئة الغضبية الظلمانية التي غلبت على باطنه وحجبته في تلك الحالة عمـــا قال مادة ابنه كنعان فكان عقوبة لذنب حاله .

« ربّ اغفر لي » أي ، استرني بنورك بالفناء في التوحيد ، ولروحي ونفسي اللذين همـا أبوا القلب « ولمن دخل بيتي » أي ، مقامي في حضرة القدس « مؤمناً » بالتوحيد العلمي، ولأزواج الذين آمنوا بي . أي ، ونفوسهم فبلغهم الى مقـام الفناء في التوحيد « ولا تزد الظالمين » الذين نقصوا حظهم بالاحتجاب بظلمة نفوسهم عن عـالم النور « إلا تبارا » هلاكاً بالغرق في بحر الهيولى وشدة الاحتجاب . والله تعالى أعلم .

سورة الجن

بسم الله الرحمن الرحيم

« قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآناً عَجَباً . يَهْدِي إِلَى ٱلرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحداً » .

قد مرّ ان في الوجود نفوساً ارضية قوية ، لا في غلظ النفوس السّبُعية والبهيمية وكثافتها ، وقلة إدراكها . ولا على هيئات النفوس الانسانية واستعداداتها ، ليلزم تعلقها بالأجرام الكثيفة ، الغالب عليها الأرضية . ولا في صفاء النفوس المجرّدة ولطافتها ، لتتصل بالعالم العلوي وتتجرّد ، او تتعلق ببعض الاجرام السماوية متعلقة باجرام عنصرية لطيفة غلبت عليها الهوائية ، او النارية او الدخانية على اختلاف احوالها . سماها بعض الحكماء : (الصور المعلقة) ولها علوم وإدراكات من جنس علومنا وإدراكاتنا .

ولما كانت قريبة بالطبع الى الملكوت السماوية امكنها ان تتلقى من عالمها

بعض الغيب ، فـلا تستبعد أن ترتقي الى افق السماء فتسترق السمع من كلام الملائكة . أي النفوس المجرّدة . ولما كانت ارضية ضعيفة بالنسبة الى القوى السماوية تأثرت بتأثير تلك القوى ، فرجعت بتأثيرها عـــن بلوغ شأوها ، وإدراك مداها ، من العلوم .

ولا تنكر ان تشتعل اجرامها الدخانية بأشعة الكواكب فتحترق ، او تنزجر من الإرتقاء الى الافق السماوي فتتسفل، فإنها امور ليست بخارجة عن الإمكان وقـد أخبر عنها اهل الكشف والعيان ، الصادقون من الأنبياء والأولياء ، خصوصاً اكملهم نبيّنا محمد ﷺ ، وإن شئت التطبيق : فاعـلم ان القلب اذا استعد لتلقي الوحي وكلام الغيب استمع اليـه القوى النفسانية من المتخيلة والوهم ، والفكر ، والعاقلة النظرية والعملية ، وجميع المدركات الباطنة ، التي هي جن الوجود الانساني .

ولمـــا لم يكن الكلام الإلهي الوارد على القلب بواسطة روح القدس من جنس الكلام المصنوع المتلقف بالفكر والتخيل ، او المستنتج من القياسات العقلية ، والمقدّمات الوهمية والتخيلية ، قالوا : « انا سمعنا قرآنـــاً عجباً يهدي الى الرشد » أي ، الصواب . وذلـــك ، هو تأثرها بنور الروح ، وانتعاشها بمعاني الوحي ، وتنوّرها بنوره ، وتأثيرها في سائر القوى مـــن الغضبية والشهوية ، وجميع القوى البدنية « فآمنا بـــه » تنوّرنا بنوره ، واهتدينا الى جناب القدس « ولن نشرك بربنا احداً » أي ، لن نمثـله بمثال من جنس مدركاتنا فنشبه بـه غيره ، بل نشايع السر في التوجه الى جناب الوحدة ، ولان ننزوي الى عالم الكثرة، لنعبد الشهوات بهوى النفس وتحصيل مطالبها من عالم الرّجس فنعبد غيره .

« وَأَنَّهُ تَعَالَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا ٱتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا . وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى ٱللَّهِ شَطَطًا . وَأَنَّا ظَنَنَّا أَن لَّن تَقُولَ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا . وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا . وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا كَمَا ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَبْعَثَ ٱللَّهُ أَحَدًا . وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا ».

« وأنه تعالى » عظمة « ربنا » من أن نتصوّره مدركة فتكيفه، فيدخل تحت جنس فيتخذ « صاحبة » من صنف تحته ، أو « ولداً » من نوع يماثله « وانه كان يقول سفيهنا » الذي هو الوهم « على الله شططاً » بأن كان يتوهّمه في جهة ، ويجعله من جنس الموجودات المحفوفة باللواحق المادية فيماثل المخلوقات صنفاً ، أو نوعاً .

« وإنا ظننّا أن لن تقول » انس الحواس الظاهرة ، ولا جنّ القوى الباطنة « على الله كذباً » فيما أدركوا منه . فتوهمنا أن البصر يدرك شكله ولونه ، والأذن تسمع صوته ، والوهم والخيال يتوهّمه ، ويتخيله حقاً مطابقاً لما هو عليه قبل الاهتداء والتنوّر ، فعلمنا من طريق الوحي أن ليست في شيء من إدراكه ، بل هو يدركها ، ويدرك ما تدركه ، ولا تدركه .

« وانه كان رجال من الانس يعوذون » أي ، تستند القوى الظاهرة الى القوى الباطنة وتتقوّى بها « فزادوهم » غشيان المحارم ، وإتيان المناهي ، بالدواعي الوهمية ، والنوازع الشهوية والغضبية ، والخواطر النفسانية « وأنهم

ظنوا كما ظننتم » قبل التنوّر بنور الهدى « أن لن يبعث الله » عليهم العقل المنوّر بنور الشرع ، فيهديهم ويزكيهم ، ويؤدبهم بالآداب الحسنة ، فيأتون ما يشتهون بمقتضى طباعهم ، ويعملون على حسب غرائزهم وأهوائهم ، ويتركون سدى بلا رياضة ، ويهملون هملا بلا مجاهدة .

« وإنا لمسنا » أي ، طلبنا سماء العقل لنستفيد من مدركاته ما نتوصل به الى لذاتنا ، ونسترق من مدركاته مـــا يعين في تحصيل مآربنا كما كان قبل التأدب بالشرائع « فوجدناها ملئت حرساً شديداً » معاني حاجزة عن بلوغنا مقاصدنا ، وحكماً مانعة لنا عن مشتهياتنا ، قوية « وشهباً » وأنواراً قدسية ، وإشراقات نورية ، تمنعنـــا من ادراك المعاني التي صفت عن شوب الوهم ، والوصول الى طور العقل ، المنوّر بنور القدس . فإن العقل قبل الهداية كان مشوباً بالوهم ، قريباً من أفق الخيال ، والفكر ، مقصوراً على تحصيل المعاش ، مناسباً للنفس وقواها .

« وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَنْ يَسْتَمِعِ ٱلْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَاباً رَّصَدًا . وَأَنَّا لَا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَنْ فِي ٱلْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا . وَأَنَّا مِنَّا ٱلصَّالِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ كُنَّا طَرَائِقَ قِدَداً . وَأَنَّا ظَنَنَّا أَنْ لَنْ نُعْجِزَ ٱللَّهَ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَنْ نُعْجِزَهُ هَرَباً . وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا ٱلْهُدَى آمَنَّا بِهِ فَمَنْ يُؤْمِنْ بِرَبِّهِ فَلَا يَخَافُ بَخْساً وَلَا رَهَقًا » .

فلما تنوّر بنور القدس ، بعد عن منازل القوى ومبالغ علمها وإدراكها ، وهذا معنى قوله : « وأنّا كنا نقعد منها مقاعد للسمع فمن يستمع الآن يجد له شهاباً رصداً » أي ، نوراً ملكوتياً ، وحجة عقليـــة ، تطردنا عن الأفق العقلي ، وتحفظ العقل عن ان يميل الى النفس ، فتختلط بنا وتنزل الى مـا ارتقينا اليه من المقاعد ، فنكتسب منه الآراء القياسية المؤدية الى موافقات البدن ، وأمان النفس .

« وانا لا ندري أشرّ أريد بمن في الارض » ارض البدن من القوى فتبقى في المجاهدة والرياضة ، ممنوعة من لذاتها ، محجوبة عن مشتهياتها ، ومـــا تهواها « أم أراد بهم ربهم » بالأحكام الشرعية ، والمناهي الدينية ، والأوامر التكليفية « رشداً » استقامة وصواباً ، ومـــا يوجب صلاحها . فإن مقصد الشرع ، وكمال النفس ، أمر وراء مبالغ إدراك هذه القوى .

« وانا منـا الصالحون » كالقوى المدبرة لنظام المعاش ، وصلاح البدن « ومنادون ذلـك » من المفسدات كالوهم والغضب ، والشهوة العاملة بمقتضى هوى النفس ، والمتوسطات كالقوى النباتيـة الطبيعية « كنا » ذوي مذاهب مختلفة لكل طريقة ووجهة مما عينه الله ، ووكله به .

« وانا ظننا » أي ، تيقنا أن الله غالب علينـــا لن نعجزه ، كائنين في ارض البدن ، ولا هاربين الى سماء الروح ، لعجز كل أحد منّا عن فعل الآخر ، فكيف عن فعل مبدأ القوى والقدر ؟

« الهدى » أي ، القرآن تنوّرنا « بـــه » وصدقناه بامتثالنا أوامره ونواهيه ، كما قال عليه السلام : (لكل أحد شيطان ، إلا أن شيطاني أسلم على يديّ) « فلا يخـاف » بخس حق من حقوقه وكمالاته التي أمكنت له

وحظوظه ايضاً . فإن النفس ، وإن اطمأنت وتنورت قواها بحيث لا تزاحم السر ، ولا تملو القلب ، لم تمنع من الحظوظ ، بل وفرت عليها لتتقوّى بها هي وقواهـا على الطاعة ، وتنشط على الافعال الإلهية ، حالة الاستقامة ، كتمتيع نفسه عليه السلام ، بنكاح تسع نسوة ، وغيره من التمتعات ، ولا رهق ذلة ، وقهر بالرياضة ، أو بخس كال ، ورهق رذيلة من الرذائـل ، أو لحوق هيئة معذّبة موجبة للخسوء والطرد .

« وَأَنَّا مِنَّـا ٱلْمُسْلِمُونَ وَمِنَّـا ٱلْقَاسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولٰئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا . وَأَمَّا ٱلْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا . وَأَنْ لَوِ ٱسْتَقَامُوا عَلَى ٱلطَّرِيقَـةِ لَأَسْقَيْنَاهُمْ مَّاءً غَدَقاً . لِّنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَمَنْ يُعْرِضْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَاباً صَعَدًا . وَأَنَّ ٱلْمَسَاجِدَ لِلّٰهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ ٱللّٰهِ أَحَدًا . وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللّٰهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا . قُلْ إِنَّمَا أَدْعُوا رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا . قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا » .

« منا المسلمون » المذعنون لطاعة القلب ، وأمر الرب بالطبع ، كالعاقلة «ومنا القاسطون » الجائرون عن طريق الصواب كالوهم « فمن » انقـــاد وأذعن « فأولئك » قصدوا الصواب والاستقامة « وأمّا » الجائرون «فكانوا» حطباً لجهنم الطبيعة الجسمانية .

« وأن لو استقاموا » من جملة الموحى لا من كلام الجن ، أي لو استقام الجن كلهم على طريق التوجه الى الحق ، والسلوك في متابعة السّر ، السائر الى التوحيد « لأسقيناهم ماء غدقا » أي ، لرزقناهم علماً جماً ، كما ذكر في أنباء آدم للملائكة « لنفتنهم فيه » لنمتحنهم هل يشكرون بالعمل به ، وصرفه فيما ينبغي من مراضي الله أم لا . كما قال : « وبلوناهم بالحسنات » .

« ومن يعرض عن ذكر ربه » فيبخل بنعمته أو يصرفها فيما لا ينبغي من الاعمال ، وينسى حق نعمته « يسلكه عذاباً صعداً » بالرياضة الصعبة والحرمان عن الحظ ، حتى يتوب ويستقيم ، أو بالهيئة المنافية المؤلمة ليتعذب عذاباً شديداً شاقاً غالباً عليه .

« وأن المساجد » أي ، مقام كمال كل قوة ، وهو هيئة إذعانها وانقيادها للقلب الذي هو سجودها ، أو كمال كل شيء حتى القلب والروح « لله » أي ، حق الله على ذلك الشيء ، بل صفة الله الظاهرة على مظهر ذلك الشيء « فلا تدعوا مع الله أحداً » بتحصيل أغراض النفس ، وعبادة الهوى ، وطلب اللذات والشهوات ، بمقتضى طباعكم فتشركوا بالله ، وعبادته .

« وأنه لمّا قام عبد الله » أي، القلب المتوجه الى الحق ، الخاشع المطيع « يدعوه » بالإقبال اليه وطلب النور من جنابه ، ويعظمه ويبجله « كادوا يكونون عليه لبدا » يزدحمون عليه بالاستيلاء، ويحجبونه بالظهور ، والغلبة .

« قل إنما أدعو ربّي » أوحّده ، ولا ألتفت الى ما سواه ، فأكون مشركاً « قل اني لا أملك لكم ضرّاً ولا رشداً » أي ، غيّاً وهدى ، إنما الغواية والهداية من الله ، إن سلّطني عليكم تهتدوا بنوري ، وإلا بقيتم في الضلال ، ليس في قوتي أن أقسركم على الهداية .

« قُلْ إِنِّي لَنْ يُجِيرَنِي مِنَ ٱللهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَـــدًا . إِلاَّ بَلَاغاً مِّنَ ٱللهِ وَرِسَالَاتِهِ وَمَنْ يَعْصِ ٱللهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا . حَتَّى إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ أَضْعَفُ نَاصِرًا وَأَقَلُّ عَدَداً . قُلْ إِنْ أَدْرِي أَقَرِيبٌ مَّـا تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُ رَبِّي أَمَدًا . عَـالِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا . إِلاَّ مَنِ ٱرْتَضَى مِنْ رَّسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا . لِّيَعْلَمَ أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا رِسَالَاتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا » .

« قل إني لن يجيرني » اعتراض مؤكد لنفي الاستطاعة ، والقدرة عليهم ، أي ، لن يجيرني ايضاً « من الله أحـــد » إن أرادني الله بضر أو غواية ، فيسلطكم أو غيركم عليّ « ولن أجد من دونه ملتحداً » ملجأ ، وملاذاً ، ومهربـاً ، ومحيصاً ، إن أهلكني أو عذبني على أيديكم او غيركم ، وإذ لا أملك النفع والضر ، والهداية والغواية لنفسي ، فكيف أملك لكم شيئاً منها؟

« إلا بلاغاً » أي ، أن أبلغكم بلاغـــاً صادراً من الله « و » أبلغكم « رسالاته » من معاني الوحي وأحكام الحق ، أي لا أملك إلا التبليـغ والرسالات ، فهو استثنـاء من معمول أملك ، وقوله : « ومن يعص الله

ورسوله » منكم فلم يقبل نوره ، ولم يسمع مـا يبلغه رسول العقل « فإن له نار » الطبيعة المحرقة باستيلائها عليه أبداً .

« حتى اذا رأوا » أي ، يكونون عليه لبداً ، يستولون عليه بالإزدحام، حتى اذا رأوا « مـــا يوعدون » في الرسالات ، من وقوع القيامة الصغرى بالموت . او الوسطى بظهور نور الفطرة ، واستيلاء القلب عليها . او الكبرى بظهور نور الوحدة . فسيظهر ضعفهم وقلة عددهم ، وخمود نارهم وانطفاؤها، وكلالة حدهم وشوكتهم بإحدى الأحوال الثلاث ، ولا ينصر بعضهم بعضاً ، لانقهارهم وعجزهم وفنائهم ، فيعلمون أنهم « أضعف ناصراً »من القلب« وأقل عدداً » وإن كادوا ان يقهروه بالكثرة ، واستلوه بالنسبة الى عددهم ، فإن الواحد المؤيّد من عند الله أقوى وأكثر .

« ولقد سبقت كلمتنا لعبـــادنا المرسلين ، انهم لهم المنصورون » « إن ينصركم الله فلا غالب لكم » « قل إن أدري أقريب ما توعدون » في القيامة الصغرى من الفناء ، والدخول في نار الطبيعة عند البعث ، لعدم الوقوف على قدر الله ، أو في الآخريين من الموت الإرادي، والفناء الحقيقي لعدم الوقوف على قوة الاستعداد وضعفه ، فيقع عاجلا .

أم ضرب الله له غاية وأجلا ، هو عالم الغيب وحده ، فلا يطلع « على غيبه أحـــداً إلا من ارتضى من رسول » أي ، أعدّه في الفطرة الأولى ، وزكاه ، وصفاه من رسول القوة القدسية .

« فإنه يسلك من بين يديـه » أي ، من جانبه الإلهي « ومن خلفه » وجهته البدنية « رصداً » حفظة . « أمّا » من جهة الله التي اليهـــا وجهه فروح القدس والأنوار الملكوتية والربانية . وأما من جهة البدن فالملكات

الفاضلة ، والهيئات النورية الحاصلة من هيا كل الطاعات والعبادات، يحفظونه من تخبيط الجن ، وخلط كلامهم من الوساوس والأوهام، والخيالات بمعارفها اليقينية ، ومعانيها القدسية ، والواردات الغيبية ، والكشوف الحقيقية .

« ليعلم أن قد أبلغوا » ليظهر علمه تعالى في مظاهر الرسل مما كان مكنوناً في استعدادهم ، فيكملوا ، ويكملوا بما أمكنهم حمله من رسالاته وابلاغه « وأحاط بما لديهم »من العقل الفرقاني، والمعاني المكنونة فيفطرتهم، أزلاً فأظهرها « وأحصى كل شيء » أي ، ضبط كل شيء بالعقل الفرقاني ، وإبراز الكمال التام جملة وتفصيلاً ، كلياً وجزئياً ، أو ضبط عدد كل شيء مطلقاً في القضاء والقدر ، كلياً وجزئياً ، والله تعالى أعلم .

سورة المزمل

بسم الله الرحمن الرحيم

« يَا أَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ . قُمِ ٱللَّيْلَ إِلاَّ قَلِيلاً . نِّصْفَهُ أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ قَلِيلاً . أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْآنَ تَرْتِيلاً » .

« يا أيها المزمّل » أي ، المتلفّف في غواشي البدن ، وملابسه « قم » من نوم الغفلة سائراً في سبيل الله ، سالكاً مسالك بيداء النفس ، ومراحل مفازة القلب ، الى الله ليل مقام النفس ، واستيلاء الطبع « إلا قليلا » بحكم الضرورة للإستراحة ، والأكل ، والشرب ، ومصالح البدن ومهماته ، التي لا يمكن التعيش بدونها . وذلك ، هو نصفه ، اي نصف كونه في مقام الطبيعة من الزمان بأسره ليكون الربع من الدورة التامة ، التي هي اربع وعشرون ساعة للاستراحة والربع ، لضروريات البدن .

« أو انقص منه قليلا » إن كنت من الاقوياء حتى يبقى الثلث ، فيكون السدس للإستراحة ، والسدس لضروريات المعاش « أو زد عليه » قليلا إن كنت من الضعفاء حتى يصير الى الثلثين ، فيكون الثلث للاستراحة ، والثلث

للضروريات ، والثلث للاشتغال بالله ، والسير في طريقه . « ورتل القرآن » اي، فصل ما في فطرتك من المعاني والحقائق مجموعة، وفي استعدادك مكنونة، بإظهارها وإبرازها بالتزكية ، والتصفية .

« إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلاً ثَقِيلاً . إِنَّ نَاشِئَةَ ٱللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْأً وَأَقْوَمُ قِيلاً . إِنَّ لَكَ فِي ٱلنَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلاً . وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلاً . رَّبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ لَا إِلَٰهَ إِلاَّ هُوَ فَٱتَّخِذْهُ وَكِيلاً . وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلاً . وَذَرْنِي وَٱلْمُكَذِّبِينَ أُولِي ٱلنَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلاً » .

« انا سنلقي عليك » بتأييدك بروح القدس وإفاضة نوره عليك ، حتى يخرج ما فيك بالقوة الى الفعل ، من المعاني والحكم « قولاً ثقيلاً » ذا وزن واعتبار « انّ ناشئة الليل » اي ، النفس المنبعثة من مقام الطبيعة ، ومقيل الغفلة « هي أشدّ » موافقة للقلب ، وأصوب قولاً صادراً من العلم لا من التخيُّل ، والظن ، والوهم « ان لك » في نهار مقام القلب ، وزمان طلوع شمس الروح « سبحا » أي، سيرا وتصرّفا وتقلبا في الصفات الإلهية ، ومقامات الطريقة « طويلا » بلا أمد ونهاية .

« واذكر اسم ربك » الذي هو انت ، اي اعرف نفسك واذكرها ولا تنساها فينساك الله ، واجتهد لتحصيل كمالها بعد معرفة حقيقتها « وتبتل » وانقطع الى الله بالإعراض عما سواه ، انقطاعاً تاماً معتمداً به « رب المشرق

والمغرب » اي ، الذي ظهر عليك نوره ، فطلع من أفق وجودك بايجادك ، والمغرب الذي اختفى بوجودك وغرب نوره فيك ، واحتجب بك « لا إله » في الوجود « إلا هو » اي لا شيء في الوجود يعبد غيره، هو الأول والآخر، والظـاهر والباطن « فاتخذه وكيلا » اي ، انسلخ عن فعلك وتدبيرك برؤية جميع الافعال منه ، فيكون امرك موكولاً اليه يدبر امرك ، ويفعل بك ما يشاء ، فكنت متوكلا .

« واصبر على مـــا يقولون » واحبس نفسك عن الطيش والاضطراب ، والحركة في طلب الرزق ، والاهتمام به ، على ما توسوس اليك قوى نفسك ، وتلقي اليك من خواطر الوهم ، ودواعي الشهوة ونوازع الهوى ، فتبعثك، وتتعبك في حوائجك « واهجرهم » بالإعراض عنهم « هجراً » مبنيـاً على العلم الشرعيّ والعقلي ، لا على الهوى والرعونة .

« وذرني » وإياهم ، فإنهم المكذبون بمقـــام التوكل ، وتكفلي بحوائجك لاحتجابهم بما أنعمت عليهم من نعمة الإدراك، والشعور ، والقدرة، والإرادة عني ، فلا يشعرون إلا بقواهم وقدرهم ، ولا يصدّقون قولي « ومهّلهم قليلاً » ريثما أسلب عنهم القوّة والقدرة بتجلي الصفات ، فيظهر عجزهم .

« إنَّ لَدَيْنَا أَنكالاً وَجَحِيماً . وَطَعَاماً ذَا غُصَّةٍ وَعَذَاباً أَلِيماً . يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ وَكَانَتِ ٱلْجِبَالُ كَثِيباً مَّهِيلاً . إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولاً شَاهِداً عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَى فِرْعَوْنَ رَسُولاً . فَعَصَى فِرْعَوْنُ ٱلرَّسُولَ

فَأَخذْنَاهُ أَخذاً وَبِيلاً . فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِنْ كَفَرْتُمْ يَوْماً يَجْعَلُ ٱلوِلْدَانَ شِيباً . ٱلسَّمَاءُ مُنفَطِرٌ بِهِ كَانَ وَعْدُهُ مَفْعُولاً . إِنَّ هَـٰذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَنْ شَاءَ ٱتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلاً . إِنَّ رَبَّكَ يَعْـلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَى مِنْ ثُلُثَيِ ٱللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطَائِفَةٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَ وَٱللهُ يُقَدِّرُ ٱللَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ عَلِمَ أَنْ لَّنْ تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ فَٱقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلقُرْآنِ عَلِمَ أَنْ سَيَكُونُ مِنكُمْ مَّرْضَى وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي ٱلأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ ٱللهِ وَآخَرُونَ يُقَـاتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللهِ فَٱقْرَءُوا مَـا تَيَسَّرَ مِنْهُ وَأَقِيمُوا ٱلصَّلوٰةَ وَآتُوا ٱلزَّكوٰةَ وَأَقْرِضُوا ٱللهَ قَرْضاً حَسَناً وَمَا تُقَـدِّمُوا لِأَنفُسِكُمْ مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْـدَ ٱللهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا وَٱسْتَغْفِرُوا ٱللهَ إِنَّ ٱللهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ » .

« إن لدينا » قيوداً شرعية ، وتكاليف مانعة لهم عن أفعالها « وجحيماً » من حرّ نار التعب في الطلب « وطعاماً ذا غصة » من مخالفات طباعهم وحقوقهم بدل حظوظهم « وعذاباً أليماً » من أنواع الرياضة والمجاهدة .

« يوم ترجف » أرض النفس باستيلاء إشراقات أنوار التجليات في القلب ، فتقشعر وتضطرب . وجبال هيئاتها وصفاتها ، فتندك « وكانت الجبال كثيباً

مهيلاً ، فتنمحي وتذهب . أو ربما يهيج أعصير انحراف المزاج وغلبة بعض الكيفيات بعضاً . أن لدينا انكالاً من الهيئات المنكرة ، والصور المعذبة المؤذية ، وجحيماً من نيران الطبيعة، وطعاماً ذا غصة مما لا تستلذه من أنواع الغسلين والزقوم ، والضريع، وعذاباً أليماً بتلك النيران، والصور يوم ترجف أرض البدن بزهوق الروح، وسكرات الموت، وجبال الأعضاء فتتفتت وتصير كثيباً مهيلاً . والله أعلم .

سورة المدثر

بسم الله الرحمن الرحيم

« يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ . قُمْ فَأَنذِرْ . وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ . وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ . وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ . وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ . وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ » .

« يا أيها المدثر » أي ، الملتبس بدثار البدن ، المحتجب بصورته « قم » عن ما ركنت اليه وتلبست بـــه ، من أشغال الطبيعة ، وانتبه عن رقدة الغفلة « فأنذر » نفسك وقواك ، وجميع من عداك ، عذاب يوم عظيم « وربك فكبّر » أي ، إن كنت تكبّر شيئاً ، وتعظّم قـــدره ، فخصّص ربك بالتعظيم والتكبير ، لا يعظم في عينك غيره ، ويصغر في قلبك كل ما سواه بمشاهدة كبريائه .

« وثيابك فطهّر » أي ، ظاهرك طهره أولاً قبـــل تطهير باطنك عن مدانس الأخلاق ، وقبائح الأفعال ، ومذامّ العادات ، ورجز الهيولى المؤدي الى العذاب « فاهجر » أي ، جرّد باطنك عن اللواحق المادية ، والهيئات الجسمانية الغاسقة ، والغواشي الظلمانية الهيولانية « ولا تمنن تستكثر » ولا

تعطي المال عند تجرّدك عنه ، مستغزراً طالباً الإعواض والثواب الكثير به، فإن ذلك احتجاب بالنعمة عن المنعم ، وقصور همه . بل خالصاً لوجه الله ، إفعل ما تفعل صابراً على الفضيلة له لا شيء آخر، وهذا معنى قوله: « ولربك فاصبر » أو لا تعطِ ما أعطيت في الزهد ، والطاعة ، والترك ، والتجريد ، مستكثراً رائياً إياه كثيراً ، فتحتجب برؤية فضيلتك ، وتبتلي بالعجب ، فيكون ذنب رؤية الفضيلة أعظم من ذنب الرذيلة ، كما قـــال عليه السلام : (لو لم تذنبوا لخشيت عليكم أشد من الذنب) العجب ، العجب ، العجب ؛ بل اصبر على الفضيلة خالصاً لوجه ربك لا لغرض آخر ، هارباً عن الرذيلة بالطبع لا فضيلة لهـا أصلاً ، فلا تبتهج برؤية زينتها بالفضيلة بل بفضل الله عليك ، فتذلل وتخضع ، لا تتعزز وتستكثر .

« فَإِذَا نُقِرَ فِي ٱلنَّاقُورِ . فَذَٰلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ . عَلَى ٱلْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ . ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيداً . وَجَعَلْتُ لَهُ مَالاً مَّمْدُودًا . وَبَنِينَ شُهُودًا . وَمَهَّدتُّ لَهُ تَمْهِيدًا . ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ . كَلاَّ إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيدًا . سَأُرْهِقُهُ صَعُودًا . إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ . فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ . ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ . ثُمَّ نَظَرَ . ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ . ثُمَّ أَدْبَرَ وَٱسْتَكْبَرَ . فَقَالَ إِنْ هَٰذَا إِلاَّ سِحْرٌ يُؤْثَرُ . إِنْ هَٰذَا إِلاَّ قَوْلُ ٱلْبَشَرِ . سَأُصْلِيهِ سَقَرَ . وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ . لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ » .

« فإذا نقر في الناقور » أي ، نزع الروح عن الجسد ، فتنقر الهيئات الروحانية ، ومحاسن الصور ، والملاذ والإدراكات عنه ، ويؤثر بالتفريق والتبديد في ذلك المنقور ، وذلك عبارة عن النفخة الأولى للاماتة ، أو ينقر في البدن المبعوث فتنقش فيها الهيئات المكتسبة المردية ، الموجبة للعذاب ، أو الحسنة المنجية الموجبة للثواب ، فيكون عبارة عن النفخة الثانية التي للأحياء ، وهو الأظهر . فلا يخفى عسر ذلك اليوم على المحجوبين على أحد . وإن خفي يسره على غيرهم الأعلى المحققين من أهل الكشف . والعيان .

« سأصليه سقر » بدل من قوله : (سأرهقه صعوداً والصعود عقبة شاقة المصعد) عن النبي ﷺ : (جبل من نار يصعد فيه سبعين خريفاً ثم يهوي فيه كذلك أبداً) وهو والله أعلم ، إشارة الى طور النفس ، الذي هو أعظم أطوارها . أي ، أفقها الذي يلي الفطرة الانسانية يصعد اليه سنين متطاولة في صور التعذيب ، وبرازخ الاحتجاب يهلك ويحترق فيها ، كما قال عليه السلام : (يكلف أن يصعد عقبة في النار كلما وضع يده عليها ذابت ، فإذا رفعها عادت ، وإذا وضع رجله ذابت ، فإذا رفعها عادت . ويهوي فيه الى أسفل سافلين) .

كذلك ينتقل دركة دركة في برازخ متنوعة أبداً . فذلك ، الصعود هو سقر الطبيعة من أعلى طبقاتها الى أسفلها ، سأصليه إياها ، لا تبقى فيها شيئاً إلا أهلكته ، وأفنته . واذا أهلك لم تذره هالكاً حتى يعاد ، فأهلكته مرة اخرى ، هكذا دائماً .

« لَوَّاحَةٌ لِلْبَشَرِ . عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ . وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلاَّ مَلٰئِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلاَّ فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَاناً وَلَا يَرْتَابَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللهُ بِهٰذَا مَثَلاً كَذٰلِكَ يُضِلُّ اللهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلاَّ هُوَ وَمَا هِيَ إِلاَّ ذِكْرَى لِلْبَشَرِ » .

« لوّاحة للبشر » مغيرة لظواهر الأجساد الى لون سواد خطاياهم ، وهيئات سيئاتهم . وذلك ، من خاصية تلك النار ، كما تغير النار الجسمانية الألوان والهيئات « عليها تسعة عشر » هي الملكوت الارضية التي تلازم المادة من روحانيات الكواكب السبعة ، والبروج الاثني عشر ، الموكلة بتدبير العالم السفلي المؤثرة فيه ؛ تقمعهم بسياط التأثير ، وتردّهم في مهاويها .

« وما جعلنا أصحاب النار إلا ملائكة » لتغلبهم وتقهرهم . فإن عالم الملك في قهر عالم الملكوت وتسخيره « ومـا جعلنا عدتهم إلا » لابتلاء المحجوبين وتعذيبهم ، وزيادة احتجابهم ، وارتيابهم « ليستيقن الذين أوتوا » كتاب العقل الفرقاني « ويزداد الذين آمنوا » الايمان اليقيني العلمي « ايماناً » بالكشف والعيان ، فلا يرتابوا كما ارتاب الجاهلون بالجهل البسيط المحجوبون .

أو ليستيقن « الذين أوتوا الكتاب » من المقلدين ، ويزداد المحققون تحقيقهم ، ولا يرتابوا كما ارتاب الجاهلون ، الذين لا اعتقاد لهم تحقيقاً ، ولا تقليداً .

« وليقول الذين في قلوبهم مرض » نفاق وشك ، من الجاهلين بالجهل البسيط « والكافرون » المحجوبون باعتقاداتهم الفاسدة من الجاهلين بالجهل المركّب « ماذا أراد الله بهذا مثلا » أي ، شيئاً عجيباً ، كالمثل المستغرب المتعجب منه ، أي ما ذكرنا عدّتهم ، وما جعلناها كذلك ، إلا ليكون سبباً لظهور ضلال الضالين ، وهداية المهتدين ، كسائر الأسباب الموجبة لضلال من ضلّ ، وهداية من اهتدى .

مثل ذلك ، المذكور « يضلّ الله من يشاء » من أهل الشقاوة الأصلية « ويهدي من يشاء » من أهل السعادة الأزلية « وما يعلم جنود ربّك » عددها ، وكميّتها ، وكيفيتها ، وحقيقتها ، إلا هو لإحاطة علمه بالماهيات ، وأحوالها « وما هي » أي ، وما سقر متصل بقوله: سأصليه سقر من تتمّة أوصافه ، وقوله : « وما جعلنا » الى قوله: « إلا هو » اعتراض لبيان حال الزبانية « إلا » تذكرة للبشر .

« كَلَّا وَٱلْقَمَرِ . وَٱللَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ . وَٱلصُّبْحِ إِذَا أَسْفَرَ . إِنَّهَا لَإِحْدَى ٱلْكُبَرِ . نَذِيرًا لِّلْبَشَرِ . لِمَن شَاءَ مِنكُمْ أَن يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ . كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ . إِلَّا أَصْحَابَ ٱلْيَمِينِ . فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءَلُونَ . عَنِ ٱلْمُجْرِمِينَ . مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ » .

« كلا » انكار أن يكون تذكيراً لهم مطلقاً ، فإن اكثرهم غير مستعدين مطبوع على قلوبهم ، محكوم بشقاوتهم ، فلا يتعظون بـه . ثم أقسم بالقمر أي بالقلب المستعد ، الصافي القـابل للإنذار المتعظ به ، المنتفع بتذكيره ، تعظيماً له ، وبليل ظلمة النفس « اذ أدبر » أي ، ذهب بانقشاع ظلمتها عن القلب ، بإشقاق نور الروح عليه ، وتلألؤ طوالعه . وبصبح طلوع ذلك النور اذا أسفر فزالت الظلمة بكليتها ، وتنوّر القلب .

« انهـــا » أي سقر الطبيعة « لإحدى » الدواهي « الكبر » العظيمة أوحدية منها فردة لا نظير لها من جملتها ، كقولك : (أنه احد الرجال ، وانها لإحدى النساء) تريد فرداً منهم منذرة للبشر ، أو انذاراً.أي فرداً في الانذار لهم لا لكلهم، بل للمستعدين القابلين الذين إن شاؤا تقدموا باكتساب الفضائل والخيرات ، والكمالات الى مقام القلب والروح ، وإن شاؤا تأخروا بالميل الى البدن وشهواته ، ولذاته فوقعوا فيها .

« كل نفس » بمسكوبها « رهين » عند الله لا فكاك لها ، لاستيلاء هيئات أعمالها وأثار أفعالها عليها ، ولزومها إياها ، وعدم انفكاكها عنهـــا « إلا أصحاب اليمين » من السعداء الذين تجردوا عن الهيئات الجسدانية ، وخلصوا الى مقـــام الفطرة ، ففكوا رقابهم عن الرهن هم « في جنات » من جنات الصفات والأفعال ، يسأل بعضهم بعضاً عن حال المجرمين لاطلاعهم عليهـــا ، وما أوجب تعذيبهم وبقاءهم في سقر الطبيعة ، فأجاب المسؤولون بأنا سألناهم عن حالهم بقولنا : « ما سلككم في سقر » ؟

« قَـــالُوا لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ . وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ ٱلْمِسْكِينَ . وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ ٱلْخَائِضِينَ . وَكُنَّا نُكَذِّبُ

بِيَوْمِ ٱلدِّينِ . حَتَّىٰ أَتَانَا ٱلْيَقِينُ . فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَـاعَةُ ٱلشَّافِعِينَ . فَمَا لَهُمْ عَنِ ٱلتَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ . كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ . فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ . بَلْ يُرِيدُ كُلُّ ٱمْرِىءٍ مِّنْهُمْ أَن يُؤْتَىٰ صُحُفًا مُّنَشَّرَةً . كَلَّا بَلْ لَا يَخَافُونَ ٱلْآخِرَةَ . كَلَّا إِنَّهُ تَذْكِرَةٌ . فَمَن شَاءَ ذَكَرَهُ . وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ ٱللَّهُ هُوَ أَهْلُ ٱلتَّقْوَىٰ وَأَهْلُ ٱلْمَغْفِرَةِ » :

« قالوا » بلسان الحال او القال : انا كنا موصوفين بهـذه الرذائل من اختيار الراحات البدنية ومحبة المـال ، وترك العبادات البدنية ، والحالية ، والرياضات ، والخوض في الباطل ، والهزؤ والهذيانات ، والتكذيب بالجزاء ، وإنكار المعاد التي هي رذائـل القوى الثلاث الموجبة للانغمار في نار الطبيعة الهيولانية « حتى أتانا اليقين » أي الموت ، فرأيناه به ما كنا ننكره عياناً .

« فما تنفعهم شفاعة » شافع من نبي او ملك لو قـدر على سبيل فرض المحال ، لأنهم غير قابلين لها ، فـلا اذن في الشفاعة ، لذلك ، فلا شفاعة فلا نفع فـإن الشفاعة هناك إفاضة النور ، وامداد الفيض ، ولا يمكن إلا عند قبول المحل بالصفاء .

ثم بين امتناع قبولهم لذلك ، وانتفاعهم بالشفاعة باعراضهم عن التذكرة ، وبلادة قلوبهم كقلوب الحمر ، وتمنياتهم الباطلة لعنادهم ولجاجهم ، وعـدم خوفهم من الآخرة لعدم اعتقادهم ، وكل ذلـك ، بمشيئة الله وقدره . والله تعالى أعلم .

سورة القيامة

بسم الله الرحمن الرحيم

« لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ . وَلَا أُقْسِمُ بِٱلنَّفْسِ ٱللَّوَّامَةِ . أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَانُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُ . بَلَىٰ قَادِرِينَ عَلَىٰ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُ » .

جمع بين القيامة والنفس اللوامة في القسم بهما تعظيماً لشأنهما ، وتناسباً بينهما ، إذ النفس اللوامة هي المصدّقة بها ، المقرّة بوقوعها ، المهيئة لأسبابها، لأنها تلوم نفسها أبداً في التقصير والتقاعد عن الخيرات .

وإن أحسنت لحرصها على الزيادة في الخير وأعمال البر ، تيقناً بالجزاء ، فكيف بها ان اخطأت وفرطت، وبدرت منها بادرة غفلة ونسياناً ؟ وحذف جواب القسم لدلالة قوله : « أيحسب الانسان ألن نجمع عظامه » عليه ، وهو لتبعثن ، والمراد بالقيامة ههنا الصغرى لهذه الدلالة بعينها « بلى » أي ، بلى نجمعها « قادرين على » تسوية بنانه التي هي اطراف خلقته وتمامها ، بأن نعدّلها كما كانت . وقيل في بعض التفاسير الظاهرة : (على ان نضمّها فنجعلها مستواة شيئاً واحداً كحافر الحمير وخف البعير) .

« بَلْ يُرِيدُ ٱلْإِنسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ . يَسْئَلُ أَيَّانَ يَوْمُ ٱلْقِيٰمَةِ . فَإِذَا بَرِقَ ٱلْبَصَرُ . وَخَسَفَ ٱلْقَمَرُ . وَجُمِعَ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ . يَقُولُ ٱلْإِنسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ ٱلْمَفَرُّ . كَلَّا لَا وَزَرَ . إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمُسْتَقَرُّ . يُنَبَّؤُا ٱلْإِنسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ . بَلِ ٱلْإِنسَانُ عَلى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ . وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرَهُ . لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ . إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ . فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ . ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ » .

« بل يريد الانسان » ليدوم على الفجور بالميل الى اللذات البدنية ، والشهوات البهيمية ، غارزاً رأسه فيها فيما بين يديه من الزمان الحاضر والمستقبل ، فيغفل عن القيامة لقصور نظره عنها ، وكونه مقصوراً على اللذات العاجلة وفرط تهالكه عليها ، واحتجابه بها عن الآجلة سائلاً عنها ، متعنتاً مستبعداً إياها بقوله : « إيان يوم القيامة » .

« فإذا برق البصر » أي ، تحير ودهش ، شاخصاً من فزع الموت « وخسف » قمر القلب ، لذهاب نور العقل عنه « وجمع » شمس الروح وقمر القلب ، بأن جعلا شيئاً واحداً ، طالعاً عن مغرب البدن لا يعتبر له رتبتان كما كان حال الحياة ، بل اتحدا روحاً واحداً « يقول الانسان يومئذ أين المفر » أي ، يطلب مهرباً ومحيصاً « كلا » ردع له عن طلب المفر

« لا وزر » لا ملجأ « الى ربــك يومئذ » خاصة مستقرٌ من نار او جنة .
مفوّض اليه لا الى غيره، ولا الى اختياره او اليه، خاصة استقراره ورجوعه
كقوله : « ان الى ربك الرجعى »

« ينبأ الانسان يومئذ بمــا قدم » من عمله الذي يوجب نجاته وثوابه من
الخيرات ، والصالحات « وأخرّ » ففرط وقصر فيه . ولم يعمله « بل الانسان
على نفسه بصيرة » حجة بيّنة يشهد بعمله لبقاء هيئات أعماله المكتوبة عليه
في نفسه ، ورسوخها في ذاته وصيرورة صفاته صور اعضائه فـلا حاجة الى
ان ينبأ من خارج « ولو ألقى معاذيره » أي ، ارخى ستوره فاختفى بهـا
عند ارتكاب تلك الأعمال . او « ولو ألقى » أعذاره ، مجــادلاً عن نفسه
بكل معذرة .

« لا تحرّك به لسانك » أي ، الانسان عجول بالطبع، كما قال : « خلق
الانسان من عجل » فلذلك ، اختار العاجلة ، واحتجب بها عن الآجلة، ألا
ترى انك مع وفور سكينتك ، وكمال وقارك بالله تعجل عند إلقائنا الوحي
اليك ، فتظهر نفسك لتتلقفه ، وهو ذنب حالـك وحجاب وجودك ؟ وهو
معنى قوله : « بل تحبون العاجلة وتذرون الآخرة » .

فلا تفعل ولا تحرّك لسانك به،فظهور نفسك واضطرابها عجلة به.ولتكن
قواك هاوية ، ونفسك غائبة ، عن مورد الوحي ، وقلبك سالماً عن صفاتها ،
خالصاً في التوجه ، آمناً عن حركة النفس « إن علينا جمعه وقرآنه » إن
علينا جمعه فيك وقرآنه . أي ، ليكن جمعه في مقام الوحدة ، وقرأتك إياه
بنا فانياً عن ذاتك ، وفي عين الجمع . حيث لم يكن لـك وجود ولا بقية ،
ولا عين ، ولا أثر .

« فإذا قرأناه » أوجدناه ، حال فنائك فينا « فاتّبع قرآنه » بالرجوع الى مقام البقاء بعد الفناء ، وظهور القلب والنفس فيّ . ثم عند كونك في مقام التفصيل « إن علينا بيانه » وإظهار معانيه في حيّز قلبك ونفسك ، مفصّلة مشروحة .

« كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ . وَتَذَرُونَ ٱلْآخِرَةَ . وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ . إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ . وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ . تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ . كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ ٱلتَّرَاقِيَ . وَقِيلَ مَنْ رَّاقٍ . وَظَنَّ أَنَّهُ ٱلْفِرَاقُ . وَٱلْتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ . إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمَسَاقُ . فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ . وَلَٰكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ . ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰ أَهْلِهِ يَتَمَطَّىٰ . أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ . ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ . أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى . أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ . ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ . فَجَعَلَ مِنْهُ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰ . أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يُحْيِيَ ٱلْمَوْتَىٰ » .

« كلا » ردع له عن العجلة « بل تحبون العاجلة » سواء حالك وحالهم بحكم البشرية ، ومقتضى الطبيعة ، والنفس الطيّاشة « وجوه يومئذ ناضرة » للتنوّر بنور القدس ، والإتصال بعالم النور والسرور ، والنعيم الدائم ، مبتهجة

بزينة معارفها وهيئاتها ، مبتهجة ببهجة ذواتها ، منخرطة في سلك الملكوت والجبروت ، « الى ربهـا ناظرة » أي ، الى حضرة الذات خاصة متوجهة ، متوقعة للرحمـــة التامة في مقام أنوار الصفات ، او ناضرة بنوره الى وجهه خاصة ، ناظرة مشاهدة إياه لا تلتفت الى ما سواه ، شاهدة الجمـــال ذاته وسبحات وجهـــه ، او مطالعة لحسن صفاته ، لا تشتغل بغيره « باسرة » كالحة ، لجهامة هيئاتها ، وظلمة ما بها من الجحيم والنيران ، وسماجة ما تراه مما هناك من الأهوال ، وأنواع العذاب ، والخسران « تظن أن يفعل بها » داهية تفصل فقار الظهر لشدتها ، وسوء حالها ووبالها ، وشتان ما بين المرتبتين. والله سبحانه وتعالى أعلم .

سورة الإنسان

بسم الله الرحمن الرحيم

« هَلْ أَتَى عَلَى ٱلْإِنسَانِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَّذْكُوراً . إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا » .

« هل أتى » اي ، قد أتى « على الانسان حين من الدهر لم يكن » فيه « شيئاً مذكوراً » أي ، على وجه التقرير والتقريب . أي ، كان شيئاً في علم الله . بل في نفس الأمر ، لقدم روحه . ولكنه لم يذكر فيما بين النـــاس لكونه في عالم الغيب ، وعدم شعور من في عالم الشهادة به .

« إِنَّا هَدَيْنَاهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُوراً . إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلَاسِلَ وَأَغْلَالاً وَسَعِيرًا . إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا . عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا . يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ

وَيَخَافُونَ يَوْماً كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا. وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيماً وَأَسِيرًا ».

« إنا هديناه » سبيل الحق بأدلة العقل والسمع ، في حالتي كونه شاكراً مهتدياً مستعملاً لنعم المشاعر ، والآلات والوسايط فيما ينبغي أن يستعمل من الطاعات ، متوصلا بها الى المنعم « أو كفوراً » محتجباً بالنعم عن المنعم ، مستعملاً لها في غير ما يجب أن يستعمل من المعاصي .

« إنا أعتدنا للكافرين » المحتجبين بالنعم « سلاسل » الميول ، والمحبات الى المشتهيات الجسمانية الموجبة لتقيّدهم بها ، والحرمان عن المقاصد الحقيقية في النيران ، وأغلال الصور ، والهيئات المانعة عن الحركة في طلب المراد ، وسعير التعذيب في قعر الطبيعة ، وقهر الحق .

« إن الأبرار » أي ، السعداء الذين برزوا عن حجاب الآثار والأفعال ، واحتجبوا بحجب الصفات غير واقفين معها ، بـل متوجهين الى عين الذات مع البقاء في عالم الصفات ، وهم المتوسطون في السلوك « يشربون من كأس » محبة حسن الصفات لا صرفاً ، بل كان في شرابهم مزج من لذة محبة الذات ، وهي العين الكافورية المفيدة للذة برد اليقين وبياض النورية ، وتفريح القلب المحترق بحرارة الشوق وتقويته ، فإن للكافور خاصية التبريد والتفريح ، والبياض والكافور عين « يشرب بهـا » صرفة « عباد الله » الذين هم خاصته من أهل الوحـــدة الذاتية المخصوص محبتهم بعين الذات دون الصفات ، لا يفرّقون بين القهر واللطف ، والرفق والعنف ، والبلاء ، والشدّة والرخاء . بل تستقر محبتهم مع الأضداد ، وتستمر لذاتهم في النعماء والسرّاء ، والرحمة والزحمة ، كما قال أحدهم :

هواي له فرض تعطّف أم جفا ومشربه عذب تكدّر أم صفا
وكلتُ الى المحبوب أمري كله فإن شاء أحياني وإن شاء أتلفا

وأما الأبرار، فلما كانوا يحبون المنعم واللطيف والرحيم لم تبق محبتهم عند تجلي القهار، والمبلي والمنتقم بحالهـا، ولا لذتهم. بل يكرهون ذلك. «يفجّرونها تفجيراً» لأنهم منابعها لا اثنينية ثمة ولا غيرية، وإلا لم يكن كافور الظلمة حجاب الأنانية، والإثنينية، وسواده.

«يوفون بالنذر» أي، الأبرار يوفون بالعهد الذي كان بينهم وبين الله صبيحة يوم الأزل، بأنهم اذا وجدوا التمكن بالآلات والاسباب، أبرزوا ما في مكامن استعداداتهم، وغيوب فطرتهم من الحقائق، والمعارف، والعلوم، والفضائل، وأخرجوهـا الى الفعل بالتزكية، والتصفية «ويخافون» يوم تجلي صفة القهر والسخط، والانتقام، لكونهم وصفيين «يوماً كان شرّه» فاشياً منتشراً، بالغاً أقصى المبالغ باستيلاء الهيئات المظلمة، والحجب الساترة للنور من صفات النفس على القلب، وهو نهاية مبالغ الشر.

«ويطعمون الطعام على حبه» أي، يتجرّدون عن المنـافع المالية، ويزكون أنفسهم عن الرذائل، خصوصاً عن الشح، لكون محبة المال اكثف الحجب، فيتصفون بفضيلة الإيثـار «ويطعمون الطعام» في حالة احتياجهم اليه لسدّ خلة الجوع من يستحقه، ويؤثرون به غيرهم على انفسهم، كما هو المشهور من قصة عليّ وأهل بيته عليهم الصلاة والسلام، في شأن نزول الآية من الايثار بالفطور على المستحقين الثلاثة، والصبر على الجوع، والصوم ثلاثة أيام. أو يزكون انفسهم عن رذيلة الجهل فيطعمون الطعام الروحاني من الحكم والشرائع، مع كونه محبوباً في نفسه على حب الله المسكين، الدائم السكون

الى تراب البدن ، واليتيم المنقطع عن تربيـــة أبيه الحقيقي الذي هو روح القدس ، والأسير المحبوس في أسر الطبيعة ، وبقود صفات النفس .

« إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُوراً . إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْماً عَبُوساً قَمْطَرِيراً . فَوَقَاهُمُ اللهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُوراً . وَجَزَاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيراً . مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْساً وَلَا زَمْهَرِيراً . وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلاً »

« إنما نطعمكم لوجه الله » أي ، قائلين في أنفسهم ذلك ، ناوين بالإطعـام رضاء الله . فإن الأبرار يقصدون بالخيرات مراضي الله لا الثواب ، لكونهم بارزين عن حجاب الافعال الى الصفات ، او لذات الله ومحبتها . اذ الوجـه عبارة عن الذات مع الصفات، لكونهم سالكين سائرين في بيداء الصفات الى مقصد الذات، غير واقفين معها« لا نريد منكم جزاء »مكافأة « ولا شكوراً » وثناء ، لعدم احتجابنا بالأغراض والاعراض .

« إنا نخاف من ربنــــا » يوم تجلي السخط والغضب ، وظهوره في صفة العبوس ، والقهر « فوقاهم الله شرّ ذلك اليوم » بتجليه في صورة الرضـــا واللطف . « ولقاهم » نضرة الرضوان ، وسرور النعيم الدائم « وجزاهم » بصبرهم عن اللذات النفسانية ، والتزيينات الشيطانية في جنان الافعـال مع أنوار الصفات جنة الذات ، وحرير ملابس الصفات الإلهية النورانية اللطيفة .

« متكئين » في تلك الجنة على أرائك الأسماء التي هي الذات مع الصفات، بحسب مقاماتهم ومراتبهم ودرجاتهم منهـــا « لا يرون فيها » شمس حرارة الشوق اليها مع الحرمان ، ولا زمهرير برودة الوقوف مع الاكوان ، فإن الوقوف مع الكون برد قاسر ، وثقل عاصر « ودانية عليهم » ظلال الصفات قريبة منهم ، ساترة إياهم ، لاتصافهم بها ، وكونهم في روحهـا « وذلّلت لهم « قطوفها » من ثمار علوم توحيد الذات ، وتوحيد الصفات ، والأحوال ، والمواهب « تذليلاً » تامّاً كلما شاؤا جنوها « وتلذّذوا » وتفكهوا بها .

« وَيُطَافُ عَلَيْهِمْ بِآنِيَةٍ مِّنْ فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا . قَوَارِيرَ مِنْ فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا . وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْساً كَانَ مِزَاجُهَا زَنْجَبِيلاً . عَيْناً فِيهَـا تُسَمَّى سَلْسَبِيلاً » .

« ويطاف عليهم بآنية من فضّة » هي مظاهر حسن الصفات من محاسن الصور ، وكونها من فضة نوريتها ، وبياضها ، وزينتها ، وبهاؤها « وأكواب » من صور أوصاف المجردات اللطيفة والجواهر المقدسة ، لكونهـــا بلا عرى التعلق بالمواد ، فلا يمكن قبضها بالعري من غير الاتصال بذواتها ، ولكونها من عالم الغيب لم تكن مكشوفة الرأس كالأواني « كانت قوارير » لصفائها ، وتلألؤ نور الذات من ورائها ، وكما قال في تشبيه القلب بالزجاجة ، الزجاجة كأنها كوكب درّي . أي في صفاء الزجاجة ، وضياء الكوكب ، فكذلك هاهنا قال : « قوارير من فضة » أي ، هي في صفاء الزجـاجة وشفيفها ، وبياض الفضة وبريقهـــا « قدروها تقديراً » أي ، على حسب استعداداتهم

ومبالغ ربهم ، على قدر أشواقهم وإراداتهم ، كما قدروا في أنفسهم وجدوها ، كما قيــل : (لا تغيض ولا تفيض) .

« ويسقون فيها كأساً كان مزاجها » زنجبيل ، لذة الإشتياق . فـإنهم لا شوق لهم ليكون شرابهم الزنجبيل الصرف ، الذي هو غـاية حرارة الطلب لوصولهم ، ولكن لهم الإشتياق للسير في الصفات وامتناع وصولهم على جميعها فلا تصفو محبتهم من لذة حرارة الطلب ، كما صفت لذة محبة المستغرقين في عين جميع الذات ، فكان شرابهم العين الكافورية الصرفة « عيناً » بدل من زنجبيلا أي ، هو عــين في الجنة ، لكون حرارة الشوق عين المحبة الناشئة من منبع الوحدة ، مع الهجران « تسمّى سلسبيلا » لسلاستها في الحلق ، وذوقها فإن العشاق المهجورين الطالبين السالكين سبيل الوصال في ذوق ، وسكر من حرارة عشقهم لا يقاس به ذوق .

« وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤاً مَنْثُوراً . وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيماً وَمُلْكاً كَبِيراً . عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُنْدُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِنْ فِضَّةٍ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَاباً طَهُوراً . إِنَّ هٰذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُمْ مَشْكُوراً » .

« ويطوف عليهم ولدان مخلّدون » من فيوض الأسماء الإلهية المتجلية عليهم في عالم القدس ، وهي الأنوار الملكوتية والجبروتية المنكشفة عليهم في حضرات الصفات وجنانها، ولو كانت جنانهم من جنان الأفعال لطافت عليهم الحور مكان الولدان ، لأن الأسماء مؤثرة في الأفعال ، والصفات مصادرها .

ومبادىء الآثار والهيئات ، وكونهم مخلّدين ببقائهم على التجرّد أبداً « إذا رأيتهم حسبتهم لؤلؤاً منثوراً » لنوريتهم وصفائهم ، وبساطة جواهرهم .

« عاليهم ثيــاب سندس خضر » أي ، تعلوهم ملابس سندس الأحوال والمواهب اللطيفة ، من أنوار الصفات البهيجة . والخضرة ، عبارة عن البهجة ، والنضرة ، واستبرق الأخلاق الإلهية « وحلوا أساور من فضة » أي ، زينوا بزينة المعاني المعقولة ، المنوّرة بنور الوجدان « وسقاهم ربهم شراباً طهوراً » من لذة محبة الذات ، والعشق الحقيقي الصرف الصافي عــن كدر الغيرية ، والاثنينية الصفات الطاهر عن دنس ظهور الانانية والبقية .

« إن هذا » المذكور من الجنة ، والأواني ، والولدان ، والشراب « كان لكم جزاء » لقيامكم بحق تجليات الصفات « وكان سعيكم » من الأعمال القلبية في مقامها ، كالخشية ، والهيبة عند تجـلي العظمة ، والخضوع ، والإنس عند تجلي صفة الرحمــة ، والاخلاص في طلب تجلي الوحدة ، وأمثال ذلك ، « مشكوراً » بهذا الجزاء .

« إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْآنَ تَنْزِيلاً . فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِماً أَوْ كَفُورًا . وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلاً . وَمِنَ ٱللَّيْلِ فَٱسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلاً طَوِيلاً . إِنَّ هَٰؤُلَاءِ يُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْماً ثَقِيلاً . نَحْنُ خَلَقْنَاهُمْ وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَا أَمْثَالَهُمْ تَبْدِيلاً » .

« إنّا نحن نزلنا عليك القرآن » بذاتنا دون من عدانا « فاصبر لحكم » التجلي الأحدي الذاتي في مقام الفناء ، مع بلاء ظهور الانائية والبقية ، فإن الرب في مقام نزول الصفات هو الذات ، وحدها « ولا تطع منهم إثماً » محتجباً بالصفات والأحوال ، او بذاته عن الذات ، وبصفات نفسه وهيئاتها عن الصفات « او كفوراً » محتجباً بالأفعال والآثار ، واقفاً معها بأفعاله ومكسوباته عن الأفعال فتحتجب بموافقتهم .

« واذكر اسم ربك » أي ، ذاتك الذي هو الاسم الأعظم من أسمائه بالقيام بحقوقه ، واظهار كمالاته « بكرة وأصيلا » في المبدأ والمنتهي بالصفات الفطرية من وقت طلوع النور الإلهي بإيجادها في الأزل ، وإبداع كمالاته فيها وغروبه بتعيينها واحتجابه بها ، وإظهارها مع كمالاتها .

« ومن الليل » وخصّص مقام النفس او القلب حال البقاء بعد الفناء ، والرجوع الى الخلق للتشريع بسجود الفناء والعبادة الحقانية . فإن الدعوة لا تمكن إلا بحجاب القلب ، ووجود النفس « فاسجد له » سجود الفناء برؤية بقاء نفسك بالحق وفناء البشرية بالكلية ، فتكون موجوداً به لا بها ونزهه عن المعيّة والاثنينية ، والانائية ، وظهور البقية « ليلا طويلا » بقاء دائماً أبدياً ما دمت في ذالك المقام .

« إن هؤلاء » أي ، المحتجبين بالآثار والأفعال او الصفات « يحبون العاجلة » أي ، شاهدهم الحاضر من الذوق الناقص « ويذرون وراءهم » يوم التجلي الذاتي ، أي القيامة الكبرى ، الشاق المعتبر الذي لا يحتمله احد .

« نحن خلقناهم » بتعيين استعداداتهم « وشددنا أسرهم » قويناهم بالميثاق

الأزلي ، والإتصال الحقيقي « وإذا شئنا بدّلنا أمثالهم » بأن نسلب أفعالهم بأفعالنا ونمحو صفاتهم بصفاتنا ، وننفي ذواتهم بذواتنا ، فيكونوا أبدالاً .

« إِنَّ هٰذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَنْ شَاءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلاً . وَمَا تَشَاؤُونَ إِلاَّ أَنْ يَشَاءَ ٱللهُ إِنَّ ٱللهَ كَانَ عَلِيماً حَكِيماً . يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَٱلظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَاباً أَلِيماً » .

« إن هذه » تذكير لسلوك طريقي ، والسير فيّ « فمن شاء اتخذ » سبيلاً اليّ . « وما تشاؤن إلا » بمشيئتي بأن أريدهم فيريدوني ، فتكون إرادتهم مسبوقة بإرادتي ، بل عين إرادتي الظاهرة في مظاهرهم « إن الله كان عليماً » بما أودع فيهم من العلوم « حكيماً » بكيفية إبداعها وإبرازها فيهم بإظهار كمالهم .

« يدخل من يشاء في رحمته » بإفاضة ذلـــك الكمال المودع فيه عليه وإظهاره « والظالمين » الباخسين حقهم ، الناقصين حظهم منها ، بالإحتجاب عنها ، او الواضعين نور فطرتهم الذي هو النور الإلهي الأصلي الحاصل مــن اسمه ، المبدىء في غير موضعه من محبة الانداد ، والإحتجاب بالآثار ، وعبادة الأغيار « أعدّ لهم عذاباً » بالوقف على الرب ، لوقوفهم مع الغير ثم على النار لوقوفهم مع الآثار ، مؤلماً إيلاماً شديداً .

سورة المرسلات

بسم الله الرحمن الرحيم

« وَٱلْمُرْسَلَاتِ عُرْفاً . فَٱلْعَاصِفَاتِ عَصْفاً . وَٱلنَّاشِرَاتِ نَشْراً . فَٱلْفَارِقَاتِ فَرْقاً . فَٱلْمُلْقِيَاتِ ذِكْراً . عُذْراً أَوْ نُذْراً » .

« والمرسلات » اقسم سبحانـــه بأنوار القهر واللطف ، الموجبة للكمال والوقوف على احوال القيامة ، فقال : « والمرسلات » أي ، الأنوار القاهرة التي ارسلت الى النفوس الانسانية « عرفـــاً » أي ، متتالية متتابعة بواده ولوائح ولوامع ، وطوالع من قولهم : جاؤا عرفاً . ثم تشتد وتقوى كالرياح العاصفة فتعصف بالصفات النفسانية ، والقوى البدنية ، والروحانية بتجليات صفات العظموت والجبروت ، فتقهرها وتذريها .

وإن فسر العرف بالذي هو ضد النكر فمعناه ، والمرسلات للاحسان فإن لهـذا القهر في ضمنه لطف خفيّ كما قال : « سبقت رحمتي غضبي » . وقال امير المؤمنين عليه السلام : (واتسعت رحمته لأوليائه في شدة نقمته) .

« والناشرات » والأنوار التي تنشر وتحيي ما اهلكته وأفنته العاصفات من تجليات صفات المحبة والرحموت ، فتفرّق بينها بإقامة كل في مقامها ليتميز بعضها من بعض ، وتفصل بين الحق والباطل من افعالها ، فتلقي الذكر أي العلم والحكمة ، لأن العلم يستدعي دعاء وجودياً ظاهراً . فلا يمكن فيضانه في حال الفناء بالتجلي القهري ولا قبله ، وإلا لكان فكرياً مستنبطاً بالعقل المشوب بالوهم ، فكانت شيطنة وشبهاً ، مختلطاً فيها الحق بالباطل .

« عذراً او نذراً » كلاهما بدل من ذكر. أي عذراً للمستغفرين المتصلين ، ومحوا اسيئاتهم وهيئات نفوسهم وصفاتهم ، وانذاراً للمنغمسين في ملابس الطبيعة والبدن ، المحجوبين بغواشيها ، ولذاتها وشهواتها عن الحق او مفعول لها . أي لمحو سيئات الاولين وذنوب صفاتهم، وأفعالهم، وانذار الآخرين او حالان . أي فيلقين ذكراً عاذرات ومنذرات .

« إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَاقِعٌ . فَإِذَا ٱلنُّجُومُ طُمِسَتْ . وَإِذَا ٱلسَّمَاءُ فُرِجَتْ . وَإِذَا ٱلْجِبَالُ نُسِفَتْ . وَإِذَا ٱلرُّسُلُ أُقِّتَتْ . لِأَيِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ . لِيَوْمِ ٱلْفَصْلِ . وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ » .

« إنما توعدون » من احوال القيامة الصغرى ، والكبرى « لواقع ، فإذا النجوم » أي ، الحواس « طمست » ومحيت بالموت « وإذا السماء » أي ، الروح الحيوانية « فرجت » وشققت وانفلقت من الروح الانسانية « وإذا الجبال » أي ، الاعضاء « نسفت » أي ، فنيت ، وأذريت « وإذا الرسل » أي ، ملائكة الثواب والعقاب « اقتت » عينت وبلغت ميقاتها الذي عين

هـا ، إما لإيصال البشري والروح ، والراحة . وإما لإيصال العذاب ، والكرب ، والذلة .

« لأي يوم أجلت » أي ليوم عظيم أخرّت عن معاجلة الثواب والعقاب ، في وقت الاعمال او رسل البشر ، وهم الانبياء عينت وبلغت ميقاتها ، الذي عين لهم للفرق بين المطيع والعاصي ، والسعيد والشقي . فإن الرسل يعرفون كلا بسيماهم « ليوم الفصل » بين السعداء والأشقياء .

وإن فسرت القيامة بالكبرى ، فـإذا نجوم القوي النفسانية محيت بالعاصفات ، وإذا سماء العقل فرجت وشقت بتأثير نور الروح فيها ، وإذا جبال صفات النفس نسفت بالتجليات الوصفية في القيامة الوسطى . بـل جبال النفس ، والقلب ، والعقل ، والروح ، وكل ما عليها بالتجلي الذاتي ، واذا الرسل الناشرات بالأحياء في حال البقاء بعـد الفناء عينت لوقت الفرق بعد الجمع ، وهو حال البقاء. اي وقت الرجوع من الجمع الى التفصيل المسمّى يوم الفصل ، اخرت من وقت الجمع الذي هو الفناء الى ذلك ، الوقت .

« وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ . أَلَمْ نُهْلِكِ ٱلْأَوَّلِينَ . ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ ٱلْآخِرِينَ . كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِٱلْمُجْرِمِينَ . وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ . أَلَمْ نَخْلُقكُّمْ مِّنْ مَّاءٍ مَّهِينٍ . فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ . إِلَىٰ قَدَرٍ مَّعْلُومٍ . فَقَـدَرْنَا فَنِعْمَ ٱلْقَادِرُونَ . وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ . أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ كِفَاتاً . أَحْيَاءً وَأَمْوَاتاً . وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ شَامِخَاتٍ

وَأَسْقَيْنَاكُمْ مَّاءً فُرَاتاً . وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ .
إِنطَلِقُوا إِلَى مَا كُنتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ . إِنطَلِقُوا إِلَى ظِلٍّ
ذِي ثَلٰثِ شُعَبٍ . لَّا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِي مِنَ ٱللَّهَبِ . إِنَّهَا
تَرْمِي بِشَرَرٍ كَٱلْقَصْرِ . كَأَنَّهُ جِمَالَتٌ صُفْرٌ . وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ
لِّلْمُكَذِّبِينَ . هٰذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ . وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ
فَيَعْتَذِرُونَ . وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ . هٰذَا يَوْمُ
ٱلْفَصْلِ جَمَعْنَاكُمْ وَٱلْأَوَّلِينَ . فَإِن كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ
فَكِيدُونِ . وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ » .

« ويل يومئذ للمكذبين » بإحدى القيامتين المحجوبين عن الجزاء ، وقوله: « ويل يومئذ للمكذبين » وما بعده يدل على ان المراد بما توعدون هو القيامة الصغرى « انطلقوا الى ظـل ذي ثلاث شعب » أي ، ظلّ شجرة الزقوم . وهي النفس الخبيثة الملعونة الانسانية اذا احتجبت بصفاتها ، وانقطعت عن نور الوحدة بظلمة ذاتها ، فبقيت راسخة في ارض البدن ، نابتة ناشئة في نار الطبيعة ، متشعبة الى شعب النفوس الثلاث البهيمية ، والسُّبُعية والشيطانية ، وهي القوة الملكوتية المغلوبة بالوهم ، العاملة بمقتضى هوى النفس « لا ظليل » كظل شجرة طوبى . أي حالها في إفادة الروح والراحة بخلاف حال تلك . وهي النفس الطيبة المتنورة بنور الوحدة الوحدانية في افعالهـا الصادرة عن العقل ، الغير المتشعبة الى الشعب المختلفة المتضادة « ولا يغني » من لهب نار

الهوى ، وتعب طلب ما لا يبقى « انها ترمي بشرر » الدواعي العظيمة والتمنيات الباطلة ، كالجبال النارية مع الحرمان عن المتمنيات .

« هذا يوم لا ينطقون » لفقدان آلات النطق وعدم الإذن فيه بالختم على الأفواه فلا يعتذرون ، لأنهم لا يتمكنون من الاعتذار ، وذلك اليوم يوم طويل لا نهاية لطوله ، والمواقف فيه مختلفة. ففي بعض المواقف لا ينطقون. وفي بعضها يمكنهم النطق .

« هذا يوم الفصل جمعناكم » بالحشر العام في عين جمع الوجود مع الأولين، ثم فرقنا بين السعداء ، وجمعناكم مع الأولين من الاشقياء المتوفين قبلكم في النار « فإن كان لكم كيد فكيدون » تعجيز لهم ، وبيان لمقهوريتهم وعدم حيلتهم في رفع العذاب .

« إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي ظِلَالٍ وَعُيُونٍ . وَفَوَاكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ . كُلُوا وَٱشْرَبُوا هَنِيئاً بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ . إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلْمُحْسِنِينَ . وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ . كُلُوا وَتَمَتَّعُوا قَلِيلاً إِنَّكُمْ مُجْرِمُونَ . وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ . وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱرْكَعُوا لَا يَرْكَعُونَ . وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ . فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ » .

« ان المتقين » المتزكين عن صفات النفوس وهيئات الأعمال المتجردين عنها « في ظلال » من الصفات الإلهية « وعيون » من العلوم ، والمعارف ، والحكم ، والحقائق المستفادة من تجلياتها « وفواكه » من لذات المحبات ،

والمدركات « مما يشتهون » على حسب ارادتهم مقولاً لهم « كلوا واشربوا » اي، كلوا من تلك الفواكه ، واشربوا من تلك العيون. أكلاً هنيئاً ، وشرباً هنيئاً سائغاً رافهـــاً « بما كنتم تعملون » من الاعمال الزكية ، والرياضات القلبية والقالبية .

« إنا كذلك نجزي المحسنين » الذين يعبدون الله في مقام مشاهدة الصفات والذات من ورائها ، لقوله : « الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه » . « واذا قيل لهم اركعوا » انخفضوا ، واخشعوا بالإنكسار ، وتواضعوا لقبول الفيض بترك التجـــبر والاستكبار . لا يقبـلون ، ولا ينقادون . وذلك اجرامهم الموجب لهلاكهم .

سُورَةُ النَّبَأ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

« عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ . عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلعَظِيمِ . ٱلَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ . كَلَّا سَيَعْلَمُونَ . ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ . أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَاداً . وَٱلْجِبَالَ أَوْتَاداً . وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجاً . وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتاً . وَجَعَلْنَا ٱللَّيْلَ لِبَاساً . وَجَعَلْنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشاً . وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعاً شِدَاداً . وَجَعَلْنَا سِرَاجاً وَهَّاجاً . وَأَنْزَلْنَا مِنَ ٱلْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجاً . لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتاً . وَجَنَّاتٍ أَلْفَافاً . إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ كَانَ مِيقَـــاتاً . يَوْمَ يُنْفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجاً » .

« النبأ العظيم » هو القيـامة الكبرى . ولذلك ، قيل في أمير المؤمنين عليّ عليه السلام : (هو النبأ العظيم ، وفلك نوح) اي ، الجمع والتفصيل ،

باعتبار الحقيقة والشريعة ، لكونه جامعاً لهما .

« انّ يوم الفصل » اي ، يوم يفصل بين النـــاس ، ويفرق السعداء من الاشقيــاء ، وبين كل طائفة من الفريقين باعتبار تفاوت الهيئات والصور ، والأخلاق والاعمال ، وتناسبها « كان » عند الله وفي علمه وحكمه « ميقاتاً » حدّاً معيناً ، ووقتاً موقتاً ينتهي الخلق اليه .

« يوم ينفخ في الصور » باتصال الارواح بالأجساد ، ورجوعها بهـا الى الحياة « فتأتون أفواجاً » فرقاً مختلفة ، كل فرقة مع امامهم على حسب تباين عقائدهم ، وأعمالهم وتوافقها .

وعن معاذ رضي الله عنه، انه سأل عنه رسول الله ﷺ، فقال : يا معاذ، سألت عن امر عظيم من الأمور ، ثم ارسل عينيه ، وقال : (يحشر عشرة اصناف من امتي ، بعضهم على صورة القردة ، وبعضهم على صورة الخنازير ، وبعضهم منكسون ارجلهم فوق وجوههم يسحبون عليها ، وبعضهم عُمياً ، وبعضهم صُماً بكماً، وبعضهم يضغون السنتهم ، فهي مدلاة على صدورهم يسيل القيح من افواههم يتقذرهم اهل الجمع ، وبعضهم مقطعة ايديهم وأرجلهم ، وبعضهم مصلبون على جذوع من نار، وبعضهم اشدّ نتناً من الجيف، وبعضهم ملبسون جباباً سابغة من قطران لازقة بجلودهم .

فأمّا الذين على صورة القردة ، فالقتات من الناس . واما الذين على صورة الخنازير ، فأهل السحت . واما المنكسون على وجوههم فأكلة الرّبا ، واما العمي فالذين يجورون في الحكم ، واما الصم والبكم فالمعجبون بأعمالهم ، واما الذين يضغون السنتهم فالعلماء والقصاص الذين خالف قولهم اعمالهم ، وامـا الذين قطعت ايديهم وارجلهم فهم الذين يؤذون الجيران . واما المصلبون على

جذوع من نار فالسعاة بالناس الى السلطان . واما الذين هم اشد نتناً من الجيف ، فالذين يتبعون الشهوات ، واللذات ، ومنعوا حق الله في اموالهم . واما الذين يلبسون الجباب ، فأهل الكبر ، والفخر والخيلاء). صدق رسول الله ﷺ .

« وَفُتِحَتِ ٱلسَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَاباً . وَسُيِّرَتِ ٱلْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَاباً . إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَاداً . لِلطَّاغِينَ مَآباً . لَابِثِينَ فِيهَا أَحْقَاباً . لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْداً وَلَا شَرَاباً . إِلَّا حَمِيماً وَغَسَّاقاً . جَزَاءً وِفَاقاً . إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَاباً . وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَّاباً . وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَاباً . فَذُوقُوا فَلَنْ نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَاباً » .

« وفتحت » سماء الروح عند العود الى البدن بأبواب الحواس الظاهرة والباطنة « فكانت ابواباً » اي ، ذات ابواب كثيرة ، هي طرق الشعور ، كأنَّ كلها ابواب لكثرتها« وسُيِّرت »جبال الحجب الساترة لهيئاتهم وصفاتهم عن الأعين الحاجزة عن ظهورها ، من الابدان ، والأعضاء العارضة دون تلك الهيئات التي ظهرت في المحشر ، فكانت سراباً ، كقوله : « فكانت هباء منبثاً » اي ، صارت شيئاً كلاشيء في انبثاثها ، وتفرق اجزائها .

« ان جهنم » الطبيعة « كانت مرصاداً » حدًّا يرصد فيه كل احد يرصدهم عندها الملائكة .

اما السعداء فلمجاوزتهم ومرّهم عليهـا ، لقوله تعالى : « وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضياً ، ثم ننجي الذين اتقوا » .

وعن الصادق عليه السلام ، انـــه سئل عن الآية ، فقيل : انتم ايضاً واردوها ؟ فقال : (جزناها وهي خامدة) .

واما الأشقياء فلكونها مآبهم ، كما قال : « للطاغين مآبـاً » وكقوله : « ونذر الظالمين فيها جثياً » . « لابثين فيها أحقاباً » ازمنة متطاولة متتابعة. امـــا غير متناهية ان كانت الاعتقادات باطلة فاسدة ، او متناهية بحسب رسوخ الهيئات إن كانت الاعمال سيئة مع عدم الاعتقاد ، او مـع الاعتقاد الصحيح « لا يذوقون فيها برداً » روحاً وراحة من اثر اليقين« ولا شراباً » من ذوق المحبة ولذتها « إلا حميماً » من اثر الجهل المركّب « وغسّاقاً » من ظلمة هيئات محبة الجواهر الفاسقة، والميل اليها « جزاء »موافقاً لما ارتكبوه من الاعمال ، وقدموه من العقائد ، والأخلاق .

« إنهم كانوا لا يرجون حسابـــاً » اي ، ذلك العذاب ، لأنهم كانوا موصوفين بهذه الرذائل من عدم توقع المكافات،والتكذيب بالآيات والصفات. اي لفساد العمل والعلم ، فلم يعملوا صالحاً رجاء الجزاء ، ولم يعلموا علمـــاً فيصدقوا بالآيات « وكل شيء » من صور اعمالهم وهيئات عقائدهم، ضبطناه ضبطـــاً بالكتابة عليهم في صفائح نفوسهم ، وصحائف النفوس السماوية ، « فذوقوا فلن نزيدكم إلا عذاباً » اي ، بسببها ذوقوا عذاباً يوازيها لا مزيد عليه فإنها بعينها معذبة لكم دون ما عداها . والمعنى فذوقوا عذابهـا ، فإننا ان نزيدكم عليها شيئاً إلا التعذيب بها الذي ذهلتم عنه .

« إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا . حَدَائِقَ وَأَعْنَاباً . وَكَوَاعِبَ أَتْرَاباً . وَكَأْساً دِهَاقاً . لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّاباً . جَزَاءً مِّنْ رَّبِّكَ عَطَاءً حِسَاباً » .

« ان للمتقين » المقابلين للطاغين المتعدّين في افعالهم حدّ العدالة مما عينه الشرع والعقل ، وهم المتركون عن الرذائل وهيئات السوء من الافعال « مفازا » فوزاً ونجاة من النار التي هي مآب الطاغين « حدائق » من جنان الأخلاق « واعناباً » من ثمرات الافعال وهيئاتها « وكواعب » من صور آثار الاسماء في جنة الافعال « اترابا » متساوية في الرتب « وكأساً » من لذة محبة الآثار مترعة ممزوجة بالزنجبيل والكافور ، لأن اهل جنة الآثار والافعال لا مطمح لهم الى ما وراءها ، فهم محجوبون بالآثار عن المؤثر ، وبالعطاء عن المعطي « عطاء حساباً » كافياً يكفيهم بحسب هممهم ومطامح ابصارهم ، لأنهم لقصور استعداداتهم لا يشتاقون الى ما وراء ذلك ، فلا شيء ألذّ لهم بحسب اذواقهم مما هم فيه .

« رَبِّ ٱلسَّمَٰوَاتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلرَّحْمَٰنِ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَاباً . يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَٰئِكَةُ صَفًّا لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَاباً . ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلْحَقُّ فَمَن شَاءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ مَآباً . إِنَّا أَنذَرْنَاكُمْ عَذَاباً قَرِيبًا يَوْمَ يَنظُرُ ٱلْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ ٱلْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنتُ تُرَاباً » .

« رب السموات والارض ومـا بينهما الرحمن » اي ، ربهم المعطي إياهم ذلك العطاء هو الرحمن ، لأن عطاياهم من النعم الظاهرة الجليلة دون الباطنة الدقيقة فمشربهم من إسم الرحمن دون غـيره « لا يملكون منه خطابا » ، لأنهم لم يصلوا الى مقام الصفات ، فلا حظ لهم من المكالمة .

« يوم يقوم الروح » الانساني ، وملائكة القوى في مراتبهم صافين . اي مرتبة كل في مقامه ، كقوله : « وما منا إلا له مقام معلوم » . « لا يتكلمون إلا من اذن له الرحمن » يسر له بأن هيأ له استعداد المكالمة في الازل ووفقه لإخراج ذلـــك الاستعداد الى الفعل بالتزكية ، « وقال صوابا » قولاً حقاً لا باطلاً .

« إنا انذرناكم عذاباً » هو عذاب الهيئات الفاسقة من الاعمال الفاسدة ، دون ما هو ابعد منه من عذاب القهر والسخط ، وهو مـــا قدّمت ايديهم . والله تعالى اعلم .

سورة النازعات

بسم الله الرحمن الرحيم

« وَٱلنَّازِعَاتِ غَرْقاً . وَٱلنَّاشِطَاتِ نَشْطاً . وَٱلسَّابِحَاتِ سَبْحًا . فَالسَّابِقَاتِ سَبْقاً . فَٱلْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا » .

اقسم بالنفوس المشتاقة التي غلب عليها النزوع الى جناب الحق ، غريقة في بحر الشوق والمحبة ، والتي تنشط من مقر النفس ، واسرّ الطبيعة . اي تخرج من قيود صفاتها وعلائق البدن ، كقولهم : (ثور ناشط) إذا خرج من بلد الى بلد ، او من قولهم : (نشط من عقاله) والتي تسبح في بحار الصفات فتسبق الى عين الذات ومقام الفناء في الوحدة ، فتدبر بالرجوع الى الكثرة امر الدعوة الى الحق والهداية ، وامر النظام في مقام التفصيل بعد الجمع ، وبالكواكب السيارة التي تنزع من المشرق الى المغرب مفرّقة في سيرها الى اقصى المغرب ، وتخرج من برج الى برج ، وتسبح في افلاكها فيسبق بعضها بعضاً في السير ، وتدبر امر العالم فيما نيط بها وبسيرها ، او بالملائكة من النفوس الفلكية التي تنزع الارواح البشرية من الاجساد ، اغراقاً في النزع من اقاصي البدن انامله ، واظفاره ، والتي تخرجها من الابدان ، من

قولهم : (نشط الدلو من البئر) إذا اخرجها . والتي تسبح في جريها فيما امرت به فلتسبق اليه . فتدبر المأمور به على الوجه الذي امر بـه ، والمقسم عليه محذوف كما ذكر غير مرة . اي لتبعثن .

« يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ . تَتْبَعُهَا ٱلرَّادِفَةُ . قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ . أَبْصَارُهَا خَاشِعَةٌ . يَقُولُونَ أَئِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي ٱلْحَافِرَةِ . أَئِذَا كُنَّا عِظَاماً نَّخِرَةً . قَالُوا تِلْكَ إِذاً كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ . فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ . فَإِذَا هُمْ بِٱلسَّاهِرَةِ » .

ويـدل عليه قوله : « يوم ترجف الراجفة » اي تقع الواقعة التي ترجف لهـا ارض الجسد وجبال الاعضاء ، وهي النفخة الاولى ، او وقت زهوق الروح « تتبعها الرادفـة » اي النفخة الثانية. وهي الاحياء بالبعث « قلوب يومئذ» اي وقت وقوع الرجفة في حال النزع « واجفة » مضطربة «ابصارها خاشعة » ذليلة .

«يقولون» المحجوبون المنكرون البعث على سبيل الإنكار «ائنا لمردودون» في الطريقة الاولى من الحياة بعد صيرورتنا عظاماً بالية ، فنحن إذاً خاسرون إن صح ذلك .

« فإنما هي » اي الرادفة ، التي هي الرجفة الى الحياة بالبعث « زجرة » اي صيحة « واحدة » هي تأثير الروح الاسرافيلي في تعلق هـذه الروح

المفارقة بالمادة القابلة لها دفعة فتحيا ، وذلك يوم القيامة الصغرى «فإذا هم» اي فاجأوا الحصول « بالساهرة » وقت هـذه النفخة . اي النفخ والكون بالساهرة في آن واحد . والساهرة ارض بيضاء مستوية . اي عـالم الروح الانساني المفارق الغير الكامل ، فانها ارض بالنسبة الى اسماء عالم القدس ، الذي هو مأوى الكمل . سُميت بالساهرة لنوريتهـا وبساطتها ، او الروح الحيواني ، لاتصال الارواح الانسية الناقصة بها عند البعث ، فتلبثها بهـا ضرورة انجذابها الى المادة ، ويمكن ان يكون إشارة الى المحل الذي تتصل به الروح عند البعث ، لبياضه ، واستواء أجزائه .

« هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى . إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى . إِذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى . فَقُلْ هَلْ لَّكَ إِلَى أَنْ تَزَكَّى . وَأَهْدِيَكَ إِلَى رَبِّكَ فَتَخْشَى . فَأَرَاهُ ٱلْآيَةَ ٱلْكُبْرَى . فَكَذَّبَ وَعَصَى . ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَى . فَحَشَرَ فَنَادَى . فَقَـالَ أَنَا رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَى . فَأَخَذَهُ ٱللهُ نَكَالَ ٱلْآخِرَةِ وَٱلْأُولَى . إِنَّ فِي ذٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَنْ يَخْشَى . ءَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ ٱلسَّمَاءُ بَنَاهَا . رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا . وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا . وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذٰلِكَ دَحَاهَا . أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا . وَٱلْجِبَالَ أَرْسَاهَا . مَتَاعاً لَّكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ » .

« إذ ناداه ربّه بالواد المقدّس » الوادي المقدس هو عـالم الروح المجرد لتقدّسه عن التعلق بالموادّ ، واسمه « طوى » لانطواء الموجودات كلها من الأجسام ، والنفوس تحته ، وفي طيّه ، وقهره . وهو عالم الصفات ، ومقام المكالمة من تجلياتها ، فلذلك ، ناداه بهذا الوادي .

ونهاية هذا العـالم ، هو الأفق الأعلى الذي رأى رسول الله ﷺ ، عنده جبرئيل على صورته « طغى » أي ، ظهر بأنانيته . وذلك ، ان فرعون كان ذا نفس قوية ، حكيماً عالماً ، سلك وادي الافعال ، وقطع بوادي الصفات ، واحتجب بأنانيته ، وانتحل صفات الربوبيـة ونسبها الى نفسه ، وذلك تفرعنه ، وجبروته ، وطغيانه . فكان ممن قال فيه ﷺ : (شر الناس من قامت القيامة عليه وهو حيّ)لقيامه بنفسه وهواها في مقام توحيد الصفات. وذلك ، من أقوى الحجب .

« هل لك إلا أن تزكـي » بالفناء عن أنانيتك « وأهديك الى » الوحدة الذاتية ، بالمعرفة الحقيقية « فتخشى » ، وتلـين أنانيتك ، فتفنى « فأراه الآية الكبرى » أي ، الهوية الحقيقية ، بالتوحيد العليّ ، والهداية الحقانية ، فـلم يرها لقوة حجابه ، ورسوخ توهمه « فكذبه » في أن وراء مـا بلغ من المقام رتبة « وعصى » أمره لتفرعنه وعتوّه « ثم أدبر » عن مقام توحيد الصفات الذي هو فيه لذنب حاله ، وتوجّه الى مقام النفس بالكلية لعناده ، واستيلاء نفسه وشدة ظهورها بالدعوى . « يسعى » في دفع موسى بالمكايد الشيطانية والحيل النفسانية ، فردّ عن جناب القدس مطروداً ، وازداد حجابه فتظاهر بقوله : « أنا ربـكم الأعلى » أو نازع الحق لشدّة ظهور أنانيته رداء الكبرياء، فقهر ، وقذف في النار ملعوناً ، كما قال تعالى : « العظمة إزاري ، والكبرياء ردائي ، فمن نازعني واحداً منهما قذفته في النار » . ويروي قصمته ، وذلك

القهر ، هو معنى قوله : « فأخذه الله نكال الآخرة والأولى ، إن في ذلك لعبرة لمن يخشى » فيخشع ، وتلين نفسه وتنكسر ، فلا تظهر .

« فَإِذَا جَاءَتِ ٱلطَّامَّةُ ٱلْكُبْرَى . يَوْمَ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَانُ مَا سَعَى . وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِمَنْ يَرَى . فَأَمَّا مَنْ طَغَى . وَآثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا . فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِيَ ٱلْمَأْوَى . وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَى . فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِيَ ٱلْمَأْوَى . يَسْئَلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا . فِيمَ أَنتَ مِنْ ذِكْرَاهَا . إِلَى رَبِّكَ مُنْتَهَاهَا . إِنَّمَا أَنتَ مُنْذِرُ مَنْ يَخْشَاهَا . كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا » .

« فإذا جاءت الطامة الكبرى » أي ، تجلي نور الوحدة الذاتية الذي يطم على كل شيء ، فيطمسه ويمحوه « يوم يتذكر الانسان » سعيه في الأطوار من مبدأ فطرته الى فنائه ، وسلوكه في المقامات والدرجات ، حتى وصل الى ما وصل ، فيشكره « وبرّزت الجحيم » أي ، نار الطبيعة الأثارية « لمن يرى » ممن أبصر بنور الله ، وبرز من الحجاب لله ، دون العمي المحجوبين ، الذين يحترقون بناره ولا يرونه ، فيومئذ يصير الناس في شهوده قسمين :

« فأمّا من طغى » أي ، تعدى طور الفطرة الانسانية ، وجاوز حدّ العدالة والشريعة الى الرتبة البهيمية ، أو السبُعية ، وأفرط في تعدّيه « وآثر

الحياة » الحسية ، على الحقيقية بمحبة اللذات السفلية « فإن الجحيم » مأواه ومرجعه .

« وأمّا من خاف ربه » بالترقي الى مقـــام القلب ، ومشاهدة قيُّوميَّته تعالى على نفسه « ونهى النفس » لخوف عقابه ، أو قهره « عن » هواهـا « فإن الجنة » مأواه على حسب درجاته .

« الى ربك منتهاها » أي ، في أي شيء انت من علمها وذكرهـا ، إنما الى ربك ينتهي علمها ، فإن من عرف القيامة ، هو الذي انمحى علمه ، أولاً بعلمه تعالى ، ثم فنيت ذاته في ذاته ، فكيف يعلمها، ولا علم له ، ولا ذات ؟ فمن أين أنت وغيرك من علمها ؟ بل لا يعلمها إلا الله وحده .

« إنما أنت منذر من يخشاها » لإيمانه بهـا تقليداً « لم يلبثوا إلا عشية أو ضحاها » أي ، وقت غروب نور الحق في الأجساد ، او وقت طلوعه من مغربه ، اي وقت رؤيتهم القيامة بالفنـاء في الوحدة ، تيقّنوا أن لم يكن لهم وجود قط إلا توهماً باللبث في عالم الاجسام ، والاحتجاب بالحس . او في عالم الارواح والاحتجاب بالعقل ، وهمـا المراد بقول من قال : (خطوتين وقد وصلت) أي اذا جزت هذين الكونين فقد وصلت . والله أعلم .

سورة عبس

بسم الله الرحمن الرحيم

« عَبَسَ وَتَوَلَّى . أَنْ جَاءَهُ ٱلْأَعْمَى . وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّى . أَوْ يَذَّكَّرَ فَتَنْفَعَهُ ٱلذِّكْرَى . أَمَّا مَنِ ٱسْتَغْنَى . فَأَنتَ لَهُ تَصَدَّى . وَمَا عَلَيْكَ أَلاَّ يَزَّكَّى . وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَى . وَهُوَ يَخْشَى . فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّى » .

« عبس وتولـّى » كان ﷺ ، في حجر تربية ربـه ، لكونه حبيباً . فكلما ظهرت نفسه بصفة حجبت عنه نور الحق حتى تحرّك بنفسه لا بالله ، عوتب وأدّب ، كما قال : (أدّبني ربي فأحسن تأديبي) الى أن يخلـّق بأخلاقه تعالى .

فإن التخلق بأخلاقه كان بعد الوصول والفناء ، والتحقق به حال البقاء ، وهو الاستقامة وقت التمكين ، وانتفاء التلوين . فلما نظر بظاهر الحـال الى الكبراء ، وعظم في عينه ، غني الاغنياء ، وأعرض عن الفقير اعتناء بالقوم ، وتقوى الاسلام بهم ان آمنوا ، واحتقاراً للفقير وإيمانه ؛ نبه بأن مثلك لا ينبغي

ان ينظر الى ظاهر الحال فيتشاغل عن المستعد الطالب الضعيف بالغني القوي. بـــل يجب أن يكون نظرك مقصوراً على الإستعداد وقبول الإيمان ، فتعتبر ذلك ، دون غيره ، ولا تحتجب بالظاهر عن الباطن ، عسى ان يكون الفقير المتلهي عنه عاملاً بالتزكية والتحلية ، بالغــاً حدّ الكمال فيصير مهدياً هادياً لغيره ، والغني المتصدّي له لم يؤمن لعدم استعداده او لاستكباره وعناده ، « وما عليك » بأس في امتناعه عن الاسلام .

« كَلَّا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ . فَمَنْ شَاءَ ذَكَرَهُ . فِي صُحُفٍ مُكَرَّمَةٍ . مَرْفُوعَةٍ مُطَهَّرَةٍ . بِأَيْدِي سَفَرَةٍ . كِرَامٍ بَرَرَةٍ . قُتِلَ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ . مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ . مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ . ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ . ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ . ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنْشَرَهُ . كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَا أَمَرَهُ . فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ . أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا . ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا . فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا . وَعِنَبًا وَقَضْبًا . وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا . وَحَدَائِقَ غُلْبًا . وَفَاكِهَةً وَأَبًّا . مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ » .

« كلا » ردع له عن ذلك ، ولهذا روي انه ما تعبس بعد نزول هذه الآية في وجه فقير قط ، ولا تصدّى لغني « في صحف مكرّمة » عند الله ، هي ألواح النفوس السماوية التي نزل القرآن اليهــا اولاً ، من اللوح المحفوظ كما ذكر

« مرفوعة » القدر والمكان « مطهّرة » عن دنس الطبائع وتغيّراتها « بأيدي سفرة » أي كتبة ، هي العقول المقدّسة المؤثرة في تلك الألواح « كرام » لشرفها وقربها من الله « بررة » أتقياء ، لتقدّسها عن المواد ، ونزاهة جوهرها عن التعلقات .

ثم لما بين أن القرآن تذكرة للمتذكرين تعجب من كفران الانسان واحتجابه ، حتى يحتاج الى التذكير ، وعدم النعم الظاهرة التي يمكن بها الاستدلال على المنعم بالحسن من مبادي خلقته ، وأحواله في نفسه ، وما هو خارج عنه ، مما لا يمكن حياته إلا به ، وقرّر أنه مع اجتماع الدليلين . أي النظر في هذه الأحوال الموجب لمعرفة الموجد المنعم ، والقيام بشكره ، وسماع الوعظ ، والتذكير بنزول القرآن « لما يقض » في الزمان المتطاول « ما امره » الله به من شكر نعمته باستعمالها في اخراج كماله الى الفعل ، والتوصل بها الى المنعم ، بل احتجب بها وبنفسه عنه .

« فَإِذَا جَاءَتِ ٱلصَّآخَّةُ . يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ . وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ . وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ . لِكُلِّ ٱمْرِىءٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ . وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ . ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ . وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ . تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ . أُولَٰئِكَ هُمُ ٱلْكَفَرَةُ ٱلْفَجَرَةُ » .

« فإذا جاءت الصاخة » أي ، النفخة الأولى المذهبة للعقل ، والحواس « يوم » يهتم كل احد بأمر نفسه ، لا يتفرّغ الى غيره . لشدة ما به ،

واشتغاله بمـــا يظهر عليه من احوال نفسه ، انقسم الناس قسمين : السعداء المسفرة وجوههم ، المضيئة المتهللة بنورية ذواتهم وصفاتها ، المستبشرة بما لقوا من هيئات اعمالهم ، ونعـــيم جنانهم . والأشقياء المسودّة وجوههم بسواد كفرهم ، وظلمـــة ذواتهم المغبرة بغبار هيئات فجورهم ، وقتام آثار اعمالهم « اولئك هم الكفرة الفجرة » أي ، اجتماع كفرهم ، وفجورهم هو السبب في اجتماع السواد والغبرة على وجوههم .

سورة التكوير

بسم الله الرحمن الرحيم

« إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ . وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ . وَإِذَا ٱلْجِبَالُ سُيِّرَتْ . وَإِذَا ٱلْعِشَارُ عُطِّلَتْ . وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ . وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ . وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ . وَإِذَا ٱلْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ . بِأَيِّ ذَنبٍ قُتِلَتْ » .

« إذا الشمس كوّرت » أي ، إذا كوّرت شمس الروح بطي ضوئها الذي هو الحياة ، وقبضها عن البدن وإزالتها ، وإذا انكدرت نجوم الحواس بذهاب نورها ، وإذا سيّرت جبال الأعضاء بتفتيتها وجعلها هباء ، وإذا عطّلت عشار الأرجل المنتفع بها في السير عن الاستعمال في المشي ، وترك الانتفاع بها او الأموال النفيسة المنتفع بها . فإن العشار أنفس اموال العرب ، وإذا حشرت وحوش القوى الحيوانية بأن هلكت وأفنيت ، من قولهم : (حشرتهم السنة) إذا بالغت في اهلاكهم ، او حشرت بالأحياء عند البعث ، وإذا سجرت ، أي ملئت بحار العناصر بأن فجر بعضها الى بعض ، واتصل كل جزء بأصله

فصار بحراً واحداً ، وإذا زوّجت النفوس بأن تحشر كل نفس الى ما يجانسه وتشاكله من صنف ، فصنفت أصنافاً من السعداء والأشقياء كل مع قرنائه .

وإذا سئلت موؤدة النفس الناطقة التي أثقلتها وائـدة النفس الحيوانية في قبر البدن ، وأهلكتها « بأي ذنب قتلت » ؟ أي، طلب اظهار الذنب الذي به استولت النفس الحيوانية على الناطقة من الغضب ، او الشهوة ، او غيرهما. فمنعتها عن خواصها وأفعالهـا ، وأهلكتها . فأظهر فكني عن طلب اظهاره بالسؤال ، ولهذا قال عليه السلام : (الوائدة والموؤدة في النار) لأن النفس الناطقة في العذاب مقارنة للنفس الحيوانية ، وفي الحديث سر آخر ليس هذا موضع ذكره .

« وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتْ . وَإِذَا ٱلسَّمَاءُ كُشِطَتْ . وَإِذَا ٱلْجَحِيمُ سُعِّرَتْ . وَإِذَا ٱلْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ . عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا أَحْضَرَتْ . فَلَا أُقْسِمُ بِٱلْخُنَّسِ . ٱلْجَوَارِ ٱلْكُنَّسِ . وَٱلَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ . وَٱلصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ . إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ . ذِي قُوَّةٍ عِنـــدَ ذِي ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ . مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ . وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ » .

« وإذا الصحف نشرت » أي، صحائف القوى والنفوس التي فيها هيئات الأعمـــال تطوى عند الموت . وتكوير شمس الروح ، وتنشر عند البعث ، والعود الى البدن « وإذا السماء » أي، الروح الحيوانية ، او العقل « كشطت » أزيلت ، وأذهبت « وإذا الجحيم » أي ، نار آثار الغضب والقهر ، في جهنم

الطبيعة « سعّرت » اوقدت للمحجوبين « وإذا الجنة » أي ، نعيم آثار الرضا ، واللطف « أزلفت » قربت للمتقين « علمت » كل « نفس » ما احضرته ووقفت عليه بعد نسيانها ، وذهولها عنه .

« فلا اقسم بالخنس » أي ، الرواجع من الكواكب السيارة « الكنس » التي تدخل في بروجها كالوحوش في كناسها ، او النفوس الرواجع الى الأبدان الجارية الداخلة مواضعها « والليل » أي ، ليل ظلمة الجسد الميت « إذا عسعس » أي ، أدبر بابتداء ذهاب ظلمته بنور الحياة ، عند تعلق الروح به ، وطلوع نور شمسه عليه « والصبح » أي ، اثر نور طلوع تلك الشمس « إذا تنفس » وانتشر في البدن بإفادة الحياة « انه لقول رسول كريم » أي ، روح القدس النافث في روع الانسان .

« وَلَقَدْ رَآهُ بِٱلْأُفُقِ ٱلْمُبِينِ . وَمَا هُوَ عَلَى ٱلْغَيْبِ بِضَنِينٍ . وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَّجِيمٍ . فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ . إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ . لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ . وَمَا تَشَاؤُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ ٱللهُ رَبُّ ٱلْعَالَمِينَ » .

« ولقد رآه بالأفق المبين » أي ، نهاية طور القلب الذي يلي الروح ، وهو مكان إلقاء النافث القدسي « وما هو على الغيب بضنين » أي ، ما هو بمتهم على ما يخبر به من الغيب لامتناع استيلاء شيطان الوهم وجنّ التخيّل عليه فيخلط كلامه ، ويمتزج المعنى القدسي بالوهمي ، والخيالي . لأن عقله ما ستر ، بل صفى عن شوب الوهم « وما هو » من إلقاء شيطان الوهم ، المرجوم بنور الروح ، فيكون كله وهمياً ، لما ذكر « فأين تذهبون » أي ، بعد هذا

الكلام من إلقاء الوهم ومزجه ، وصاحبه من الجنة بما لا يخفى على احد . فمن سلك هذه الطرق ، ونسبه الى احد الأمور الثلاثة ، فقد بعد عن الصواب بما لا يضبط ، ولا تقرب اليه بوجه ، كمن سلك طريقاً يبعده عن سمت مقصده فيقال : (اين تذهب) ؟

« لمن شاء منكم » من جملة العالمين الاستقامة في طريق السلوك ، والصراط المستقيم هو الطريق الذي عليه الحق لقوله : (إن ربي على صراط مستقيم) فما يشاء احد سلوكها إلا بمشيئة الله فإن طريقه لا يسلك إلا بإرادته . والله تعالى اعلم .

سورة الانفطار

بسم الله الرحمن الرحيم

« إذَا ٱلسَّمَاءُ ٱنفَطَرَتْ . وَإِذَا ٱلكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتْ . وَإِذَا ٱلبِحَارُ فُجِّرَتْ . وَإِذَا ٱلقُبُورُ بُعْثِرَتْ . عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ . يَا أَيُّهَا ٱلإِنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلكَرِيمِ . ٱلَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ . فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ . كَلاَّ بَلْ تُكَذِّبُونَ بِٱلدِّينِ . وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ . كِرَاماً كَاتِبِينَ . يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ . إِنَّ ٱلأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ . وَإِنَّ ٱلفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ . يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ ٱلدِّينِ . وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ . وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ . ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ . يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْئاً وَٱلأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ » .

« إذا السماء انفطرت » أي، إذا انفطرت سماء الروح الحيوانية بانفراجها عن الروح الانساني وزوالها « وإذا الكواكب » أي ، الحواس « انتثرت » بالموت ، وذهبت « وإذا البحار » أي ، الأجسام العنصرية « فجرت » بعضها في بعض ، بزوال البرازخ الحاجزة عـن ذهاب كل الى اصله . وهي الارواح الحيوانية المانعة عن خراب البدن ، ورجوع اجزائه الى اصلها «وإذا القبور» أي ، الابدان « بعثرت » بحثت ، واخرج ما فيها من الارواح ، والقوى .

« ما غرّك » انكار للغرور بكرمه . اي ان كان كونه كريمـــاً يسوغ الغرور ويسهله ، لكن له من النعم الكثيرة والمنن العظيمة ، والقدرة الكاملة ما يمنع من ذلك ، اكثر من تجويز الكرم إياه .

والكرام الكاتبون : هم النفوس السماوية ، والقوى الفلكية المنتقشة بمـا يصدر عنهم من الافعال . اي ارتدعوا عن الغرور بالكرم . بل إنما عصيانهم للتكذيب بالجزاء اصلاً الذي هو اعظم من الغرور . وإن الكرام الاشراف التي كرمت عن الكون والفساد ، يحفظون افعالكم ، ويكتبونها عليكم فضلاً عن الملكين الموكلين بـــكم كما قال : (عن اليمين وعن الشمال قعيد) فكيف تجترؤن على المعاصي ، وقد تكتب عليكم في السماء والأرض ؟ والله تعالى أعلم.

سورة المطففين

بسم الله الرحمن الرحيم

« وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ . ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُوا عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ . وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ . أَلَا يَظُنُّ أُولَٰئِكَ أَنَّهُمْ مَّبْعُوثُونَ . لِيَوْمٍ عَظِيمٍ . يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَالَمِينَ . كَلَّآ إِنَّ كِتَابَ ٱلْفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ . وَمَآ أَدْرَاكَ مَا سِجِّينٌ . كِتَابٌ مَّرْقُومٌ . وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ . ٱلَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ » .

« ويل للمطفّفين » الباخسين حقوق الناس في الكيل ، والوزن . يمكن ن يحمل بعد الظاهر على التطفيف في الميزان الحقيقي الذي هو العدل ، والموزونات به هي الأخلاق ، والاعمال . والمطففون ، هم الذين اذا اعتبروا كمالات أنفسهم متفضلين « على الناس يستوفون » يستكثرونها ، ويزيدون على حقوقهم في إظهار الفضائل العلمية والعملية ، اكثر مما لهم ، عجباً ، وتكبراً .

« وإذا » اعتبروا كمالات الناس بالنسبة الى كمالاتهم أخسروهـا واستحقروها ، ولم يراعوا العدالة في الحـالين ، لرعونة انفسهم ، ومحبة التفضل على الناس ، كقوله : « يحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا » .

« ألا يظنّ أولئك » الموصوفون بهذه الرذيلة التي هي أفحش أنواع الظلم. أي ليس في ظنهم « أنهم مبعوثون » فيظهر مـا في أنفسهم من الفضائل والرذائل ، او يحاسب عليه ، ويرتدع فضلاً عن العلم « ليوم عظيم » لا يقدر احد فيه ان يظهر مـا ليس فيه ، ولا ان يكتم ما فيه ، لانقلاب باطنه ظاهره ، وصفة صورته ، فيستحيي ، ويذوق وبال رذيلته .

« يوم يقوم الناس » عن مراقب أبدانهم « لرب العالمين » بارزين له ، لا يخفى عليه منهم شيء . « كلا » ردع عن هذه الرذيلة « انّ كتاب الفجار » اي ، ما كتب من اعمـال المرتكبين الرذائل ، الذين فجروا بخروجهم عن حدّ العدالة المتفق عليها ، الشرع والعقل « لفي سجين »في مرتبة من الوجود مسجون اهلهـا في حبوس ضيقة مظلمة ، يزحفون على بطونهم كالسلاحف ، والحيات ، والعقارب . أذلاء ، أخساء في اسفل مراتب الطبيعة ودركاتها ، وهو ديوان اعمال اهل الشر . ولذلك ، فسّر بقوله: « كتاب مرقوم » اي، ذلك ، المحل المكتوب فيه اعمالهم كتاب مرقوم ، برقوم هيئـات رذائلهم وشرورهم .

« وَمَا يُكَذِّبُ بِهِ إِلاَّ كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ . إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَـا قَالَ أَسَاطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ . كَلاَّ بَلْ رَّانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ . كَلاَّ إِنَّهُمْ عَنْ رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ

لَمَحْجُوبُونَ . ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا ٱلْجَحِيمِ . ثُمَّ يُقَالُ هَذَا ٱلَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ . كَلاَّ إِنَّ كِتَابَ ٱلْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ . وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ . كِتَابٌ مَرْقُومٌ . يَشْهَدُهُ ٱلْمُقَرَّبُونَ . إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ . عَلَى ٱلْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ . تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ ٱلنَّعِيمِ . يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَخْتُومٍ . خِتَامُهُ مِسْكٌ وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَافِسُونَ » .

« وما يكذّب به إلا كل معتد » مجاوز طور الفطرة الانسانية بتجاوزه حـد العدالة الى الإفراط والتفريط في افعـاله « أثيم » محتجب بذنوب هيئات صفاته .

« كلا » ردع عن هاتين الرذيلتين« بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون» اي ، صار صدأ عليها بالرسوخ فيها ، وكدر جوهرها ، وغيرها من طباعها. والرّين ، حد من تراكم الذنب على الذنب، ورسوخه . تحقق عنده الحجاب ، وانغلق باب المغفرة ، نعوذ بالله منه . ولذلك ، قـال : « كلا » اي ، ارتدعوا عن الرين « انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون » لامتنـاع قبول قلوبهم للنور ، وامتناع عودها الى الصفاء الأول الفطري ، كالماء الكبريتي مثلا . اذ لو روّق ، او صعد لما رجع الى الطبيعة المائية المبرّدة ، لاستحالة جوهرها ، بخلاف المـاء المسخن الذي استحالت كيفيته دون طبيعته . ولهذا استحقوا الخلود في العذاب ، وحكم عليهم بقوله : « ثم انهم لصالوا الجحيم » .

« إن كتاب الأبرار لفي عليين » اي، ما كتب من صور اعمال السعداء، وهيئات نفوسهم النورانية، وملكاتهم الفاضلة في عليين. وهو مقابل للسجين في علوّه، وارتفاع درجته، وكونه ديوان اعمال اهل الخير، كما قال: « كتاب مرقوم » اي، محل شريف رقم بصور اعمالهم، من جرم سماوي، او عنصري انساني « يشهده المقرّبون » اي، ذلك المحل اهل الله الخاصة من اهل التوحيد الذاتي.

« إن الأبرار » السعداء الأتقياء عن دون صفات النفوس « لفي نعيم » من جنات الصفات، والافعال « على الأرائك » التي هي مقاماتهم من الاسماء الإلهية في حجال عالم القدس الخفيّ عن اعين الإنس « ينظرون » الى جميع مراتب الوجود، ويشاهدون اهل الجنة والنار، وما هم فيه من النعيم والعذاب، لا تحجب حجالهم عنه شيئاً، وتحجب أغيارهم عنهم.

« تعرف في وجوههم نضرة النعيم » بهجته، ونوريته، وآثار سروره، « يسقون من رحيق » خمر صرف من المحبة الروحانية، الغير الممزوجة بحب النفس للجواهر الجسمانية « مختوم » بختم الشرع، لئلا تمتزج به النجاسات الشيطانية من المحبات الوهمية المحرمة، والشهوات النفسانية المهيئة « ختامه مسك » هو حكم الشرع بالمباحات المطيبة للنفوس، المقوّية للقلوب « وفي ذلك » اي، في شرب رحيق المحبة الروحانية الصرفة، المقيّدة بقيد الشريعة ولذتها الصافية « فاليتنافس المتنافسون » فإنه أعز من الكبريت الأحمر.

« وَمِزَاجُهُ مِنْ تَسْنِيمٍ. عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا ٱلْمُقَرَّبُونَ.
إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ ٱلَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ.

وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ . وَإِذَا ٱنقَلَبُوا إِلَى أَهْلِهِمُ ٱنقَلَبُوا فَكِهِينَ . وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَؤُلَاءِ لَضَالُّونَ . وَمَا أُرْسِلُوا عَلَيْهِمْ حَافِظِينَ . فَٱلْيَوْمَ ٱلَّذِينَ آمَنُوا مِنَ ٱلْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ . عَلَى ٱلْأَرَائِكِ يَنظُرُونَ . هَلْ ثُوِّبَ ٱلْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ » .

« ومزاجه من تسنيم » اي ، مزاج خمر الأبرار من تسنيم العشق الحقيقي الصرف ، وهو محبة الذات المعبر عنها بالكافور ، باعتبار الخاصيّة حال الجمع عبّر عنها بالتسنيم باعتبار المرتبة حال التفصيل ، فإنه في اعلى رتب الوجود ، ويجري كما قيل في غير أخدود لتجرده عن المحل والتعين بصورة وصفة . أي لهم مع محبة الصفات في مقامها محبة الذات الصرفة ، بل ممزوجة بشرابهم لمشاهدتهم الذات من وراء حجب الصفات .

« عيناً يشرب بها المقرّبون » اي ، التسنيم عين يشرب بها المقربون صرفة ، وهم الكاملون الواصلون الى توحيد الذات من اهل التمكين ، القائمين بالله في مقام التفصيل بالإستقامة ؛ ففرق بين اهل الاستقامة في مقام التفصيل وأهل الاستغراق في مقام الجمع ، باختلاف اسمهم واسم شرابهم مع إيجاد حقيقتهم ، وحقيقة شرابهم ، بأن سمّاهم مقرّبين ، للاشعار بالفرق مع القرب ، وسمّى شرابهم التسنيم ، للاشعار بعلوّ الرتبة بالنسبة الى سائر الرتب ، وسمي اهل الإستغراق بعباد الله، للاشعار بالمقهورية مع الاختصاص المؤذنة بالفناء ، وسمي شرابهم بالكافور ، للاشعار بالوحدة الصرفة ، والبياض الخالص بلا نسبة ، ولا فرق .

سورة الانشقاق

بسم الله الرحمن الرحيم

« إِذَا ٱلسَّمَاءُ ٱنشَقَّتْ . وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ . وَإِذَا ٱلْأَرْضُ مُدَّتْ . وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ . وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ . يَا أَيُّهَا ٱلْإِنسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحاً فَمُلَاقِيهِ . فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَاباً يَسِيراً . وَيَنقَلِبُ إِلَى أَهْلِهِ مَسْرُوراً . وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ فَسَوْفَ يَدْعُوا ثُبُوراً . وَيَصْلَى سَعِيرًا . إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُورًا . إِنَّهُ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ . بَلَى إِنَّ رَبَّهُ كَانَ بِهِ بَصِيرًا » .

« إذا السماء انشقت » كقوله : « انفطرت » . « وأذنت لربها » اي ، انقادت لأمره بانفراجها عن الروح الانساني انقياد السامع المطيع لأمره

المطاع « وحقت » اي ، حق لها ، ووجب ان تنقاد لأمر القادر المطلق ، ولا تمتنع ، وهي حقيقة بذلك . « واذا » ارض البدن « مدّت » وبسطت، بنزع الروح عنها « وألقت ما فيها » من الروح والقوى « وتخلت » تكلفت في الخلوّ عن كل ما فيها من الآثار والأعراض، كالحياة، والمزاج ، والتركيب والشكل بتبعية خلوها عن الروح .

« انك كادح الى ربك » ساع مجتهد في الذهاب اليه بالموت . اي تسير مع انفاسك سريعاً كما قيل : انفاسك خطاك الى أجلك . او مجتهد مجدّ في العمل خيراً او شراً « ذاهباً الى ربك فملاقيه » ضرورة. والضمير إما للرب، وإما للكدح .

« فأمّا من أوتي كتابه بيمينه » بأن جعل من اصحاب اليمين في الصورة الانسانية آخذاً كتاب نفسه او بدنه بيمين عقله ، قارئاً مـــا فيه من معاني العقل القرآني « فسوف يحاسب حساباً يسيراً » بأن تمحى سيئاته ويعفى عنه ويثاب بحسناته دفعة واحدة ، لبقاء فطرته على صفائهـا ، ونوريتها الأصلية « وينقلب الى اهله » ممن يجانسه ويقارنــــه من اصحاب اليمين ، مسروراً فرحاً بصحبتهم ومرافقتهم ، وبما اوتي من حظوظه .

« وأمّا من أوتي كتابه وراء ظهره » اي ، جهته التي تلي الظلمـة من الروح الحيوانية والجسد ، فإن وجـه الانسان وجهته التي الى الحق ، وخلفه جهته التي الى البـــدن الظلماني ، بأن ردّ الى الظلمات في صور الحيوانات « فسوف يدعوا ثبوراً » لكونه في ورطة هـــلاك الروح ، وعذاب البدن « ويصلى سعيراً » اي ، سعير نار الآثار في مهاوي الطبيعة « انـه كان في اهله مسروراً » اي ذلك لأنه كان بطراً في اهله بالنعم ، محتجباً بهـا عن

المنعم ، ظاناً انه لن يرجع الى ربه ، او الى الحياة بالبعث لاعتقاده انه يحيا ويموت ، ولا يهلكه إلا الدهر « بلى » ليحورنّ « ان ربه كان به بصيراً » فيجازيه على حسب حاله .

« فَلَا أُقْسِمُ بِالشَّفَقِ . وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ . وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ . لَتَرْكَبُنَّ طَبَقاً عَنْ طَبَقٍ . فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ . وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ لَا يَسْجُدُونَ . بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُكَذِّبُونَ . وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ . فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ . إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ » .

« فلا اقسم بالشفق » اي ، النورية الباقية من الفطرة الانسانية بعد غروبها واحتجابها في افق البدن الممزوجة بظلمة النفس عظمها بالاقسام بها ، لإمكان كسب الكمال ، والترقي في الدرجات بها « والليل » اي ، وليل ظلمة البدن « وما » جمعه من القوى والآلات ، والإستعدادات التي يمكن بها اكتساب العلوم والفضائل ، والترقي في المقامات ، ونيل المواهب ، والكمالات « والقمر » اي قمر القلب الصافي عن خسوف النفس « إذا اتسق » اي ، اجتمع وتم نوره ، وصار كاملا « لتركبن طبقاً عن طبق » اي ، مراتب مجاوزة عن مراتب وطبقات ، واطوار مرتبة بالموت وما بعده من مواطن البعث ، والنشور .

« فما لهم لا يؤمنون » بها « واذا قرىء عليهم القرآن » بتذكير هذه

الاطوار والمراتب لا يخضعون ، ولا ينقادون « بل » المحجوبون عن الحق ، محجوبون بالضرورة عن الدين « والله اعلم بمـــا يوعون » في وعاء انفسهم ، وبواطنهم من الاعتقادات الفاسدة، والهيئات الفاسقة « فبشرهم بعذاب اليم » من نيران الآثار ، وحرمان الأنوار مؤلم غاية الايلام ، لكن « الذين آمنوا » الإيمـــان العلمي بتصفية قلوبهم عن كدر صفات النفس ، وتزكيتها « وعملوا الصالحات » باكتساب الفضائل « لهم اجر » ثواب الآثار والصفات في جنـة النفس والقلب ، غير مقطوع لبراءته عن الكون والفساد وتجرّده عن المواد . والله سبحانه ، وتعالى اعلم .

سورة البروج

بسم الله الرحمن الرحيم

« وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ . وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ . وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ . قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ . النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ . إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ . وَهُمْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ » .

« والسماء ذات البروج » اي ، الروح الانساني ذات المقامات في الترقي والدرجات « واليوم الموعود » اي القيامة الكبرى ، التي هي آخر درجاته من كشف التوحيد الذاتي « وشاهد » اي ، الذي شهد الشهود الذاتي في عين الجمع « ومشهود » اي ، الذات الاحدية ، ومعنى التنكير التعظيم . اي شاهد لا يعرفه احد ، ولا يقدّر قدره إلا الله لفنائه فيه ، وانتفاء عينه واثره ، فكيف يعرف ومشهود لا يعلمه احد إلا هو . ولعمري انه عين الشاهد لا فرق إلا بالاعتبار .

وجواب القسم محذوف مدلول عليه ، بقوله : (قتل) اي ، لتحجبن ،

او لتلعنن « قتل اصحاب الاخدود » اي ، لعن البدنيون المحجوبون بصفات النفس في شقوق ارض البدن ، واوهادها « النار ذات الوقود » بدل الاشتمال من الاخدود لملازمتها إياه ، وهي الطبيعة الآثارية المحرقة اربابها بالشهوات والأماني « إذ هم عليها » اي ، على تلك النار « قعود » عاكفون ملازمون ، لا يبرحون فيتنفسوا في فضاء القدس ، ويذوقوا روح النفحات الإلهية « وهم على ما يفعلون بالمؤمنين » الموحدين اهـــل الكشف والعيان ، من الازدراء والاستحقار ، والاستهزاء ، والاستنكار «شهود» يشهد بعضهم على بعض بذلك.

« وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلاَّ أَنْ يُؤْمِنُوا بِٱللهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ . ٱلَّذِي لَهُ مُلْكُ ٱلسَّمٰوَاتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ . إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُوا ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ ٱلْحَرِيقِ ».

« وما نقموا منهم » اي ، وما انكروا منهم « إلا » الإيمان «بالله العزيز» الغالب على اعدائه بالقهر والانتقام ، والحجب ، والحرمان « الحميد » المنعم على اوليائه بالهداية ، والإيقان « الذي له ملك السموات والارض » يحتجب بهما عن الاشقياء ، ويتجلى فيهما على الاوليـــاء « والله على كل شيء شهيد » حاضر يظهر ويتجلى على اوليائـــه ، على كل ذرة ، فلهذا آمن من آمن ، وأنكر من انكر .

« إن » المحجوبين « الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات » من قلوب اهـــل الشهود ونفوسهم بالانكار والاحتقار « ثم لم يتوبوا » اي ، بقوا في الحجاب ،

ولم يستبصروا فيرجعوا « فلهم عذاب جهنم » اي ، من تأثير نار الطبيعة السفلية « ولهم عذاب » حريق القهر من نار الصفات فوق نار الآثار ، وذلك لشوقهم عند خراب البدن الى انوار الصفات في عالم القدس ، وحرمانهم وطردهم بقهر الحق ، فعذبوا بالنارين جميعاً .

« إِنَّ ٱلَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَارُ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْكَبِيرُ . إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ . إِنَّهُ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ . وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ . ذُو ٱلْعَرْشِ ٱلْمَجِيدُ . فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ . هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ٱلْجُنُودِ . فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ . بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا فِي تَكْذِيبٍ . وَٱللَّهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ . بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ . فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ » .

« ان الذين آمنوا » الإيمان العيني الحقي « وعملوا الصالحات » في مقام الاستقامة من الافعال الإلهية ، المقتضية لتكميل الخلق ، وضبط النظام « ولهم جنات » من الجنات الثلاث « تجري من تحتها » أنهار علوم توحيد الافعال ، والصفات والذات ، وأحكام تجلياتها « ذلك الفوز الكبير » التامّ ، الذي لا فوز اكبر منه .

« انّ بطش ربك » بالقهر الحقيقي ، والإفناء « لشديد » لا يبقى بقية ، ولا أثراً « أنــه يبدىء » البطش « ويعيد » أي ، يكرّره . يبدىء أولاً

بإفناء الافعــال ، ثم يعيد بإفناء الصفات ، ثم بالذات « وهو الغفور » يستر قلوب وجودات المحبين وبقاياهم بنوره « الودود » للمحبوبين بإيصــالهم الى جنابه ، وتنعيمهم ، وإكرامهم بكمالاته من غير رياضة « ذو العرش » أي ، المستوي على عرش قلوب أحبائه من العرفاء « المجيد » ذو العظمة ، المتجلي بصفات الكمال من الجمال ، والجلال « فعّال لمــا يريد » على مظاهرهم ، لاستقامتهم ، فيختارون اختياره في افعالهم ، أو يحجب من يريد بجلاله كالمنكرين ، ويتجلى لمن يريد بجماله كالعارفين .

« هل أتاك حديث » المحجوبين إمّا بالأنانية كفرعون ومن يدين بدينه ، أو بالآثار والاغيار ، كثمود ومن يتصل بهم « بل الذين كفروا » حجبوا مطلقاً في أيّ مقام كان ، وبأي شيء كان « في تكذيب » لأهــل الحق ، لوقوفهم مــع حالهم « والله من ورائهم » فوق حالهم ، وحجابهم « محيط » يسع كل شيء ، وهم حصروه في شاهدهم ومــا شاهدوا احاطته ، فلذلك أنكروا « بل هو » أي ، هذا العلم « قرآن » جامع لكل العلوم « مجيد » لعظمتــه وإحاطته « في لوح » هو القلب المحمدي « محفوظ » عن التبديل والتغيير ، وإلقاء الشياطين بالتخييل والتزوير .

هذا اذا حلّ اليوم الموعود على القيامة الكبرى ، فأمّا اذا أوّل بالصغرى ، فمعناها الروح ذات الأبدان ، فإن الأبدان للأرواح كالأبراج او الحواس ، فإنها تخرج منها كالحمام من البروج ، وشاهد لعلمه ، ومــا عمل ، وجواب القسم ليهلكن البدنيون .

« قتل أصحاب الأخدود » أي ، أهلك القوى النفسانية الملازمة لأخدود البدن ، اذ هم عليها عاكفون ، وهم على مــا يفعلون بمؤمني القوى الروحانية

من الاستيلاء عليهم ، وحجبهم عن مقاصدهم الشريفة ، وكمالاتهم النفسية ، واستعبادهم في أهوائهم وشهواتهم شهود بألسنة أحوالهم ، وما انكر هذه القوى المحجوبة عن الكمالات المعنوية من الروحانيين ، إلا الايمان بالله المجرّد عن الأين والجهة ، الغالب على المحجوبين بالقهر ، الحميد المنعم على المهتدين بالهداية ، المحتجب بظواهر ملك السموات والارض ، الشهيد الظاهر على كل شيء . ان هؤلاء الفاتنين بالاستيلاء ، والاستخدام لمؤمني العقول ومؤمنات النفوس ، ثم لم يرجعوا بالرياضة واكتساب الملكات الفاضلة ، والانقياد لهم ، فلهم عذاب جهنم الآثار والطبيعة ، وعذاب حريق الشوق الى المألوفات مع الحرمان عنها .

إن الذين آمنوا الايمان العلميّ من الروحانيين وعملوا الصالحات من الفضائل والأخلاق الحميدة لهم جنات من جنان الأفعال والصفات ، وهي جنات النفوس والقلوب . ذلك الفوز . أي ، النجاة من النار ، والوصول الى المقصود الكبير بالنسبة الى الحالة الأولى .

« إنّ بطش ربك » أي ، أخذه للمحجوبين بالإهلاك والتعذيب الشديد ، فإنه هو يبدئهم ويهلكهم ثم يعيدهم للعذاب ، وهو الغفور للتائبين المؤمنين من الروحانيين ، يستر لهم ذنوب هيئات السوء بنور الرحمة ، الودود لهم بالمحبة الأزليــة فيكرمهم بإفاضة الكمالات والفضائل ، ذو العرش المستولي على القلب ، المجيد المنوّر بنوره جميع القوى ، فعّال لما يريد ، المتجلي بالأفعال على مظاهر الملك للقلب ، فيصحح مقام التوكل بالفناء في توحيد الافعال . والله تعالى أعلم .

سورة الطارق

بسم الله الرحمن الرحيم

« وَٱلسَّماءِ وَٱلطَّارِقِ . وَمَا أَدْرَاكَ مَا ٱلطَّارِقُ . ٱلنَّجْمُ ٱلثَّاقِبُ . إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ . فَلْيَنْظُرِ ٱلْإِنسَانُ مِمَّ خُلِقَ . خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ . يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَائِبِ . إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ . يَوْمَ تُبْلَى ٱلسَّرَائِرُ . فَمَا لَهُ مِنْ قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ . وَٱلسَّماءِ ذَاتِ ٱلرَّجْعِ . وَٱلْأَرْضِ ذَاتِ ٱلصَّدْعِ . إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ . وَمَا هُوَ بِٱلْهَزْلِ . إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْداً . وَأَكِيدُ كَيْداً . فَمَهِّلِ ٱلْكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْداً » .

« والسماء والطارق » أي ، والروح الإنساني ، والعقل الذي يظهر في ظلمة النفس ، وهو النجم الذي يثقب ظلمتها وينفذ فيها ، فيبصر بنوره ، ويهتدي ، به كما قال : « وبالنجم هم يهتدون » .

« إن كل نفس لما عليها حافظ » مهيمن رقيب يحفظها ، وهو الله تعالى ، ان اريد بالنفس الجملة، وأن اريد بها النفس المصطلح عليها من القوة الحيوانية، فحافظها الروح الإنساني « انــه » أي ، ان الله على رجع الانسان في النشأة الثانية لقادر كما قدر على ابدائه في النشأة الاولى « يوم تبلى السرائر » تظهر، وتعرف خفيات الضمائر بالمفارقة عن الأبدان ، وجعل الباطن ظاهراً « فما له من قوّة » في نفسه يمتنع بهــا على قدرته « ولا ناصر » يمنعه وينصره على الامتناع .

« والسماء ذات الرجع » أي ، والروح ذات الرجع في النشأة الثانيــة « والارض » أي ، والبدن « ذات الصدع » بالإنشقاق عـن الروح وقت زهوقه ، او الشق وقت اتصاله به « انـــه » أي ، القرآن « لقول فصل » فارق بـــين الحق والباطل بين أي عقل فرقاني ، ظهر بعد ما كان قرانياً . « ومـــا هو بالهزل » بالكلام الذي ليس له اصل في الفطرة ، ولا معنى في القلب ، والله القادر . والله أعلم .

سورة الأعلى

بسم الله الرحمن الرحيم

« سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى . ٱلَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى . وَٱلَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى . وَٱلَّذِي أَخْرَجَ ٱلْمَرْعَى . فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَى » .

« سبح اسم ربك الأعلى » اسمه الأعلى والأعظم ، هو الذات مع جميع الصفات . أي نزه ذاتك بالتجرّد عما سوى الحق ، وقطع النظر عن الغير ، ليظهر عليها الكمالات الحقانية بأسرها ، وهو تسبيحه الخاص بـه في مقام الفناء ، لأن الإستعداد التام القابل لجميع الصفات الإلهية لم يكن الإله ، فذاته هو الاسم الأعلى عند بلوغ كماله ، ولكل شيء تسبيح خاص يسبّح به ، اسماً خاصاً من اسماء ربه .

« الذي خلق » انشأ ظاهرك « فسوّى » أي ، عدل بنيتك على وجـه قبلت بمزاجه الخاص الروح الأتم المستعد لجميع الكمالات « والذي قـدّر » فيك الكمال النوعي التـام « فهدى » الى ابرازه وإظهاره ، وإخراجه الى

الفعل بالتزكية ، والتصفية ، « والذي أخرج المرعى » أي ، زينة الحياة الدنيا ومنافعها ، ومآكلها ومشاربها ، فإنها مرعى النفس الحيوانية ، ومرتع بهائم القوى ، « فجعله غثاء أحوى » أي ، سريع الفناء وشيك الزوال ، كالهشيم والحطام البالي المسوّد فلا تلتفت اليه ، ولا تشتغل به فيمنعك عن تسبيحك الخاص من تنزيه ذاتك وتجريدها ، فتحتجب به عن كمالك المقدّر فيك ، ولا تعد عيناك عنه اليه فإنه الفاني ، وذلك هو الباقي أبداً لا يزال .

« سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنْسَى . إِلَّا مَا شَاءَ ٱللَّهُ إِنَّهُ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ وَمَا يَخْفَى . وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَى . فَذَكِّرْ إِنْ نَفَعَتِ ٱلذِّكْرَى . سَيَذَّكَّرُ مَنْ يَخْشَى . وَيَتَجَنَّبُهَا ٱلْأَشْقَى . ٱلَّذِي يَصْلَى ٱلنَّارَ ٱلْكُبْرَى » .

« سنقرئك » نجعلك قارئاً لما في كتاب استعدادك الذي هو العقل القرآني من القرآن الجامع للحقائق فتذكره ولا تنساه أبداً « إلا ما شاء الله » ان ينسيك ويذهلك عنها، فيدخر للمقام المحمود اذا بعثت فيه ، «انه يعلم الجهر» أي ، ما ظهر فيك من الكمال « وما يخفى » بعد بالقوّة .

« ونيسرك لليسرى » أي ، نوفقك للطريقة اليسرى ، أي الشريعة السمحة السهلة التي هي أيسر الطرق الى الله ، وهو عطف على سنقرئك . أي ، نكملك بالكمال العلمي والعملي التـام ، وفوق التام الذي هو التكميل ، وهي الحكمة البالغة ، والقدرة الكاملة .

« فذكر ان نفعت الذكرى » أي ، كمل الخلق بالدعوة ان كانوا قابلين

مستعدين لقبول التذكرة فتنفعهم ، يعني ان التذكير وإن كان عامـاً لا ينفع الخلق كلهم بل هو مشروط بشرط الإستعداد فمن استعدّ قبل انتفع به، ومن لا فلا اجل في قوله : « ان نفعت الذكرى » ثم فصل بقوله : « سيذكـّر من يخشى » أي ، يتذكر ويتـّعظ وينتفع بـه من كان لـيّن القلب سليم الفطرة مستعداً لقبوله ، يتأثر به لنوريته وصفائه .

« ويتجنـّبها الأشقى » أي ، يتحاماه المحجوب عن الرب ، العـديم الإستعداد ، النائي القلب ، الذي هو أشقى من المستعد الذي زال استعداده ، واحتجب بظلمة صفات نفسه ، « الذي يصلى النـار الكبرى » التي هي نار الحجاب عن الرب بالشرك ، والوقوف مع الغير ، ونار القهر في مقام الصفات ونار الغضب ، والسخط في مقـام الأفعال ، ونار جهنم الآثار في المواقف الأربعة من موقف الملك ، والملكوت ، والجبروت ، وحضرة اللاهوت أبـد الآبدين ، فما اكبر ناره . وأما الثاني فلا يصلى إلا بنار الآثار .

« ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى. قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى. وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى . بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَـا . وَٱلْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى . إِنَّ هَٰذَا لَفِي ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَى. صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى » .

« ثم لا يموت فيها » لامتنـاع انعدامه « ولا يحيى » بالحقيقة لهلاكه الروحاني . أي ، يتعذّب دائماً سرمداً في حالة يتمنى عندها الموت ، وكلما احترق وهلك أعيد الى الحياة ، وعذّب فلا يكون ميتـاً مطلقاً ، ولا حياً مطلقاً .

« قد أفلح من تزكّى » اي ، فاز وظفر من تطهر عن صفات نفسه ، وظلمات بدنه بعد حصول استعداده « وذكر اسم ربه » أي ، الاسم الخاص الذي يربّه به بإفاضة كماله ، الذي يسأل ربــه بلسان استعداده كالعلم للجاهل ، والهادي للضال ، والغفـّار للمذنب . وهو في الحقيقة عين ذاته التي غفل هو عنها بحجاب الآثار والهيئات ، وصفات النفس وسائر الظلمات ، كما قـــال : « نسوا الله فأنساهم أنفسهم » وذكره تعرفه ، وطلب كماله المخصوص به ، بالتأييد الرباني والتوفيق الإلهي « فصلـّى »فعبد معبوده الذي هو الحق المتجلي له في صورة ذلك الإسم الخاص ، الذي يعرف ربه بــه بعد رؤيته بكماله المقدّر له .

« بل تؤثرون الحياة الدنيـــا » أي ، تغفلون وتحتجبون عن ذكر ذلك الاسم وصلاة الرب بالحياة الحسّية وطيباتها ، وزخارفهـــا لعدم التزكية ، وتؤثرونها بالمحبة على الحياة الحقيقية الدائمة الروحانية ، وهي أفضل وأدوم .

« إنّ هذا » المعنى من انتفــاع المستعدّ بالتذكير وعدم انتفاع العديم الاستعداد ، وتعذّبه بالنار الكبرى ، وفلاح أهــل التزكية والتجلية ، من المستعدين ، وهلاك المؤثرين للحيــاة الحسيّة منهم « لفي الصحف » القديمة المنزّهــة عن التبديل ، والتغيير المحفوظة عند الله من الألواح النورية المجردة التي اطلع عليهـــا النبيّان المذكوران ، ونزل عليهما الظهور على مظاهرها ، والسلام ، والله أعلم .

سورة الغاشية

بسم الله الرحمن الرحيم

« هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ٱلْغَاشِيَةِ . وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ . عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ . تَصْلَىٰ نَاراً حَامِيَةً . تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ آنِيَةٍ . لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ . لَّا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِن جُوعٍ . وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ . لِّسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ . فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ . لَّا تَسْمَعُ فِيهَا لَاغِيَةً . فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ » .

« الغاشية » الداهية التي تغشى الناس بشدائدها . أي ، القيامة الكبرى ، التي تغشى الذوات وتفنيها بنور التجلي الذاتي ، فينكشف الناس يوم إذ غشيت على من غشيته ، منقسمين أشقياء وسعداء . والصغرى التي تغشى العقل بشدّة السكرات ، وتلبس المغشي أهوالها ، فيكون الناس يوم إذ غشيتهم ، إما أشقياء ، وإما سعداء .

« وجوه يومئذ » أي ، ذوات « خاشعة » أي ، ذليلة خائفة « عاملة

ناصبة » تعمل دائباً أعمالاً صعبة تتعب فيها ، كالهويّ في دركات النـــار ، والارتقاء في عقباتها ، وحمل مشاقّ الصور والهيئات المتعبـة المثقلة من آثار أعمالها ، أو عاملة من استعمال الزبانية إياها في اعمال شاقة فاذحة من جنس اعمالها التي ضربت لها في الدنيا ، واتعابها فيها من غير منفعة لهم منهـا إلا التعب والعذاب .

« تصلى ناراً » من نيران آثار الطبيعة « حامية » مؤذية ، مؤلمـة بحسب ما تزاولها في الدنيا من الأعمال « تسقى من عـــين أنية » من الجهل المركب الذي هو مشربهم ، والإعتقاد الفاسد المؤذي .

« ليس لهم طعام إلا من ضريع » الشبه ، والعلوم الغير المنتفع بهـــا ، المؤدية كالمغالطات والخلافيات ، والسفسطة ، وما يجري مجراها « لا يسمن » أي ، لا يقوّي النفس « ولا يغني من جوع » ولا يسكن داعيـــة النفس ، ونهم الحرص على تعلمها والمباحثة عنها ، ويمكن أن يحشر بعض الاشقياء على صور طعامهم الشبرق اليابس ، كالزقوم لبعضهم ، والغسلين لبعضهم .

« وجوه يومئذ ناعمـــة » تظهر عليها نضرة النعيم من اللطافة والنورية لتجرّدهم « لسعيها » وجدّها في طريق البر واكتساب الفضائل ، والسير في الله « راضية » شاكرة لا تندم ، ولا تتحسّر ولا تتجرّد عما فعلت كالأولى « في جنة » من جنان الصفات ، وحضرة القدس « عالية » رفيعة القدر من علو المكانة « لا تسمع فيها لاغية » لأن كلامهم الحكمة ، والمعرفة ، والتسبيح والتحميد « فيها عـــين جارية » من عيون مياه علوم المعارف ، والذوق ، والكشف ، والوجدان ، والتوحيد .

« فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ . وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ . وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ . وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ . أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ . وَإِلَى ٱلسَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ . وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ . وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ . فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ . لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ . إِلَّا مَن تَوَلَّى وَكَفَرَ . فَيُعَذِّبُهُ ٱللَّهُ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَكْبَرَ . إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ . ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم » .

« فيها سُرر مرفوعة » من مراتب الأسماء الإلهية التي بلغوها بالإتصاف بصفاته ، رفعت قدرها عن مراتب الجسمانية « وأكواب » من أوصاف الذوات المجردة ، ومحاسنها التي هي ظروف خمور المحبة « موضوعة » لثباتها على حالها في محالها « ونمارق » من مقاماتهم ، ومقاعدهم في مراتب الصفات ، فإن لكل صفة من ابتداء تجليها ، وطوالع أنوارها ، وكونها حالاً الى كمال الاتصاف ، وكونها ملكاً ومقاماً مواضع أقدام ومقاعد . فإذا استوفى السالك حظه منها بحسب استعداده ، وبلغ غاية مبلغه حتى تمّ سيره فيها ، وصارت ملكاً له ، كان مقامه منها نمرقة على تلك الأريكة التي هي موضع ذلك الوصف ، مع الذات « مصفوفة » مرتبة « وزرابيّ » من مقامات تجليات الافعال ، التي تحت مقامات الصفات ، كالتوكل تحت الرضا «مبثوثة» مبسوطة تحتهم .

« أفلا ينظرون » الى الآثار الظاهرة بالحسّ ، فيعتبرون ، ويعبّرون

عنها الى تجلي الوصل ، الى تجلي الصفات « فذكر » عسى أن يكون فيهم مستعدّ يتذكر ويتعظ ، فيترقى في السلّم المتخلعة الى جناب الحق ، لا من أعرض واحتجب بهذه الآثار عن المؤثر « فيعذبه الله العذاب الاكبر » وهو النار الكبرى المشار اليها في سورة الأعلى ، المعدّة للمحجوب المطلق في جميع مراتب الوجود . وقوله: « إنما أنت مذكر لست عليهم بمصيطر » اعتراض ، أي ، مـــا اليك إلا التذكير لا الغلبة والقهر ، كقوله : « إنك لا تهدي من أحببت وما أنت عليهم بجبّار » .

« إنّ الينا إيابهم ثم انّ علينا حسابهم » أي ، خاصّة الينـــا ايابهم لا الى غيرنا ، فإنا نحاسبهم ونعذبهم بالعذاب الاكبر ، فإن القهر ، والغلبة لنـــا ، لا لك .

سورة الفجر

بسم الله الرحمن الرحيم

« وَٱلْفَجْرِ . وَلَيَالٍ عَشْرٍ . وَٱلشَّفْعِ وَٱلْوَتْرِ . وَٱللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ . هَلْ فِي ذَٰلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حِجْرٍ » .

أقسم بابتداء ظهور نور الروح على مادة البدن ، عند أول أثر تعلقه بـه « وليال عشر » ومحالّ الحواس العشرة الظاهرة والباطنة ، التي تتعين عند تعلقه به ، لكونها أسباب تحصيل الكمال وآلاتهـا « والشفع » أي ، الروح والبدن عند اجتماعهما ، وتمام وجود الانسان الذي يمكن به الوصول « والوتر » أي ، الروح المجرّد اذا فارق .

« والليل اذا يسر » أي ، ظلمـة البدن اذا ذهبت وزالت ، بتجرد الروح ، فيكون الاقسام بالمبدأ والمنتهى ، أو بالقيامة الكبرى وآثارهـا . أي ، والفجر الذي هو مبتدإ طلوع نور الحق وتأثيره في ليلة النفس ، وليال من الحواس الراكدة الهادئة المظلمة المتعطلة عن أشغالها عند تجلي النور الإلهي.

والشفع الذي هو الشاهد والمشهود ، قبل تجلي الفناء التامّ حال المشاهدة

في مقام الصفات . والوتر أي ، الذات الأحدية عند الفناء التام ، وارتفاع الاثنينية . والليل أي ، ظلمة الأنانية ، اذا ذهبت وزالت بزوال البقية ، أو بالقيامة الصغرى . أي ، فجر ابتداء ظهور نور الشمس الطالعة من مغربها . وليال عشر . أي ، الحواس المتكدرة المظلمة عند الموت . والشفع . أي ، الروح والبدن . والوتر . أي ، الروح المفارق اذا تجرد . والليل اذا يسر . والبدن اذا انقشع ظلامه عن الروح وزال بالموت « هل في ذلك قسم لذي حجر » استفهام في معنى الانكار ، أهل عاقل يهتدي الى الإقسام بهذه الأشياء ، ووجه تعظيمها بالقسم بها ، وحكمة انتظامها في قسم واحد وتناسبها . فإن عقول أهل الدنيا المشوبة بالوهم لا تهتدي الى ذلك .

« أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ . إِرَمَ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ . أَلَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي ٱلْبِلَادِ . وَثَمُودَ ٱلَّذِينَ جَابُوا ٱلصَّخْرَ بِٱلْوَادِ . وَفِرْعَوْنَ ذِي ٱلْأَوْتَادِ . أَلَّذِينَ طَغَوْا فِي ٱلْبِلَادِ . فَأَكْثَرُوا فِيهَا ٱلْفَسَادَ . فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ . إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ » .

وجواب القسم ليعذبن المحجوبون لدلالة قوله : « ألم تر كيف فعل ربك بعاد » الى قوله : « لبالمرصاد عليه » أو في معنى التقرير . أي ، إنما يهتدي الى ذلك أولوا الألباب الصافية ، المجردة عن شوب الوهم . وجواب القسم ليثابن العقلاء المعتبرون بحال المحجوبين دونهم .

« فَأَمَّا ٱلْإِنسَانُ إِذَا مَا ٱبْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ . وَأَمَّا إِذَا مَا ٱبْتَلَاهُ رَبُّهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ . كَلَّا بَل لَّا تُكْرِمُونَ ٱلْيَتِيمَ . وَلَا تَحَاضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ . وَتَأْكُلُونَ ٱلتُّرَاثَ أَكْلًا لَّمًّا . وَتُحِبُّونَ ٱلْمَالَ حُبًّا جَمًّا . كَلَّا إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا . وَجَاءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا . وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَانُ وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكْرَىٰ . يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي . فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُ أَحَدٌ . وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُ أَحَدٌ » .

« فأما الانسان إذا ما ابتلاه ربه » أي ، الانسان يجب أن يكون في مقام الشكر او الصبر بحكم الإيمان ، لقوله : (الإيمان نصفان : نصف صبر . ونصف شكر) لأن الله تعالى لا يخلو من أن يبتليه اما بالنعم والرخاء فعليه أن يشكره باستعمال نعمته فيما ينبغي من إكرام اليتيم ، وإطعام المسكين ، وسائر مراضيه ، ولا يكفر نعمته بالبطر ، والإفتخار فيقول : (إن الله اكرمني لاستحقاقي وكرامتي عنده) ويترفه في الأكل ، ويحتجب بمحبة المال ، ويمنع المستحقين . او بالفقر ، وضيق الرزق فيجب عليه أن يصبر ، ولا يجزع ولا يقول ان الله أهانني ، فربما كان ذلك إكراماً له بأن لا يشغله بالنعمة عن المنعم ، ويجعل ذلك وسيلة له في التوجه الى الحق ، والسلوك في طريقه لعدم التعلق ، كما ان الأول ربما كان استدراجاً منه .

« إذا دكت الارض » أي ، البدن بالموت « دكاً دكاً » متفتتاً « وجـاء ربك » أي، ظهر في صورة القهر لمن برز عن حجاب البدن بالمفارقة « والملك صفاً صفاً » أي ، ظهر تأثير الملائكة من النفوس السماوية ، والأرضية المترتبة في مراتبهم في تعذيبه بعد مـــا كان محتجباً عنهم بشواغل البدن « وجيء يومئذ بجهنم » أي ، برزت نار الطبيعة ، وأحضرت للمعذبين « يومئذ يتذكر الانسان » خلاف مـــا اعتقده في الدنيا ، وصار هيئة في نفسه من مقتضيات فطرته ، فـــإن ظهور الباري بصفة القهر ، والملائكة بصفة التعذيب ، لا يكون إلا لمن اعتقد خلاف ما ظهر عليه مما هو في نفس الأمر ، كالمنكر ، والنكير « وأنى له » فائدة « الذكرى » ومنفعته فإن الإعتقاد الراسخ يمنع نفع هذا التذكير .

« يَا أَيَّتُهَـــا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ . ٱرْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً . فَٱدْخُلِي فِي عِبَادِي . وَٱدْخُلِي جَنَّتِي » .

« يا أيتها النفس المطمئنة » التي نزلت عليهـا السكينة ، وتنوّرت بنور اليقين فاطمأنت الى الله من الاضطراب « ارجعي الى ربك » في حـال الرضا أي ، إذا تمّ لك كمال الصفات فلا تسكني اليه ، وارجعي الى الذات في حال الرضا الذي هو كمال مقام الصفات ، والرضا عن الله لا يكون إلا بعـد رضا الله عنها ، كما قـال رضي الله عنهم ورضوا عنه ، « فادخلي في عبادي » في زمرة عبادي المخصوصين بي من أهـــل التوحيد الذاتي « وادخلي جنتي » المخصوصة بي ، أي ، جنـــة الذات ، وقرىء في عبدي ، وقرىء في جسد عبدي ، أي ، حالة البعث والنشور، وردّ الأرواح الى الأجساد . والله أعلم.

سورة البلد

بسم الله الرحمن الرحيم

« لَا أُقْسِمُ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ . وَأَنتَ حِلٌّ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ . وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ . لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَانَ فِي كَبَدٍ . أَيَحْسَبُ أَن لَّن يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ . يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالًا لُّبَدًا . أَيَحْسَبُ أَن لَّمْ يَرَهُ أَحَدٌ » .

اقسم بالبلد الحرام الذي هو البلد القدسي ، النازل بـه رسول الله ﷺ ، وهو الأفق الأعلى ، والوادي المقدّس « وأنت حلّ » مطلق ، « بهذا البلد » تفعل به ما تشاء ، غير مقيّد بقيود صفات النفس ، والعادات ، « ووالد وما ولد » أي ، روح القدس الذي هو الأب الحقيقي للنفوس الانسانية . كقول عيسى عليه السلام : (اني ذاهب الى ابي وأبيكم السماوي) وقوله : (تشبهوا بأبيكم السماوي ، ونفسك التي ولدهـا هو) . وأي ، بروح القدس ونفسك الناطقة .

« لقـد خلقنا الانسان في » مكابدة ومشقة من نفسه وهواه ، او مرض

باطن ، وفساد قلب ، وغلاظ حجاب . إذ الكبد في اللغـــة ، غلاظ الكبد الذي هو مبدأ القوة الطبيعية ، وفساده ، وحجاب القلب وفساده من هـــذه القوة ، فاستعير غلاظ الكبد لغلاظ حجاب القلب ، ومرض الجهل .

« أيحسب » الغلاظ حجابه ، ومرض قلبه ، لاحتجابه بالطبيعة « ان لن يقدر عليه احد يقول اهلكت مالاً لبدا » كثيراً أي ، في المكارم الإفتخار والمباهاة كقول العرب : (خسرت عليه كذا) إذا أنفق عليــه يتفضل على الناس بالتبذير والإسراف ، ويحسبه فضيلة لاحتجابه عـــن الفضيلة وجهله ، ولهذا قال : « أيحسب أن لم يره احد » أي ، أيحسب أن لم يطلع الله تعالى على باطنه ونيته حين ينفق ماله في السمعة ، والرياء ، والمباهاة لا على مـــا ينبغي في مراضي الله ، وهي رذيلة على رذيلة ، فكيف تكون فضيلة ؟

« أَلَمْ نَجْعَلْ لَّهُ عَيْنَيْنِ . وَلِسَاناً وَشَفَتَيْنِ . وَهَدَيْنَاهُ ٱلنَّجْدَيْنِ . فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ . وَمَا أَدْرَاكَ مَا ٱلْعَقَبَةُ . فَكُّ رَقَبَـةٍ . أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ . يَتِيماً ذَا مَقْرَبَةٍ . أَوْ مِسْكِيناً ذَا مَتْرَبَـةٍ . ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْا بِٱلصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِٱلْمَرْحَمَةِ . أُولَئِكَ أَصْحَابُ ٱلْمَيْمَنَةِ . وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا هُمْ أَصْحَابُ ٱلْمَشْئَمَةِ . عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّؤْصَدَةٌ » .

« ألم نجعل له عينين » ألم ننعم عليه بالآلات البدنية التي يتمكن بها من اكتساب الكمال ، ليبصر ما يعتبر بـــه ، ويسأل عمّا لا يعلم ويتكلم فيه . « وهديناه » الى طريقي الخير والشر .

« فلا اقتحم العقبة » أي ، عقبة النفس وهواهـا الحاجبة للقلب بالرياضة والمجاهدة ، وأيّ عقبـــة كؤود هي ؟ لا يدري كنه مشتقها « فكّ رقبة » أي ، العقبة التي يجب اقتحامها . تخليص رقبة القلب الأسير في قيـد هوى النفس وفكها عن أسرها ، بالتجريد عن الميول الطبيعية الكلّية .

فإن لم يكن الفك بالكلية بالرياضة وإماتة القوى وقهر النفس ، فتكلّف الفضائل والتزام سلوك طريقها واكتسابها ، حتى يصير التطبع طباعاً ، وهو معنى قوله : « أو إطعام في يوم ذي مسغبة » الى قوله : « وتواصوا بالرحمة » فإن الإطعــــام خصوصاً وقت شدّة الاحتياج المستحق الذي هو وضع في موضعه من باب فضيلة العفة ، بل أفضل أنواعها ، والايمان من فضيلة الحكمة وأشرف انواعها وأجلها ، وهو الايمـان العلمي اليقيني ، والصبر على الشدائد من أعظم انواع الشجاعة ، وأخره عن الإيمان لامتناع حصول فضيلة الشجاعة بدون اليقين . والمرحمة . أي ، التراحم والتعاطف من أفضل أنواع العدالة ، فانظر كيف عدّد أجناس الفضائل الأربع التي يحصل بهـا كمال النفس ، بدأ بالعفة التي هي أولى الفضائل ، وعبّر عنها بمعظم انواعها ، وأخصّ خصالها الذي هو السخاء. ثم أورد الإيمان الذي هو الأصل والأساس ، وجاء بلفظة. ثم لبعد مرتبته عن الأولى في الارتفاع والعلوّ ، وعبر عن الحكمة به ، لكونه أم سائر مراتبها وأنواعهـــا . ثم رتب عليه الصبر لامتناعه بدون اليقين ، وآخر العدالة التي هي نهايتها ، واستغنى بذكر المرحمـــة ، التي هي صفة الرحمن عن سائر أنواعها ، كما استغنى بذكر الصبر عن سائر انواع الشجاعة .

« أولئك أصحاب الميمنة » أي ، الموصوفون بهذه الفضائل ، هم السعداء أصحاب اليمين ، وسكان عالم القدس « والذين كفروا بآياتنا » أي ، حجبوا عن هذه الصفات التي هي آيات الله الحقيقية التي تعرف بها ذاته « هم أصحاب » الشؤم ، وسكان عالم الرجس « عليهم » تستولي نار الطبيعة الآثارية مطبقة عليهم أبوابها ، محبوسين فيها ممنوعين عن الروح ، والمراتب أبد الآبدين . والله أعلم .

سورة الشمس

بسم الله الرحمن الرحيم

« وَٱلشَّمْسِ وَضُحَاهَا . وَٱلْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا . وَٱلنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا . وَٱللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا . وَٱلسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا . وَٱلْأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا . وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا . فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا » .

« والشمس » أقسم بشمس الروح وضوئها المنتشر في البدن الساطع على النفس « والقمر » أي ، قمر القلب ، اذا تلى الروح في التنوُّر بها وإقباله نحوها ، واستضاءته بنورها ، ولم يتبع النفس فينخسف بظلمتها « والنهار » ونهار استيلاء نور الروح وقيام سلطانها ، واستواء نورها « اذا جلّاها » وأبرزها في غاية الظهور كالنهار عند الاستواء في تجلية الشمس .

« والليل اذا يغشاها » أي ، ليل ظلمة النفس اذا سترت الروح ، فإن وجود القلب الذي هو محلّ المعرفة وعرش الرحمن لا يكون إلا بامتزاج نور الروح وظلمة النفس ، كأنه موجود مركّب منهما ، متولد من اجتماعها ،

ولولا ظلمة النفس لم تستبن المعاني في القلب ، فلم تضبط كما في حيّز الروح لغاية صفائها ونوريتها ، وإن كانت الثلاثة حقيقة واحدة تختلف أسماؤها بحسب اختلاف مراتبها .

« السماء » أي ، الروح الحيوانية التي هي سماء هذا الوجود ، والقادر الذي بناها « والأرض » أي ، البدن والخالق الذي طحاها « ونفس » أي ، القوّة الحيوانية المنطبعة في الروح الحيوانية المسمّاة بإصطلاح اهل الشرع والتصوُّر والنفس مطلقاً . أو الجملة أو النفس الناطقة ، والحكيم الذي « سوّاها » عدّلها بين جهتي الربوبية والسّفالة ، لا في ظلمة الجسم وكثافته ، ولا في ضوء الروح ولطافته ، كما قال : « لا شرقية ولا غربية » على الأول وعدّل مزاجها وتركيبها على الثاني ؛ وأعدّها لقبول الكمال ، ووسطها بين العالمين على الثالث .

« فألهمها فجورها وتقواها » أي ، أفهمها إياهما وأشعرها بهما ، بالإلقاء الملكي والتمكين من معرفتهما ، وحسن التقوى ، وقبح الفجور بالعقل الهيولاني .

« قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا . وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا . كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا . إِذِ ٱنْبَعَثَ أَشْقَاهَا . فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ ٱللهِ نَاقَةَ ٱللهِ وَسُقْيَاهَا . فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِذَنْبِهِمْ فَسَوَّاهَا . وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا » .

« قد أفلح » بالوصول الى الكمال ، وبلوغ الفطرة الأولى « من زكّـٰها » وطهرها « وقـد خاب من دسّٰها » ، وأخفاها في تراب البدن عن نور الحق ورحمته ، وجواب القسم محذوف ، أي ليهلكن المحجوبون المكذّبون للنبي بطغيانهم كما أهلكت ثمود لتكذيبهم نبيّهم بطغيانهم ، لعدم قبول ذلـك الإلهام وبقائهم على الفجور ، واحتجاب العقل ، واستيلاء ظلمة النفس ، وقد مرّ تأويل الناقة وسقياها . والله تعالى أعلم .

سورة الليل

بسم الله الرحمن الرحيم

« وَٱللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى . وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى . وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَى . إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى . فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَٱتَّقَى . وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَى . فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى » .

أقسم بليل ظلمة النفس إذا ستر نور الروح ، وبنهار نور الروح ، إذا تجلى فظهر من اجتماعهما وجود القلب الذي هو عرش الرحمن ، فإن القلب يظهر باجتماع هذين له وجه الى الروح يسمى الفؤاد ، يتلقى بـه المعارف والحقائق ووجه الى النفس يسمى الصدر يحفظ به السرائر ويتمثل فيه المعاني ، والقادر العظيم القدرة ، الحكيم الباهر الحكمة ، الذي « خلق الذكر » الذي هو الروح « والانثى » التي هي النفس ، فولد القلب .

« ان سعيكم لشتى » أشتات مختلفة لانجذاب بعضكم الى جانب الروح ، والتوجّه الى الخير لغلبة النورية ، وميل بعضكم الى جانب النفس ، والانهماك في الشر لغلبة الظلمة ، وتفصيل ذلك في قوله : « فأما من أعطى واتقى » .

أي ، اثر الترك والتجريد فرفض مـــا يشغله عن الحق ، وتركه بالسهولة ، واتقى عن هيئات النفس فجرّدها عن الميل الى مـا رفض ، والإلتفات نحوه « وصدّق » بالفضيلة « الحسنى » التي هي مرتبة الكمال بالإيمان العلمي ، إذ لو لم يتيقن بوجود كمال كامـــل لم يمكنه الترقي « فسنيسّره لليسرى » أي ، فسنهيئه ، ونوفقه للطريقة اليسرى ، التي هي السلوك في الله لقطع علائقه ، وقوّة يقينه .

« وَأَمَّـا مَنْ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَى . وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَى . فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى . وَمَـا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى . إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَى. وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَٱلْأُولَى. فَأَنْذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّى. لَا يَصْلَاهَا إِلَّا ٱلْأَشْقَى . أَلَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّى . وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى. أَلَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى » .

« وأما من بخل واستغنى » أثر محبة المال وجمعه ومنعه ، واستغنى بـه عن كسب الفضيلة لاحتجابه به عن الحق « وكذّب بالحسنى » بوجود مرتبة الكمال والفضيلة ، لاستغنائه بالحياة الدنيا ، واحتجابه بهـــا عن عالم النور ، والآخرة « فسنيسّره للعسرى » فسنهيئه بالخذلان للطريقة العسرى التي هي الإنحطاط عن رتبة الفطرة الى قعر الطبيعة ، ودركات أسفل سافلين ، مأوى الحشرات والديدان ، والحيلولة بينه وبين شهواته ، بالحرمان .

« ومـــا يغني عنه ماله » الذي تعب في تحصيله ، وأفنى عمره في حفظه « إذا تردّى » إذا وقع في قعر بئر جهنم ، وعمق الهاوية ، وهلك « ان علينا

للهدى » بالإرشاد إلينا بنور العقل والحس والجمع بين الأدلّة العقلية والسمعية والتمكين على الإستدلال ، والإستبصار « وإن لنـا للآخرة والأولى » أي ، نعطيها من توجّه إلينا فـلا نحرم التارك المجرّد عن ثواب الدنيا مع ثواب الآخرة ، فإن من أثر الأشرف يكون الأخس تحت قدمه بالضرورة كقوله : « لاكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم » .

« فأنذرتكم ناراً تلظى » أي ، ناراً عظيمة يبلغ لظاهـا جميع مراتب الوجود ، وهي النار الكبرى الشاملة للحجاب والقهر ، والسخط ، والتعذيب بالآثار ، ولهذا قال : « لا يصلاها إلا الأشقى » العديم الإستعداد ، الخبيث الجوهر ، المشرك بالله في المواقف الأربعـة « الذي كذب » بالله لشركه « وتولى » وأعرض عن الدين لعناده .

« وسيجنّبها الاتقى » أي ، يتحاماها ويبعد عنهـا في جميع مراتبها « الذي » اتقى مـا عد الله من ذاته ، وصفاته ، وأفعاله . وكل شيء من الاغيار والآثار بالإستغراق في عين الجمع ، وهو الأتقى المطلق الذي لم يقف مع غير الله فيوقف على الله ، ويعذّب ببعض النيران . وأمـا التقي فقد لا يجنب جميع مراتبها كالمتجرّد من الهيئات والأفعال ، الواقف مع الصفات ، فإنه وإن كان مغفوراً ذنوبه فقد حرم عن روح الذات ، ولذة المقرّبين في حجاب وجوده « الذي يؤتي ماله يتزكى » الذي يعطيه في حالة كونه متطهراً عن لوث محبة الأنداد ، وتعلّق الأغيار ، والالتفات الى مـا سوى الله ، والاشتغال به ، مزكياً نفسه عن الشرك الخفي .

« وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى . إِلاَّ ٱبْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَى . وَلَسَوْفَ يَرْضَى » .

« وما لأحد عنده من نعمة تجزى » أي، لا يؤتيه للمكافآت، والمعارضة، « إلا ابتغاء وجه ربه» باجتناب ما عداه، ولكونه على أعلى مراتب التقوى، وصف الوجـه الذي هو الذات الموجودة مع جميع الصفات بالأعلى ، لأن الله تعالى بحسب كل اسم له وجه يتجلى به لمن يدعوه بلسان حاله بذلك الاسم ، ويعبده باستعداده ، والوجـه الأعلى هو الذي له بحسب اسمه الأعلى ، الشامل لجميع الاسماء ، وإن جعلته وصفاً لربه ، فالرب هو ذلك الاسم .

« ولسوف يرضى» بالوصول اليه في عين الجمع، والشهود الذاتي. ثم مشاهدة ذلك الوجه في مقام التفصيل ، حال البقاء بعد الفناء ، لاستدعاء الرضـا ، وجوده مع الوصف . والله تعالى أعلم .

سورة الضحى

بسم الله الرحمن الرحيم

« وَٱلضُّحَى . وَٱللَّيْلِ إِذَا سَجَى . مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى .

أقسم بالنور والظلمة الصرفة القارّة على حالها ، الذين هما أصل الوجود الانساني وجماع الكونين ، على أن ربك ما تركك ترك مودّع في عالم النور وحضرة القدس مع بقاء المحبة ، والشوق في مقام الصفات محجوباً عن الذات، فإن المودّع لا بدّ له من محبة وشوق .

« وما قلى » أي ، وما قلاك في عالم الظلمة ، والوقوف مع الكون بلا محبة ، وشوق ، في مقام النفس، محجوباً عن الرب وصفاته ، وأفعاله . ترك قال مبغض . وذلك ، أن المحبوب الذي يسبق كشفه اجتهاده ، اذا كوشف بالتوحيد الذاتي ورفع غطاؤه ليعشق ردّ الى الحجاب ، وسدّ طريقه الى حضرة تجلي الذات ليشتدّ شوقه،ويلطف سرّه، وتذوب أنانيته بنار الشوق.

ثم فتح طريقه ورفع حجابه بالكلية ، وكوشف بالحق الصرف ليكون

ذوقه أتمّ وكشفه أكمل ، وكان ﷺ في هذا الاحتجاب يصعد الجبال ليرى بنفسه ، فإذا نفدت طاقته رفع الحجاب ونزل .

« وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الْأُولَى . وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى . أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيماً فَآوَى . وَوَجَدَكَ ضَالاً فَهَدَى . وَوَجَدَكَ عَائِلاً فَأَغْنَى . فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ . وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ . وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ » .

« وللآخرة » أي ، وللحالة الآخرة التي هي التجلي بعد الاحتجاب ، واشتداد الشوق « خير لك من » الحالة « الأولى » لأمنك في الحالة الثانية عن التلوين بوجود البقية ، وظهور الأنانية « ولسوف يعطيك ربك » الوجود الحقاني ، لهداية الخلق ، والدعوة الى الحق ، بعد هذا الفناء الصرف « فترضى » به ، حيث ما رضيت بالوجود البشري ، والرضا لا يكون إلا حال الوجود .

« ألم يجدك يتيماً » منفرداً محجوباً بصفات النفس عن نور ابيك الحقيقي الذي هو روح القدس ، منقطعاً عنه ضائعاً « فآوى » أي ، فآواك الى جنابه وربّاك في حجر تربيته وتأديبه ، وكفلك أباك ليعلّمك ويزكيك « ووجدك ضالاً » عن التوحيد الذاتي عند كونك في عالم ابيك ، محتجباً بالصفات عن الذات ، فهداك بنفسه الى عين الذات « ووجدك عائلاً » فقيراً عديماً ، فانياً فيه ، بالفقر الذي هو اسود الوجه في الدارين ، الذي هو الفناء المحض بعد الفقر الذي هو فخره . أي ،فناء الصفات، كما قال: (الفقر فخري) فأغناك بما أعطاك من الوجود الموهوب ، الموصوف بصفات الكمال الحقاني ،

المتخلق بالأخلاق الربانية ، فإذا تمّ كمالك فتخلّق بأخلاقي ، وافعل بعبادي ما فعلت بك لتكون عبداً شكوراً . أي ، قائماً بشكر نعمتي .

« فأما اليتيم » أي ، المنفرد المنكسر القلب ، المنقطع عن نور القدس ، المحتجب بحجاب النفس « فلا تقهر » والطف به ، بالمداراة والرفق ، وأوّه الى نفسك بالدعوة بالحكمة ، والموعظة الحسنة ، كما آويتك « وأما السائل » أي ، المستعد المحجوب ، الضال عن طريق مقصده ، الطالب إياه « فلا تنهر » ولا تمنعه عن السؤال ، واهده كما هديتك « وأما بنعمة ربك » من العلم والحكمة ، الفائض عليك في مقام البقاء « فحدّث » بتعليم الناس ، وإغنائهم بالخير الحقيقي ، كما أغنيتك . والله تعالى أعلم .

سورة الانشراح

بسم الله الرحمن الرحيم

« أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ . وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ . ٱلَّذِي أَنقَضَ ظَهْرَكَ . وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ . فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا . إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا . فَإِذَا فَرَغْتَ فَٱنصَبْ . وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرْغَبْ » .

« ألم نشرح لك صدرك » استفهام بمعنى إنكار انتفاء الشرح ليفيد ثبوتـه أي ، شرحنا لك صدرك وذلـك ، لأن الموحد في مقام الفناء محجوب بالحق عن الخلق لفنائـه ، وضيق الفاني عن كل شيء ، إذ العدم لا يقبل الوجود كما كان قبل الفناء محجوباً بالخلق عن الحق اضيق وعائـه الوجودي ، وامتناع قبول وجود التجلي الذاتي الإلهي .

فإذا ردّ الى الخلق بالوجود الحقاني الموهوب ، ورجع الى التفصيل ، وسع صدره الحق والخلق ، لكونه وجوداً حقياً . وذلك ، انشراح الصدر . أي ، شرحناه بنورنا للدعوة والقيام بحقائق الانبـاء والوزر الذي يحمل ظهره على

النقيض ، وهو صوت الكسر . أي يكسره بثقله هو وزر النبوّة والقيام بأعبائها لأنه في مقام الشهود لم يجد للخلق وجوداً فضلاً عن الفعل، ولم يفرّق بين فعل وفعل لشهوده لأفعاله تعالى ، فكيف يثبت خيراً وشراً ، ويأمر وينهي ، وهو لا يرى إلا الحق وحده ؟

فإذا ردّ الى مقام النبوّة عن مقام الولاية ، وحجب بحجاب القلب ثقل ذلك عليه ، وكاد ان يقصم ظهره ، لاحتجابه عن الشهود الذاتي حينئذ ، فوهب التمكين في مقام البقاء حتى لم يحتجب بالكثرة عن الوحدة ، وشاهد الجمع في عين التفصيل ، ولم يغب عن شهوده بالدعوة وذلك ، هو شرح الصدر ، وهو بعينه وضع الوزر المذكور ورفع الذكر ، لأن الفاني في الجمع لا يكون شيئاً فضلاً عن أن يكون مذكوراً . ولو بقي في عين الجمع لما صح محمد رسول الله ﷺ ، بعد قولنا لا إله إلا الله لفنائه. ولما تم الاسلام لصحته بهما .

« فإن مع العسر » أي ، الإحتجاب الأول بالخلق عن الحق « يسراً » . وأي ، يسر هو كشف الذات ومقام الولاية ؟ « إن مع العسر » أي ، الإحتجاب الثاني بالحق عن الخلق « يسراً » . وأي ، يسر هو شرح الصدر بالوجود الموهوب الحقاني ، ومقام النبوّة ؟

« فإذا فرغت » عن السير بالله وفي الله ، وعن الله « فانصب » في طريق الاستقامة ، والسير الى الله ، واجتهد في دعوة الخلق « فارغب » اليه خاصة في الدعوة اليه . أي ، لا ترغب إلّا الى ذاته دون ثواب او غرض آخر . لتكون دعوتك وهدايتك به اليه ، وإلّا لما كنت قائماً به ، مستقيماً اليه به، بل زائغاً عنه ، قائماً بالنفس . والله تعالى أعلم .

سورة التين

بسم الله الرحمن الرحيم

« وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ . وَطُورِ سِينِينَ . وَهٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ . لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ . ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ » .

« والتين » أي ، المعاني الكلية المنتزعة من الجزئيات التي هي مدركات القلب ، شبهها بالتين لكونها غير مادية ، معقولة صرفة ، مطابقة لجزئياتها ، مقوّية للنفس ، لذيذة كالتين الذي لا نوى له . بل هو لبّ كله مشتمل على حبات كالجزئيات التي هي في ضمن الكليات ، مسمن للبدن فيه غذائية وتفكه « والزيتون » أي ، المعاني الجزئية التي هي مدركات النفس شبهها بالزيتون ، لكونها مادية معدّة للنفس لإدراك الكليات ، كالزيتون الذي له نوى وهو دابغ لآلات الغذاء مشبه « وطور سينين » أي ، الدماغ الذي هو معدن الحس والتخيّل المرتفع من ارض البدن كالجبل .

« وهذا البلد الأمين » أي ، القلب الحافظ ما فيه من المعاني الكلية ، او المأمون فساده وفناؤه لتجرّده عن اختلاف الإشتقاق من الأمانة او الأمن . أقسم بما يحصل بـه كال الانسان ووجوده من المعاني الكلية ، والجزئية ،

والقلب ، والنفس . أي ، المدركين ومدركاتهما تعظيماً للانسان وإظهار الشرفة وتكريماً .

على انه خلق الانسان « في أحسن تقويم » أي ، تعديل من جمع الظلمة والنور فيه ، والجمع بين الاضداد والموافقة بينها . وجعله واسطة بين العالمين جامعاً لهما وتسوية خلقه وخُلقه وتحسين صورته ، ومعناه في أعدل مزاج وأكمل نوع ، وأفضل مخلوق . « ثم رددناه » لاحتجابه بالظلمة عن النور ، والوقوف مع رذائل الأخلاق ، والإعراض عن الفضائل « أسفل » من سفل خلقاً ورتبة من اهل الدركات، وأقبح من قبح صورة وتركيباً، وأشوهه خلقة، وشكلا ومنظراً . وهم اصحاب النار في سجن الطبيعة .

« إِلاَّ ٱلَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ . فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالدِّينِ . أَلَيْسَ ٱللهُ بِأَحْكَمِ ٱلْحَاكِمِينَ » .

« إلا الذين آمنوا » بتغليب نور القلب على ظلمة النفس ، والكلي على الجزئي ، وكسبوا الفضائل والخيرات . أي ، حصلوا الكمال العلمي والعملي ، فإنهم في دجات عالية من عالم القدس « فلهم أجر » من ثواب جنات القلوب ، والنفوس « غير ممنون » لاتصال مدد من عالم القدس ، وبراءته عن الكون والفساد ، وأبدية وجوده فما يجعلك كاذباً بسبب الجزاء ، أيها الإنسان بأن تكذب به فتكون كاذباً بعد وقوفك على هذا الخلق العجيب ، الجامع لمراتب الوجود أسفلها وأعلاها ، الحاصر لكمالات الكونين أشرفها وأخسّها « أليس الله بأحكم الحاكمين » ؟ فيحكم عليه بالوقف في أي مرتبة من المراتب شاء ، في أعلاها فيثيبه ، او أسفلها فيعاقبه .

سورة العلق

بسم الله الرحمن الرحيم

« إقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ . خَلَقَ ٱلْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ » .

« إقرأ باسم ربك » نزلت في أول رتبة ردّه عليه السلام ، عن الجمع الى التفصيل . ولهذا قيل : هي أول سورة نزلت من القرآن .

ومعنى الباء في باسم الإستعانة كما في قوله : « كتبت بالقلم » لأنه اذا رجع الى الخلق عن الحق كان موجوداً بالوجود الحقاني بعد الفناء عن وجوده ، موصوفاً بصفاته ، فكان إسماً من أسمائه ، لأن الإسم هو الذات مع الصفة . أي ، اقرأ بالوجود الذاتي الذي هو إسمه الأعظم ، فهو الأمر باعتبار الجمع ، والمأمور باعتبار التفصيل .

ولهذا ُوصف الرب بـ « الذي خلق » أي ، احتجب بصورة الخلق ، يعني ظهرت بصورتك ، فقم بي في صورة الخلق ، وارجع عن الحقيقة الى الخلقية ، وكن خلقاً بالحق . ولما ردّه الى الخلقية في صورة الجمعية الإنسانية ،

وأمره بالإحتجاب بها ، لتمكن الوحي والتنزيل ، والنبوة خص الخلق بعد تعميمه بالإنسان فقال : « خلق الانسان من علق » .

« إِقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ . ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ . عَلَّمَ ٱلْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ . كَلَّا إِنَّ ٱلْإِنسَانَ لَيَطْغَى . أَن رَّآهُ ٱسْتَغْنَى . إِنَّ إِلَى رَبِّكَ ٱلرُّجْعَى . أَرَأَيْتَ ٱلَّذِي يَنْهَى . عَبْدًا إِذَا صَلَّى . أَرَأَيْتَ إِن كَانَ عَلَى ٱلْهُدَى . أَوْ أَمَرَ بِٱلتَّقْوَى . أَرَأَيْتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّى . أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَى » .

« إقرأ وربك الأكرم » أي ، البالغ الى النهاية في الكرم الذي لا يمكن فوق غايته كرم لجوده وصفاته ، وهب الك ذاته وصفاته ، فهو أكرم من أن يدعك فانياً في عين الجمع ، فلا يعوّض وجودك بنفسك شيئاً ، ولو أبقاك على حال الفناء لم يظهر له صفة فضلاً عن الكرم ، ومن قضية أكرميته أنه الذي اثرك بأشرف صفاته الذي هو العلم، وما ادّخر عنك شيئاً من كمالاته . فلهذا وصف الأكرم بـ « الذي علّم بالقلم » أي، القلم الأعلى الذي هو الروح الأول الأعظم ، أي ، علّم بسببه وواسطته .

ثم لما كان في أول حال البقاء ، ولم يصل الى التمكين أراد أن يمكنه ويحفظه عن التلوين بظهور أنائيته ، وانتحال صفة الله . فقال : « علّم الإنسان ما لم يعلم » أي ، لم يكن له علم فعلمه بعلمه ، وهب له صفة عالميته لئلا يرى ذاته موصوفة بصفة الكمال فيطغى بظهور الأنائية . ولهذا ردعه عن

مقام الطغيان ، بقوله : « كلا إن الإنسان ليطغى أن رآه استغنى » أي ، بسبب رؤيته نفسه مستغنياً بكماله .

« إن الى ربك الرُّجعى » بالفناء الذاتي ، فلا ذات لك ولا صفة ، فارتدع عليه السلام ، متأدباً بأدب حاله ، وقال : (لست بقارىء) أي ، ما أنا بقارىء ، إنما القارىء أنت « أرأيت الذي » أي ، المحجوب الجاهل المستغني بحاله وماله وقومه عن الحق « ينهى عبداً » أي ، عبد عن صلاة الحضور ، والعبادة في مقام الإستقامة بطغيانه « إن كان على الهدى او أمر بالتقوى » في شركه ودعوته الى الشرك فرضاً وتقديراً كما زعم ، او « إن كذّب » بالحق لكفره ، وأعرض عن الدين المستقيم لعناده وطغيانه ، كما هو في نفس الأمر « ألم يعلم بأن الله » يراه في الحالتين ، فيجازيه .

« كَلَّا لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ لَنَسْفَعًا بِٱلنَّاصِيَةِ . نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ . فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ . سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ . كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِبْ » .

« كلا » ردع عن النهي عن الصلاة . وإثبات للقسم الثاني من الشرطية بنفي القسم الأول ، بالوعيد عليه « لئن لم ينته » عنه ، وعن نسبة الكذب والخطأ اليه على اكمل وجه ، وأكده . وبيان احتجابه بقومه ، واتكاله على قوّتهم وغفلته عن قهر الحق ، وسخطه بتسليط الملكوت السماوية ، والارضية الفعّالة في عالم الطبيعة عليه ، التي لا يمكن أحداً مقاومتها .

« كلا لا تطعه » أي ، لا توافقه ودُم على ما أنت عليه من مخالفته بملازمة التوحيد « واسجد » سجود الفناء في صلاة الحضور « واقترب » اليه بالفناء

في الافعال ، ثم في الصفات ، ثم في الذات . أي ، دُم على كالة فنائك التام في مقام الاستقامة ، والدعوة حتى تكون في حالة البقاء به ، فانيـاً عنك ، ولا يظهر فيك تلوين بوجود بقية من إحدى الثلاث .

ولهذا قرأ عليه السلام ، في هذه السجدة : (أعوذ بعفوك من عقابك). أي ، بفعل لك من فعـل لك ، (وأعوذ برضاك من سخطك) . أي، بصفة لك من صفة لك . (وأعوذ بك منك) . أي ، بذاتك من ذاتك، وهو معنى اقترابه بالسجود . وفي الحديث : (أقرب ما يكون العبد الى ربه ، اذا سجد) . والله تعالى أعلم .

سورة القدر

بسم الله الرحمن الرحيم

« إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ . وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ . لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ » .

« إنا أنزلناه في ليلة القدر » ليلة القدر هي البنية المحمدية حال احتجابه عليه السلام ، في مقام القلب بعد الشهود الذاتي . لأن الإنزال لا يمكن إلا في هذه البنية ، في هذه الحالة . والقدر هو خطره عليه السلام ، وشرفه . اذ لا يظهر قدره ولا يعرفه هو إلا فيهـــا . ثم عظمها بقوله : (وذكرهم بأيام الله) فكلّ كائن يوم .

وإذا بني على هـــذه الاستعارة كان كل نوع شهراً ، لاشتماله على الأيام والليالي اشتمال النوع على الاشخاص ، وكل جنس سنة لاشتمالها على الشهور ، اشتمال الجنس على الانواع . والألف ، هو العدد التامّ الذي لا كثرة فوقه إلا بالتكرار والإضافة ، فيكنى به عن الكل . أي ، هذا الشخص وحده خير من كل الانواع .

« تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ . سَلَٰمٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ » .

ثم بيّن وجه تفضيله وسبب خيريّته ، فقال : « تنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم » أي ، القوّة الروحانية والنفسانية ، بل الملكوت السماوية والأرضية ، والروح « من كل أمر » أي ، من جهة كل أمر هو معرفة جميع الاشياء ووجوداتها ، وذواتها ، وصفاتها ، وخواصها ، وأحكامها ، وأحوالها ، وتدبيرها وتسخيرها .

« سلام هي » سلامة عن جميع النقائص ، والعيوب « حتى » وقت طلوع فجر الشمس الطالعة من مغربها ، وقرب الموت ، فحينئذ لا تكون سلامة . أي ، سالمة ، أو سلام في نفسها ، لكثرة السلام عليها من الله ، والملائكة ، والناس أجمعين .

سورة البينة

بسم الله الرحمن الرحيم

« لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَابِ وَٱلْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ » .

« لم يكن الذين كفروا » أي ، حجبوا إمّا عن الدين وطريق الوصول الى الحق ، كأهل الكتاب ، وإمّا عن الحق أيضاً ، كالمشركين « منفكين » عما هم فيه من الضلالة « حتى تأتيهم البيّنة » أي ، الحجة الواضحة الموصلة الى المطلوب .

وذلك ، أن الفرق المختلفة المحتجبة بأهوائهم وضلالاتهم من اليهود ، والنصارى ، والمشركين ، كانوا يتخاصمون ويتعاندون ، ويدعي كل حزب حقيّة ما عليه ، ويدعو صاحبه اليه ، وينسب دينه الى الباطل ، ثم يتفقون على أنا لا ننفكّ عما نحن فيه ، حتى يخرج النبي الموعود في الكتابين ، المأمور باتباعه فيهما ، فنتبعه ونتفق على الحق على كلمة واحدة ، كما عليه الآن بعينه حال هؤلاء المتعصبين من أهل المذاهب المتفرقة ، وانتظارهم خروج المهدي في آخر الزمان ، ووعدهم على اتباعه متفقين على كلمة واحدة .

ولا أحسب حالهم إلا مثل حال اولئك، اذا خرج ، أعاذنا الله من ذلك. فحكي الله قولهم ، وبيّن أنهم مـا تفرّقوا تفرقاً قوياً ، وما اشتد اختلافهم وتعاندهم إلاّ من بعد ما جاءتهم البيّنة بخروجه ، لأن كل فرقة ، بل كل شخص توهم أنه يوافق هواه ، ويصوّب رأيه ، لاحتجابه بدينه ، فلمـا ظهر خلاف ذلك ، ازداد كفره وعناده ، واشتدت شكيمته ، وضغينته .

« رَسُولٌ مِّنَ ٱللهِ يَتْلُوا صُحُفًا مُّطَهَّرَةً . فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ . وَمَا تَفَرَّقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا ٱلْكِتَابَ إِلاَّ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ . وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا ٱللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا ٱلصَّلوٰةَ وَيُؤْتُوا ٱلزَّكوٰةَ وَذٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ . إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـابِ وَٱلْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولٰئِكَ هُمْ شَرُّ ٱلْبَرِيَّةِ . إِنَّ ٱلَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّالِحَاتِ أُولٰئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ . جَزَاؤُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ » .

« رسول » بدل من البينة . أي ، الحجة القائمة الواضحة « من الله يتلوا صحفاً » من ألواح العقول ، والنفوس السماوية لاتصاله بها بتجرده « مطهّرة » من دنس الطبائع ، وكدر العناصر ، ودنس المواد ، وتحريف العباد « فيهـا

كتب قيّمة ، أي ، مكتوبات ثابتة أبدية مستقيمة ، ناطقة بالحق ، والعدل ، لا تتغير ولا تتبدل ابداً ، هي اصول الدين القيّم .

« وما أمروا » أي،اهل الكتابين المحجوبون بأهوائهم عن الدين بما أمروا فيها « إلا » لأن يخصصوا العبادة بالله « مخلصين له الدين» عن شوب الباطل، والإلتفات الى الغير « حنفاء » عن كل طريق غير موصل اليه ، وعن كل ما سواه ، ويتوصلوا اليه بالعبادات البدنية والمالية . أي، ما أمروا بما أمروا ، إلاّ للإلتزام بأصول ثلاثة : التوحيد على الإخلاص ، وقطع النظر عن الغير في الطاعة ، والإعراض عما سواه . والقيام بالعبادات البدنية من الاعمال المزكية . كالصلاة التي هي العمدة في بابها ، كقوله عليه السلام : (الصلاة عماد الدين) والقيام بحقائق الزهد من الترك والتجريد ، كالزكاة التي هي أساسها ، وذلك ، بعينه دين الكتب القيّمة التي يتلوها هذا الرسول .

فالملة الحقيقية الحنيفة واحدة من لدن آدم، الى يومنا هذا . وهي ملازمة التوحيد ، وسلوك طريق العدالة الشاملة للأصلين الآخرين ، فلو لم يحتجبوا بأهوائهم، ولم يحرّفوا كتبهم ، ويتعصبوا بظهور نفوسهم السّبُعية ، ولم يقفوا مع شهواتهم ، ولم يحتجبوا بتوهماتهم وتصوراتهم ، بظواهر اوضاعهم ، وعاداتهم وأمانيهم ، ومراداتهم عن حقائق ما في كتبهم ، لكان دينهم هذا الدين بعينه .

فالحاصل أن المحجوبين من أي الفرق كانوا هم شر البرية في نار جهنم الآثار قعر بئر الطبيعة ، والموحدين بالتوحيد العلمي ، العاملين على قانون العدالة في اكتساب الفضائل « هم خير البرية » في جنان الخلد بحسب درجاتهم من جنات الافعال والصفات ، وأعلى درجاتهم مقام كمال الصفات الذي هو الرضا .

« ذلك لمن خشي ربه » أي ، ذلك المقـــام مخصوص بمن علتــه الخشية الربانية عند تجليه بصفة العظمة، لأنه اذا تجلى الرب على القلب بصفة العظمة، استولت الخشية على العبد ، وذلك ليس هو الخوف المنافي لمقـام الرضا ، بل هو حـكم التجلي ، وأثره في النفس ، وكما اثبت القدر المشترك للمحجوبين من النار دون النار الكبرى التي للأشقين ، أثبت القـدر المشترك للموحدين من الجنة دون الجنة العليا ، التي للعارفين الاتقين . فلذلك ، كان أعلى درجاتهـا الرضا . والسلام .

سورة الزلزلة

بسم الله الرحمن الرحيم

« إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا . وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا . وَقَالَ ٱلْإِنسَانُ مَا لَهَا . يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا . بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا » .

« اذا زلزلت » ارض البدن ، عند نزع الروح الانساني باضطراب الروح الحيواني ، والقوى « زلزالها » الذي استوجبته في تلك الحالة المؤذنة بخرابها، وانتقاض بنيتها « وأخرجت الارض اثقالها » أي ، متاعها ، التي هي بها ذات قدر من القوى والأرواح وهيئات الأعمال ، والاعتقادات الراسخة في القلب جمع ثقل ، وهو متاع البيت .

« وقال الإنسان مالها » أي ، مالها زلزلت واضطربت ، ما طبّها ما داؤها ؟ ألإنحراف المزاج ؟ أم لغلبة الأخلاط ؟ « يومئذ تحدّث اخبارها » بلسان حالها « بأن ربك » أشار اليها ، وأمرها بالإضطراب ، والخراب ، وإخراج الأثقال عند زهوق الروح ، وتحقق الموت .

« يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتاً لِّيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ . فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ . وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ » .

« يومئذ يصدر الناس » عن مراقدهم ، ومخارج أبدانهم ، الى مواثيقهم ، ومواطن حسابهم ، وجزائهم « أشتاتاً » متفرّقين سعداء ، وأشقياء « ليروا اعمالهم » أي ، جزاءها بما أثبت في صحائف نفوسهم من صورها ، وهيئاتها.

« فمن يعمل » من السعداء « مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل » من الأشقياء ، « مثقال ذرة شراً يره » والخصص لعموم من في . فمن يعمل في الموضعين قوله اشتاتاً ، لأن خيرات الأشقياء محبطة بالكفر والإحتجاب ، وشرور السعداء معفوّة بالإيمان ، والتوبة ، وغلبة الخيرات، وسلامة الفطرة.

سورة العاديات

بسم الله الرحمن الرحيم

« وَٱلْعَادِيَاتِ ضَبْحاً . فَٱلْمُورِيَاتِ قَدْحاً . فَٱلْمُغِيرَاتِ صُبْحاً . فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعاً . فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعاً » .

« والعاديات » أي ، النفوس المجتهدة السائرة في سبيل الله التي تعدو من شدة سيرها ورياضتها ، وجدّها في سعيها كالخيل العادية ، تتنفس الصعداء من برحاء الشوق « فالموريات قدحاً » فتورى ناراً بقداح النتائج ، والإشتغال بنور العقل الفعال بقدح زناد النظر ، وتركيب المعلومات بالفكر « فالمغيرات صبحاً » . أي ، التي تغيّر ما يتعلق بها مما في ظواهرها وخارجها من الماليات ، ومما في بواطنها وداخلها من هيئات صفات النفوس ، وآثار الافعال وميول الشهوات واللذات ، ووساوس الوهم والخيال ، بنور صبح التجلي الإلهي ، وأثر الطوالع ومبادىء الوصول تركاً وتجريداً .

« فأثرن بـه » بنور ذلك التجلي ، وصبح يوم القيامة الكبرى ، ونقع تراب البدن بإنهاكه وتلطيفه ، وتنحيفه بالرياضة ، ومنع الحظوظ لشدّة التوجّه الى الحق ، والإقبال اليه بالعشق ، وانزعاج القوى في مشايعة القلب ، والروح

عن جانب البدن، واشتغالها عنه بتلقي الأنوار، كما يقال : (أثار عنه الغبار). أي ، أفناه وأهلكه ، وجعله كالغبار في التلاشي .

« فوسطن به » . أي ، بذلك الصبح ونوره جمع عين الذات ، فاستغرقن فيه . أي ، لطفن كثافة تراب البدن حتى يصير كالنقع في اللطافة ، فوسطن بذلك ، النقع جمع الذات . فإن الوصول ، إنما يكون بالأبدان ، كمعراجه عليه السلام ، فإنه كان بالبدن . أي، العالمات العاملات، التاركات المجرّدات بنور التجلي ، المنهكات للأبدان بالرياضة ، فالواصلات .

« إِنَّ ٱلْإِنسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ . وَإِنَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ . وَإِنَّهُ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ . أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي ٱلْقُبُورِ . وَحُصِّلَ مَا فِي ٱلصُّدُورِ . إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ » .

« إن الإنسان لربه لكنود » أقسم بحرمة الشاكرين لأنعمه، الواصلين اليه بتوصلها . على ان الانسان لكفور لربه باحتجابه بنعمه عنه ، ووقوفه معها وعدم استعماله لها فيما ينبغي ليتوصل بها اليه « وإنه على ذلك لشهيد » لعلمه باحتجابه وشهادة عقله ونور فطرته ، انه لا يقوم بحقوق نعم الله ، ويقصر في جنب الله بكفرانه « وإنه لحبّ الخير لشديد » أي ، وإنه لحبّ المال لقوي ، او لأجل حبّ المال بخيل ، فلذلك ، يحتجب به غارزاً رأسه في تحصيله ، وحفظه ، وجمعه ، ومنعه . مشغولاً به عن الحق ، معرضاً عن جنابه ، او انه لحبّ الخير الموصل الى الحق منقبض غير هش منبسط .

« أفلا يعلم » . أيَ ، ابعد هذا الإحتجاب ، ومخالفة العقل لا يعلم بنور فطرته وقوّة عقله « إذا بعثر » ؟ أيَ ، بعث ما في قبور أبدانهم من النفوس والأرواح « وحُصّل ما في » صدورهم . أي ، اظهر ما في قلوبهم من هيئات اعمالهم ، وصفاتهم ، وأسرارهم ، ونياتهم المكتومة فيها . « إن ربهم بهم يومئذ لخبير » عالم بأسرارهم ، وضمائرهم ، وأعمالهم ، وظواهرهم ، فيجازيهم على حسبها .

سورة القارعة

بسم الله الرحمن الرحيم

« أَلْقَارِعَةُ . مَا ٱلْقَارِعَةُ . وَمَا أَدْرَاكَ مَا ٱلْقَارِعَةُ . يَوْمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ . وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنْفُوشِ » .

« القارعة » الداهية التي تقرع الناس وتهلكهم ، وهي : اما القيامة الكبرى ، او الصغرى . فإن كانت الكبرى ، فمعناها الحالة التي تفني المقروع من تجلي الذات الأحدية ، وإفناء البشرية بالكلية ، وهي حالة لا يعرف كنهها ولا يقدّر قدرها ، تقرعهم .

« يوم يكون الناس كالفراش » أي ، يكونون في ذلك الشهود في الذلة ، وتفرّق الوجهة كالفراش المنتشر ، وأحقر وأذلّ ، لأنه لا قدر ، ولا وقع لهم في عين الموحد ، كقوله : (لن يكمل إيمان المرء حتى يكون النـــاس عنده كالأباعر ، او كالفراش) « المبثوث » اذا احترق وانبث بالنار . لنظره اليوم بعين الفناء « وتكون الجبال » أي ، الأكوان ومراتب الوجود على اختلاف

أصنافها ، وأنواعها « كالعهن المنفوش » لصيرورتها هبــاء منبثاً ، وانتقاعها وتلاشيها بالتجلي .

وإن كان المراد بالنـــاس المقروعين من اهل الكبرى ، فمعناها كالفراش المبثوث المحترق بنور التجلي ، المتلاشي لا غير « وتكون الجبال » أي ذواتهم وصفاتهم مع اختلاف مراتبها وألوانهـا « كالعهن المنفوش » في التلاشي . إلا أن قوله : « فأما من ثقلت موازينه، وأما من خفّت موازينه » لا يساعده، لانتفاء التفصيل هناك .

واعلم أن ميزان الحق بخلاف ميزان الخلق، إذ صعود الموزونات وارتفاعها فيه هو الثقل ، وهبوطها وانحطاطها هو الخفة ، لأن ميزانه تعالى هو العدل ، والموزونات الثقيلة ، أي المعتبرة الراجحة عند الله التي لهـا قدر ووزن عنده هي الباقيات الصالحات ، ولا ثقل أرجح من البقـاء الأبدي . والخفيفة التي لا وزن لهـــا ولا قدر ، ولا اعتبار عند الله هي الفانيات الفاسدات ، من اللذات الحسية ، والشهوات . ولا خفة أخف من الفناء الصرف .

« فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ . فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ .
وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ . فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ . وَمَـا أَدْرَاكَ
مَا هِيَهْ . نَارٌ حَامِيَةٌ » .

« فأما من ثقلت موازينه » بأن كانت من العلوم الحقيقية ، والفضائل النفسانية ، والكمالات القلبية ، والروحانية « فهو في عيشة » ذات رضا . أي ، حياة حقيقية في جنان الصفات فوق جنان الأفعال .

« وأما من خفّت موازينه » بأن كانت من الأعمال السيئة ، والرذائل النفسانية « فأمه هاوية » أي ، مأواه قعر بئر جهنم الطبيعة الجسمانية ، التي تهوي فيهـا أهلها « وما أدراك » حقيقتها وكنه حالها ، انها « نار » آثارية « حامية » بالغـة الى نهاية الإحراق ، ويكون معنى أمه هاوية أنه هالك ، وما أدراك ما الداهية التي يهلك بهـــا ، نار حامية . وإن كانوا من أهل الصغرى ، فمعناها الحالة التي تقرع النـاس بشدتها ، وهي الموت يوم يكون الناس بفراقهم عن الأبدان ، وانبعاثهم من مراقدها ، وقصدهم الى ضوء عالم النور وذلتهم وخشوعهم ، وتفرّق مقاصدهم ، وتحيّرهم بحسب تفرّق عقائدهم وأهوائهم ، كالفراش المبثوث ، وتكون جبال الأعضاء في اختلاف ألوانهـا وأصنافها ، وتفرّق أجزائها ، وتفتتها وصيرورتها ، هباء كالعهن المنفوش . والباقي بحاله ، كما ذكروا ، والله أعلم .

سورة التكاثر

بسم الله الرحمن الرحيم

« أَلْهَاكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ . حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ . كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ . ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ » .

« ألهاكم التكاثر » أي ، شغلتكم اللذات الحسية ، والخيالية الفانية ، من نعيم الحياة الدنيا ، التي احتجبتم بها ، وحبستم كمالكم فيها ، وأذهبتم طيباتكم من نور الإستعداد وصفاء الفطرة ، والعقل ، والمعقولات فيها عن اللذات العقلية ، والكمالات المعنوية الباقيـة من نعيم الآخرة . وذهب بكم المفاخرة والمباهاة بهذه الأمور الفانية ، من كثرة الاموال ، والاولاد ، وشرف الآباء والأجداد كل مذهب «حتى» ما اكتفيتم بالموجودات منها ، وارتكبتم المفاخرة بالمعدومات السالفة من العظام البالية لشدة الحجاب ، وغلبة لذة الخيـال وسلطنة شيطان الوهم او حتى متم ، وأفنيتم عمركم فيها ، وما تنبهتم طول عمركم على ما هو سبب نجاتكم .

« كلا » ردع عن الإشتغال بها وتنبيه على وخامة عاقبتها «سوف تعلمون»

عند خراب الأبدان ، وكشف غطاء الأكوان ، حين لا ينفعكم العلم لانعدام الأسباب ، والآلات التي يمكن بها الإستكمال بالموت، وخامة عاقبة الإشتغال بهذه الحسيات ، والوهميات السريعة الزوال ، العظيمة الوبال ، لبقاء تبعاتها، وتعذيبكم بهيئاتها، واستيلاء نار آثارها «ثم كلا سوف تعلمون» تكراراً للوعيد.

« كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ ٱلْيَقِينِ . لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ . ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ ٱلْيَقِينِ . ثُمَّ لَتُسْئَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ » .

« كلا لو تعلمون علم اليقين » أي ، لو ذقتم اللذات الحقيقية من العلوم اليقينية، والإدراكات النورية المستعلية على هذه الحسيّات والخياليات الفانية، لكان ما لا يدخل تحت الوصف ، من الندم والتحسّر على فوات العمر ، العزيز فيها ، والذهول عنها بها « لترون الجحيم » أي ، والله لترونّ بسبب احتجابكم بهذه المحسوسات نار جحيم الطبيعة الآثارية « ثمّ » لتذوقنها عياناً يقينياً ، بالذوق والوجدان ، فوق العلم « ثم لتسئلنّ يومئذ عن النعيم » أي ، شيء هو الدنيوي ولذاته الفانية الذي هذه عاقبته ، وماله وتبعته ، أم الآخرويّ الباقي أبداً على حاله ، الذي كنتم تنكرونه .

ويجوز أن يكون قوله «لترونّ الجحيم» سادّاً مسدّ جواب لو،لأن القسم والشرط اذا اجتمعا اتحد جوابهما معنى ، وخصّ بالقسم لفظاً سادّاً مسدّ جواب الشرط ، كقوله : (وإن أطعتموهم إنكم لمشركون) أي ، والله لو علمتم علم اليقين ، ووصلتم الى مرتبته ، لرأيتم نار جحيم الطبيعة المخصوصة بالمحجوبين بهذه الرذائل من الانغماس في الشهوات، واللذات الوهمية والخيالية، والكمالات الحسية والبدنية ، التي غرزتم رؤوسكم فيها ، وتهالكتم عليها ، فانتهيتم عنها الإنتهاء البالغ .

ثم ما وقفتم على مرتبة العلم اليقيني لوجدناكم ذوقه ، ومعرفتكم لذته ، وبقاؤه وحسنه ، وشرفه وبهاؤه ، وبقاء تبعة ما أنتم الآن فيه وفنائه وقبحه وخسته ووباله ، فترقيتم الى رتبة العيان والمشاهدة ، فعاينتم الحقائق على ما هي عليه من الأنوار القدسية ، والصفات الإلهية . فشاهدتم بنور العيان حقيقة الجحيم ، ووبال هذه اللذات ، وما لها من آلام الهيئات ، وعذاب النيران والحرمان .

« ثم لتسئلن يومئذ عن النعيم » أي شيء هو ؟ أهذا الذي أنتم الآن فيه من النعيم الآخروي ، أم ذاك النعيم الدنيوي ؟ أو لو تعلمون العلم اليقيني ايها المحجوبون بهذه الزخارف والخرافات لترون الجحيم من شدة الشوق ، واستيلاء نار العشق؟ ثم لترقون بذلك الشوق الى رتبة عين اليقين،والمشاهدة، فترون حقيقة نار العشق عياناً ، ثم لتسئلن بعد هذا الذوق عن النعيم الذي هو حق اليقين ، ما هو ؟ أي ، ثم لتجدن ذوق الوصول ، وأثر مرتبة حق اليقين ، فيمكنكم الإخبار عنها . والله تعالى أعلم .

سورة العصر

بسم الله الرحمن الرحيم

« وَٱلْعَصْرِ . إِنَّ ٱلْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ . إِلَّا ٱلَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِٱلصَّبْرِ » .

« أقسم بالعصر » أي ، بامتداد بقاء الزمان وما فيه ، ومـا يحدث معه بمبدعه ، وعلّته الذي هو الدهر . الناس يضيفون تغيرات الأمور والأحوال اليه ، ويجعلونه مؤثراً فيـه ، عقولهم : (وما يهلكنا إلا الدهر) . والمؤثر بالحقيقة هو الله تعالى ، كما قال عليه السلام : (لا تسبّوا الدهر ، فإن الله هو الدهر) تعظيماً له ، لظهوره تعالى بصفاته وأفعاله في مظهره .

على ان المحجوب بـه عنه في خسر . وهو الانسان لخسارته برأس ماله ، الذي هو نور الفطرة ، والهداية الأصلية من الاستعداد الأزليّ ، باختيـار الحياة الدنيا ، واللذات الفانية ، والإحتجاب بهـا وبالدهر ، وإضاعة الباقي في الفاني .

« إلا الذين آمنوا » بالله الايمان العلمي اليقيني ، وعرفوا أن لا مؤثر إلا الله ، وبرزوا عن حجاب الدهر « وعملوا الصالحات » الباقيات ، من الفضائل والخيرات . أي ، اكتسبوها ، فربحوا بزيادة النور الكمالي على النور الإستعدادي الذى هو رأس مالهم « وتواصوا بالحق » أى ، الثابت الدائم الباقي على حاله ابداً من التوحيد والعدل . أي ، التوحيد الذاتي،والوصفي، والفعلي فإنه الحق الثابت فحسب « وتواصوا بالصبر » معه وعليه عن كل ما ساواه بالتمكين ، والإستقامة .

فإن الوصول الى الحق سهل ، وأما البقاء عليه والصبر معه بالاستقامة في العبودية ، فأعزّ من الكبريت الأحمر ، والغراب الأبيض . فالفحوى أن نوع الإنسان في خسر ، إلا الكاملين في العلم والعمل ، المكملين بهما .

ويجوز ان يؤخذ العصر : بمعنى المصدر . من عصر يعصر . أي ، وعصر الله ، الانسان بالبلاء ، والمجاهدة ، والرياضة حتى تصفو نقاوته .

إن الانسان الباقي مع الثفل الواقف مع حجاب البشرية في خسر إلا الذين اتصفوا بالعلم والعمل، وتواصوا بالحق الثابت الذي هو الإعتقاد اليقيني اللازم للصفاوة الباقية بعد ذهاب التفل. وتواصوا بالصبر على العصر والانعصار بالبلاء والرياضة . ولهذا قال عليه السلام: (البلاء موكل بالانبياء ، ثم الأولياء ، ثم الأمثل فالأمثل) . وقال: (البلاء سوط من سياط الله يسوق به عباده اليه) .

سورة الهمزة

بسم الله الرحمن الرحيم

«وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ . أَلَّذِي جَمَعَ مَالاً وَعَدَّدَهُ . يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ» .

«ويل لكل همزة لمزة» . أي ، الذي تعوّد بالرذيلتين وضري بهما . فإن هذه الصيغة للعادة ، والهمز . أي ، الكسر من اعراض الناس . واللمز . أي ، الطعن فيهم ، رذيلتان مركبتان من الجهل ، والغضب ، والكبر . لأنهما يتضمنان الإيذاء وطلب الترفع على الناس . وصاحبهما يريد ان يتفضل على الناس ، ولا يجد في نفسه فضيلة يترفع بها ، فينسب العيب والرذيلة اليهم ، ليظهر فضله عليهم ، ولا يشعر ان ذلك عين الرذيلة . وإن عدم الرذيلة ليس بفضيلة فهو مخدوع من نفسه وشيطانه ، موصوف برذيلتي القوة النطقية ، والغضبية .

ثم ابدل منه الوصف برذيلة القوة الشهوانية ، بقوله : «الذي جمع مالاً وعدّده» وفي عدده : إشارة ايضاً الى الجهل . لأن الذي جعل المال عدّة للنوائب لا يعلم ان نفس ذلك المال يجرّ اليه النوائب لاقتضاء حكمة الله

تفريقه بالنائبات . فكيف يدفعها ؟ وكذا في قوله : « يحسب ان ماله اخلده » . أي ، لا يشعر ان المقتنيات المخلدة لصاحبها هي العلوم، والفضائل النفسانية الباقية، لا العروض والذخائر الجسمانية الفانية. ولكنه مخدوع بطول الأمل ، مغرور بشيطان الوهم عن بغتة الأجل .

والحاصل ان الجهل الذي هو رذيلة القوة الملكية اصل جميع الرذائل ومستلزم لها ، فلا جرم انه يستحق صاحب المغمور فيها ، العذاب الأبدي المستولي على القلب ، المبطل لجوهره .

« كَلَّا لَيُنبَذَنَّ فِي ٱلْحُطَمَةِ . وَمَا أَدْرَاكَ مَا ٱلْحُطَمَةُ . نَارُ ٱللَّهِ ٱلْمُوقَدَةُ . ٱلَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى ٱلْأَفْـِٔدَةِ . إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ . فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ » .

كلا : ردع عن حسبان وقوع الممتنع « لينبذن » . أي ، ليسقطن عن مرتبة فطرته الى رتبة الطبيعة الغالبة . وهي الحطمة التي عادتها كسر كل ما وقع في رتبتها باستيلاء قوّتها عليه . وهي النار الروحانية المنافية لجوهر القلب ، المؤلمة له ايلاماً لا يوصف كنهه ، المستعلية عليه ، النافذة في اشرف وجهه وباطنه ، وأعلاه الذي هو الفؤاد المتصل بالروح .

« انها عليهم مؤصدة » . أي ، مطبقة ، مغلقة الأبواب ، لاحتجاب القلب في محلها بالمواد الجسمانية ، واستحكام الهيئات المظلمة ، واللواحق الهيولانية ، والصور البهيمية ، والسبُعية ، والشيطانية فيه ، وامتناع تخلصه منها الى عالم القدس « في عمد ممدّدة » من محيط فلك القمر الى المركز . وهي الطبائع العنصرية التي صار مربوطاً بها بالتعلق، وسلاسل الميل، والمحبة. والله أعلم .

سورة الفيل

بسم الله الرحمن الرحيم

« أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ ٱلْفِيلِ . أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ » .

« ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل » قصة اصحاب الفيل مشهورة، وواقعتهم كانت قريبة من عهد رسول الله ﷺ ، وهي إحدى آيات قدرة الله ، وأثر من سخطه على من اجترأ عليه بهتك حرمه ، وإلهام الطيور ، والوحوش اقرب من إلهام الانسان ، لكون نفوسهم ساذجة ، وتأثير الاحجار بخاصية اودعها الله تعالى فيها ليس بمستنكر . ومن اطلع على عالم القدرة ، وكشف له حجاب الحكمة ، عرف لمية امثال هذه .

وقد وقع في زماننا مثلها من استيلاء الفأر على مدينة (ابيورد) وافساد زروعهم ، ورجوعها في البرية الى (شط جيحون) وأخذ كل واحدة منها خشبة من الايكة التي على شط نهرها، وركوبها عليها، وعبورها بها من النهر. وهي لا تقبل التأويل ، كأحوال القيامة ، وأمثالها .

وأما التطبيق : فاعلم أن أبرهة النفس الحبشية ، لما قصد تخريب كعبة القلب ، الذي هو بيت الله بالحقيقة ، والاستيلاء عليها ، وأراد ان يصرف

حُجّاج القوى الروحانية الى قلس الطبيعة الجسمانية التي بناهـا ، وأراد تعظيمها . فخرأ فيها قرشيّ العاقلة العملية بالقاء فضلة الغذاء العقلي فيها من صور التأديب المخصوص بالأمور الطبيعية ، كالعادات الجميلة ، والآداب المحمودة ، أوقع فيهـا شراراً من نار الشوق التي أوقدها عير قريش القوى الروحانية ، فأحرقها بالرياضة .

فساق جنوده ، وعبى جيوشه من جنس القوى النفسانية وصفاتهـا الظلمانية بالطبع ، كالغضب ، والشهوة ، وأمثال ذلك . وقدّم فيل شيطان الوهم الذي لا ينهزم عن جنود العقل ، ويعارضه في الحرب . والشيطان اكثر ما يتشكل يكون بصورة الفيل كما رآه معاذ في زمن رسول الله ﷺ ، ولهذا قال عليه السلام : (ان الشيطان ليضع خرطومه عـلى قلب ابن آدم فإذا ذكر الله خنس) .

« وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ . تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِّنْ سِجِّيلٍ . فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ » .

جعل الله كيدهم في تضييع « وأرسل عليهم » طيور الأفكار ، والإذكار بيضاء منوّرة بنور الروح « أبابيل » اي ، خرابق جماعـات ، كصور القياسات ، وكثرة الاذكار « ترميهم بحجارة من سجيل » اي رياضة ممـا سجل وخصّ بكل واحد منهم ، كتب على كل واحد منها اسم المرمي بها بقـلم الشرع والعقل . وعين ان هذه الرياضة مزجرة للقوة الفلانية مهلكة لهـا ، كالانقهار والتسخر للغضب ، والصوم للشهوة ، والضعـة للتكبر ، والذلة للتجبر ، وأمثال ذلك « فجعلهم » هلكى هامدة ، لا حراك بهـا « كعصف مأكول » اى كقوى نباتية أميتت وذهبت قوتهـا وخاصيتها ، ووقف عن فعلها لضعفها بالرياضة . والله تعالى اعلم .

سورة قريش

بسم الله الرحمن الرحيم

« لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ . إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ ٱلشِّتَاءِ وَٱلصَّيْفِ . فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ . ٱلَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِّنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِّنْ خَوْفٍ » .

« لإيلاف قريش» القوى الروحانية وإيقاع مؤالفتها، وموافقتها ومسالمتها في اكتساب الفضائل ، واتحادها في التوجّه نحو الكمال في الرحلتين « رحلة الشتاء » وبعد شمس الروح عن سمت رؤوسهم . والأوى الى غور البدن ، وترتيب مصالح المعاش، وإصلاح احوال البدن، والقيام بضرورياته ، وعمارته، ورحلة صيف قرب تلك الشمس من سمت رؤوسهم ، والرقي الى انجاد عالم القدس ، والتلقي لروح اليقين .

« فليعبدوا رب هذا البيت » بالتوحيد وتخصيص العبادة به ، والتوجّه نحوه بعد معرفته «الذي أطعمهم» أطعمة المعاني اليقينية ، والمعارف الحقيقية، والحقائق الإلهية « من جوع » داعية الإستعداد وتقاضي الفطرة في سنة الجهل

البسيط « وأمّنهم من خوف » إستيلاء حبشة القوى النفسانية ، وتخطفهم إيام ، ومنعهم عن الانقياد والسعي في تخريب الديار ، والأسر عن الاختيار ، والاستئصال بالدمار والبوار ، والله الموفق .

والسورتان كانتا في مصحف أبيّ ، سورة واحدة ، وبعض كبار الصحابة قرأهما في ثانية المغرب معاً . والسلام .

سورة الماعون

بسم الله الرحمن الرحيم

« أَرَأَيْتَ ٱلَّذِي يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ . فَذَٰلِكَ ٱلَّذِي يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ . وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ » .

« أرأيت الذي يكذّب بالدين » أي ، هل عرفت الجاهل المحجوب عن الجزاء من هوان لم تعرفه ؟ « فذلك » هو المرتكب جميع أصناف الرذائل المنهمك فيها . لأن الجهل والإحتجاب الذي هو رذيلة القوة النطقية أصل جميعها « الذي يدعّ اليتيم » يؤذي الضعيف ، ويدفعه بعنف وخشونة ، لإستيلاء النفس السَّبْعية ، وإفراطها « ولا يحضّ » اهله «على طعام المسكين» ويمنع المعروف عن المستحق ، لإستيلاء النفس البهيمية ومحبة المال ، واستحكام رذيلة البخل في نفسه .

« فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ . ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ . ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ . وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ » .

« فويل » لهم . أي ، للموصوفين بهذه الصفات ، الذين إن صلّوا غفلوا عن صلاتهم لاحتجابهم عن حقيقتها بجهلهم ، وعدم حضورهم . والمصلّين من باب وضع الظاهرة موضع المضمر للتسجيل عليهم بأن أشرف أفعالهم، وصوّر حسناتهم سيئات وذنوب، لعدم ما هي به، معتبرة من الحضور، والإخلاص . وأورد على صيغة الجمع، لأن المراد بالذي يكذب هو الجنس «الذين هم يراؤن» لاحتجابهم بالخلق عن الحق « ويمنعون الماعون » الذي يعان به الخلق ويصرف في معونتهم من الأموال ، والأمتعة . وكل ما ينتفع بـــه ، لكون الحجاب حاكماً عليهم بالإستئثار بالمنافع ، وحرمانهم عن النظر التوحيدي، واحتجابهم بالمطالب الجزئية عن الكلية ، وعدم اعتقادهم بالجزاء ، فلا محبة لهم للحق ، للركون الى عالم التضادّ ، والهبوط الى طبيعة الكون والفساد ، والإحتجاب عن حقيقة الإتحاد . ولا عدالة في أنفسهم للاتصاف بالرذائل ، والبعد عن الفضائل ، ولا خوف ولا رجاء لغفلتهم عن الكمال ، والجهل بالمعـــاد ، فلا يعاونون احداً ، فلن يفلحوا ابداً . والله اعلم .

سورة الكوثر

بسم الله الرحمن الرحيم

« إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ . فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ . إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ » .

« إنّا أعطيناك الكوثر » أي ، معرفة الكثرة بالوحدة ، وعلم التوحيد التفصيلي ، وشهود الوحدة في عين الكثرة ، بتجلي الواحد الكثير ، والكثير الواحد ، وهو نهر في الجنة من شرب منه لم يظمأ ابداً .

« فصلّ لربك» أي، اذا شاهدت الواحد في عين الكثرة،فصل بالاستقامة الصلاة التامة بشهود الروح ، وحضور القلب ، وانقيـــاد النفس ، وطاعة البدن ، بالتقلب في هياكل العبادات . فإنهـــا الصلاة الكاملة الوافية بحقوق الجمع ، والتفصيل « وانحر » بدنة أنانيتك لئـلا تظهر في شهودك بالتلوين ، وتسلبك مقام التمكين ، وكن مع الحق بالفناء الصرف باقياً ببقائه ابـداً ، فلا تكون أبتر في وصولك وحالك، واتصال أمتك، الذين هم ذرّيتك بك .

« إن » مبغضك الذي على خلاف حالك، المنقطع عن الحق « هو الأبتر » لا أنت ، فإنك الباقي ببقائه ، الدائم المتصل بك ذرّياتك الحقيقية من أهل الايمان أبد الآبدين ، المذكور فيهم دهر الداهرين . وهو الفـــاني بالحقيقة ، الهالك الذي لا يوجد، ولا يذكر، ولا ينسب اليه، ولد الحقيقة . والله اعلم .

سورة الكافرون

بسم الله الرحمن الرحيم

« قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ . لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ . وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ . وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ . وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ . لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ » .

« قل يا أيها الكافرون » الذين ستروا نور استعدادهم الأصلي بظلمة صفات النفوس ، وآثار الطبيعة ، فحجبوا عن الحق بالغير « لا أعبد » ابداً ، وأنا شاهد للحق بالشهود الذاتي « مــا تعبدون » من الآلهة المجعولة بهواكم ، المصورة بخيالكم ، والممثلة المعينة بعقولكم لمكان حجابكم « لا أنتم عابدون » أبداً ، وأنتم أنتم . أي ، على حالكم ، وما أنتم عليه من احتجابكم « مــا أعبد » لامتناع معرفـة الحق من الذين طبع على قلوبهم بالرين « ولا أنا » قط « عابد » في الزمان الماضي قبل الكمال والوصول التام بحسب الاستعداد الأول كالفطرة الأولى . أي، الذات المجرّدة وحدها « ما عبدتم » فيه بحسب استعداداتكم الأولية قبل الإحتجاب ، والرين ، لكمال استعدادي في الأزل ، وتوجهه الى الحق في الفطرة، ونقصان استعدادتكم ، أزلاً « ولا أنتم عابدون»

بحسب ذلك، الإستعداد « ما أعبد » أي، ولا يمكنكم عبادة معبودي بحسب الفطرة لنقصها الذاتي .

والحاصل أن عبادتي معبودكم وعبادتكم معبودي على الحال التي نحن فيها من الإستعداد الثاني ، الذي هو كالي ، واحتجابكم كلاهما محال في الحال والاستقبال ، وكذا قبل هذا الاستعداد حال الاستعداد الأولي أيضاً ، بحسب الذوات والأعيان أنفسها كان غير ممكن في الأزل ، لوفور استعدادي ، وقصور استعداداتكم . ومعناه سلب الإمكان الاستقبالي، والوصفي، والذاتي، والأزلي . ليفيد ضرورة السلب الازلية . « لكم دينكم » من عبادة معبوداتكم « ولي دين » من عبادة معبودي . أي ، لما لم يمكن الوفاق بيننا تركتكم ودينكم ، فاتركوني وديني . والله أعلم .

سورة النصر

بسم الله الرحمن الرحيم

« إِذَا جَاءَ نَصْرُ ٱللهِ وَٱلْفَتْحُ . وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ ٱللهِ أَفْوَاجاً . فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّاباً » .

« إذا جاء نصر الله » أي ، المدد الملكوتي ، والتأييد القدسي ، بتجليات الأسماء ، والصفات « والفتح » المطلق الذي لا فتح وراءه ، وهو فتح باب الحضرة الأحدية ، والكشف الذاتي بعد الفتح المبين في مقام الروح بالمشاهدة .

« ورأيت النـــاس يدخلون في دين الله » أي ، التوحيد ، والسلوك على الصراط المستقيم بتأثير نورك فيهم عند فراغك من تكميل نفسك « أفواجاً » مجتمعين كأنهم نفس واحدة تستفيض من فيض ذاتك ، قائمة مقام نفسك ، وهم المستعدون الذين كانت بين نفسه عليه السلام ، وأنفسهم علاقـــة مناسبة ، ورابطة جنسية توجب اتصالهم به ، بقبول فيضه .

« فسبّح » أي ، نزّه ذاتك من الإحتجاب بمقام القلب ، الذي هو معدن

النبوّة بقطع علاقة البدن ، والترقي الى مقام حق اليقين ، الذي هو معدن الولاية « بحمد ربك » أي ، حامداً له بإظهار كمالاته ، وأوصافه التامة عند التجريد بالحمد الفعلي « واستغفره » واطلب سترة ذاتك بذاته ، كما كان حال الفناء قبل الرجوع الى الخلق أبداً « إنه كان توّاباً » قابلاً لرجوع من رجع اليه بأفنائه بنوره .

ولما كمل الدين ، واستقرّت دعوته التي كانت بعثته لأجلها، أمره بالرجوع الى مقام حق اليقين ، الذي لا يستمر إلا بعد الموت . ولذلك ، لما نزلت فقرأها رسول الله ﷺ ، استبشر الاصحاب ، وبكى ابن عباس ، فقال ﷺ : (ما يبكيك ؟ قال : نعيت اليك نفسك . فقال عليه السلام : لقد أوتي هذا الغلام علماً كثيراً) .

وروي أنها لما نزلت خطب رسول الله ﷺ ، فقال : (إن عبداً خيّره الله بين الدنيا وبين لقائه فاختار لقاء الله) فعلم ابو بكر رضي الله عنه ، فقال : (فديناك بأنفسنا وأموالنا وآبائنا وأولادنا) .

وعنه أنه دعا فاطمة عليها السلام ، فقال : (يا بنتاه نعيت إليّ نفسي ، فبكت . فقال : لا تبكي ، فإنك أول أهلي لحوقاً بي . فضحكت) وتسمّى هذه سورة التوديع. وروي أنه عاش بعدها سنتين. ونزلت في حجة الوداع.

سورة تبت

بسم الله الرحمن الرحيم

« تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ . مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ . سَيَصْلَى نَاراً ذَاتَ لَهَبٍ . وَٱمْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ . فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّنْ مَّسَدٍ » .

« تبّت يدا أبي لهب وتبّ » ، أي ، هلك ما هو سبب عمله الخبيث الذي استحق به الجهنمي الملازم لنار الهلاك ، وهلك ذاته الخبيثة لاستحقاقها بحسب استعدادها . أي ، استحق النـــار بذاته ، وبوصفه ناراً على نار . ولذلك ، ذكره بكنيته الدالة على لزومه إياها .

« ما أغنى عنه ماله وما كسب » أي ، مـــا نفعه ماله الأصلي من العلم الإستعدادي الفطري ، ولا مكسوبه لعدم مطابقة اعتقاده لما في نفس الامر . وكلاهما متعاونان في تعذيبه ، وما يجدي له أحدهما .

« سيُصلى ناراً » عظيمة ، لاحتجابه بالشرك « ذات لهب » زائـــد على أصله ، لخبث أعمـــاله وهيئاتها ، فيصلى بالاعتقاد الفاسد ، والعمل السيء هو

« وامرأته » متقارنين فيها « حمّالة الحطب » أي ، التي تحمل أوزار آثامها وهيئات أعمالها الخبيثة، التي هي وقودها نار جهنم وحطبها «في جيدها حبل» قوي ممـــا مسدّ . أي ، فتل فتلاً قوياً من سلاسل النار ، لمحبتها الرذائل والفواحش ، فربطت هيئاتها وآثامها ، بذلك ، الحبل الى عنقها تعذيباً لها بما يجانس خطاياها . والله أعلم .

سورة الإخلاص

بسم الله الرحمن الرحيم

« قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ » .

« قل هو الله أحد » قل أمر من عين الجمع وارد على مظهر التفصيل ، هو عبارة عن الحقيقة الأحدية الصرفة . أي ، الذات من حيث هي بلا اعتبار صفة لا يعرفها إلا هو ، والله بدل منه . وهو اسم الذات مع جميع الصفات دلّ بالإبدال على أن صفاته تعالى ليست بزائدة على ذاته ، بل هي عين الذات لا فرق إلا بالإعتبار العقلي .

ولهذا سمّيت سورة الإخلاص ، لأن الإخلاص تمحيص الحقيقة الأحدية عن شائبة الكثرة . كما قال امير المؤمنين عليه السلام : (كمال الإخلاص له نفي الصفات عنه) لشهادة كل صفة أنها غير الموصوف ، وشهادة كل موصوف أنه غير الصفة . وإياه عنيَ من قال : (صفاته تعالى لا هو ولا غيره) أي ، لا هو باعتبار العقل ، ولا غيره بحسب الحقيقة ، وأحد خبر المبتدأ .

والفرق بين الأحد والواحد أن الأحد هو الذات وحدها ، بلا اعتبار كثرة فيها . أي ، الحقيقة المحضة التي هي منبع العين الكافوري ، بل العين الكافوري نفسه ، وهو الوجود من حيث هو وجود بلا قيد عموم وخصوص ، وشرط عروض ، ولا عروض .

والواحد هو الذات مع اعتبار كثرة الصفات ، وهي الحضرة الاسمائية لكون الاسم هو الذات مع الصفة ، فعبّر عن الحقيقة المحضة الغير المعلومة إلا له بهو . وأبدل عنها الذات مع جميع الصفات دلالة على أنها عين الذات وحدها في الحقيقة ، وأخبر عنها بالأحدية ليدل على أن الكثرة الاعتبارية ليست بشيء في الحقيقة ، وما ابطلت أحديته ، وما أثـّرت في وحدته . بل الحضرة الواحدية هي بعينها الحضرة الأحدية بحسب الحقيقة ، كتوهّم القطرات في البحر مثلاً .

« ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ . لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ . وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ » .

« الله الصمد » أي ، الذات في الحضرة الواحدية بحسب اعتبار الاسماء هو السند المطلق لكل الأشياء ، لافتقار كل ممكن اليه وكونه به ، فهو الغني المطلق المحتاج اليه كل شيء ، كما قال : « والله الغني وأنتم الفقراء » ولما كان كل ما سواه موجوداً بوجوده ليس بشيء في نفسه ، لأن الإمكان اللازم للماهية لا يقتضي الوجود ، فلا يجانسه ولا يماثله شيء في الوجود .

« لم يلد » إذ معلولاته ليست موجودة معه ، بل به ، فهي به هي وبنفسها ليست شيئاً « ولم يولد » لصمديته المطلقة ، فلم يكن محتاجاً في الوجود الى شيء . ولما كانت هويته الأحدية غير قابلة للكثرة والانقسام ، ولم يكن مقارنة الوحدة الذاتية لغيرها ، إذ ما عدا الوجود المطلق ليس إلا العدم المحض ، فلا يكافئه احد « ولم يكن له كفؤ أحد » إذ لا يكافيء العدم الصرف الوجود المحض . ولهذا سمّيت سوره الأساس ، إذ أساس الدين على التوحيد ، بل أساس الوجود .

وعن أنس ، عن النبي ﷺ ، أنه قال : (أسّست السماوات السبع ، والأرضون السبع على : قل هو الله احد) وهو معنى صمديته .

سورة الفلق

بسم الله الرحمن الرحيم

« قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ . مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ . وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ . وَمِنْ شَرِّ ٱلنَّفَّاثَاتِ فِي ٱلْعُقَدِ . وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ » .

« قل أعوذ برب الفلق » أي ، التجىء الى الاسم الهادي ، وألوذ بـه ، بالإتصاف بـه ، والاتصال بروح القدس في الحضرة الاسمائية . لأن الفلق هو نور الصبح المقدّم على طلوع الشمس . أي ، برب نور صبح تجـلي الصفات ، الذي هو مقدمة طلوع نور الذات، ورب نور صبح الصفات هو الاسم الهادي، وكذا معنى كل مستعيذ بربه من شرّ شيء ، فـإنه يستعيذ بالاسم المخصوص بذلك الشيء ، كاستعاذة المريض مثلاً بربه ، فإنه يستعيذ بالشافي ، كاستعاذة الجاهل من جهله بالعليم .

« من شرّ ما خلق » أي ، من شر الإحتجاب بالخلق وتأثيرهم فيه . فإن من اتصل بعالم القدس في حضرة الأسماء ، واتصف بصفاته تعالى ، أثر في كل

مخلوق ولم يتأثر من احد ، لأنهم في عالم الآثار ومقام الأفعال . وقد ارتقى هو عن مقام الافعال الى مبادئها من الصفات .

« ومن شر غاسق إذا وقب » أي، من شر الإحتجاب بالبدن المظلم ، إذا دخل ظلامه كل شيء ، واستولى ، وأثر بتغيرات أحواله ، وانحراف مزاجه في القلب لمحبة القلب ، وميله اليه ، وانجذابه نحوه « ومن شر النفّاثات » أي ، القوى النفسانية من الوهم ، والتخيّل ، والغضب ، والشهوة ، ونحوها التي تنفث في عقد عزائم السالكين بإيهانها بالدواعي الشيطانية ،وحلها ونكثها بالوساوس والهواجس .

« ومن شرّ حاسد إذا حسد » أي ، النفس إذا حسدت تنوّر القلب فانتحلت صفاته ومعارفه باستراق السمع ، فطغت وظهرت عليه وحجبته ، وذلك هو التلوين في مقام القلب .

ويجوز أن يكون الغاسق هو النفس المستولية الحاجبة بظلمة صفاتها للقلب ، والحاسد هو القلب اذا ظهر في مقام الشهود . فإن تلوين مقام الشهود بوجود القلب كما أن تلوين مقام القلب بوجود النفس وتخصيص هذه الثلاثة بالإستعاذة منها بعد الاستعاذة من المخلوقات عموماً ، إنما كان لأن أكثر الإحتجاب منها دون ما عداها من المخلوقات عموماً لاتصالها به ،وتعلقه بها . والله تعالى أعلم .

سورة الناس

بسم الله الرحمن الرحيم

« قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ . مَلِكِ ٱلنَّاسِ . إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ . مِنْ شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ . ٱلَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ ٱلنَّاسِ . مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ » .

« قل أعوذ برب الناس » رب النـاس : هو الذات مع جميع الصفات . لأن الانسان هو الكون الجامع الحاصر لجميع مراتب الوجود . فربه الذي أوجده ، وأفاض عليه كماله ، هو الذات باعتبار جميع الأسماء بحسب البداية المعبر عنها بالله . ولهذا قال تعالى : « ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي » بالمتقابلين من الصفات كاللطف والقهر ، والجمال ، والجلال ، الشاملين لجميعها ، تعوّذ بوجهه بعد ما تعوّذ بصفاته . ولهذا تأخرت هـذه السورة عن المعوّذة الأولى إذ فيها تعوّذ في مقام الصفات باسمه الهادي ، فهداه الى ذاته .

ثم بيّن رب الناس بملك الناس على أنه عطف بيان ، لأن الملك هو الذي يملك رقابهم وأمورهم ، باعتبار حال فنائهم فيه ، من قوله : « لمن الملك اليوم

لله الواحد القهار » فالملك بالحقيقة هو الواحـــد القهار ، الذي قهر كل شيء بوجوده ، ثم عطف عليه .

« إله الناس » لبيان حال بقائهم بعد الفناء . لأن الإله هو المعبود المطلق. وذلك، هو الذات مع جميع الصفات باعتبار النهاية استعاذ بجنابه المطلق ففني فيه،فظهر كونه ملكاً. ثم ردّه الى الوجود لمقام العبودية، فكان معبوداً دائماً فتمّ استعادته به .

« من شر الوسواس » لأن الوسوسة تقتضي محـــلا وجودياً ، كما قال : « الذي يوسوس في صدور الناس » ولا وجود في حال الفناء ، فلا صدور ولا وسواس ، ولا موسوس ، بـــل ان ظهر هناك تلوين بوجود الأنانية . فقل أعوذ بك منك . فلما صار معبوداً بوجود العابد ظهر الشيطان بظهور العابد، كما كان اولاً موجوداً بوجوده .

والوسواس اسم للوسوسة سمي بـه الموسوس لدوام وسوسته ، كان نفسه وسواس . وإنمـا استعان منه بالإله دون بعض اسمائه كما في السورة الاولى . لأن الشيطان هو الذي يقابـل الرحمن ويستولي على الصورة الجمعية الانسانية ويظهر في صور جميع الأسماء ويتمثل بها إلا بالله ، فلم تكف الاستعاذة منه بالهادي ، والعليم ، والقدير ، وغير ذلك . فلهذا لمـــا تعوذ من الإحتجاب والضلالة تعوذ برب الفلق . وهنا تعوذ برب الناس . ومن هـذا يفهم معنى قوله عليه السلام : (من رآني فقد رآني فإن الشيطان لا يتمثل بي) .

« الخنّاس » أي ، الرجوع . لأنه لا يوسوس إلا مع الغفلة ، وكلما تنبه العبد وذكر الله خنس . فالخنوس عادة له، كالوسواس . عن سعيد بن جبير : (اذا ذكر الإنسان ربه خنس الشيطان وولى، وإذا غفل وسوس اليه).

قوله : « من الجنة والناس » بيـــان للذي يوسوس . فإن الموسوس من الشياطين جلسان : جني غير محسوس ، كالوهم . وأنسي محسوس كالمضلين من أفراد الانسان . أما في صورة الهادي كقوله تعالى : « انكم كنتم تأتوننا عن اليمين» ، وأما في صورة غيره من صور الاسماء . فلا يتم ايضاً الاستعاذة منه إلا بالله ، والله العاصم .

(تمّ المجلد الثاني والاخير من التفسير)
(بفضل الله سبحانه وتعالى ورضوانه)

في ربيع الثاني	١٣٨٨ هجرية
الموافق شهر تموز	١٩٦٨ ميلادية

« ما جاء في نهاية نسخة نور محمد »

قال مصححه نور محمد بن عبد الصمد عفا الله عنه وعن والديه :

« نحمدك اللهم يا من جعلت القرآن لنـــا نوراً وشفاء ، وهدىً ورحمة ، وكتاباً مجيداً . المنزل في وصفه،لا يأتيه الباطل من بين يديه، ولا من خلفه، تنزيل من حكيم حميد . وهديتنا بـــه الى نعمة الاسلام لنكون من المسلمين المخلصين الموقنين . وما نزّلت من القرآن آية إلا ولها ظهر، وبطن، كقولك: « ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين »، ونصلّي ونسلّم على مَن أنزلت القرآن على أشرف الخلائق الانسانية، ومجمع الدقائق الايمانية ، ونور التجليات الربانية ، ومهبط الأسرار الرحمانية ، وواسطة عقد النبيين ، ومقدّم جيش المرسلين ، وقائد ركب الانبيــاء المكرمين ، وأفضل الخلائق اجمعين ، سيد الأشراف ، وجامع الاوصاف ، ومتمم مكارم الأخلاق ، سيدنا ومولانـــا محمد صلى الله عليه وآله ، وأولاده ، وذرّيته الأطهار، وأصحابه ، وأنصاره الأخيار ، صلوة دائمة مستمرة الدوام على مرّ الليالي والأيام » .

أما بعد ، فقد تمّ طبع هذا التفسير للشيخ الاكبر العارف بالله محي الدين ابن علي الطائي الاندلسي المتوفي سنة ثمان وعشرين وستمائة ، وله تصانيف كثيرة شهيرة ، منها تفسير كبير على طريقة اهل التصوّف في مجلدات قيل انه في ستين سفراً ، وهو الى سورة الكهف ، وله تفسير صغير في ثمـانية أسفار على طريقـــة المفسرين ، وكان هذا التفسير في ديارنا عزيز الوجود مع كون

طبائع العلماء المتصوفين راغبة اليه ، وقلوب المهذبين بأخلاق الله مائلين اليه ، لأجل كونه قليلة المباني وكثير المعاني لكشف الغطاء عن وجوه اسرار كلام الرباني ، فعطف عنان الهمة الى طبعه الراجي الى ربه الكريم « الحاج قاضي محمد ابراهيم بن الحاج » قاضي نور محمد ، أعاذه الله وأخوانه من شر كل حاسد اذا حسد ، فبحمد الله خرج من قالب الطبع كأنه كتبه المصنف بيده ، وكيف لا وقد بالغ في تصحيحه ، وتعمّق النظر في تدقيقه ، من يستغني عن وصفنا هو علاّمة عصره وفهامة دهره ، الجناب المستطاب سيد حافظ وقاري سراج الحق خلف المرحوم مولينا نور الحق قدّس سره ونور الله ضريحه .

وكذالك ، بذل السعي والجهد فيه ، العاصي ، كثير المعاصي ، خادم الطلاب نور محمد بن عبد الصمد ، وجناب عبد الملك ، غفر الله ذنوبهما وزيّن صفحاته بقلم الصنعة وحبر الصحة الكاتب اقاجان ، صانه الله ، الملك المنّان ، وكان الفراغ عن شغل الطبع في اواخر ربيع الاول سنة ١٢٩١ .

فالمرجو من الناظرين الكرام العفو بالإحسان عن الخطأ والنسيان ، والدعاء لطبعه ومصححه بحسن الخاتمة بالإيمان ، بحرمة القرآن ، وبنبي آخر الزمان صلى الله عليه وآله ، وصحبه ، الى انتهاء الزمان .

تاريخ طبعه يستنبط من رأس كل مصرع حرفاً حرفاً :

ت تمّم التفسير بالله الصمد	ل لاح من أنواره كل البلد
ا إنما هو مظهر السرّ الخفي	أ أندفع به الشكوك المختفي
و وانجلى به صدور السالكين	خ خُصّ للناس الكرام الصالحين
ي يسّر الله لنا عملا به	ي يغفر الله لنا ذنباً به
ل لله درّ القول في توصيفه	ا انتظام النظم في تعريفه
ا إن عام الطبع فانظر في الحروف	ر رأس إبداء فعمّم يا عطوف

الفهرس

الصفحة	السورة
٧	سورة مريم
٣١	« طه
٦٨	« الأنبياء
٩٥	« الحج
١١٧	« المؤمنون
١٣٣	« النور
١٥١	« الفرقان
١٧١	« الشعراء
١٩١	« النمل
٢١٥	« القصص
٢٤١	« العنكبوت
٢٥٥	« الروم
٢٦٧	« لقمان
٢٧٣	« السجدة
٢٨١	« الأحزاب
٣٠١	« سبأ
٣١٣	« فاطر
٣٢٣	« ياسين
٣٣٥	« الصافات
٣٤٧	سورة ص
٣٦٩	« الزمر
٣٩١	« غافر
٤٠٧	« حم السجدة
٤٢٥	« الشورى
٤٤١	« الزخرف
٤٥٩	« الدخان
٤٧١	« الجاثية
٤٨١	« الإحقاق
٤٩٥	« محمد
٥٠٥	« الفتح
٥١٥	« الحجرات
٥٢٥	« ق
٥٣٩	« الذاريات
٥٤٧	« الطور
٥٥٣	« النجم
٥٦١	« القمر
٥٦٩	« الرحمن
٥٨٥	« الواقعة

الصفحة	السورة
٥٩٧	سورة الحديد
٦١١	» المجادلة
٦١٩	» الحشر
٦٢٩	» الممتحنة
٦٣٥	» الصف
٦٤١	» الجمعة
٦٤٧	» المنافقون
٦٥٣	» التغابن
٦٥٩	» الطلاق
٦٦٥	» التحريم
٦٧٣	» الملك
٦٨٣	» القلم
٦٨٩	» الحاقة
٦٩٧	» المعارج
٧٠٣	» نوح
٧٠٩	» الجن
٧١٩	» المزمّل
٧٢٥	» المدثّر
٧٣٣	» القيامة
٧٤٩	» المرسلات
٧٥٥	» النبأ
٧٦١	» النازعات
٧٦٧	» عبس
٧٧١	» التكوير
٧٧٥	سورة الانفطار
٧٧٧	» المطففين
٧٨٣	» الإنشقاق
٧٨٧	» البروج
٧٩٣	» الطارق
٧٩٥	» الأعلى
٧٩٩	» الغاشية
٨٠٣	» الفجر
٨٠٧	» البلد
٨١١	» الشمس
٨١٥	» الليل
٨١٩	» الضحى
٨٢٣	» الإنشراح
٨٢٥	» التين
٨٢٧	» العلق
٨٣١	» القدر
٨٣٣	» البينة
٨٣٧	» الزلزلة
٨٣٩	» العاديات
٨٤٣	» القارعة
٨٤٧	» التكاثر
٨٥١	» العصر
٨٥٣	» الهمزة
٨٥٥	» الفيل

الصفحة	السورة
٨٥٧	سورة قريش
٨٥٩	« الماعون
٨٦١	« الكوثر
٨٦٣	« الكافرون
٨٦٥	« النصر
٧٦٧	سورة تبّت
٨٦٩	« الأخلاق
٨٧١	« الفلق
٨٧٣	« الناس